مـــع وقـــف التـنـفـيـذ

بقلم: مشاعر غالية

دعاء عبد الرحمن



الفصل الأول

فى أحد أحياء القاهرة المزدحمة بالطبقة المتوسطة وما تحتها ...حيث نرى سلاسل البنايات المتراصة دون تناسق..... ملتحمةً بعضها ببعض وكأنها تشد أزرها وتهون عليها أثر هذا الزحام الغير مقصود من التكتلات العائلية والاسرية البسيطه... مع اختلاف الالوان والعقائد والمعاملات.... حيث الاختلاف النوعى البشرى الطبيعى والذى تتميز به بلدنا عن غيرها من البلاد ....نعم تختلف العقيدة واللون والمستويات الاجتماعية منذ سنوات وسنوات ....ولكن أجتمعوا على حب هذه الجيرة القديمة والاثار المترتبة عليها من ود وشهامه وتقارب روحى وصلة لا تنفك ان تنقطع ابدا.... ففيها يطيب السمر بأجتماع الاحبة وتختزل الذكريات الجميلة وتحلو سنوات الطفولة بكل تفاصيلها التى تأبى الذاكره على محوها يوما ما.....والتى أنطلق من خلفيتها شباب وفتيات فى عمر الزهور فى مجالات التعليم والعمل المختلفة كلٌ له هدف وأتجاه وطريق يتخذه سبيلاً لتحقيق طموحاته ....

ومن هؤلاء الشباب شاب فى مقتبل العمر ذات ملامح مصرية هادئة جذابة تتميز بالرجوله من أول وهله.. وقف فى ساحة الجامعة ينتظر شخصٌ ما فى قلق واضح ..يدور بعينيه باحثاً عنه وسط التجمعات الشبابية الكبيرة التى تتهافت متلهفة لمعرفة نتيجة أختبارات نهاية العام الدراسى وبالأخص نتيجة الليسانس التى ينبرى من أجلها منذ أربع سنوات جهد ودراسة كخطوة على طريق حلمه الكبير......

وأخيراً ظهرت * دنيا * من وسط الزحام مبتسمة وأقبلت عليه فى لهفة تهتف به فى سعادة واضحه بعينين لامعتين:نجحنا يا فارس ..نجحنا نجحنا

أتسعت ابتسامته وخفق قلبه بشدة وهو يخطو نحوها بخطوات واسعة مضطربة وهو يبادلها الهتاف:

- بتكلمى جد......قوليلى بسرعه تقديرى ايه وتقديرك ايه

عقدت ذراعيها أمام صدرها قائلةً بأبتسامه واسعه :

- تدفع كام

أمسكها من ذراعيها بتوتر هاتفاً:قولى بقى أنا خلاص أعصابى باظت

أبتسمت فى شغف قائلة:مبروك يا سيدى جيد جدا زى كل سنه ...وانا طبعا مقبول زى كل سنه

ضحك فى سعادة كبيرة وهو يفرك كفيه فى بعضهما البعض قائلا:

- الحمد لله أنا كده حطيت رجلى على أول سلمه

ضحكت دنيا بينما أقبلت عليهما فتاة أخرى تمشى نحوهما وعينيها مثبتة على فارس وعلى السعادة التى تبدو على وجهه وما أن أقتربت حتى قالت بمرح:

- مبروك النجاح من غير ما أعرف النتيجه

ألتفت اليها فارس بمرح قائلا:

- الله يبارك فيكى يا عزة ..الحمد لله جيد جدا

قالت بسعادة بالغه:

- الحمد لله أنا كنت متأكده

أمسكت دنيا بكف فارس ونظرات الغيرة مطلة من عينيها وهى توجه حديثها ل عزة قائله:

- الله يبارك فيكى يا عزة عقبال ما تباركيلنا على الخطوبة قريب إن شاء الله

أطرقت عزة براسها وقالت بهدوئها المعتاد :

- مبروك مقدماً عن أذنكم

ألتفتت لترحل ولكن تذكرت شىء مهم فأستدارت مرة أخرى وقالت له:

- أنا هروح دلوقتى وأكيد مامتك هتقابلنى وهتسألنى على النتيجه ..تحب أقولها ولا أنت عاوز تكون أول واحد تبلغها خبر النجاح؟؟

نظر لها فارس بأمتنان قائلا:

- قوليلها طبعا وهى أصلا منبهه عليا أول ما أعرف النتيجه أكلمها على طول ..وأردف مبتسما :

- انتى عارفه بقى خالتك أم فارس مش هتستنى لما أروحلها.....

ابتسمت عزة قائلة :

- طبعا عارفاها زمانها قاعده مع ماما فى البلكونه مستنين اللى يوصل فينا الاول

ضحك فارس وضحكت وهى تلوح مودعة لهما:

- يلا أمشى أنا بقى سلام ..ومبروك مره تانيه

لوح لها فأمسكت دنيا يده وهى تقف أمامه وتنظر اليه بشك قائلة:

- طبعا لو قلتلك انا مبحبش البت دى هتقولى دى جارتى ومتربين مع بعض ومينفعش مكلمهاش..مش كده

قبض على كفها ببطء وهو يقول:

- بقولك إيه سيبك من الكلام الفاضى ده وتعالى نروح نقعد فى أى حته

أستقلت معه أحد سيارات الاجرة وهى تهمس بتذمر واضح:كده يا فارس بتركبنى ميكروباص ده انا عندى أخدها مشى أحسن

أشار لها أن تصمت حتى يترجلا من السيارة ...ترجلت دنيا من السيارة بمعاونة فارس وقفت أمام الحديقة عاقدة ذراعيها أمام صدرها بحنق قائلة:

- هى دى المفاجأه جايبنى جنينه زى دى

أختفت الابتسامه من محياه وهو ينظر اليها بحزن قائلا:

- ما انتى عارفه يا دنيا انا مقدرش على غير كده ....أنتظرها تجيبه ولكنها ظلت عاقدة حاجبيها حانقة ...فاردف قائلا:

- يعنى هتضيعى علينا الساعه اللى خارجينها مع بعض ..أمشى يعنى؟!

قالت وهى تلوح بعدم رضى :

- لا متمشيش.. أمرى لله يلا ندخل

جلسا الى مقعد أمام النيل مباشرةً وألتفت اليها ونظر لها بحب قائلا:

- دنيا ..انا عاوز آجى أتقدم بقى

ألتفتت اليه بسرعة قائله:

- لالا مش دلوقتى لما مرتبك يزيد شويه

فارس:يا حبيبتى الدكتور حمدى وعدنى أول لما أتخرج هيزود مرتبى على طول يبقى نستنى ليه بقى..

دنيا:

- يا حبيبى مش قصدى... أنا قصدى يعنى نصبر شويه ..لما المرتب يزيد ونشوف هنعمل ايه

نظر لها بأستنكار وألتفت الى النيل مرة أخرى ولم يتحدث ...شعرت دنيا بغضبه وأستنكاره فهو دائما يظهر فى عينيه ما لا يريد البوح به

فقالت مستدركه:

- يا حبيبى أفهمنى أنا عاوزاك تصبر لما تشوف تعينات النيابه مش جايز حلمك يتحقق وتبقى وكيل نيابه قد الدنيا وساعتها تتقدم بقلب جامد لبابا

أستدار اليها بجسده دفعة واحدة وقال بعصبيه:

- انتى كمان عاوزانا نستنى تعينات النيابه يعنى ندخلنا فى سنه كمان...ويمكن أكتر الله أعلم

دنيا بتوتر:

- طب وفيها ايه يا حبيبى فات الكتير ما بقى الا القليل

هز راسه حانقا وهو يقول:

- غريبه أوى أى بنت مكانك هى اللى تحب ترتبط بالراجل اللى بتحبه ...مش عارف ليه انتى اللى عماله تطولى فى المده وانا اللى مستعجل المفروض العكس يا دنيا...وبعدين انتى كده هتطلعينى عيل قدام مامتك ..انتى ناسيه انى وعدتها أتقدم اول ما اتخرج على طول

قالت دنيا بأبتسامه تريد بها أمتصاص غضبه :

- ملكش دعوه بماما انا هفهمها إن التأجيل منى انا مش منك انت ..خلاص يا سيدى ارتحت

هز راسه نفيا وقال باعتراض:

- لا لا مرتحتش طبعا ..انا مش فاهم انتى ليه مصممه على التأجيل انتى عاوزانى وانا وكيل نيابه وبس يعنى غير كده لاء

أخذت دنيا حقيبتها بتردد وهى تقول:

- فى ايه بقى أنت كل شويه تقولى كده ليه.. انت عارف كويس أوى انى بحبك ومقدرش أستغنى عنك

أبتسم بسخرية وقال هامساً:

- اه ماهو باين...ثم نهض واقفاً وهو يقول:

- يلا بينا اروحك علشان اروح انا كمان زمان ماما مستنيانى بفارغ الصبر

أقترب فارس من الحى الذى يقطن به وهو ينظر للأعلى فى تسائل وهو يشاهد الزينة والكهرباء المعلقه فى تناغم بين الوانها المبهجه :

- ايه ده هو فى فرح النهارده ولا ايه

أستقبله صديقه عمرو وهو يفتح ذراعيه فى الهواء مداعبا:

- فارس باشا ..الف مبروك النجاح ... عقبال النيابه وتبقى باشا رسمى وتشرفنا فى كل حته ونتفشخر بيك كده

ضحك فارس لمداعبة صديقه ورفيقه عمرو وبادله المداعبه قائلا:

- نتفشخر !!...ده انت بيئه صحيح

صفق عمرو بمشاغبة وقال:

- ايوه هنبدأ بقى من اولها ..ماشى ياعم يحقلك اكتر من كده بكره هنقابلك بالحجز وبدفتر المواعين قصدى المواعيد

وضع فارس ذراعه على كتف صديقه وهو يقول:

- ده انت يبنى فضيحه بجد الناس بتتفرج علينا ...قولى بقى هو فرح مين النهارده

قال عمرو وهو يلوح بذراعه :

- فرحك انت يا عريس ..أمك اول ما سمعت الخبر مسكتتش وقعدت تزغرد والحبايب بقى صمموا يعلقوا الكهربا دى علشانك...ورفع يديه بالدعاء قائلا:

- عقبالى يارب لما أتخرج كده وابقى مهندس قد الدنيا

ثم همس فى اذنه أم عزة قاعده مع أمك وشاكلهم كده عاوزني يدبسوكوا فى بعض

نظر له فارس باستنكار قائلا:

- هما ايه مبيزهقوش قلت لماما مية مره انا بحب دنيا وهجوزها ومش هتجوز غيرها مفيش فايده...

وقف عمرو ونظر اليه بتفحص قائلا:

- انت بتكلم جد يا فارس يعنى عزة مش على بالك خالص

فارس:

- يابنى ده انت صاحبى يعنى المفروض عارف كل حاجه عنى بتسألنى سؤال زى ده برضه

وبمجرد ظهورهما عند بداية المنعطف الذى يجاور منزلهما بدأ شباب الجيران فى التهافت عليه وتهنئته وبمجرد ولوجه الى بوابة منزلهم المتواضع أستمع الى صوت زغاريد الجارات من النساء وأقبلت عليه والدته تقبله وتحتضنه بسعادة بالغه وهى تقول:

- مبروك يا حضرة وكيل النيابه المحترم

ضحك فارس وعمرو وقال الاخير:

- شكله بالكتير اوى بشكاتب

ضربته أم فارس على كتفه وهى تقول :

- بس يا واد يا عمرو ايه اللى انت بتقوله ده طب بكره تشوف فارس ده هيبقى ايه

التفت عمرو الى فارس قائلا:

- شفت ياعم مش لسه كنت بقولك

أنتهت الاحتفاليه البسيطه بسرعه وما أن أغلق الباب على فارس ووالدته وحدهم حتى قالت له مؤنبة:

- كده برضه تحرجنى قدام أم عزة

أقترب فارس من والدته وقبل رأسها قائلا:

- ليه بس يا ست الكل هو انا عملت ايه

نظرة له بعتاب وقالت :

- بقى أقولك عقابل ما نفرح بيك انت وعزة ترد تقولى لاء عزة الاول لازم أطمن على أختى الاول..بتستعبط يا فارس

جلس فارس على اقرب مقعد وهو يبتسم لوالدته قائلا:

- يا حاجه ما انتى عارفه من الاول ان عزة زى أختى وعارفه انا ناوى أتجوز مين

قالت والدته بأنفعال وهى تجلس على الأريكة بجواره:

- انت عارف انى مبطقش البت دى يا فارس هتجيبها تعيش معايا هنا ازاى

تقدم نحوها وقبل كفها عدة قبلات سريعه وقال برجاء:

- ياماما انتى عارفه انى بحبها وهى كمان بتحبنى وبعدين يا ست الكل مش انتى يهمك سعادتى برضه..وانا مش هبقى سعيد مع واحده تانيه..علشان خاطرى يا ماما حاولى تتقبليها علشان خاطرى

ربتت على رأسه وقالت بحنان:

- يابنى والله يهمنى سعاتك وكل حاجه بس انا اصلا مبحسش ان البت دى بتحبك زى ما بتحبها قلبى مش مرتحلها ابدا

رفع عينيه اليها وقال مؤكدا:

- لا والله يا ماما انتى ظلماها دنيا طيبه جدا وبتحبنى اوى بس هى مشاعرها مش بتبان عليها بسرعه وبعدين بقى فى حاجه متعرفيهاش

والدته باهتمام:

- حاجه ايه

التفت حوله وكأنهما ليسوا وحدهما فى المنزل وقال بصوت خفيض:

- عمرو حاطط عينه على عزة بس شكله كده مستنى لما يتخرج هو كمان

نظرت له تتفحصه وهى تقول:

- بتكلم جد يا فارس هو اللى قالك كده

أومأ فارس براسه وأغمض عينيه فى حركه مسرحيه وقال بثقه:

- مش لازم يقولى يا حاجه...... انا بلقطها وهى طايره فى الهوا

ضربته على كفه وهى تقول:

- تصدق انا غلطانه انى قاعده اتكلم معاك انا هقوم ألحق صلاة العشاء...لم تلبث ان نهضت واقفه حتى سمعت طرقات خفيفه على الباب فغيرت مسارها اليه وهى تقول :

- ياترى مين

فارس :

- أستنى يا ماما هفتح أنا

اشارت اليه ان يجلس مكانه وهى تفتح الباب وقالت:

- مين.. أم يحيى تعالى أتفضلى يا حبيبتى

أرتبكت جارتها أم يحيى وهى تقول بخجل واضح:

- والله اسفه انى رجعت تانى يا ست أم فارس ...ثم قالت وهى تشير لأبنتها الصغيرة:

- بس البت المضروبه دى صممت أجيبها علشان تبارك للأستاذ فارس ..وراسها وألف سيف لازم تيجى دلوقتى وعماله تعيط وتصرخ ..مقدرتش عليها ياختى

نظرت أم فارس الى الطفله الصغيرة فى يد والدتها وهى تفرك عينيها من اثر النوم وتتثائب وهى تقول بصوت مرتفع :

- فين فارس يا طنط

وكزتها أمها فى يدها وهى تقول :

- قولتلك مية مره قولى ابيه فارس ...دخلت الصغيرة دون إستئذان وهى تجذب يد أمها قائله بمشاغبه:

- أحنا متفقين على كده وهو مش بيزعل

وقف فارس ينظر اليها وهى تحاول ترتيب شعرها الاشعث وعينيها التى أنتفخت من اثر البكاء والنوم وهى تقول:

- مبروك يا فارس ..ضحك وقال مداعبا:بقى ده منظر تيجى تباركيلى بيه برضه

جذبتها أمها مره أخرى بشدة من يدها وهى تقول لفارس باعتذار :

- معلش يا استاذ فارس عيله متقصدش

فارس:

- ولا يهمك يا أم يحيى مُهره صاحبتى وتقولى اللى هى عاوزاه

نظرة مُهره الى والدتها فى أنتصار وهى تقول :

- شفتى مش قولتلك

أقترب فارس منها ونزل على أحدى ركبتيه وهو يتصنع الغضب قائلا:

- بس انا زعلان منك يا مُهره لسه جايه تباركيلى دلوقتى

قالت بأندفاع طفولى:

- وانا مالى ماما سابتنى نايمه وجات لوحدها ولما صحيت صممت اجيلك شفت بقى انا جدعه معاك ازاى

ثم نظرة لوالدتها مؤنبة وهى تقول:

- ماشى يا ماما بكرا لما أكبر وانتوا تصغروا هسيبكوا نايمين وهاخرج لوحدى

ضحكت أم فارس وهى تربت على شعر مُهره وتحاول عبثاً أصلاح غرتها المبعثره على جبينها وتمسح عليه قائله:معلش يا مُهره تلاقى ماما مرضيتش تصحيكى علشان عندك مدرسه الصبح بدرى

نظرت اليها مُهره بعين مفتوحه والاخرى مغمضة:

- احنا فى الاجازه يا طنطتى

فارس :

- بمناسبة المدرسه يا لمضه درجات سنه رابعه معجبتنيش أعملى حسابك السنه الجايه سنه خامسه وزى ما سمعنا كده عتبقى خامسه وسادسه مع بعض يعنى مش هقبل اقل من الدرجات النهائيه ..ها هاتذاكرى ولا هتقضيها كارتون

لوحت فى الهواء بطفوليه وهى تقول:

- طبعا هذاكر وهبقى أشطر منك كمان وهجيب درجات أكبر من السنه اللى فاتت وماما هتعملى حفله كبيييرة ..وأشارت له محذره :وعارف لو مجتش

قاطعتها والدتها وهى تقول لها:

- يابنتى عيب كده ..ثم نظرة الى أم فارس قائله:

- البت لسه مكملتش العشر سنين ومفتريه اومال لما تكبر هتعمل فينا ايه

ضحك فارس قائلا لها:

- يا ستى إنجحى انتى بس وليكى عندى هديه معتبره

قالت وهى تمسك بيد والدتها:

- ماشى لما نشوف يلا يا مامتى..تصبحوا على خير كلكوا

دخلت دنيا فراشها وتدثرت وهى تتذكر ملامح فارس وكلماته الحانيه فأبتسمت وهى تغمض عينيها ....ولكن الابتسامه سرعان ما تلاشت عندما تذكرت لقائهما الاخير..طرقت والدتها الباب وأطلت برأسها وهى تقول:

- نمتى يا دنيا ولا لسه

أدارت رأسها تجاه الباب وهى تقول لوالدتها:

- لا لسه يا ماما ..فى حاجه ولا ايه

دخلت والدتها وجلست على طرف فراشها وهى تقول:

- عاوزه أتكلم معاكى فى موضوع مهم وكنت مستنيه لما باباكى ينام

أعتدلت دنيا فى فراشها وقالت :

- بأهتمام خير يا ماما

والدتها:

- بصراحه كده انا مش عاجبنى حالك كده ...والكلام اللى قولتيه لفارس النهارده ده ولا هيقدم ولا هيأخر

زفرت دنيا بضيق وهى تقول:

- انتى كمان يا ماما وانا اللى فاكراكى فاهمانى

والدتها:

- بصراحه بقى انا مش فاهمه تمسكك بيه ده كله ليه ...ده فى الاخر هيتجوزك مع أمه فى شقتها فى مكان مش من مقامك ..انتى لسه فى اول العمر والدنيا فتحالك ايديها ليه تدفنى نفسك معاه

تنهدت دنيا وهى تنظر للفراغ وكأنها تنظر للمستقبل قائلة:

- يا ماما فارس عنده عزيمه قويه انا عارفاه كويس ومش هيفضل حاله كده ....هيفضل يحارب لحد ما يبقى وكيل نيابه ثم ابتسمت وهى تقول:

- وانا هبقى مرات البيه وكيل النيابه

مطت والدتها شفتيها وقالت:

- ولحد ما يبقى وكيل نيابه هتقبلى انك تعيشى معاه عند أمه

رفعت دنيا كتفيها وهى تقول:

- لاء طبعا انا قولتله كده بس فى الاول لكن انا عماله اهو أجل فى الارتباط على قد ما اقدر لحد ما ياخد وضعه ....حتى الخطوبه عاوزه أجلها لحد ما يتعين

ثم نظرت لوالدتها فى ثقه قائله:ياماما متخافيش عليا انا مش مراهقه ...انا اه بحبه بس برضه مش هارتبط بيه غير لما احس ان المستقبل بقى مضمون وهيجيبلى شقه تانيه فى مكان تانى وساعتها كل حاجه هتتغير للأحسن

قالت والدتها بعدم تصديق:

- عموما متخطيش خطوة الا لما تتأكدى الاول

عادت الابتسامه اليها مرة أخرى وهى تقول بعينين لامعتين:

- متخافيش عليا انا عارفه انا بعمل ايه كويس

الفصل الثانى

فى الصباح أستيقظ فارس على صوت والدته وهى توقظه وتهتف به:قوم يا فارس تليفون علشانك

نظر اليها بصعوبه وهو يحاول فتح عينيه قائلا:مين يا ماما

والدته بتأفف:

- السفيره عزيزة بتاعتك

ابتسم وهو ينهض من فراشه وأتجه مباشرة الى الهاتف:

- ألو

- صباح الخير يا حبيبى

- لسه فاكره

- هو انا لحقت ده انا لسه سيباك امبارح

- سايبانى طول اليوم وانتى عارفه انى مضايق منك وجايه تتصلى تانى يوم

- خلاص بقى يا حبيبى متبقاش حمقى كده...يالا بقى البس وانزل عاوزه أشوفك

- أبتسم ولكنه صبغ صوته بنبرة جدية قائلا:لا مش قادر انزل

- كده برضه يعنى موحشتكش

- أنتى فين دلوقتى

- انا فى البيت

- طيب خلاص نتقابل فى المكان بتاعنا بعد ساعه

- زفرت بقوة وهى تقول:يا حبيبى مش هنغير بقى المكان ده تلاقى مامتك أدتلك حلاوة النجاح

- قال بحده:جرى ايه يا دنيا هو انا عيل ولا ايه ايه حلاوة النجاح دى

- طب خلاص متتعصبش كده..خلاص اوكى ساعه وهكون هناك..يلا مع السلامه

- سلام

أغلق فارس الهاتف وأتجه الى الحمام توضأ صلى الظهر ...بدل ملابسه وأتجه الى المطبخ وجد والدته تعد طعام الغذاء عندما رأته قالت بعبوس:

- يعنى مقولتش أنك خارج النهارده..اومال انا بعمل الغدا ده لمين ان شاء الله

قبلها على وجنتها وهو ينظر للأوانى ويلتقط منها بعض الطعام ليأكله فى سرعه وهو يقول:

- معلش يا ماما مش هتأخر ساعه ولا اتنين بالكتير وهتلاقينى هنا ..بس أتغدى انتى متقعديش جعانه لحد ما أرجع

ضربته على ظهر يده وهو يعبث بالطعام وتقول:

- قولتلك مية مره متحطش ايدك فى الاكل كده أستنى أحطلك فى طبق

تناول كوب مياه ليشربه ثم قال:

- لالا لما اجى بقى ..مش عاوزه حاجه اجيبهالك معايا

والدته :

- لا مش عاوزه حاجه بس خلى بالك من نفسك

طبع قبله اخيره على راسها وقال مودعا:

- طيب سلام بقى يا ست الكل

هبط الدرج قفزا كما يفعل دائما وخرج من باب البيت وما ان خطى خطوتين حتى سمع سمع طفولى من الاعلى يصيح به :

- فاااااارس يا فاااارس

نظر للأعلى مبتسما وقال بهتاف وهو يلوح :

- عارف عارف مش هنسى العسليه

ضحكت مُهره بينما نهرتها والدتها التى كانت تقف بجوارها فى الشرفه:

- يابنت عيب كده هو خلفك ونسيكى

أخذت مُهره دميتها ولم تجيبها ودخلت لتكمل لعبتها ببراءة تارة وتضايق أخيها يحيى تارة أخرى

خرج عامر من ورشته عندما سمع صوت فارس وأتجه أليه فى خطوات واسعه مهنئا:

- مبروك يا أستاذ فارس معلش ملحقتش اكلمك امبارح كان عندى زباين وأتحرجت اطلعلك فوق

أبتسم فارس متفهما وقال:

- الله يبارك فيك يا عم عامر ويارب عقبال مريان ومينا ما يتخرجوا وتفرح بيهم

عامر مبتسما:

- طيب مش هاعطلك بقى سعادة المستشار

ضحك فارس بعذوبه قائلا:

- يسمع من بؤك ربنا يا عم عامر ..ثم قال معتذرا:

- عن اذنك انا بقى علشان مستعجل

عامر :

- أتفضل يابنى مع السلامه

وقبل أن يتحرك سمع جلبه من خلفه وهتاف يعرفه جيدا:

- يا استاذ فارس أستنى

ألتفت وهو يرفع حاجبيه بمرح للحاج عبد الله الذى اقبل عليه بجلبه كبيره قائلا:

- مبروك يا أستاذ فارس يابنى والله انا فرحان زى ما يكون ابنى هو اللى أتخرج وبقى باشا قد الدنيا

ضحك فارس مداعبا:

- لسه مابقتش باشا يا حاج عبد الله أدعيلى انت بس

وضع الحاج عبد الله يده على كتفه وتكلم بهتاف كعادته :

- داعيلك يابنى والله ربنا يكتبلك الخير ماطرح ما تروح يابنى

ربت فارس على يده بأمتنان قائلا:

- ربنا يتقبل منك يا حاج عبد الله..ثم تنحنح قائلا:

- طيب تؤمرنى بحاجه ..اصلى عندى مشوار كده

أفسح له الحاج عبد الله الطريق قائلا:

- لا يا بنى أتفضل متعطلش نفسك ربنا يجعلك فى كل خطوة سلامه

أكمل فارس طريقه بصعوبه فكلما خطى خطوة أوقفه أحد جيرانه مهنئا وداعيا له بالتوفيق ...نعم هذه هى القلوب المحبه التى تمتاز بها أحيائنا المصريه البسيطه

وقفت دنيا تنتظر ظهور فارس وهى تنظر لساعتها اليدويه فى قلق حتى ظهر اخيرا قادما من بعيد بأبتسامته المشرقه الجذابه ..وعندما رأها اسرع الخطى نحوها ووقف معتذرا :

- اسف والله يا حبيبتى بس أعمل ايه الناس عندنا ماكنتش عاوزه تسيبنى كل شويه حد يوقفنى يباركلى ويدعيلى

عقدت ذراعيها بغضب قائله:

- يعنى الناس دول اهم مني

قطب جبينه بمرح قائلا:

- انتى عارفه ان مفيش حد اهم منك عندى ..صح ولا لاء

وأمسك يدها وأجلسها على مقعدهم المفضل أمام النيل مباشرة قائلا:

- يعنى مردتيش

ألتفتت اليه قائله:

- عارفه يا سيدى ..ارتحت...

ثم اردفت قائله:

- فارس انا ليا عندك طلب

أومأ براسه قائلا:

- أؤمرينى يا حبيبتى

قالت بدلال:

- انا عاوزه أجى أشتغل معاك فى المكتب

زفر بضيق قائلا:

- مش أحنا أتفقنا قبل كده ان انا بس اللى هشتغل..انتى عارفه يا دنيا شغل المحاماه متعب ازاى وبصراحه كده بحس انه بهدله للبنات

قالت بعناد:

- بس انا عاوزه أشتغل..وبعدين مانا هبقى معاك يا سيدى ايه اللى هيبهدلنى

رفع حاجبيه بدهشه قائلا:

- ياسلام يعنى لما تيجى تشتغلى والاستاذ يديكى شغل تعمليه هتقوليله طب اخد فارس معايا ولا ايه مش فاهم يعنى...انا مش حابب يا دنيا كل يوم تقعدى تتنططى ما بين الاقسام والنيابات والمحاكم والموظف ده يرزل عليكى والموظف ده يبصلك..لاء انا مش موافق

قالت بعناد أكبر:

- بص يا فارس انا كده ولا كده هشتغل انا مخدتش الشهاده علشان افضل قاعده فى البيت...فقولت أشتغل معاك أحسن ما اروح أشتغل فى مكتب تانى وعلى فكره جايلى مكتب كويس اوى لكن انا فضلت أشتغل معاك ...

نظر الى البحر متأملا وقال بهدوء:

- يعنى رأيي مش مهم عندك للدرجه دى

لمست كتفه وقالت بخفوت:

- ياحبيبى ازاى بس تقول كده ...بس انت عارف يا فارس انى لازم أساعد فى تجهيز نفسى وبابا مش هيقدر على الحمل ده كله لوحده ده انا لسه مجبتش قشايه فى جهازى

مط شفتيه متبرما وشعر بالاختناق وهو يقول:

- انا لو عليا مخليكيش تجيبى حتى القشايه دى...لكن مفيش فى ايدى حاجه غير مرتبى وأنتى عارفه

قالت بهدوء:

- عارفه يا حبيبى وبكره الدنيا هاتتغير وحياتنا هاتتغير وهانبقى من طبقة الهاى كلاس وبكره تقول دنيا قالت

وقف الأستاذ حمدى مهران أمام فارس وهو يربت على كتفه قائلا:

- بس كده يا سيدى خلاص أعتبرها أشتغلت خلاص ..خاليها تيجى من بكره لو تحب

قال فارس بأمتنان:

- متشكر اوى يا دكتور

أبتسم الاستاذ حمدى وهو يقول باهتمام :

- علشان تعرف بس انى نظرتى ثاقبه دايما..قولتلك هتنجح وبالتقدير اللى انت عاوزه

قال فارس بسعاده:

- طبعا يا دكتور وربنا ميحرمناش من توجيهاتك ابدا

أعتدل الاستاذ حمدى فى مقعده وهو يقول:

- بس أنا عاوزك تسعى فى الماجيستير من دلوقتى يا فارس ده هيخدمك جامد فى المستقبل..وعندك يا سيدى المكتبه بتاعتى هنا فى المكتب أستعين بيها زى ما انت عايز يعنى مش هتحتاج تشترى كتب من بره

قال فارس فى تفكير:

- ان شاء الله يا دكتور بس انا دماغى مشغول دلوقتى بحكاية النيابه دى عاوز استنى لما اعرف راسى من رجلى فيها

الاستاذ حمدى:

- فكر تانى فى الموضوع ده حكاية النيابه دى لسه قدامها وقت وانت لسه هتاخد دبلومه قبل الماجيستير ..استغل الوقت ده وخد الدبلومه لحد ما نشوف موضوع النيابه

بدا عليه التكفير فى الامر وهو ينظر للأمام قائلا:

- خلاص يا دكتور انا حطيت الموضوع فى دماغى وان شاء الله هابتدى اسأل على الاجراءات وايه المطلوب بالظبط

أومأ الأستاذ حمدى براسه مبتسما وهو يقول:

- خلاص ولو أحتاجت اى حاجه ماتترددش تعالالى على طول

فارس:

- طيب عن أذن حضرتك

أشار له ان ينصرف بابتسامه فأنصرف فارس الى مكتبه وجلس الى مقعده وأخرج بعض الملفات وبدأ فى العمل ولكن عقلع مازال يدور ويبحث الامر ولا يجرؤ ابدا ان يتطرق الى نقطه معينه وهى أحتمال عدم قبوله فى النيابة ..هو ليس حلمه وحده أنما هو حلم والدته

ووالده قبل ان يتوفاه الله بل وجيرانه واصدقائه جميعهم ..ودنيا ..دنيا التى تحلم بأن تصبح زوجة وكيل نيابه وان تصعد من طبقتها الى طبقة أخرى دنيا التى لا تتوقف عن أحلامها وطموحها ابدا ولا تقف أمامها اى حدود من أجل تحقيقها

فى اليوم التالى وعند الخامسة مساء كانت دنيا تقف أمام باب مكتب الاستاذ حمد مهران وتخطو فيه أول خطواتها العمليه تمت المقابله مع الاستاذ حمدى بنجاح وبدأت فى الاطلاع على القضايا وملفاتها فى المكتب المجاور لمكتب فارس فى نفس الغرفه

نهض فارس من مكانه وأقترب من مكتبها مبتسما وجلس على المقعد المقابل لها قائلا:

- ها ايه رأيك فى الشغل ..فى حاجه مش فاهماها؟

قالت وهى تنظر بحيره الى الملفات التى أمامها:

- قول فى حاجه فاهماها

كتم ضحكاته وهو يقول:

- معلش بكره هتفهمى كل حاجه

ظلت تنظر الى الاوراق بعينين زائغتين وهى تقول:

- انا ماكنتش فاكره الشغل العملى كده

قال بجديه:

- متقلقيش انتى هتنزلى معايا بكره المحكمه والشهر العقارى وواحده واحده هتتعلمى

مطت شفتاها وهى تقول :

- بس المجهود ده كله على المرتب ده بس

نظر لها باستنكار قائلا:

- ده انتى لسه متخرجه وبصراحه المرتب ده ميحلمش بيه حد لسه متخرج ده الدكتور كرمك علشان خاطرى

قالت بحده:

- اه هو ياخد على قلبه الألوفات واحنا الملاليم

تعجب فارس من طريقة حديثها وهى التى لم تبذل اى جهد حتى الان وقال:

- فى ايه يا دنيا ده انتى لسه بتقولى يا هادى وبعدين بصراحه وبشهاده محاميين كتير الدكتور حمدى بيدى أعلى مرتبات فى مكاتب المحامين كلها...وبعدين خلى بالك احنا مش بناخد مرتب وبس لاء احنا بناخد كمان خبرته الطويله ودى متتقدرش بفلوس

عبثت فى الاوراق وهى تقول بلا مبالاه :

- والله انت طيب يا فارس يلا بقى قولى المفروض بكره هنعمل ايه بالظبط

قال بجديه :

- قبل ما اقولك على الشغل عاوز اقولك انى قررت حاجه مهمه جدا

الفتت اليه باهتما قائله:

- حاجة ايه قول

فارس:

- انا قررت ابدأ فى الدبلومه ان شاء الله

ظهرت الدهشه على وجهها وقالت:

- دبلومه؟! طب والنيابه

فارس:

- ياستى النيابه لسه قدامها سنه ويمكن أكتر وانا زى ما انتى عارفه مابحبش أضيع وقت..انا بقى هاستغل الوقت ده وأحضر الدبلومه ولو النيابه جات مش هاتخسر بالعكس دى هاتزيدنى خبره فى شغلى

أومأت برأسها بتفكير قائله:

- مش مشكله أى حاجه تخلينا نقب بسرعه معنديش فيها مانع

قاطعهم دخول باسم أحد المحامين العاملين فى المكتب وهو ينادى على فارس بصخب ولكنه توقف عندما وقع بصره على دنيا الجالسه خلف مكتبها...فنهض فارس فى سرعه واقفا وهو يقدمها له قالا:

- الاستاذه دنيا أول يوم معانا النهارده

أبتسم باسم أبتسامه واسعه وهو يتقدم نحوها وقال مرحبا وهو يمد يده ليصافحها:

- اهلا وسهلا نورتى المكتب

صافحته بابتسامه رقيقه فبدأ فى تقديم نفسه قائلا:

- أنا باسم صفوت محامى هنا وابن خالة الدكتور حمدى

نظر لها فارس نظره حاده لتسحب يدها من يده فارتبكت وهى تسحب يدها بهدوء قائله:

- أهلا بحضرتك

لاحظ فارس نظراته المتفحصه لها والتى أشعلت مصافحته لها بداية فتيل الغيره فى قلبه فلم يعد يحتمل نظراته هى الاخرى فقال بعصبيه واضحه:

- خير يا أستاذ باسم حضرتك كنت عاوز حاجه

ألتفت اليه باسم متعجبا من عصبيته المفاجأه ولكن الموقف لم يكن يحتاج الكثير من الذكاء فعلم على الفور ان دنيا تخصه بشكل أو بآخر

فقال بهدوء:

- خلصت الملف اللى أديتهولك امبارح قبل ما تمشى

كان يحاول السيطره على أعصابه ولكنه لم ينجح فكانت كل خلجه من خلجات وجهه تنطق بالغيره فاستدار ليتناول الملف من فوق سطح مكتبه وناوله اياه قائلا:

- أيوا خلصته أتفضل

قلب باسم صفحاته سريعا واشار اليه ليتبعه قائلا:

- طب تعالى معايا مكتبى عاوز أناقشك فى شوية نقط فيه

ألقى عليها فارس نظرة حاده قبل ان يترك الحجره وتبع باسم الى حجرة مكتبه

فركت يدها فى توتر فهى تعلم ماذا ينتظرها من شلال جارف من الغيره الساخطه يجرفها بحده لتصبح وحيده لا يراها غيره ولا يلمسها غيره فهكذا هو دائما

فى هذه الاثناء دخل محامى آخر كانت قد ألتقت به من قبل قبل دخولها لمقابله الاستاذ حمدى فأبتسم لها قائلا:

- ها أخبار المقابله ايه..انا شايف اهو ماشاء الله بدأتى شغلك

قالت بارتباك :

- اه الحمد لله متشكره اوى يا استاذ حسن

جلس الى أحد المكاتب واشار الى المكتب الرابع والخاوى بجواره :ده بقى مكتب الاستاذه نورا..هى مجاتش النهارده بس لما هاتتعاملى معاها هتحبيها أوى

قالت بأهتمام:

- هى شغاله معاكوا من زمان

أومأ براسه قائلا:

- اه بس مش من زمان أوى أصلها بتشتغل من وهى لسه بتدرس زى فارس كده

رسمت ابتسامه مصطنعه وقالت بهدوء:

- تمام... ان شاء الله أستفاد من خبرتها

تصنعت الامبالاه وهى تنظر للملفات امامها قائله:

- واضح ان الاستاذ باسم قديم هنا فى المكتب

قال بسرعه:

- طبعا قديم ده بقالوا عشر سنين هنا ده غير أنه ابن خالة الدكتور حمدى وهو اللى ماسك أدارة المكتب تقريباً

تابعت حديثها بتسائل:طب وده ايه خلاه كل ده ميفتحش مكتب خاص بيه

أعجب حسن بفضولها الذى يشبع رغبته فى الحديث فى شئون زملاءه ..نظر حسن بأتجاه حجرة باسم المغلقه وقال بصوت خفيض:ده ذكاء منه...لو فتح مكتب هيضطر يجيب محامين وموظفين ويديهم مرتبات ده غير النور والايجار وخلافه لكن كده بيشتغل فى القضايا الخاصه بتاعته واللى بياخد أتعابها كامله لافى ضرايب ولا يحزنون

دنيا:

- طب والاستاذ حمدى ميعرفش كده

حسن:عارف طبعا بس ميفرقش معاه كتير وبعدين زى ما قلتلك الاستاذ باسم هو اللى بيدير المكتب ...اصلا الدكتور حمدى مش فاضى ومبيجيش كتير

خرج فارس من مكتب باسم فوجدها تتحدث مع حسن أتجه الى مكتبه وجلس خلفه وهو ينظر اليها بتوعد مما جعلها تخفى وجهها بين أوراقها حتى لا تنظر اليه

لم يستطع حسن كتم فضوله أبدا فقال بسرعه:هى الأستاذه دنيا تقربلك يا استاذ فارس

نظر له فارس بحده وقال:

- خطيبتى...ليه

أرتبك حسن بسبب عصبية فارس الواضحه وقال:

- لا ابدا مفيش بسأل بس..ألف مبروك

وبعد أنتهاء مواعيد العمل فى المكتب أنصرفت دنيا بصحبة فارس الذى ظل صامتاً وهو يمشى بجوارها وهى تحاول اللحاق بخطواته الكبيرة فقالت وهى تحاول جاهدة ألتقاط أنفاسها :يا فارس براحه شويه أنا بجرى علشان الحقك

أبطأ من سرعته قليلا وظل محتفظا بصمته فقالت :

- أنا عارفه أنك زعلان مني بس أنت مش ملاحظ أنك مكبر الموضوع شويه يا فارس

توقف فجأة والتفت اليها وضغط على أسنانه بغضب وهو يقول:

- يعنى انتى مش شايف انك عملتى حاجه غلط؟

ارتبكت وقالت بتلعثم :

- يعنى كنت أقوله ايه هو اللى سلم وفضل ماسك ايدى

حاول كتم غضبه بقوة وهو يقول:

- يلا علشان أوصلك انا مش عاوز اتنرفز فى الشارع وصوتى يعلى ...ثم نظر لها بحده قائلا:خلى بالك انتى مبتراعيش مشاعرى ولا وجودى خالص وانا مش هستحمل كده كتير

حاولت ان تدافع عن نفسها مرة أخرى ولكنه لم يعطيها الفرصه وأوقف سيارة أجرة لتستقلها لمنزلها

فى اليوم التالى صباحا كان ينتظرها عند باب المحكمة رافقته فى رحلته اليوميه من المحكمه للشهر العقارى فى صمت لم تحاول التحدث الا بالقيل وهو لم يتحدث فى العمل فقط ..وهو يشرح لها وهى تحاول حفظ لاجراءات وأماكن المكاتب وأدوارها حتى يسهل عليها التوجه لها مباشرة عندما تقوم بالعمل بمفردها ...علمت قدر التعب والجهد المبذول فى عملهم فى مهنة المحاماه وخصوصا فى بداية الطريق ...فالنهار ينقضى هكذا تحت وطأ درجة الحراره الشديده فى الصيف بين التنقل بين المحاكم واقسام الشرطه والشهر العقارى وغيرهم وفى

الليل خلف مكاتبهم يبحثون الاوراق ويدققون بها بالاضافه الى كتابة المرافعات والمذكرات وغيرها..علمت ان العمل ليس بسهل او يسير على الاطلاق فهى ليست موظفه عاديه كما كانت تظن ...علمت الان لماذا كان يقول لها دائما هذا العمل غير مناسب للنساء ..عندما كان يقول لها ذلك كانت تشعر بالأستياء وبأنه يهمش دورها ويقلل من شأنها ولكن بعد ان رأت بعينيها علمت انه كان محقاً ...فهل تعود الى بيتها وتقبع به الى ان يتم تحديد مصيرها مع فارس؟!

الفصل الثالث

كان فى طريقه إلى المنزل شارداً غارقاً فى تفكيرة لا يجد حصى أمام قدميه إلا وركلها يمينا أو يساراً وكأنها كرى يسددها فى أحضان مرماها ...المشوار طويل والجهد ليس قليل ..يا ترى هل يا فتاتى هل تستطيعى الصبر ماذا سيكون مذاقه على لسانك هل سيحلو لكى أم ستنفرى منه ومني

سأقدم لكى ما تريدى ولكن أنتظرينى فقط ...فأنتى تعلمى أننى لست برجل كسول أو قليل الطموح ولا آبه بالمصاعب بل تحلو لي وأتسلقها فى هدوء دائما وثبات حتى أصل لمرادى ...ولكن عندما أصل إلى القمه هل سأجدك فى أنتظارى ...هل تعشقينى بما يكفى

لست متأكداً مع الأسف

مر بالمنعطف المؤدى الى بيته وأتجه إليه فى بطء وهو يحاول أخفاء مشاعره حتى لا يتقرأها والدته فى عينيه فهى تجيد ذلك...ولكنه لم يلاحظ الفتاة التى كانت تقف فى نافذة حجرتها الصغيرة ترمقه وتتفحصه وكأنها كانت تنتظره وقد جفاها النوم وأستعصى عليها

ورفض التسلسل إلى عينيها حتى تطمئن بعودته...تنهدت فى قوة وهى تراه يلج باب منزله وألتفتت للداخل لتطمئن أن أختها مازالت غارقه فى نومها كما كانت تظن فأغلقت نافذتها وأسدلت أستارها ....وأتجهت فراشها وما أن سكنت راسها إلى وسادتها وأغمضت عيينيها حتى سمعت أختها تقول بخفوت:

- خلاص أطمنتى أنه رجع

فزعت عزة وحدقت فى أختها فى سريرها المجاور تحاول أكتشاف عينيها فى الظلام وقالت:

- أنتى لسه صاحيه يا عبير

نهضت عبير وفتحت المصباح الصغير والذى ينبعث منه أضاءة ضعيفه وضعت الوساده على رجليها واستندت إليها وقالت:

- أنتى بتعذبى نفسك على الفاضى وهو ولا هو هنا

زفرت عزة بضيق وهى تقول:

- بطلى الاوهام اللى فى دماغك دى يا عبير أنا مكنتش مستنيه حد..انتى عارفه أنى مش بستحمل الحر وكنت واقفه بتهوى شويه فى الشباك

شبكت عبير أصابع كفيها وقالت:على فكرة أنا أختك ها يعنى مش عدوتك ولا حاجه يعنى هترتاحى لما تتكلمى معايا

نهضت عزة وأغلقت المصباح الصغير وعادت لفراشها وهى تقول:

- نامى يا عبير نامى ياريت تشيلى الاوهام دى من دماغك

وضعت عبير وسادتها مكانها وأسترخت على فراشها وهى تقول بهمس:

- ياريت يا عزة تكون أوهام فعلاً

فى الصباح وهو فى عمله أكتفى بأن يتحدث معها فى العمل فقط رغم محاولتها للتقرب منه ولكنه مازال صاداً لمحاولتها..وقفت فى الطريق فجأة وقالت بأجهاد:

- خلاص مش قادره تعبانه أوى

ألتفت إليها بقلق قائلا:

- أستنى أوقفلك تاكسى واروحك وابقى ارجع انا اكمل الشغل

وقبل ان يشير لسيارة أجره أستوقفته بيدها وهى تقول :

- استنى بس انت ايه معندكش تفاهم هتشاور للتاكسى على طول كده

نظر إليها يتفحصها فى صمت ثم مط شفتيه قائلا:

- بتمثلى يا دنيا عامله فيها تعبانه

أبتسمت وهى تتلمس أصابعه وهى تقول:

- أعمل ايه بقى ما أنت مخاصمنى ومش عاوز تدينى ريق حلو خالص

حاول أن يخفى ابتسامه ظهرت على شفتيه بصعوبه ثم تنحنح ليخفيها وقال بجديه:

- خلاص يبقى يلا نكمل الشغل اللى ورانا

أمسكت ذراعه لتوقفه عن التقدم وقالت بدلال:

- طب انا عطشانه ممكن تشربنى الاول

أشاح بوجهه عنها ولأخذ يتلفت حوله الا ان قال :

- تعالى نعدى الشارع

عبرا الطريق وأذا به يدخلها أحد المحال ثم ابتاع كوبين من العصير وقدم لها واحداً قائلا:

- أتفضلى

نظرت الى الكوب بيده ثم نظرت اليه قائلا:

- ايه ده

نظر اليها بدهشه قائلا:

- ايه مش عارفاه...عصيرقصب

قالت بأستنكار :

- منا عارفه أنه عصير قصب..بس انا بقولك تعبانه وعطشانه تقوم تجيبلى عصير قصب ثم تابعت بحنق:

- كنت فاكراك هتقعدنى فى مكان هادى استريح فيه شويه مش تدخلنى محل عصير قصب

ظهر الحزن فى عينيه ونطقت به ملامح وجهه وقال بيأس:

- هو ده اللى عندى يا دنيا

مطت شفتيها بأمتعاض وتناولت منه الكوب وشربت منه قليلا لتروى ظمأها فقط

وصل فارس الشارع الذى يقطن به وقت أذان الظهر فغير وجهته الى المسجد الذى يبعد قليلا عن منزله توضأووقف يصلى السنن وبعد أن أنتهى وجد شخصا يربت على كتفه بحنان قائلا:

- ايه يا عم انت مخاصمنا ولا ايه

التفت فارس الى صاحب الصوت والابتسامه تعلو شفتيه ليصطدم بأحب الوجوه إلى قلبه منذ سنوات كثيرة فهو صديق قديم له وهو من أيده الله تعالى لفارس ليجعله مداوما على صلاته منذ ان كان فى الثانويه العامه ....صافحه بحراره مرددا:

- مش معقول شيخ بلال واحشنى جدا ...

نهض الرجلين وتعانقا طويلا ثم قال فارس بشغف:

- انت كنت فين كل ده يا شيخ ده انا روحت سألت عليك فى بيتك الوالده قالتلى انك مسافر

أنحنى بلال على أذنه قائلا بمرح:

- كنت فى ألمانيا

أتسعت عينيى فارس لبرهه فضحك بلال بصوت خفيض قائلا:

- ايه مالك اتخضيت كده ليه

أقترب منه فارس هامساً:

- ليه يا شيخ بلال ده انت يا أما فى المسجد يا أما فى شغلك يا أما فى البيت ياخدوك ليه

رفع بلال كتفيه قائلا:

- ما انت عارف بقى أخوانا البعدا يا فارس طالما ملتحى وبتخطب فى مسجد لازم يتحط تحتيك مليون خط أحمر ويبقى ليك ملف عندهم

قطب فارس جبينه وهو يقول:

- حسبى الله ونعم الوكيل بياخدوا عاطل على باطل كده

ابتسم الشيخ بلال وهو يقول :

- سيبك مني انا خلاص جسمى نحس ...ها قولى بقى انا سمعت أنك أتخرجت ...اولا ألف مبروك ...ثانيا ناوى تعمل ايه بعد التخرج هتكمل فى المكتب ولا هتستنى حلمك الكبير

كاد فارس أن يتحدث ولكن الامام أقام الصلاة فوقفا فى الصف وكبرا ليدخلا فى الصلاة

بعد أنتهاء الصلاة جلس كل منهما يتلو الاذكار ثم خرجا سويا من المسجد أخذ فارس ينظر للشيخ بلال بحب وهو يقول:

- والله انا مش مصق انى شوفتك تانى يا بلال ده انت واحشنى جدا والله...

قال بلال مداعباً:

- وأنت والله يا فارس ها ياعم مش هتبقى وكيل نيابه بقى علشان تبقى تحقق معايا أنت اهو بدل الغريب برضه

لم يستطع فارس ان يضحك أو حتى يبتسم وهو يقول:

- أنا لو ربنا كرمنى عمرى ما هبقى ظالم زى اللى بيحققوا معاك ومع غيرك يا بلال

بلال:

- اه يبقى أنت لسه على عهدك يا فارس وبتحلم بالنيابه يعنى شغال مع الاستاذ حمدى ولا سبته

فارس:

- لا لسه طبعا شغال معاه وفى نفس الوقت هستنى التعينات وربنا يكتبلى اللى فيه الخير يا بلال أدعيلى أنت بس

وقف بلال والتفت الى فارس ووضع يده على كتفه قائلا بهدوء:

- ربنا يكتبلك اللى فيه خير ليك يا فارس سواء فى دنيتك او أخرتك ..أسعى وأجتهد وأحلم بس لو محصلش نصيب أفتكر دايما ان الله سبحانه وتعالى لا يأخذ منك الا ليعطيك...أفتكر دايما الكلام ده

أومأ فارس براسه وهو يقول بأبتسامه:

- والله وحشنى كلامك يا بلال

كانا قد اقتربا من منزل فارس كثيراً وهما يتحدثا ويتذكران ايامهما السابقه بينما وقف العم عامر على باب ورشته ينظر اليهما فى ترقب وهو يقول:

- مين اللى مع الاستاذ فارس ده

خرج من ورشته وأقترب منهما وهو يتفحص بلال ثم وقف على مقربة منهما ونادى فارس قائلا:

- أستاذ فارس..أستاذ فارس

ألتفت له فارس بأبتسامه فقال عامر:

- تعالى لحظه بس

قال بلال وهو يصافح فارس :

- طب أسيبك انا بقى يا فارس وأشوفك بعدين أوقفه فارس بلهفه قائلا:

- لا والله لازم تطلع معايا ونشرب الشاى مع بعض ثوانى أشوف عم عامر وارجعلك

توجه فارس الى عامر ووقف أمامه قائلا :

- خير يا عم عامر فى حاجه ولا ايه

قال عامر بقلق:

- مين ده يابنى

فارس بأبتسامه:

- ده صاحبى من زمان بس كان مسافر

تابع عامر بنفس القلق:

- تعرفه كويس يعنى

فارس:

- اه طبعا بقولك صاحبى من زمان بس مكنش بيجى الشارع هنا كتير كنا بنتقابل فى المسجد ...لاحظ بلال نظرات القلق فى عينيى عامر فنظر له وابتسم ابتسامه ودوده

وبرد فعل تلقائى وجد عامر نفسه يبتسم هو الاخر بدون سبب واضح من وجهة نظره وقال لفارس :

- شكله طيب صاحبك ده

ضحك فارس وهو يربت على كتف عامر قائلا :

- و أنت كمان طيب يا عم عامر وألتفت الى بلال وناداه قائلا:

- شيخ بلال

أقترب بلال منهما محتفظاً بأبتسامته فقال فارس:

- عم عامر بيسأل عليك يا بلال أصله عم عامر ده بقى زى شيخ الحاره كده لازم يعرف اللى داخل واللى خارج

أومأ بلال برأسه قائلا:

- طبعا عارفه من زمان يا فارس انا اه مكنتش باجى كتير بس انا مبنساش الوشوش بسرعه وخصوصا وشوش الناس الطيبه

ومد يده ليصافحه.... صافحه عامر بود وقد زال قلقه بسرعه وقال :

- تعالوا بقى اشربوا معايا الشاى

فارس بسرعه:

- لا الشاى ده عندى المره دى ...ان شاء الله هنبقى نعدى عليك بعدين يا عم عامر...بحث بلال فى جيبه عن شىء ما ووجده أخيراً ...أخرج من جيبه زجاجة مسك صغيره وقبل أن ينصرف مد يده بها الى عامر قائلا:

- أتفضل يا عم عامر دى هديه بسيطه كده

نظر لها عامر بدهشه قائلا:

- ايه ده ريحه

ابتسم فارس قائلا:

- ده اسمه مسك يا عم عامر بس حلو اى هيعجبك

قال عامر وهو يتفحص بلال:

- بس بمناسبة ايه ده

قال بلال بهدوء وعينين يشعان صدقاً:

- بمناسبة انى أتعرفت على راجل طيب زيك يا عم عامر وبعدين الرسول عليه الصلاة والسلام قال تهادوا تحابوا ..وانا نفسى تحبنى زى فارس كده

أبتسم عامر وهو يتناول زجاجة المسك من بلال قائلا :

- متشكر يابنى ربنا يحميك لشبابك ...هديتك مقبوله....

طرق فارس باب شقته ففتحت والدته وهى تقول :

- بتخبط ليه ما أنت معاك مفتاح يا فارس

فارس:

- معايا واحد صاحبى يا ماما

وضعت والدته حجابها على شعرها وهى تقول ببساطه:

- أهلا وسهلا يابنى أتفضل

تنحنح بلال وهو غاضاً لبصره قائلا:

- أهلا بيكى يا حاجه معلش أزعجناكى

أفسحت الطريق وهى تقول بأبتسامه طيبه:

- لا يابنى البيت بيتك أتفضلوا..

أخذه فارس الى غرفته وأغلق الباب خلفه وجلس أمامه مبتسما وهو يقول:

- والله زمان يا بلال ...ها أحكيلى بقى

تنهد بلال وقال:

- أحكيلك ايه بس ربنا ما يكتبها عليك ولا على حد أبدا ..سيبك مني أحكيلى أنت وصلت لحد فين فى الدنيا

بدت علامات التوتر على فارس وكأنه يبحث عن بدايه مناسبه لحديثه ويختارها بعنايه وبدأ يقص على بلال ما يشعر به قائلا:

- مش عارف يا بلال من ساعة ما أتخرجت لحد دلوقتى فى حلمين مش متأكد انهم هيتحققوا ..النيابه ودنيا

رفع بلال حاجبيه بأهتمام قائلا:

- طب النيابه وعرفناها ..مين دنيا

قال فارس بحرج:

- دى بنت أتعرفت عليها فى سنه رابعه و..وحبيتها

أبتسم بلال وهو يقول:

- طب ومحرج كده ليه انت فاكرنى هقولك الحب حرام يعنى

زاد حرج فارس وخجله من صديقه وهو يقول:

- لا أصل أنا مش بحبها من بعيد لبعيد يعنى ..انا ..أنا بقابلها وبنخرج سوا ثم بدأ فى الدفاع عنه نفسه بسرعه قائلا:

- بس والله انا قابلت والدتها ووعدتها أنى هتقدملها بعد التخرج لولا دنيا هى اللى رفضت وقالت نأجل الحكايه لبعد النيابه

أطرق بلال لحظات ثم رفع راسه بهدوء وقال:

- كمان هى اللى رفضت وطلبت التأجيل

نظر له فارس بصمت ولم يتكلم فتابع بلال حديثه:

- وأنت فاكر لما تخطبها هتبقى خلاص تحللك يا فارس

ظهرت علامات عدم الفهم على وجه فارس وهو يقول:

- يعنى ايه يا بلال

دلك بلال لحيته وهو يتفحص علامات التوتر على وجه فارس ثم قال بهدوء:

- التوتر اللى على وشك ده حاجه كويسه..ده دليل على أن متأكد انك بتعمل حاجه غلط..فارس يا حبيبى لو بتحبها سيبها

رفع فارس رأسه اليه باستنكار قائلا:

- أسيبها ازاى ..انا بحبها يا بلال وناوى على الجواز مش بلعب بيها ولا بعمل حاجه غلط معاها

بلال:

- وهو أنت بتعمل معاها ايه صح يا فارس

فارس:

- مش فاهمك

نهض بلال واقفا وجلس بجوار فارس وقال بجديه:

- أنت بتقابلها يا فارس مش كده؟

فارس :

- أيوا

بلال:

- يعنى بتبصلها مش كده ولا بتكلمها وانت باصص الناحيه التانيه

قال فارس بارتباك:

- ايوا ببصلها

بلال:

- طب أذا كان ربنا سبحانه وتعالى قال:

- قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ   يبقى أنت كده بتعمل حاجه غلط ولا لاء

أطرق فارس برأسه وقال بخفوت:

- ايوا غلط

أستطرد بلال حديثه قائلا:

- هسألك سؤال كمان...طبعا بتمسك ايدها

فارس :

- ايوا

بلال:

- مع انك يا فارس اكيد سمعت حديث النبى عليه الصلاة والسلام

("لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له "   )

....

يعنى النظره حرام واللمسه حرام فاضل ايه تانى يا فارس

وأكيد طبعا وأنتوا بتحكوا مع بعض ممكن تضحكوا وأكيد ضحكتها بتحرك مشاعرك وممكن وهى بتكلمك وبتحكى معاك ممكن تقول كلمه بصوت ناعم شويه ليه يابنى تحط نفسك فى الفتن دى كلها وتشق على نفسك بالشكل ده .. ده الرسول عليه الصلاة والسلام قال:

" ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء."

أنت بقى بتحط نفسك فى الفتنه بأيدك يا فارس وترجع تقول انا مبعملش معاها حاجه غلط طب ازاى ..؟!!

أطرق فارس وقد شعر بكل كلمه قالها بلال ورغم صعوبتها الا إنها وضعته على بداية الطريق الصحيح فقال :

- معاك حق يا بلال ..لكن

قاطعه بلال:

- لكن بتحبها ومش عارف تعمل ايه

أومأ فارس برأسه موافقا وقال :

- بالظبط كده اعمل ايه

أبتسم بلال وهو يربط على يده قائلا:

- كلمها بصراحه وقولها انك مش هتخلف وعدك معاها لكن فى نفس الوقت مش هينفع تغضب ربنا بالحب ده

فارس :

- والحل

بلال:

- الحل أنها تبقى زميلتك فى المكتب وبس .. لحد ما ربنا يكرمك وتتقدملها وتعقد عليها وتبقى مراتك

وأشار له محذرا:

- وانا بكررها تانى يا فارس وتعقد عليها ..يعنى تكتب كتابك عليها مش تروح تلبسها دبله وتقول خطيبتى بقى أخرج و اعمل اللى كنت بعمله لا يا فارس الخطوبه دى كأنها لسه غريبه بالظبط

أومأ فارس برأسه فى سكون وصمت وهو يستشعر المعان الايمانيه التى دخلت قلبه لتوها ولم تغادره وسمع بلال يقول له مرةأخرى:

- سيبها مؤقتا وعرفها انت هتسيبها لامتى وهتسيبها ليه ..سيبها علشان يكرمك بيها فى الحلال يا فارس بدل ما ربنا يغضب عليكم ويحرمكم من بعض طول العمر..ده لو كنت بتحبها فعلا..تخيل يا فارس لو ماتت وهى قاعده جنبك بتغضب ربنا هتروح تقول لربنا ايه ولو انت مت وانت قاعد جنبها وماسك ايدها هتروح تقول لربنا ايه هتقوله كنت بتغضبه ليه وعشان ايه

هو حد ضامن عمره هيخلص أمتى يا فارس

دخل فارس المكتب بعد صلاة المغرب وألقى التحيه على الجميع ثم توجه الى حجرة مكتبه هو وزملائه وجد دنيا ونورا يتحدثان ويتعرفان الى بعضهما البعض وسمع دنيا تسأل نورا عن باسم قائله:وأستاذ باسم متجوز من زمان ولا لسه قريب ...

نورا:

- لا من زمان وعنده ولد وبنت

بمجرد أن رأته نورا نهضت واقفه بأبتسامه قائله:

- حمدلله على السلامه ازيك يا استاذ فارس

حاول فارس ان يتجنب النظر اليها هى ودنيا وهو يقول بود وأحترام:

- الله يسلمك يا استاذه حمد لله على السلامه

نورا :

- الله يسلمك
أقتربت دنيا خطوات منه قائله :

- ايه مفيش أزيك يا دنيا ولا ايه

وضع عينيه فى الاوراق وهو يقول:

- ازيك يا أستاذه دنيا

أتكأت على المكتب وهى تقول بخفوت:

- انت عارف انى مبقدرش على زعلك انا اسفه يا سيدى فكها بقى

هز راسه نفيا وهو يقول:مش زعلان من حاجه وياريت نأجل الكلام ده لبعدين

قالت بدلال :

- تبقى لسه زعلان

وضع القلم على الاوراق بعصبيه وحاول خفض صوته وهو يقول:

- دنيا من فضلك أجلى اى كلام دلوقتى واحنا مروحين هنتكلم زى ما انتى عاوزه لانى عاوزك فى موضوع مهم جدا ..محتاج أتكلم معاكى فيه ضرورى

خرج باسم من حجرته وهو يقول لدنيا :

- من فضلك يا استاذه دنيا عاوزك شويه ودخل حجرته مرة أخرى وهو يقلب عدة ملفات بين يديه

نهض فارس واقفا بحده وقال لها:

- لما تدخلى متقفليش الباب وراكى

تركتهم دنيا ودخلت حجرة مكتب باسم وتركت الباب كما أمرها فارس فنظرت نورا اليه قائله:

- مالك يا استاذ فارس فى حاجه مضايقاك قلقان من حاجه

هز راسه نفيا وهو يقول:

- ابدا يا أستاذه مفيش حاجه دنيا خطيبتى وانا محبش يتقفل عليها باب أوضه مع اى حد حتى مع الدكتور حمدى نفسه

ابتسمت قائله :

- هى برضه لسه كانت بتحكيلى عنك وعن غيرتك عليها ..ربنا يتتملكم على خير يارب

أخذ فارس يقلب الصفحات فى شرود تام لا يدرى من اين يبدا معها وكيف سيكون وقع كلماته عليها وهل ستتقبل هذا الامر بسهوله أم ستظن انه يتملص من زواجه منها بهذا القرار المفاجىء

وكيف سيستمر يراها ويتعامل معها وهى زميلته فقط وكيف سيستطيع كتم مشاعرها تجاهها وهل سيقدر على ذلك كله هل ستكون تلك المشاعر مثل الامواج الثارة التى تتحطم عند ارتطامها بصخرة الحلال والحرام هل سيستطيع الصبر عليها وكبح جماحها ام ستتفلت منه ومن بين اصابعه دون ان يدرى لتندفع الى منسوبها الاول كما كانت بل واقوى

كانت كل تلك التساؤلات تموج بها راسه بعنف ويخفق قلبه لها بقوة ولم تتركه الا وعينيه كانت تنطق بالحيره فى وجوم تام تنتظر ما سيحدث ولا تملك غير ذلك وفقط..أيها الانتظار لو كنت رجلا لقتلتك

الفصل الرابع

أخذ فارس يقلب الصفحات فى شرود تام لا يدرى من اين يبدا معها وكيف سيكون وقع كلماته عليها وهل ستتقبل هذا الامر بسهوله أم ستظن انه يتملص من زواجه منها بهذا القرار المفاجىء

وكيف سيستمر يراها ويتعامل معها وهى زميلته فقط وكيف سيستطيع كتم مشاعرها تجاهها وهل سيقدر على ذلك كله هل ستكون تلك المشاعر مثل الامواج الثارة التى تتحطم عند ارتطامها بصخرة الحلال والحرام هل سيستطيع الصبر عليها وكبح جماحها ام ستتفلت منه ومن بين اصابعه دون ان يدرى لتندفع الى منسوبها الاول كما كانت بل واقوى

كانت كل تلك التساؤلات تموج بها راسه بعنف ويخفق قلبه لها بقوة ولم تتركه الا وعينيه كانت تنطق بالحيره فى وجوم تام تنتظر ما سيحدث ولا تملك غير ذلك وفقط..أيها الانتظار لو كنت رجلا لقتلتك

****

أشار باسم إلى دنيا بالجلوس فى المقعد المقابل له دون أن ينظر إليها وهو يتأمل الورقة فى يده ....ثم مد يده بها إلى دنيا وهو مازال ينظر للورقة وهو يقول بأهتمام:

- عاوزك تقرأى المذكره دى كويس وتكتبيلى ملحوظاتك عليها

مدت يدها لتمسك بها وهى تقول:أيوا بس أنا لسه ..ولكنها شعرت بيده وهى تتلمس أصابعها من تحت الورقة وهو يبتسم لها بهدوء وكأنه شىء عادى تلعثمت فى عباراتها وجذبت يدها فى أرتباك ولم تتكلم...ألتفتت إليه فوجدته يتفحصها ويتأمل ردود أفعالها الصامته على محاولته التى كانت عينة أختبار لها ليس إلا والنتيجة كانت مشجعه ...قالت فى أرتباك:حضرتك أنا لسه جديده ومش هافهم فى حكاية المذكرات دى دلوقتى

كانت كلماتها مشجعه بشكل أكبر بما أنها لم تنهره أو حتى تظهر أنزعاجها من تصرفاته ونظراته فنهض واقفاُ ودار حول مكتبه وتلمس ظهر مقعهدها وهو يقول:معلش كل حاجه فى الاول صعبه بكره تتعلمى

شعرت بأصابعه تتلمس ظهرها وكتفها فنهضت فى أرتباك وقد أحمرت وجنتها وقالت بتلعثم دون أن تنظر إليه :من فضلك يا استاذ باسم كده ميصحش

تبسم وهو يرى رد فعلها المتهالك وقال:

- هو ايه ده اللى ميصحش هو انا عملت حاجه...

قالت بتوتر:

- حضرتك لمست كتفى وظهرى

باسم بخبث:

- مكنش قصدى يا ستى ..متزعليش

ثم أستدرك قائلا :

- هو الاستاذ فارس خطيبك فعلا زى ما سمعت مش شايفك يعنى لابسه دبله

تنحنحت وقد زاد توترها وهى تقول:

- ايوا أحنا مخطوبين بس لسه ملبسناش دبل

رفع حاجبيه فى تصنع وقال بسخريه :

- مممممم يعنى لسه مش رسمى يعنى

ثم اردف بمكر:

- يا شيخه سيبك جواز ايه وبتاع ايه

رفعت راسها إليه وقالت :

- ليه بقى هو حضرتك مش متجوز برضه وعندك اولاد

أتسعت ابتسامته وكاد أن يضحك وهو يقول:

- ايه ده وكمان متابعه أخبارى

قالت بسرعه:

- لا ابدا انا عرفت صدفه ثم تناولت الاوراق وهى تقول طيب حضرتك انا هقرأها وهحاول أفهم الموضوع

سحبها منها ببطء وهو ينظر لعينيها بجرأة قائلا:لا خلاص خليها بعدين

زاغ بصرها وقالت وهى تتجه نحو الباب:

- طب عن أذن حضرتك

شعرت بنظراته تخترق ظهرها وهى تدلف للخارج نعم فهى مثلها مثل كل أنثى تستطيع أن تشعر بنظرات الرجل وتلميحاته والامر يعود اليها من الممكن ان تصده فى البدايه وان تجعله يفكر ألف مره قبل ان يتفوه بكلماته ومن الممكن أن تعطيه بتساهلها الضوء الأخضر ليمرر عباراته ونظراته وقتما يشاء

أما هو فقد علم طبيعة الفتاة التى أعجب بجمالها هى مرتبطة عاطفيا ورغم ذلك لا تريد أن ترسم حدودا قوية لا يتعداها الرجال معاها بل تفسح المجال لذلك فهى تمسك العصا من منتصفها وكأنها تبحث عن فرصة أخرى أيسر وافضل وفى نفس الوقت لا تريد فقد ما تملكه فعلا بيدها

جلست خلف مكتبها وهى تختطف نظرات شعواء بين الحين والاخر إلى فارس القابع خلف مكتبه فى شرود تام ......

وقبل أنتهاء العمل بحوالى الساعه استأذن فارس من الاستاذ حمدى لينصرف مبكرا هو ودنيا ...خرج معها من المكتب وسارت بجواره فى سكون وكأنها تشعر أنه رآها ورأى ردود فعلها المتهاونه مع باسم وتصرفاته وأنتظرته ليتحدث

صمت قليلا ليستجمع كلماته والمنطق الذى سيتحدث به بكل حال من الاول كان لا يريد فقدها أبداً كان سيقرر تأجيل الحديث فيما بعد ولكنه أستجاب لطبيعته التى تكره التسويف والتأجيل فى الامور الحاسمه فقال بسرعه وقبل أن يتراجع:

- دنيا عاوز أتكلم معاكى فى موضوع مهم

ألتفتت إليه وقد أنتشلها من شرودها قائله:

- هه ..موضوع ايه

أخذ نفساً عميقاً وقال:

- دنيا... تفتكرى ربنا راضى عن علاقتنا بالشكل ده كده

توقفت فجأة عن السير وكأنه افرغ عليها دلو من المياه البارده شعرت بمشاعر مختلطه بين الحيرة ومحاولة الاستنتاج وقالت:

- مش فاهمه ..تقصد ايه بالكلام ده يا فارس

هربت الكلمات منه حاول جمع شتاتها مرة أخرى وقال بصدق:

- دنيا أنتى عارفه ومتأكده أنى بحبك ولا لاء

نظرت إليه تحاول سبر أغواره وقراءت ما يدور فى خلده وقالت:

- أيوا متأكده ..ليه

وبحكم العاده أستعمل كلتا يديه فى الحديث هو يقول:

- دنيا ...أنا عاوز ربنا يبقى راضى عن علاقتنا وانا عرفت ان علاقتنا بالشكل ده تغضب ربنا وممكن يعاقبنا ويحرمنا من بعض بسبب الحاجات الحرام اللى بتحصل

حدث ما كان يتوقعه تماماً وقالت بسخريه لازعه:

- عاوز تسيبنى وتنهى علاقتنا يا فارس... لو عاوز كده قول على طول مفيش داعى للفه دى كلها

نظر لها بحده قائلا:

- أنتى أكتر واحده فى الدنيا عارفه أنى مبحبش اللف والدوران وانى دوغرى فى كلامى مع كل الناس وانتى أولهم

عقدت ذراعيها قائله بنفس النبرة الساخره:

- أومال ايه اللى جد فى علاقتنا علشان تقولى حرام وحلال ومن أمتى يعنى

حاول رسم ابتسامه على شفتيه وهو يحاول شرح الامر بصدق قائلا:

- دنيا أنا عرفت أن نظرى ليكى ووكلامى معاكى حرام وأنا عاوز يبقى ربنا راضى عننا وعلشان متفهميش غلط تانى أنا عاوز أتقدم رسمى ونكتب الكتاب على طول

أتسعت عينيها بدهشه وقالت :

- أفندم تكتب الكتاب...بس أحنا متفقين تستنى لما نشوف التعين بتاع النيابه وبعدين نتخطب

زفر بضيق وهو يقول:

- بصى بقى أنا مش عارف أنتى عاوزانى أنا ولا عاوزه فارس وكيل النيابه ..وانا مش هديكى فرصه تسيبينى وتمشى زى كل مره بنتكلم فى الحكايه دى...لو بتحبينى وعاوزانا نكمل مع بعض باقى حياتنا زى ما بتقولى دايما توافقى انى أتقدم دلوقتى وقدامك أختيارين يأما نتخطب بس وده لحد ما تيجى تعينات النيابه ومش هينفع برضه لا نتكلم ونخرج مع بعض ولا اى حاجه من اللى كانت بتحصل واللى عرفت انها حرام ومش هعملها تانى

يا أما أتقدم ونكتب الكتاب على طول وساعتها مش هيبقى فى حاجه حرام فى علاقتنا وفى كل الاحوال هنستنى النيابه

ها قولتى ايه ..وخلى بالك دلوقتى الكوره فى ملعبك علشان نحدد بقى مين اللى عاوز يتهرب من التانى

شعرت دنيا بأنه اربكها ووضعها أمام الاختيارين لا تستطيع أن تختار ثالثا لانه لم يكن هناك ثالث إن كانت تريد الابقاء عليه ....ولكن بالتأكيد هناك أختيار ستكون فيه الخسائر أقل

حاولت ان تماطل ولكن هيهات لم يكن هناك مجالا هو يريد معرفة رايها حالا

نظر إليها بجديه وهون يقول:

- ياه..قد كده قرارارتباطك بيا صعب عليكى

تنفست بعمق وهى تحاول رسم السعاده على وجهها وقالت:

- طب ممكن يا حبيبى تستنى لما أخد رأى ماما .....مش دى الاصول برضه.

قال بسرعه وبجديه:

- هستناكى تردى عليا النهارده مش هنام غير لما تكلمينى وتردى عليا .....ولو متكلمتيش النهارده هعرف أنك أخترتى الاختيار التالت ..أنك مش عاوزانى اصلا.

رأت الجديه والحسم فى عينيه وهو يتحدث وهى تعلمه جيدا أنه لا يحب المزاح فى الامور الجديه ابدا ولا يقبل به ولا يخلط بينهما...... وهذا ما يزيده رهبة فى عينيها وهو يتحدث بمثل هذا الحسم

أومأت برأسها وهى تقول:

- حاضر ..هتكلم مع ماما وهرد عليك النهارده........ حاولت أن تمزح وهى تستدرك قائله:بس ماليش دعوه بقى لو أتصلت وأنت مردتش.. قال بجديه وهو يشير لسيارة أجره:

- مش هنام ..هستناكى ان شاالله للفجر

هتفت بها والدتها :

- أنتى بتستعبطى ولا ايه ..هو ده اللى عارفه بتعملى أيه هو ده كلامى ليكى أنا مش قلتلك متخطيش خطوة الا لما تحسبيها كويس ده جواز يابنتى عارفه يعنى ايه جواز

زفرت دنيا بضيق وهى تقول بنفاذ صبر:

- يا ماما خلاص بقى نعمل خطوبه وخلاص وجلست على فراشها وتردف:

- أصلا انا وهو بنحب بعض وكده ولا كده كنا هنتخطب خلاص طالما مصمم نعمل خطوبه

ضربة والدتها كفاً بكف وهى تقول بغضب:

- وبعد سنه يجى يقولك عاوز أكتب الكتاب ويمكن عاوز نعمل دخله وتروحى تقعدى فى الحاره مع امه مش كده وساعتها برضه هتعملى زى دلوقتى تقوليلى هعمل ايه يا ماما ماهو مش سايبلى اختيارات تانيه

عقدت دنيا ذراعيها وقالت بحنق:طب قوليلى اعمل ايه ..وقبل ما تقولى أى حاجه لازم تعملى حسابك انى بحبه ومش ناويه اسيبه انا بس كنت بأجل لما ياخد وضعه مش أكتر

تفحصتها والدتها برهه ثم قالت:

- انا أمك وعارفاكى كويس أنتى مش متمسكه بيه علشان بتحبيه انتى بس شايفاه أحسن واحد لغاية دلوقتى ومتأكده ان لو حد غيره عجبك هتسبيه وترميه ورا ضهرك

رفضت دنيا حديث والدتها بشده وقالت:

- لا يا ماما غلطانه أنا بحبه وعارفه طموحه كويس ممكن يوصله لفين وانا عاوزه أوصل معاه يا ماما للى هيوصله ومش عاوزه أخسره وبعدين دى خطوبه ولا هتقدم ولا هتأخر..

قالت والدتها :

- وبعدين خلاص تبقى خطيبته وتدخولوا وتخرجوا مع بعض وأى حد أحسن منه تعجبيه يقول بس يا خساره دى مخطوبه خلاص.. وسوقك يقف على كده ..صح

ابتسمت بسخريه وقالت:

- لا متقلقيش ولا خروج ولا دخول هو اصلا مش عاوز كده ده داخلى فى موال حلال وحرام ...ومينفعش أبصلك ومينفعش اقابلك والكلام ده ....هو بس عاوز يطمن أنى عاوزاه وموافقه على الارتباط بيه قبل ما يبقى وكيل نيابه

زفرت والدتها بضيق وهى تقول:

- استغفر الله العظيم ..اعملى اللى عاوزاه..

كان يقف فى شرفته الصغيره يحتسى القهوة ببطء ويدور فى عقله الف سؤال وسؤال ومليون أجابة لكل سؤال حين سمع رنين الهاتف ورأى والدته تخرج من غرفتها فقال بسرعه :خليكى يا ماما التليفون ده ليا

وقف والدته أمام باب غرفتها وهى تراه يلتقط سماعة الهاتف بلهفه ويقول:

- ألو ..

صمت قليلا وأرتسمت على وجهه ابتسامة صغيره وهو يقول:

- يعنى والدتك وافقت على الخطوبة بس

كانت دنيا على الطرف الاخر تنظر لوالدتها وهى تقول له عبر الهاتف :

- ايوا يا حبيبى معلش بقى حاولت معاها كتير توافق على كتب الكتاب بس رفضت جدا وقالت لاء خطوبه بس فى الاول كده زى كل الناس وبعدين بقى لما نجهز نبقى نكتب الكتاب

أبتسم فارس وهو يقول :

- خلاص مش مشكله نعمل الخطوبه زى ما كنا متفقين قبل كده..هتحدديلى معاد مع باباكى أمتى

دنيا:بكره لما ارجع من الشغل على بالليل كده

ابتسم وهو يقول:

- بكره الخميس المكتب أجازة يا دنيا

قالت بمرح :

- علشان تعرف بس أنك بتنسينى نفسى...عموما استنى مني تليفون بكره واول ما أخد معاد من بابا هكلمك على طول..أوك

أغلق الهاتف وقد علا وجهه ابتسامة رضا كبيرة وألتفت ليجد والدته تقف خلفه تنظر له بحزن وقالت:

- برضه هتخطبها يا فارس

تغيرت ملامحه وقد شعر بحزن والدته الذى يطل من عينيها واقبل عليها يقبل راسها قائلا بخفوت:

- والله يا ماما دنيا بتحبنى مش زى ما انتى فاكره وبكره تعرفى كده لما تلاقينى سعيد معاها

أومأت براسها باستسلام وهى تقول:

- خلاص يابنى اللى يريحك

قبل يدها وهو يقول برجاء:

- مفيش حاجة هتنفع من غير رضاكى يا ماما

حاولت ان تبتسم لكنها فشلت وقالت :

- انا عمرى ما غضبت عليك وانت عارف كده وانا مش عاوزه غير سعادتك يابنى وربنا يوفقك فى حياتك ويخلف ظنى يارب

ضم راسها فى صدره برفق وطبع قبلة عليه وهو يدعو لها بطول العمر ووافر الصحه والعافيه

فى اليوم التالى طرقت دنيا باب غرفة والدها دخلت وأنتظرته حتى ينهى صلاة العصر وما أن أنتهى من صلاته حتى ابتسم لها وهو ينهض ..أقتربت منه قبلت كتفه وقالت :

- حرماً يا بابا

ضحك بوقار وقال:

- يابنتى أسمها تقبل الله .. هقولك كام مره....

ضحكت وهى تقول:

- ماشى يا حاج تقبل الله...

قال وهو ينظر إليها بأبتسامه حانيه :

- والدتك قالتلى على حكاية العريس دى هو محامى ولا وكيل نيابه ولا ايه بالظبط

قاطعهم دخول والدتها التى قالت:

- يلا الغدا جاهز تعالوا كملوا كلامكوا واحنا بنتغدى

ألتفوا حول مائدة الغذاء حيث قال والدها:

- ها أحكيلى بقى

وضعت دنيا الملعقه وهى تقول:

- هو بيشتغل فى مكتب الاستاذ حمدى مهران من قبل ما نتخرج وان شاء الله سنه ويبقى وكيل نيابه

أومأ برأسه وهو يقول:

- ممتاز ..يعنى شاب مكافح

قالت بحماس :

- ايوا يا بابا وعنده اصرار يبقى حاجه كبيرة

قاطعتهم والدتها وهى توجه حديثها لزوجها:

- بقولك ايه يا سمير أحنا معندناش غيرها يعنى مش هنرميها كده وخلاص...عاوزاك تشد عليه شويه لما يقابلك وتطلب براحتك أحنا بنتنا حلوه وألف مين يتمناها

ألتفت سمير لزوجته وقال:

- الموضوع مش موضوع حلاوة يا ام دنيا انا بدور لبنتى على راجل يشيل مسؤليتها وابقى مطمن عليها معاه ولو الولد جد ومكافح وأخلاقه كويسه زى ما سمعت يبقى الطلبات دى تيجى بعدين وعلى مهله

قالت بغضب:

- يعنى ايه الكلام ده انت ناوى تتساهل معاه ولا ايه

تدخلت دنيا وقالت بسرعه :

- يا ماما مش أحنا أتفقنا هتبقى خطوبه بس كده لما نشوف هنعمل ايه

نظر اليها والدها بتساؤل:

- يعنى ايه الكلام ده يعنى ايه خطوبه بس كده

ارتبكت دنيا وقالت:

- قصدى يعنى يا بابا هنعمل خطوبه لحد ما يكون نفسه يعنى مش أكتر

هزر راسه وقال وهو يكمل طعامه:

- خلاص خليه يجى بكره بعد العصر ان شاء الله

تدخلت والدتها مرة أخرى وقالت بحده:

- مفيش كلام فى كتب كتاب يا سمير ...خطوبه بس فاهمنى

التفت الى دنيا ينظر إلى ردود افعالها تجاه كلام والدتها فوجد علامات الارتياح على وجهها فعلم أنها موافقه على ما تسمع فهز رأسه وقال:

- اللى فى الخير يقدمه ربنا

بعد الغذاء هاتفته وابلغته بمعاد مقابلة والدها تلقى منها الخبر بسعاده كبيره وهو يشعر بمشاعر مختلفه بين القلق والسعاده..قلق من مقابلة والدها وسعاده بأقتراب تحقيق حلم قلبه الذى طالما أنتظره طويلا...نعم كانت مشاعر السعاده ناقصه نظراً للحزن الذى يراه فى

عينين والدته منذ أن أبلغها بمعاد تلك المقابله ولكنه كان يمتلىء بالامل فى أن يسود بينهما جو من الالفه والحب بعد أتمام الخطبه

رفضت والدته الذهاب معه ولكنه أصر بشدة أن تصحبه فى هذه الزياره وقد كان

توقفت والدته تحت البنايه التى تسكن بها دنيا ووقفت تنظر حولها وتقول :

- تصدق انا كنت فاكره أن فى فرق كبير بينكم ...طريقة كلامها لما شوفتها أول مره خلتنى افتكر أنهم ياما هنا ياماهناك لكن طلعوا أهو ناس عاديه الفرق مش كبير يعنى ولا حاجه

أبتسم فارس وهو يحثها على دخول البنايه وقال :

- شوفتى بقى علشان تعرفى انها مش هتتكبر عليا زى ما كنتى فاكره يا ست الكل

كان أستقبال والدة دنيا لهما بارداً جدا شعرت به والدته منذ اللحظة الاولى التى وطأت بها باب بيتهم

أقبل عليهم والدها فى ترحاب شديد وبعد لحظات من الحديث مع فارس ووالدته شعر بالارتياح تجاهه وبمدى أحترامه لوالدته وتوقيره لها وهنا اقبلت دنيا بكامل زينتها ورحبت بهما وشعرت والدته ببعض البرود ايضا تجاهها وقد كان متبادل بينهما بمعنى أصح

تشجع فارس كثيرا عند حديثه مع والدها وهو يرى علامات الارتياح على وجهه وبكلماته المشجعه الداعمة له فقال:

- عاوزين يا عمى بعد اذنك نحدد معاد الخطوبه ان شاء الله

أبتسم والدها وهو يقول:

- أدينى بس يومين تلاته كده اسأل عليك وانا هكلمك بنفسى أحدد معاك المعاد ان شاء الله

تدخلت والدتها قائله:

- بمناسبه الخطوبه ..عندك استعداد تجيب شبكه بكام

تدخل سمير قائلا:

- مش وقته الكلام ده دلوقتى لسه فى قاعده تانيه وبعدين الشبكه دى هدية العريس لعروسته

نظرت له زوجته بحده تتوعده بنظراتها وقالت بعصبيه :

- أزاى يعنى لازم نحدد من دلوقتى ولا نيجى نلاقى الحكايه كلها دبلتين وخلاص

شعر فارس بالحرج من الحوار الدائر بينهم وقال :

- ان شاء الله مش هنختلف على حاجه اللى دنيا تطلبه فى حدود أمكانياتى مش هتأخر بيه

كادت والدتها ان تهتف بعصبيه مرة أخرى ولكن دنيا كانت تجلس بجوارها فضغطت على يدها وهى تظهر السعاده على وجهها وقالت بسرعه :مش مهم تمن الشبكه المهم معناها والتفتت الى والدتها وقالت وهى تضغط على يدها مرة أخرى :مش كده يا ماما

زفرت والدتها وقالت وهى تنهض أنا هقوم أجيب الشاى أحسن

أنتهى اللقاء بتحديد موعد بعد ثلاثه ايام ينهى فيهم والدها سؤاله عن فارس ويعلمه بالنتيجه...كان فارس يشعر بالاطمئنان من لقاءه بوالد دنيا فلقد رآه رجل حكيم ويعرف كيف يحكم على الرجال ولكن والدته قالت وهى تدلف من باب منزلهم وتغلق الباب بعصبيه خلفها :سبحان الله البت طالعه لامها نسخه طبق الاصل صحيح على رأى المثل أكفى القدره على فمها تطلع البت لامها

ضحك فارس قائلا:

- مرحباً بيكى يا ست أم فارس فى عالم الحموات

ضربته على كتفه وقالت:

- انا حما يا فارس ..تبقى انت لسه متعرفنيش

ضحك وهو يقبل يدها:

- عارفك والله يا ست الكل بس معلش أستحملى أمها شويه ولما دنيا تبقى فى بيتى هتاخد على طبعنا ومع العشره هتحبيها بأذن الله

شعرت والدته بالضيق التى تشعر به دائما كلما ذكرها بأن دنيا ستعيش معها فى مكان واحد فى يوم من الايام....

مر يومان وهاتفه والدها كما وعده وأخبره بأنه ينتظره لمقابلة أخرى للأتفاق على ميعاد الخطبه وبقية التفاصيل

لم تكن المقابله باقل توتر من المقابلة السابقه بل على العكس زادت عن المرة الاولى لما فيها من تفاصيل ماديه ولقد كان فارس يتوقع ذلك لذلك لم يأخذ معه والدته حتى لا تسمع كلمة تحرجها أو تشعر معها بقلة الحيلة ولقد كان محقاً فلقد أستشاطت والدتها غضباً عندما علمت المبلغ الذى حدده فارس للذهب المطلوب للشبكه وكادت أن ترفض الارتباط من قبل

ان يبدأ لولا محاولات والد دنيا التى هدأتها قليلا ولكنها لم تنتهى عن عباراتها المؤلمه حتى نهض فارس واقفاً بحزم وهو يقول:ده اللى عندى ودنيا عارفه كده كويس

تدخلت دنيا لحسم الامر بشكل نهائى وقالت بلهجه قاطعه:

- وأنا موافقه يا ماما وزى ما قلت قبل كده الشبكه بمعناها مش بتمنها

وتم تحديد موعد نهائى للخطبة بشكل رسمى بعد أسبوع وأنتهت معركة الذهب وهو يحمد ربه على عدم حضور والدته مثل هذا المزاد الرباعى وما قيل فيه من ألفاظ جارحه

عاد ليخبر والدته بالموعد النهائى الذى تم الاتفاق عليه لم تكن تعلم هل تشعر بالسعاده لخطبة ولدها أم تشعر بالاسى لاجله فقلبها ينبأها بفشل هذه الزيجه من قبل أن تبدأ ...قامت توضأت وصلت ..سجدت لربها وهى تدعو بحراره قائله :يارب لو فيها خير يسرله أمره ولو غير كده ابعدها عنه ومتكسرش قلبه يااااارب

الفصل الخامس

كانت عزة تعد الطعام فى المطبخ بصحبة عبير أختها وهما يتضاحكان ويمزحان حين دخلت والدتهما وقالت:أعملوا شاى يا بنات لخالتكوا أم فارس

قالت عزة بهمه :

- هعملوا أنا يا ماما حاضر ..ثوانى بس

ضحكت عبير وهى تقول :

- اه طبعا هتعمليه جرى النشاط حل عليكى دلوقتى

نظرت لها عزة بحده وارتباك وهى تضع براد المياه على الشعله ...أقتربت والدتها منهما وهى تقول بتردد :

- فارس هيخطب يوم الخميس اللى جاى....أرتعشت يدها وسقطت المياه على الشعله فأطفأتها

على الفور أقتربت منها أختها بلهفه وهى تنظر ليدها وتقول:

- الحمد لله الميه كانت بارده لسه

زاغت نظرات عزة وهى تشعر ان المياه كانت ساخنه لا انها فعلا كانت شديده السخونه ولكنها لم تسقط على يدها وأنما سقطت على قلبها نعم ستحرقها بحرارتها المرتفعه ولكنها فى النهايه ستطفىء النبته التى كانت تنبت بداخله من مشاعر يتيمه من طرف واحد

قاومت دمعة كانت ستقفز من عينيها وقالت بأنفاس متقطعه :

- معلش يا ماما هعمل غيرها حالا ...أخذت عبير براد المياه من يدها وقالت بشفقه :

- أستنى يا عزة انا هعمل الشاى

جاهدت عزة لترسم ابتسامه مصطنعه وهى تقول:

- أنا نسيت اصلى العصر هروح اصلى واى بسرعه

توجت الى الحمام ..دخلت بسرعه وأغلقت الباب خلفها توضأت فأختلطت الدموع بماء الوضوء خرجت وتوجهت لغرفتها وبدأت فى الصلاة..وقفت وركعت وسجدت بغير هدى لم تنتظرها العبرات للسماح لها بالقفز على وجنتيها بل أنسابت بأنهمار وبهدوء لا يشعر بها أحد ولا يستطيع ان توقفها اى كلمات عزاء او مواساة

نعم كانت تعلم أنها ستسمع هذا الخبر يوما ما ان آجلا او عاجلا ولكنها كانت تمنى نفسها بأنه لن يحدث بل كان الامل لديها يزداد كلما تذكرت شخصية دنيا المختلفه تماما عن فارس ....لماذا تمنيت ونسجت خيوط الامل حول أمنيه بعيده لا يراها سواى ...ألقى قلبى فى

بحر الاحلام فاستيقظ لاجد نفسى وقد غرقت قدماى فى لجة مظلمه لا أكاد أن أرى يداى من شدة ظلمتها أصرخ فلا يسمعنى أحد

أستغيث ولا مغيث لى الا الله وحده...امن الممكن ان يكون عقابا من الله ؟!.....نعم ولم لا ...لقد ملك علي قلبى أكثر مما يجب ...كنت أنتظره وأنسى صلاتى وأخرها لاجله...أحرص على رضاه ولا احرص على رضى خالقى....أبيت الليل فى سهود أحترق بحبه ولا أقوى على القيام لربى ركعتين فى جوف الليل...أعتمدت على الاسباب ونسيت مسبب الاسباب....نعم والله كان حقا على الله يعذب قلبى بمن شغله عنه نعم انا فى الظاهر فتاة صالحه اقوم بفرائضى ولكن وقود قلبى ليس حب الله وطاعته وأنما هو الهوى وحظ نفسى والدنيا فكنت أشقى بشقاؤه وأفرح لسعادته لذلك شقيت به وسأظل أشقى ان لم أفيق الى نفسى سريعا وأنظر لماذا خلقت......قفزت المزيد من العبرات على وجنتيها ولكن هذه المره كانت دموع من نوع آخر لها مذاق آخر...مذاق محبب

****

وقف فارس أمام المرآه يتأنق ويتألق فى حلته السوداء وهو لا يصدق نفسه ....أخيرا سيرى دنيا بعد ساعه أو يزيد ويزين أصبعها بخاتم الخطبه لتكون له وحده ارتسمت ابتسامه لا ارداية على شفتيه فى سعاده وهو يربط ربطة عنقه بدقه وأناقه ثم ينظر نظرة أخيرة فى رضا تام عن مظهره ألتفت ليجد والدته تقف على باب غرفته مبتسمه فى حنان وهى تقول:ماشاء الله زى القمر ...ياما كان نفسى أشوف اليوم ده من زمان وبدموع الامهات الحاضره دائما أختلطت أبتسامتها بدموع سعادتها به

توجه فارس اليها مسرعها ووقال بلهفه:ايه ده يا أمى هو انتى تزعلى تعيطى تفرحى تعيطى وضم راسها وهو يقبله فى حب قائلا:ربنا يخليكى ليا يا ست الكل

أبعدها عنه برفق وهو يقول ببهجه:

- الواد عمرو جه ولا لسه

أنتبهت فجأه وكأنها قد نسيته فى خضم مشاعرها المختلطه والمتلاطمه وقالت:

- صحيح والله ده انا نسيته....ده بره مستنيك

خرج فارس ليجد عمرو جالسا امام التلفاز يقلب قنواته واضعاً ساقاً فوق الاخرى فهتف به وهو يضربه على كتفه:

- ايه يابنى انت قاعد على القهوة يلا أتأخرنا....قاطعته والدته وهى تقول :هنروح احنا التلاته بس يا فارس

التفت لها قائلا:

- يا ماما دى خطوبه على الضيق كده يدوب اهلى واهلها بس مفيش حد..يلا بينا يا جماعه هنتأخر كده

ضحك عمرو وهو ينزر لوالدة فارس:

- مستعجل اوى على ايه بكره تندم يا جميل

ضربه فارس على كتفه وقال:

- طب بكره نتفرج عليك يوم خطوبتك يا أمور

ثم تابع بمكر :

- اه صحيح ساعتها مش هتبقى مستعجل ده البيت لزق فى البيت

ضحكت أم فارس بينما لكزة عمرو فى يده وهو يقول :

- خفيف اوى ياخويا

وما أن فتح الباب وكأنه قد فتح شلال ضرب وجوههم فجأه ...أندفعت مهره تجاههم تدفعهم تاره وتختبأ خلف فارس تارة أخرى وتتعلق بقدمه حتى كاد ان يسقط وهى تصيح ماليش دعوه هاجى معاكوا الفرح ..ووالدتها تجرى خلفها مسرعه وهى ممسكه بعصا صغيره وتهتف بها بغضب:يابت تعالى هنا بقولك والله هتضربى يا مهره لو ابوكى عرف بعمايلك دى هكسر عضمك

وضع فارس يديه بين مهره والدتها وهو يقول :

- فى ايه بس ايه الحكايه

قالت الام بأحراج شديد :

- والله أسفين يا أستاذ فارس البت دى مش عارفه مالها كده مجننانى من يومها معلش متزعلش انا هقول لابوها ماشى يا مهره والله لقوله على اللى بتعمليه ده

صرخت مهره من خلف فارس :

- انا معملتش حاجه انا عاوزه اروح الفرح بس

تدخلت والدة فارس قائله بحنان:

- خلاص علشان خاطرى يا ام يحيى متضربيهاش ..أقولك خليها تيجى معانا مفيهاش حاجه

أم يحيى:

- ازاى بس يا ست أم فارس هو أنتوا خلفتوها ونسيتوها

قاطعتها فارس بعتاب:

- لاء كده أزعل منك أوى يا أم يحيى أنتى عارفه ان مهره أختى الصغيرة ..طب ايه رايك بقى هاخدها معايا

أم يحيى:

- مينفعش يا استاذ فارس مش شايف منظرها

ألتفت عمرو وفارس ووالدته ليروها بوضوح لاول مره منذ دخولها عليهم كالعاصفه :

- هى كما هى بشعرها الاشعث دائما وغرتها المبعثرة على جبينها بغير هدى ولكن زاد عليها شىء واحد جعلهم يضحكون بغير توقف ...كانت تضع أحمر شفاه على شفاهها بطريقه مضحكه جعلها مثل مهرجين السيرك

وقفت تضع يديها فى خصرها وتقول بحنق:

- بتضحكوا على ايه

قال عمرو وهو مازال يضحك:

- ايه اللى انتى حاطاه على بؤك ده

تلمست مهره أحمر الشفاه بزهو وهى تقول بثقه كبيرة فى مظهرها:

- ده روش أنت متعرفش المكياش ولا ايه

ضحك الجميع وهم ينظرون الى بعضهم البعض وقال فارس لعمرو :

- كسفتنا يا جاهل فى حد ميعرفش المكياش

هجمت والدتها عليها وأخذت بشعرها وجذبته منه وهى تقول :

- والله ما هسيبك يا مهره لازم تضربى النهارده

أبعدتها أم فارس عنها وخلصت شعر مهره من بين يدى والدتها وقالت بحسم:

- والله لتسبيها انا حلفت بالله...وايه رايك بقى هتيجى معانا...يالا خديها ولبسيها حاجه كويسه وسرحيلها شعرها

هتفت مهره بسعاده وهى تحتضن أرجل أم فارس حاولت والدتها الاعتراض ولكن أم فارس حسمت الامر وأغلظت الايمان عليها فأضطرت بالقبول

خرجت أم يحيى بصحبة مهره لتبدل لها ملابسها

نظرعمرو الى فارس مداعبا وقال:

- كنت مستعجل أديك هتقعدلك نص ساعه على الاقل ثم اردف قائلا:

- بقولك ايه احنا ممكن نهرب من مهره ولا دى محدش بيعرف يروح منها فين

ضحكت أم فارس وقالت:

- طب والله البنت دى زى العسل محدش يعرفها أدى انا هدخل اعملكوا شاى لحد ما تنزل ان شاء الله مش هتتأخر

جلس فارس أمام التلفاز وهو يقول :

- وأدى قاعده ..منك لله يا مهره هتبقى السبب فى طلاقى فى يوم من الايام

ضحك عمرو وهو يقلب قنوات التلفاز فقال له فارس هامساً:

- مش ناوى بقى تتقدم انت كمان ولا ايه يا عم المهندس أنت

جلس عمرو وظهرت علامات الشرود على وجهه قائلا:

- مش عارف يا فارس والله

فارس :ليه يا عمرو ثم اشار له قائلا:

- أوعى تقولى انى فهمت غلط

أشاح عمرو بوجهه وقال :

- لا مش غلط بس اولا لسه فاضلى سنه فى الكليه ثانيا مش متأكد منها خايف ترفضنى

ربت فارس على كتفه وقال بابتسامه :

- خلاص كلها سنه وتتخرج وهتبقى مهندس قد الدنيا وبعدين احنا جيران ومحدش يعرف عنك غير كل طيب هترفضك ليه بقى

زفر عمرو بضيق وهو يقول:

- مش عارف يا فارس قلقان بس مش أكتر

هتف فارس مداعباً:

- أنت هتعملى فيها بقى عندك دم وبتحب وكده

قفز عمرو من مكانه ووضع يده على فم فارس ليسكته قائلا:

- اسكت يابنى انت ..انت ايه عاوز تسيحلى وخلاص

خرجت أم فارس من المطبخ تحمل أكواب الشاى فتصنع عمرو انه يهندم ملابس فارس قائلا:

- لالا مظبوط متقلقش

بعد نصف ساعه كانت مهره تطرق باب الشقه بقوة وأزعاج أنتفض فارس ليفتح الباب وهو يقول:

- ايه يا بنتى ده ده انتى خبطتك ولا خبطت المخبر

نظرت أم فارس لها بأعجاب وهى تقول :

- ماشاء الله ايه الفستان الحلو ده وايه الشعر الحلو ده

دارت مهره حول نفسها بأعجاب ليدور معها ذيل فستانها الوردى الرقيق وهى تقول:

- ده فستان العيد يا طنط واشارت الى حذائها بشغف وهى تقول:

- ودى جزمة العيد

قاطعها عمرو مداعبا :

- وطبعا ده شعر العيد مش كده

ضحك فارس ووالدته التى قالت :

- أخيرا شفتك مسرحه شعرك يا مهره ..

هتفت مهره بصياح:

- يلا بينا بقى أتأخرنا على الفرح

ثنى فارس ركبتيه بمرح وهو يمد يده اليها قائلا بصوت طفولى:

- يلا بينا يا عروستى

ضحكت بسعاده وهى تضع يدها فى يده بيد وتمسك بطرف فستانها باليد الاخرى وتقول:

- يلا يا عريسى

بالفعل كانت حفلة الخطبة صغيرة وبسيطه وكأنها مقابله عادية باستثناء الاغانى والموسيقى المرتفعه فى البيت وبعض باقات الورود فى أركان المنزل ودنيا بفستانها الذهبى وزينتها الكامله مما جعل فارس يشعر بالحرج بسبب وجود عمرو ورؤيته لها بهذا الشكلكان فارس يجلس فى المنتصف بين والد دنيا ومهره وكان يلتفت الى والد دنيا ويتحدث معه بأهتمام بينما نهضت دنيا وجلست بجوار مهره وقالت بابتسامه صفراء قومى يا حبيبتى اقعدى جنب ماما

رفعت مهره راسها ونظرت لدنيا وهزت راسها نفياً ولم ترد ....حاولت دنيا كتم غيظها وهى تعيد أمرها مره أخرى:بقولك قومى يا شاطره اقعدى فى اى حته تانيه

هذه المره لم تنظر لها مهره من الاصل وقالت ببرود:

- مسميش شاطره ومش قايمه

شعرت دنيا بالدماء تغلى فى راسها وصاحت بعصبيه:بقولك قومى

ألتفت فارس على صوت دنيا وقال بتساؤل:

- فى ايه يا دنيا

قالت بعصبيه البنت دى بتعند معايا ومبتسمعش الكلام انا كنت فاكراها مؤدبه زى ما كنت بتقول عنها

صاحت مهره بصوت يشبه البكاء :

- انا مؤدبه والشتيمه حرام واللى بيشتم الكلمه بتلف تلف وترجعله

والتفتت ل فارس وهتفت به :

- مش انت قولتلى كده يا فارس

لف فارس ذراعه حول كتف مهره وهو يقول:

- ايوا يا حبيبتى صح بس وطى صوتك شويه ممكن؟

صاحت دنيا :

- أنت بتنصرها عليا يا فارس وكمان بتستأذنها

نظرت أم دنيا لمهره بحده وقالت بغضب:

- أسمعى الكلام يا بنت

فركت مهره عينيها وهى تصيح :

- كده حرام ماما قالتلى عيب نشخط فى الضيوف

نهضت أم فارس وأخذت بيد مهره وهى تقول لدنيا:

- معلش يا دنيا هى متقصدش ونظرت لمهره وهى تجذبها اليها قائله:

- تعالى يا مهره اقعدى جنبى يا حبيبتى

تشبثت مهره بذراع فارس وقالت ببكاء :

- عاوزه اقعد جنب فارس

نهض والد دنيا ليحل المشكلة ويفض النزاع وأخذ بيد ابنته قائلا:

- تعالى اقعدى مكانى يا دنيا تعالى

جلست دنيا بجوار فارس على الجهة الاخرى وهى ترمق مهره بنظارت ناريه

نهض عمرو وجلس بجوار مهره وأنحنى على اذنها قائلا:

- تيجى نتفرج من البلكونه شويه

حركت كتفيها برفض وهى تمد شفتاها بغضب وهى تتشبث بذراع فارس أكثر ...ظلت على هذا الوضع فترة من الوقت ومن الحين للآخر يربط فارس على شعرها أو يدها ليبعث الطمأنينه فى نفسها..حتى وضعت راسها على ذراعه المتشبثة بها وأغمضت عينيها نامت ببراءة ...مما جعل دنيا تستشيط غضبا من الصغيره وشعرت انها أنتصرت عليها

أقبلت هيام صديقة دنيا وجلست بجوار عمرو بخجل وبحثت عن كلمات تستطيع بها ان تتحدث اليه وتجذب أنتباهه ولم تجد افضل من مهره للحديث عنها فقالت:

- هى البنوته دى أختك ولا اخت فارس

ألتفت عمرو اليها وقد تفاجأ بحديثها اليه وقال بابتسامه صغيره :

- لا دى جارتنا بس متعلقه بينا اوى يعنى زى اختنا الصغيره كده

أومأت برأسها باهتمام وأسترسلت فى الحديث قائله:

- واضح أنكم أصحاب اوى انت وفارس

قال باقتضاب محاولا أنهاء الحديث:

- اه فعلا

صمتت لبرهه ثم قالت:

- غريبه ..!

شعر بالفضول والتفت اليها مرة اخرى قائلا:

- هو ايه اللى غريب

ابتسمت وقد لفتت انتباهه مرة أخرى وقالت:

- قصى يعنى غريه انكوا اصحاب وجيران وانت تدخل هندسه وهو يدخل حقوق

أبتسم قائلا:

- اه .....بس مفيهاش حاجه غريبه يعنى كل واحد ليه اهتمامات غير التانى.... عادى

قالت بتلقائيه:

- معاك حق ماهو انا ودنيا اصحاب ورغم كده هى دخلت حقوق وانا دخلت أداب

بس هى بقت لقت نصها التانى لكن انا لسه

ابتسم بمجامله ولم يرد وكان قد استشعر سخافة الحوار فوجدها تقول متسائله:

- أومال مجبتش خطيبتك معاك ليه

ابتسم ساخراً فى نفسه فالعبارة مباشرة جدا بعكس ما كنت تتصور هى وقال:

- لا انا مش خاطب

ثم أستدرك قائلا:

- انا لسه بدرس وبعد التخرج لسه هشتغل واكون نفسى ومبفكرش فى الحكايه دى دلوقتى لسه قدامى كتير اوى عليها

شعرت بالاحباط من كلماته وهذا ما كان يريده تماما ولكنها لم تستطع ان تقاوم جاذبيته وخفة ظله التى أعطت للحفل جو مرح ومبهج ظلت جالسه بجواره ....حاولت ان تقاوم هذا الشعور فكلماته واضحه وضوح الشمس ولكنها لم تستطع

فى اليوم التالى حدث أول تنازل منه ووافق على طلب دنيا التى هاتفته وطلبت منه التنزه سويا قليلا ...رفض فى البدايه ولكنه لم يستطع مقاومة ألحاحها المتكرر وحزنها الذى ظهر فى كلماتها وهى تتهمه بالتقصير تجاههاوعدم سعادته بارتباطهما أخيراً

التقى بها فى أحدى المتنزهات التى أعتادا اللقاء فيها وجلسا على المقعد المعتاد لهما أمام النيل مباشرة ألتفتت اليه وهى مبتسمه وقالت برقه:

- متقدرش تتصور وحشتنى ازاى من امبارح للنهارده

أبتلع ريقه وهو يتذكر كلمات الشيخ بلال أنها مازالت غريبة عنه فالخطوبه ليست الا وعد بالزواج فقط لا يحل له شيئا منها .....حاول السيطره على مشاعره فهو يعلم ان هذا لا يجوز حاليا وقال :

- منا علشان كده يا دنيا كنت عاوز أكتب الكتاب علشان اعرف اعبرلك عن مشاعرى براحتى

نظرت اليه بجرأه وتفحصت ملامحه التى تحبها وكأنها لم تسمعه وقالت برقه وهى تتلمس ذراعه بأطراف اصابعها :

- يعنى انا موحشتكش

أختلج قلبه للمستها وشعر بحراره تسرى فى جسده غلبه شيطانه وهواه وحظ نفسه من متعها وهو يستمع لكلماتها الرقيقه التى تلقيها بدلال :

- زمان يا فارس لما كنت بتمسك ايدى كنت بحس انى ملكة الدنيا وما فيها ...ياه لمستك وحشتنى اوى

قالت عبارتها الاخيره بطريقه لم يتحملها أنهارت معها كما تنهار أبواب السدود لتغمر الارض العطشه بالمياه وأنساه الشيطان كل ما كان يحذره منه صديقه بلال كان محقاً..لقد وضع نفسه موضع فتنه كبيرة وهو بشري وغير ملتزم بطريقه صحيحه فكانت النتيجه الحتميه هى التنازل واتباع الشهوات

أمسك كفيها ببطء وهو ينظر لعينيها وتعانقت اصابعهما بعضها ببعض ورفع كفها لشفتيه وقبل كفها قبله طويله أذابت ما بقى بداخله من مقاومه

ومـــــر عـــــــــــام

الفصل السادس

ومر عام يحمل فى طياته الكثير ...تتقلب فيه أمزجة البشر وأحوالهم وأحزانهم وافراحهم.. كما تتقلب فصوله بين رعد الشتاء وهطول الامطار وحرارة صيفه وكآبة خريفه ونسيم الربيع وشذى عبير أزهاره ...هكذا هى الحياه لا تدوم على حال ولا تستقر على شأن ولا تعطى الا وأخذت ولا تأخذ الا وتمنح ولا تحزن الا وتفرح ولا تسعد الا وتكسن ..يشوبها دائما بعض الملل بعض الالم بعض الوجوم بعض التنحى عن الحياة....ولهذا هى دنيا لا يوجد بها سعادة دائمه متقلبه متحرره متجمده.. تعلو وجهها ابتسامه.. ولكنها أبتسامة مودعه أو راحله أو باقيه...وقد تكون ساخره

مارس ابطالنا حياتهم كما هى بين العمل نهارا وليلا ولقاءا يوم العطله لا يخلو من التجاوزات والمحرمات مع بعض السعاده احيانا والكآبه وتأنيب الضمير أحيانا أخرى... وقرار عدم العوده ثم العوده بلا أدنى مقاومة.

أما فى نهاية العام كان الانتظار هو أصعب شىء حقاً بل كان جبلاً يجثو على الصدور يكاد يزهق الارواح ..أنتظار القرار النهائى بعد مقابلات أختبارات وظيفة النيابة والتى كانت تنبأ عن التفاؤل أحيانا واليأس غالباً ولكن يشوبه بعض الامل

وبعد ظهر أحد الايام عاد فارس الى بيته ليجد الباب مفتوحاً وسمع من الخارج صوت جارتهم أم يجيى وهى تطلق الزغاريد قرع الجرس ودخل على أثره ليجد مهره فى استقباله هاتفتةً بسعاده وهى تسرع إليه مقبلة عليه :

- أنا نجحت يا فارس نجحت وجبت درجات كبيييره أوى اوى وهروح أولى أعدادى

لم يكن يستطيع أن يتفاعل معها كما هو عدها به فى هذه المناسبات ...ابتسم ابتسامة باهته وهو يقول:

- الف مبروك يا مهره الحمد لله انها خلصت على خير

توقفت عن القفز وهى تنظر إليه بعينين حائرتين ووقفت والدته وقد تملكت الدهشه هى الاخرى من رد فعله وقالت :

- مالك يا فارس فى حاجه ولا ايه

ثم قالت بتردد:

- هى نتيجة التعين طلعت؟!

أبتسم فارس وهو يقول بأجهاد:

- متقلقيش يا ماما لسه مطلعتش ....ثم ألتفت إلى مهره وهو يحاول أسيعاد روحه السابقة معها قائلا:

- ها يا ستى عاوزه هدية ايه

أخفضت نظرها عنه وقالت بحزن:

- مش عاوزه حاجه ....أقبلت والدتها أم يحيى قائله بعجله:

- طيب نستأذن أحنا بقى يا استاذ فارس والتفتت الى أمفارس قائله بحرج:

- عن أذنك يا ست ام فارس

خرجت مهره ووالدتها التى أغلقت الباب خلفها بهدوء وشرع فارس فى الذهاب الى غرفته ولكنه والدته استوقفته قائله:

- أنت متخانق مع خطيبتك ولا فى حاجه تانيه مش عاوز تقولها

أستدار اليها بنفس الابتسامة الباهته وقال:

- يا ماما مفيش حاجه والله ولا متخانق ولا فى حاجه كل الحكايه بس تعبان شويه ومحتاج ارتاح

أم فارس:

- مش عادتك يعنى تعامل مهره كده ده أنت كنت بتذاكرلها فى الامتحانات كأنها فى ثانويه عامه

أتجه الى غرفته مره اخرى وهو يقول:

- معلش يا ماما لما أنام شويه هرتاح وابقى كويس وقبل ما اروح المكتب هصالحها ان شاء الله

دخل غرفته وأغلق الباب خلفه وهى تنظر الى الباب المغلق بدهشه وتقول فى نفسها:

- لا ده فى حاجه وحاجه كبيرة كمان

أبدل ملابسه والقى بجسده المرهق على فراشه وأغمض عينيه يطلب الاسترخاء قليلا ولكن من اين تأتى الراحه فقلبه غير مستقرأبدا ...والقلب المجهد يجهد معه البدن دائما ...لا ينفك الا فى التفكير فى حياته بعد يومين او ثلاثه عند ظهور النتيجه كيف ستكون وماذا سيحدث ان تم رفضه

يجافيه النوم دائما عند الوصول لهذه النقطة الصماء...لا يريد التفكير فيما بعدها بل لا يريد التفكير فيها ابدا

فى المساء وهو يغادر ذكرته لعمله ذكرته والدته بمهره فأومأ برأسه قائلا:

- حاضر يا ماما هصالحها ان شاء الله

ولكنه لم يكن لديه أى حماس للصعود اليها او مداعبتها كما كان يفعل فتوجه للمكتب على الفور

أنهى دبلومته التى عكف عليها والتى أهلته للتقدم للماجستير وبدأ فى جمع ما يلزمه من أوراق وكتب وخلافه للبدء فى الماجيستير ولكنه لم يكن متحمسا بالشكل المطلوب فهو لم يحلم يوما بهذه الدرجات العلميه بل كان حلمه الوحيد هو النيابه

مر شهرين آخرين والحال هو الحال وهو يكاد يكون منفصلا عن واقعه تماما فكلما قصرت المده كلما بدأ التوتر والقلق والعصبيه الواضحه..حتى حانت اللحظه الفارقه وأستدعاه الدكتور حمدى الى حجرة مكتبه بمجرد وصوله للمكتب مساءاً......

طرق الباب ودخل بعد الاستأذان نظر الى الدكتور حمدى نظرة متفحصة وهو يقول ببطء:

- فى حاجه يا دكتور

نهض الدكتور حمدى ووقف قبالته وتنحنح قائلا:

- نتيجه النيابه طلعت يا فارس

ظهرت الدهشه على وجهه وقال بسرعه :

- ظهرت؟! أزاى دى المفروض بكره

قال الاستاذ حمدى بجديه :

- انا عرفتها النهارده الصبح بس قلت قت لما اشوفك بالليل ابقى ابلغك

خفق قلب فارس وزادت نبضاته بقوة وشعر بألم فى جميع أجزاء جسده ومرت الثوانى عليه ساعات

وهو ينظر فى عينيى الدكتور حمدى اللتان كانتا خاليتان من اى علامات البشرى وهو يقول:

- كل شىء نصيب يا فارس وان شاء الله تلاقى نفسك فحاجه تانيه

أصابه التبلد وعدم التصديق للحظات وهو يكرر:

- ايوا يعنى قبلونى ولا لاء

ربت الاستاذ حمدى على كتفه مشجعاً داعماً له وهو يقول:

- أنت أنجزت الدبلومه بسهوله وهتكمل الماجيستير ان شاء الله وبعديها الدكتوراه ومش هتحتاج النيابه دى خالص...انت ليك مستقبل كبير فى المحاماه وانا اصلا كنت مستخسرك فى حكاية النيابه دى ..

هوى فارس الى اقرب مقعد وهو يشعر انه يهوى من فوق سبع سموات وكأن روحه فارقت جسده وكأنه فى حلم جميل واستيقظ على واقعه المرير.... زاغت عيناه بدون هدى وهو يتصور انه هتف داخله ولكنه هتافه د اصاب شفتاه وهو يقول:

- طب ليه...ليه ..انا جايب التقديرات المطلوبه وجاوبت كل الاسئله اللى اتسألتها فى المقابلات من غير ولا غلطه..يبقى ليه طيب ليه

جلس الاستاذ حمدى بجواره وهو يشعر بالاسى لاجله وقال بشفقه:

- يابنى انت مش عايش فى البلد دى ولا ايه...بصراحه يا فارس انا من الاول وانا متأكد من النتيجه حتى من غير ما تدخل الامتحانات...مفيش حد بيتعين فى المهنه دى الا اذا كان ليه واسطه جامده

يا اما عم او خال او قريب وكيل نيابه ...وكمان مش اى وكيل نيابه ده لازم يبقى وكيل نيابه مرضى عنه يابنى

ألتفت اليه فارس بحده قائلا:مرضى عنه من مين

نظر اليه الاستاذ حمدى قائلا:يعنى مش عارف لازم يكون مرضى عليه من مين يا فارس...اللى هيصدق على قرار تعينه طبعا....وأستدرك قائلا:وانا يابنى لو كان مرضى عنى كنت اتوسطلك بس انت عارف انى طول عمر راجل دوغرى ومش تبع حد وهما عاوزين حد تباعهم ..علشان كده كانت وسطتى هتضرك مش هتنفعك

وضع فارس وجهه بين كفيه وهو غير مصدق ما يسمع ..ها قد أنهارت أحلامه على صخرة الفساد المتفشى فى المجتمع والذى توارثناه جيلاً بعد جيل حتى اصبح شىء طبيعى جدا فالعين عندما تعتاد على القبح لم تعد تراه قبيحا بل لو رأت جمالاً بعده نفرت منه وأستنكرته وقبحته

بدون ارادة منه وجدت العبرات طريقها لعينيه أخيراً فزفر زفرة ساخنة يائسه وقال بصوت متحشرج:

-ليه يا دكتور مفهمتنيش كده من زمان

قال الاستاذ حمدى وهو يتطلع للفراغ بحزن:

- كان عندى أمل يابنى ،،كان عندى أمل مكنتش عاوز احبطك كنت فاكر ان ممكن حاجه تتغير لكن مع الاسف بالعكس ده الفساد بيزيد يوم عن يوم

ثم اردف قائلا:

- تعرف أن أتعمل عليك تحريات فى مكان سكنك..وكام من ضمن اسباب الرفض أنك ساكن فى مكان شعبى

توقفت الدموع دفعة واحده ونظر اليه مندهشاً قائلا باستنكار :

- طب وده يخليهم يرفضونى حتى لو كنت كفأ

أبتسم الدكتور حمدى ابتسامه خلت من اى تعبير حتى من معنى السعاده وقال بتشاؤم:

- هو انت فاكر ان التعين بالكفاءه ده انت غلبان اوى...وأستدرك قائلا:

- يالا يابنى قوم كده وأنسى كل حاجه وابدأ حياتك من جديد وايه حلم يضيع ووراه احلام تانيه كتير يمكن تكون افضل منه ..أنتبه لرسالة الماجيستير هتلاقى نفسك نسيت كل حاجه

نهض فارض واقفاً بوهن وقال بصوت بعيد:

- ممكن أخد باقى اليوم ده اجازه يا دكتور انا مش هعرف اركز فى شغل النهارده

أومأ الاستاذ حمدى وهو يربت على كتفه بعطف قائلا:

- طب خلاص روح أنت أرتاح ومتشلش هم

خرج فارس من حجرة الدكتور حمدى واجماً يتحاشى النظر لزملاءه فى مكتبه وهو يجمع بعض أوراقه الخاصه وهم يتابعونه بنظراتهم المتسائله ....نهضت دنيا من خلف مكتبها وأتجهت اليه وعلامات التساؤل والفضول تشع من عينيها ..اقتربت منه متسائله:

- مالك يا فارس ايه اللى حصل جوى عند الدكتور

هز رأسه نفيا وهو يقول:مفيش حاجه يا دنيا ...

دنيا بأصرار:

- لاء..شكلك فى حاجه

زفر بضيق وقال بعصبية:

- بقولك مفيش..طوى أوراقه وهو يقول:

- لما ارتاح شويه هبقى اكلمك فى التليفون ..سلام

وقفت تنظر اليه بدهشه وأتجهت لتعود لمكتبها ولكن نورا لم تنتظر أكثر من هذا

تبعته للخارج ولحقت به عند المصعد وقبل أن يستقله قائله:

- أستنى يا أستاذ فارس

أستدار اليها بدهشة كبيرة ونظر اليها بصمت فقالت بسرعه:

- الدكتور قالك حاجه زعلتك

هز راسه نفيا لا يخلو من التعجب وقال:متشكر على سؤالك يا استاذه محصلش حاجه انا بخير الحمد لله...وكاد ان يفتح باب المصعد ولكنها استوقفته مرة أخرى قائلة:

- موضوع النيابه مش كده؟؟؟

كبرت دهشته ولكنها لم تغطى ألمه بعد ...فقال حانقاً وهو يغادر :

- عن أذنك

أخذ المصعد طريقه للهبوط وهو بداخله وظلت هى تتابعه ببصرها فى حيرة منه ومن أندفاعها هكذا وأخذت تلوم نفسها بشدة وهى مازالت واقفة فى مكانها فى شرود وصمت أخرجا منه صوت دنيا التى قالت بشك:

- هو فى ايه

ألتفتت نورا أليها بعدم انتباه ولكنها ما استعادت وعيها سريعاً وقالت بلامبالاة وهى تعود أدراجها الى المكتب مرة أخرى

- مفيش حاجه يا دنيا ..عن أذنك

تابعتها دنيا ببصرها وهى تضيق عينيها بارتياب وتنقل بصرها بين نورا والمصعد ولكنها سرعان ما نفضت عن عقلها تلك الافكار وعادت لعملها من جديد ولكنها لم تستطع ان تنفضها من قلبها

لم يشعر الى اين تأخذه قدميه ولكنه سار فى استسلام شديد لا يعلم كم قضى من ساعات ولكنه كان يمشى فقط فى اتجاه اللاشىء ..فقد الاحساس بالزمن وبمن يمر امامه وحوله وخلفه لا يسمع لشىء ولا يرى شىء

لم يرى الا نظرات والدته المكسورة وهى تستمع للخبر لم يسمع الا شهقات اصدقائه وجيرانه دهشةً ولوعةً عند معرفتهم بالخبر...ماذا سيقول لهم...هل يقول لقد رفضونى من أجل حياتى بينكم وحبكم لى وحبى لكم..ماذا سيقول لصورة والده المحتفظ بها فى غرفته تنتظر النتيجه بفارغ الصبر

هل يقول له عفواً والدى لقد رفضونى لانهم لا ينظرون للكفاءه هل يقول لقد رفضونى لانك يا والدى لست قاضياً أو ومستشاراً أو وكيل نيابه ..أو أنك ليس لك أخ أو قريب موالياً لهم يتوسط لى عندهم

وجد نفسه عائداً لمنزله كيف ومتى لا يعلم ولكن من الواضح ان قدميه قد حفظت الطريق عن ظهر قلب فأشفقت عليه وحملته الى بيته بدون توجيه منه

كان الوقت قد تعدى منتصف الليل فحمد الله أن الجميه نيام ولم يراه أحد وقرأ ما كتب على جبينه من شقاء

دخل غرفته فى خفوت ولم يجرؤ على النظر لصورة والده التى يحتفظ بها بجانبه خاف أن ينظر اليها فيرى العبرات تقفز منها لتبلل وجهه وتخنقه وتغص حلقه وتشقيه...فلقد شقى بما يكفى اليوم

ظل يتقلب فى سهاده طوال الليل حتى كاد ان يلفظه فراشه ويطرده بعيدا عنه ليظل خاليا للابد فذلك افضل له من هذا الحانق الغاضب الذى يرقد عليه دائما

بالكاد أستطاع أن ينام بعد أذان الفجر بل ويغط فى نوم عميق ...ولكن أحلامه وكوابيسه طاردته حتى فى النوم ولم تتركه ينعم به

أستيقظ فزعاً على صوت والدته التى كانت واقفه بجوار فراشه توقظه وتهتف به:

- قوم يا فارس قوم يابنى أتأخرت على شغلك الساعه بقت تسعه

تقلب على فراشه وقال دون أن يفتح عينيه :

- معنديش شغل النهارده يا ماما

جلست على طرف فراشه بدهشه ممزوجه بالقلق وهى تقول:

- من أمتى بقى انت بتاخد اجازات...انت مالك تعبان ولا ايه

وضع الوسادة على وجهه وهو يقول:

- مجهد بس شويه ...سبينى اصحى براحتى لو سمحتى يا ماما

تركته والدته ..خرجت وأغالقت الباب خلفها ..توضأت وصلت الضحى ثم ابدلت ملابسها وذهبت للتسوق ..عادت وكانت تظن أنها ستجده قد استيقظ ولكنه وجدته مازال نائما كأنه يهرب من شيء ما فهى تعلمه جيدا...فهو لا ينام هكذا الا ليهرب من شيء يؤلمه ويؤلمه بشده

صلت الظهر ودخلت المطبخ لتعد طعام الغذاء لم يكن عقلها فيما تعمل بل كان مصاحباً له فى رحلت هروبه وهى تتسائل ..ياترى ماذا حدث له جعله هكذا

وفجأه أستمعت لصوت زغاريد يأتى من خارج الشرفه ..أنهت ما تفعله بسرعه وتوجهت للشرفه لتنظر ماذا يحدث فى شارعهم البسيط....كانت والدة عمرو صديق فارس تطلق الزغاريد بين الحين والاخر وهو يقف وسط بعض الشباب والجيران يهنئونه ويباركون له النجاح والتخرج من كلية الهندسة

أبتسمت بأثر رجعى وهى تتذكر لحظة تخرج ولدها وكأن المشهد يعيد نفسه مرة اخرى

أستيقظت من شرودها على صوت قرع جرس الباب فى صخب نظر الى الوضع الذى كان عمرو يقف فيه فلم تجده فايقنت أنه هو صاحب هذا الصخب توجهت الى الباب مسرعه وفتحته بسرعه وهى تقول بابتسامه:

- بالراحه يا عمرو.. فارس نايم

نظر لها عمرو بدهشه مصحوبه بابتسامه كبيرة ارتسمت على وجهه وهو يصيح:

- انا مالى ومال فارس انا جاى للرز بالبن اللى وعدتينى بيه يا بطه

قالت بسعاده وهى تفسح المجال له ليدخل وتشير باصبعها لعينيها:

- من عنيا يا حبيبى هيكون عندك النهارده أنت والشارع كله بأذن الله

ضحك بصخب كعادته وقال بمرح:

- بس انا اللى اوزع يا خالتى الله يخليكى..انتى عارفه انا خلاص بقيت مهندس رسمى وهقسم بالعدل ان شاء الله

أم فارس:

- لا يا عمرو انا متأكده انك لو انت اللى وزعت.. الناس كلها هيوصلها الاطباق نصها فاضى

قال بدهشه مصطنعه:

- نصها!!!.. طيبه اوى على فكره

فى هذه اللحظه خرج فارس من غرفته غير مستوعب لما يحدق وقال بضيق:

- ايه الدوشه دى...مين اللى ...ولكنه بتر عبارته وهو ينظر لصديقه عمرو والفرحه التى تعلو وجهه والابتسامه المرسومه على شفتيه فى سعاده بالغه فذهب ضيقه فى لحظه وقال بشك:

- نجحت ولا عامل دوشه على الفاضى

ضحك عمرو وهو يقترب منه قائلا:

- طبعا نجحت وأتخرجت علشان تبطل تقولى يا تلموذ

بادله فارس ضحكاته وهو يقول:

- برضه هتفضل تلموز مفيش فايده

نظر عمرو الى فارس نظرات متفحصه ورغم ضحكات فارس الا ان عمرو استطاع ان يخترق تلك الابتسامات الواهنه والضحكات المتستره أقترب منه وقال بهدوء:

- مالك يا فارس شكلك زى ما يكون فى حاجه مضايقاك

قاطعتهم والدته قائله :

- طب انا هروح أنقع الرز بتاعك يا بشمهندس علشان نلحق نوزعه بالليل

تركتهم والدته ودخلت المطبخ وعاد فارس أدراجه الى غرفته يتبعه عمرو سئلا بألحاح:

- ماهو هتقولى مالك يعنى هتقولى مالك قول بقى بالذوق أحسنلك

أبتسم فارس وهو ينظر لصديق عمره الذى لم يتغير ابدا مازال طفلا متشبثاً بما يريد دائما ولكنه استطاع ان يغير مجرى الحديث بسؤال مباغت:

- هتروح أمتى تخطب عزة

توتر عمرو وشحب وجهه وهو يقول:

- مش عارف يا فارس خايف ترفضنى .. متردد اوى فى الحكايه دى

وضع فارس يده على ساقه مشجعاً وقال:

- أسمع يا عمرو انت متعرفش هى رايها فيك ايه بلاش تقولى هترفضنى والكلام الفاضى ده...أنت خلاص أتخرجت وبقيت مهندس قد الدنيا وكلها شهر ولا حاجه وتبتدى شغلك ..وعزة ممكن يكون حد حاطط عينه عليها ويتقدملها قبلك وترجع تندم وتقول ياريتنى كنت خدت قرارى بدرى شويه

نظر له عمرو حائراً وقد شعر بكلمات فارس تغزو قلبه بشدة وتمزقه وهو يردد:

- حد تانى ياخدها مني..تفتكر يا فارس

أومأ فارس براسه وقال مؤكداً:

- ايوا طبعاً..وليه لاء ..بقولك ايه انا مش هسمحلك تأجل الحكايه دى أكتر من كده..بلغ والدتك وخليها تروح تجس النبض علشان البنت وأهلها يعرفوا أنك عاوزها

فرك عمرو جبهته بتوتر وهو يقول بأرتباك:

- خلاص هقولها وربنا يستر بقى..بس الشغل يا فارس هتقدم ازاى من غير ما أشتغل

فارس:

- يا سيدى ده هيبقى ربط كلام بس لحد ما ربنا ييسرلك شغلك وانا أصلا كنت مكلم الدكتور حمدى عليك علشان عارف ان أخته عندها مكتب ديكور وهو وعدنى وقالى اعتبر الحكايه تمت

أطلت نظرات الامل المختلطه بالقلق وهو يحاول طمأنة نفسه وهو يقول:

- هو أه انا مهندس مدنى مش ديكور بس ممكن الاقى شغل معاهم مش كده يا فارس

ابتسم فارس أبتسامه صغيره وهو يحاول رسم التفاؤل على شفتيه قائلا:

- أومال كليه ايه اللى أتخرجت منها دى ..تصدق اللى نجحك ظلمك يا أخى

ثم أدرف بحسم:

- خلاص أتفقنا هتمشى فى الموضوع؟؟

دب انشاط فى عمرو مرة أخرى وعاد اليه مرحه وتفائله ونـهض هاتفاً بمرح :

- ربنا يخاليك ليا يا سبعى هههههههههههههههه

خرجا من الغرفه يتضاحكان واقبلت عليهما والدته قائله بابتسامه :

- أنا قلت برضه محدش هيظبطك غير عمرو

وقبل أن يجيب فارس سمع رنين الهاتف يقاطعه فى اصرارأخذ سماعة الهاتف ليجيب المتصل الذى كان يتوقع منه هو وقال:

- ألو

- ايوا يا فارس أنت فين

- أنا فى البيت يا دنيا

- ده أنت تعبان بجد بقى !

قال بتردد:

- لا أنا كويس بس ....نظر الى عمرو ثم الى والدته وركز بصره عليها وهو يخشى من ردة الفعل وقال:

- الدكتور حمدى بلغنى انهم رفضونى فى شغل النيابه

شهقت والدته وهى تضع يدها على صدرها وأتسعت عينيى عمرو وهو ينظر اليه مدهوشاً

وهتفت دنيا غير مصدقه:

- بتقول ايه يا فارس

قال مؤكداً وقد لمعت عيناه بالدموع وهو ينظر الى والدته التى بدا عليها عدم الاتزان وأستندت الى ساعد عمرو الواقف بجوارها :

- بقولك رفضوا يا دنيا رفضونى

هتفت دنيا صارخه :

- بتقول أيييييييييييه....وسقطت والدته مغشياً عليها

الفصل السابع

"ها يا دكتور ماما عاملة ايه"

نطق فارس هذه العباره وهو يفرك يديه فى توتر بالغ و ينظر الى الطبيب بقلق

دَون الطبيب أسماء بعض الادويه فى ورقة من دفتره ثم فصلها وأعطاها لفارس قائلاً:

- متقلقش يا استاذ فارس والدتك كويسه الحمد لله ..الضغط بس علي عليها شويه..بس مفيش حاجه خطر الحمد لله

ألقى فارس نظرة على الورقة بيده وقال :

- اومال الادويه دى ليه يا دكتور

ابتسم الطبيب وهو يضع أدواته فى حقيبة الطبيه ويقول:

- دى أقراص بسيطه كده للضغط لازم تواظب عليها واللى مكتوب ورا الروشته ده تحليل عاوزك تعمله ضرورى وياريت النهارده

نظر الى اسم التحليل دون فهم وقال وهو يحاول استيعاب الامر:

- تحليل ايه ده

الطبيب :ده تحليل سكر فاطر وصايم

أنزعج فارس وقال بسرعه:

- سكر..هى عندها سكر

الطبيب:انا طلبت التحليل ده علشان نطمئن بس مش أكتر...وان شاء الله يطلع معقول زى ما انا متوقع

خرج فارس بصحبة الطبيب وهو يقول متسائلاً:

- طب هى هتفوق أمتى يا دكتور

نهض عمرو واقفاً هو ووالدته وهو يستمع لحديث الطبيب الذى كان يجيب فارس قائلاً:

- انا ادتها حقنه تنزل الضغط وهتفوق دلوقتى ان شاء الله ..متقلقش

خرج الطبيب من المنزل وأغلق فارس الباب خلفه واستدار فى مواجهة عمرو الذى قال بلهفه:

- خير يا فارس؟؟

جلس فارس وهو يقلب الروشتة بين يديه وكأنه فى عالم آخر وقال بشرود:

- الدكتور بيقول ضغط..كنت متأكد أنها مش هتستحمل الصدمه

توجهت والدة عمرو داخل الغرفه التى كانت أم فارس ترقد بها وهى تقول بتبرم:

- ضغط ايه وبتاع ايه ...هو حد يصدق كلام الدكاتره

شد عمرو على يده قائلا:

- بسيطه يا فارس ان شاء الله... متشيلش نفسك اكتر من كده انت ملكش ذنب فحاجه ..انت كمان اتصدمت..بس ولا يهمك يابنى انت مجال شغلك مفتوح وانت شاطر ....مش هتقفل على حكاية النيابه دى يعنى..ركز بقى فى الماجيستير وبعده الدكتوراه وفى جوازك

أنتبه فارس لعبارة عمرو الاخيرة وتذكر دنيا التى تركها تصرخ على الهاتف وهرع الى والدته ولم ينتبه حتى ان يعيد سماعة الهاتف كما كانت

ألقى نظرة على الهاتف فقال عمرو مسرعاً:انا اللى حطيت السماعه ..قلت علشان لو اتصلت تانى ولا حاجه

رفع فارس راسه لعمرو متسائلاً وقال:

- وأتصلت؟؟

هز عمر رأسه نفيا ولم يرد ...وسمعا صوت والدته تناديه بوهن :

- فارس يا فارس

نهضت أم فارس من فراشها بمساعدة والدة عمرو فى اثناء دخول فارس وعمرو الذى قال يداعبها:

- الف سلامة عليكى يا بطه بس برضه مش هتنازل عن الرزبلبن بتاعى

حاولت أن تبتسم وهى تنظر الى فارس ولكنها لم تستطع ساعدها فارس على الجلوس مره أخرى على الفراش وجلس بجوارها ..قبل راسها وقد لمعت عيناه بالدموع وهو يقول أنكسار:

- أنا آسف يا أمى أنا السبب فى اللى حصلك ده..لو كان بايدى كنت

قاطعته والدته وهى تحاول صبغ صوتها بنبرة حاسمه:

- مش عاوزه اسمع منك الكلام ده تانى كل شىء نصيب انا كل اللى يهمنى أنك تبقى مبسوط ومرتاح ومش عاوزه حاجه تانيه من الدنيا وانا يابنى لو كنت حاطه أمل على الشغلانه دى فده كان علشان كنت شايفاك متمسك بيها وبتحلم بيها لكن انا عن نفسى مفيش حاجه تفرق معايا ولا تريحنى غير سعادتك انت وبس سواء كنت محامى ولا مستشار

أنحنى فارس مقبلاً كفها وقد أعطته أمه دفعه لان يتماسك أكثر وتتراجع دموعه وتجف قبل أن تظهر مرة أخرى وقال:

- ربنا يخليكى ليا يا ست الكل ربنا يديكى الصحه والعافيه يارب

سمع عمرو طرق خفيف على باب الشقه فقال وهو يخرج من الغرفه :

- أنا هروح اشوف مين ده أكيد حد من الجيران

توجه عمرو الى الباب وفتحه ...نظر إليها غير مصدق وقال بدهشه:

- عزة!!

خفضت عزة راسها بخجل وتنحت جانباً ..ظهرت والدتها وأختها عبير من خلفها

حاول عمرو السيطرة على مشاعره وهو ينظر إليها وقال وهو يبتعد عن الباب:

- أتفضلوا

دخلت جارتهم أم عزة يتبعها الفتاتان وهى تقول بقلق:

- فى ايه يا بشمهندس ايه اللى حصل للست أم فارس

عمرو:

- ابداً الضغط على عليها شويه بس بقت كويسه الحمد لله...ثم اشار الى الغرفه قائلاً:

- أتفضلى هى جوى هنا ومعاها فارس

دخلت أم عزة مسرعة ووقفت عبير وعزة تنتظرها فى الخارج

حاول عمرو النظر الى عزة مرة أخرى فخطف نظرة سريعة وهو يقول بابتسامه:

- أزيك يا أنسه عزة

شعرت عزة بالخجل لسؤاله أياها فقط ...بينما قالت عبير بدهشه ممزوجه بابتسامه خفيفه :

- كويسين الحمد لله

لا يعلم لماذا شعر بعاطفة كبيرة تجتاحه تجاهها بدون سابق أنذار وكأن وقوفها بقربة قد حرك مشاعره وزاد لهفته عليها وعلى الارتباط بها لقد تردد كثيراً وهو غير متأكد من سبب تردده كان يظن من وجهة نظرة أنها متعلقه بفارس ولكن لا دليل على ذلك وقد يكون أساء بها الظنون ولكن هل يترك الظن يتلاعب بها أكثر من هذا ..شعر بالخوف عندما تذكر كلمات فارس له منذ قليل أنه ربما يتقدم لها شخصاً آخر وقد يقبله أهلها هل ينتظر لتضيع من بين يديه هكذا بسبب تردده وقلقه من شىء ليس له وجود عندما وصل لهذه النقطه شعر بأندفاع لم يشعر به من قبل ولم لا أحياناً يكون التهور هو الحل الوحيد لانهاء ما يدور من صراعات بداخلنا

كانت الفتاتان ينظران اليه وهو شارداً تماماً وكأنه فى عالم آخر وقد خرجت والدتهما بصحبة والدة عمرو ويتبعهم فارس وأمه التى كانت تستند على ساعده

وقالت لعمرو بأمتنان:

- معلش يابنى تعبناك معانا

نظر إليها وكأنه لم يسمعها وصوب بصرة باتجاه والدة عزة وعبير ..أخذ نفساً عميقاً وقال بسرعه :

- طنط انا بحب عزة وعاوز أتقدملها موافقه ولا لاء

ثم تنفس لاهثاً وكأن وحشاً كان يطارده ......صوب الجميع نظراتهم اليه ما بين دهشة وابتسامة وأستنكار وحياء

وأسرعت عزة بالخروج من الشقه ووجهها كحبة الطماطم وتبعتها عبير التى كانت تبتسم بسعادة ودهشه

هتفت والدته به :

- أنت عبيط يا واد ولا ايه فى حد يطلب طلب زى ده قدام البنات كده ...مش فى أصول

بينما ابتسمت والدة عزة وقالت موجهة كلامها لام عمرو:

- عبيط ليه بس يا أم عمرو هو قال حاجه عيب..هو بس أستعجل شويه

ضحك فارس متناسياً همومه وهو يقول:

- يخرب عقلك يا عمرو أنا كنت أعرف أنك مجنون بس مش للدرجادى

وأخيرا قال عمرو حانقاً:يعنى هى دى المشكله دلوقتى خلاص انا اسف بس انا مصمم على طلبى على فكره ومش هتنازل عنه ونظر الى أم عزة قائلاً برجاء :

- أنا صحيح لسه متخرج النهارده بس ان شاء الله هشتغل قريب..انا بس عاوز يبقى فى كلام رسمى يعنى علشان محدش يسبقنى

أكد فارس كلام صديقه وقال بثقه:ان شاء الله كام يوم وعمرة يروح يعمل مقابلة الشغل فى مكتب الهندسه بتاع أخت الدكتور حمدى ..ونظر الى أم عزة وقال:

- الدكتور حمدى أكدلى حكاية الشغل دى يا طنط

تكلمت أم عزة وقد بدت السعاده على قسمات وجهها وهى تقول:

- يا عمرو يابنى أنتوا جرانا من زمان وعارفين اخلاقكوا كويس الموضوع مش موضوع شغل ثم قالت بتردد:

- أنا بس مش عاوزه أكسر قلب أختها أنت عارف عبير هى الكبيرة ولو أختها الصغيرة أتخطبت قبلها هتشيل فى نفسها وتضايق ..عموما قابل ابوها وكلمه وانا عن نفسى معنديش اعتراض خالص

قالت أم عمرو بعتاب :

- كبيرة ايه وصغيره ايه هو لسه فى حد بيعمل كده ده كان زمان يا أم عبير الناس كانت بتفكر كده... لكن كلنا عارفين ان الجواز قسمه ونصيب وكل واحده ليها نصيبها

أومأت أم عزة براسها موافقة لها وقالت:

- معاكى حق بس والله ده راى ابوها مش رايى أنا..

قاطعهم عمرو بحسم قائلاً:

- مش هسيبه لحد ما يوافق ان شا الله حتى أطلعله فى كل حته بيروحها لحد ما يزهق منى ويقولى روح خدها وأمشى

قاطعهم صوت جرس الباب المفتوح نظر فارس تجاهه فوجد دنيا تقف بزاوية من الباب وتنقل نظرها بينهم بتوتر

شعر بالدهشه وهو مقبل عليها حتى وقف امامها وهو يشير غليها بالدخول قائلاً:

- تعالى يا دنيا أتفضلى

قالت والدته للمرأتان:دى دنيا خطيبة فارس

أستأذن الجميع بالانصراف وجلست دنيا وهى تنظر لوالدة فارس قائله:

- حمد لله على سلامتك يا طنط

أم فارس: الله يسلمك يا بنتى ..

نظر اليها فارس تدور تساؤلات كثيرة بعقله وتظهرها عينيه وقال:

- عرفتى منين ان ماما تعبانه

قالت بتوتر:

- قابلت عزة تحت وانا طالعه وقالتلى

لاحت ابتسامة سخرية على شفتى أم فارس وقد علمت أن دنيا قد أتت لشىء آخر ولاحظت نظرات التوتر فى عينيها فقالت وهى تنهض :

-طب عن اذنك يا بنتى هقوم ارتاح شويه أحسن دماغى لفت تانى

وقالت موجهةً حديثها لفارس:قوم يابنى قدملها حاجه وتركتهم وتوجهت لغرفتها

وقف فارس قائلاً:

- هعملك شاى معايا

أشارت اليه وقد نهضت هى الاخرى فى مقابلته وقالت محاولة السيطره على نبرة صوتها:

- الكلام اللى قلتهولى فى التليفون ده صحيح يا فارس

جلس مرة أخرى وقال دون ان ينظر اليها:

- أيوا صحيح هو الكلام حد يهزر فيه

سقطت العبرات من عينيها وقد تأكد لديها الخبر وقد كانت تتمنى ان يكون مازحاً أو ما شابه لقد سقطت أحلامها وهوت وأنسلت من بين يديها كانت تهوى جمع حبها بفارس مع منصبه الرفيع الذى كان يحلم به وقد جعلها تتعلق به معه وتراه ليل نهار وتضع نفسها بجانبه داخل هذا البرواز المزرقش المرصع بالمنصب والمستوى المرتفع والكلمه المسموعه ....قالت بحزن وكأنها تهزى:

- يعنى ايه ....حلم السنين راح خلاص ...كل حاجه راحت من بين ايديا

نظر إليها وقد عاوده شعوره بالندم والانكسار مع كلماتها المؤنبه ..وقال محاولا أضافاء بعض الامل على قلبها:

- لا مش كله ولا حاجه انا خلصت الدبلومه وماشى فى الماجيستير وان شاء الله بعدها الدكتوراه

أستطردت مقاطعةً ايه قائلة:وهتفرق فى ايه ماجيستير ولا حتى دكتوراه ..برضه فى الاخر شغال بمرتب عند الاستاذ حمدى

تنفس بعمق وهو يستمع لكلماتها تشق قلبه بحروفها الحاده وقال :لا ما انا فى يوم من الايام هفتح مكتب ان شاء الله وساعتها الدرجات العلميه دى هتنفعنى اوى فى شغلى

لاحت ابتسامة سخريه على شفتيها وهى تقول:

- اه ..فى يوم من الايام

لم يعد قادراً على التحمل وكل كلمة من كلماتها تنغمس بين ضلوعه لترديه يائساً وبعنف فنهض بحدة وقال:

- أنا كنت فاكرك هتقفى جنبى يا دنيا وتشجعينى أواصل طريقى ..أه صحيح كده الطريق هيطول شويه..بس فى الاخر هنوصل ان شاء الله

نظر إليها فوجدها واجمه صامته فجلس بقربها وأخذ كفها بين راحتيه قائلاً:

- انا مش عاوزك تيأسى كده ..فاكره لما كنتى بتقوليلى أنا واثقه أنك هتوصل يا فارس أنت جواك عزيمه توصلك المريخ..فاكره؟؟!

أبتسمت بضعف وهى تومأ برأسها وتقول:فاكره

قال مشجعاً:

- يبقى تقفى جانبى لحد ما نوصل سوا

نظرت إليه بعينين زائغتين وقالت:

- وانت فاكر ان أهلى هيوافقوا اقعد استناك كل ده لحد ما تجيب مكتب وبعدين تجيب شقه ونفرشها بالمرتب اللى بتاخده من مكتب الاستاذ حمدى

قال باستنكار:

- وشقه ليه مش أحنا متفقين هنعيش هنا مع ماما..وهى معندهاش مانع ابدا ...وهنيجى على نفسنا شويه وممكن اوى نأجر شقه تنفع مكتب مش لازم نشترى يعنى كفايه الايجار وبكده يبقى جمعنا بين الجواز والمكتب فى نفس الوقت

صمتت وطال صمتها فحثها قائلاً:ردى عليا

مطت شفتيها وقالت بضيق:أنا لازم أمشى دلوقتى انا أتأخرت أوى

صاحت أمها فى وجهها وهى تقول:

- مش أنا قلتلك الواد ده هيفضل طول عمره فقرى..انتى اللى صممتى تتخطبى ليه مش عارفه ..وفى الاخر كلامى طلع هو اللى صح وعاوز ياخدك تعيشى معاه عند أمه فى الحاره وتستنى بقى لما يبقى يفتح مكتب

بللت العبرات وجنتيها وقالت بأختناق:

- كفايه يا ماما كفايه اللى انا فيه كفايه

دخل والدها غرفتها وهو يتسائل بأنزعاج:

- فى ايه بتزعقوا كده ليه

قصت عليه دنيا ماحدث لفارس فقال:

- وايه المشكله يابنتى هو لو مكنش وكيل نيابه مينفعش يعنى

قالت من بين دموعها:

- مش قصدى يا بابا بس انا كنت متعشمه كده كل حاجه راحت

نظر إليها بجديه قائلاً:ازاى يعنى كل حاجه راحت الولد كويس وراجل وبيحبك وعنده عزيمه كويسه وأنا متوقعله مستقبل كويس وبكره تقولى بابا قال ومش لازم يا ستى يعنى المستقبل ده يبقى فى النيابه ......وبعدين أنتى كان لازم تقفى جانبه وتسانديه مش تقعد تقطمى فيه كده

أمسكت والدتها يدها التى تحمل خاتم الخطبه وحاولت نزع خاتم الخطبه وهى تقول بصياح وغضب:

- أسمعى ..أنتى من بكره ترجعيله شبكته مش عاوزين منه حاجه

قبضت دنيا اصابعها وهى تقول ببكاء:

- لا يا ماما انا بحب فارس ومش هسيبه ..

ويوم الجمعة ذهب فارس لصلاة الجمعه فى المسجد الذى أعتاد أرتياده يوم الجمعه والصلاة فيه وكان فى داخله يتمنى لقاء الشيخ بلال ليتكلم معه ويحكى له ما يجيش بصدره لعله يجد لديه الراحة التى يتلمسها فى كلماته دائماً...وبالفعل عقب أنتهاء الصلاة قام يبحث عنه ووجده فى ركن من المسجد يتحدث الى بعض الاخوه ويتمازح معهم بود ويهاديهم ببعض أعواد الاراك وزجاجات المسك الصغيرة التى يحملها دائماً فى جيببه والتى تبعث له دائماً رائحة محببه لكل من يقف بجواره أو يمر بجانبه

وقف ينتظره حتى أنتهى من حديثه معهم وعندما لمحه بلال ابتسم ابتسامته الوضاءه المعهوده منه دائما كلما رآه واقبل عليه فرحاً وصافحه بحراره قائلاً

- واحشنى والله يا فارس أيه يابنى مبقناش نشوفك ليه

لا يعلم فارس لماذا كلما نظر الى وجه بلال شعر بالسكينة والوقار.. .أنسابت عبراته بلطف وهدوء وقال بصوت خفيض :

- أنا محتاجك أوى يا بلال

جلسا إلى أحد اركان المسجد وقال بلال وقد هاله رؤية فارس وعبراته ويستمع الى صوت آلمه وأحزانه ويأسه وأطرق براسه أسفاً وهو يسمع منه تجاوزاته التى كانت تحدث بينه وبين خطيبته دنيا ومخالفته لوعده معه من قبل ..ظل يستمع إليه فى أنصات شديد حتى أنتهى ..

كان فارس يظن أن بلال سيجيبه ببعض الكلمات التى تواسيه وتذكره بأجر الصابرين ولكنه وجده يبتسم قائلاً:

- أنا هحكيلك حكاية يا فارس عاوزك تسمعها بقلبك قبل ودنك أتفقنا

أومأ فارس برأسه وهو يقول :سامعك

بدأ الشيخ بلال فى سرد هذه الحكايه عن أحد التابعين قائلاً

- رجل يُدعى أبا نصر الصياد ، يعيش مع زوجته وابنه في فقر شديد
- مشى في الطريق ذات يوم مهموما مغموما ً، يسأل الله تعالى الفرج والرزق الحلال فزوجته وابنه يتضوران جوعاً.
مر على شيخه أحمد بن مسكين' يقول له أنا متعب يا سيدي..
وقرأ التابعي في وجه تلميذه ما يعانيه ، فقال له اتبعني إلى البحر

فانطلقا إليه، وقال له الشيخ – راغباً في لجوء مريده إلى الله تعالى : " صلّ ركعتين على نية التيسير" واسأل الله تعالى الرزق الحلال الطيب ...فصلى ، ثم قال له : "سم الله " ، - فكل شيئ بأمر الله .. فقالها . .. ثم رمى الشبكة ، فخرجت بسمكة عظيمة . ... قال له "بعها واشتر بثمنها طعاماً لأهلك ."
فانطلق إلى السوق يبيعها ، واشترى فطيرتين إحداهما باللحم والأخرى بالحلوى وقرر أن يعود إلى الشيخ فيقدم إحداهما له اعترافاً بصنيعه .. .
رد الشيخ الفطيرة قائلاً : هي لك ولعيالك ، ثم أردف : " لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة "

وفي الطريق إلى بيته قابل امرأة تبكي من الجوع ومعها طفلها، فنظرا إلى الفطيرتين في يده وقال في نفسه هذه المرأة وابنها مثل زوجتي وابني يتضوران جوعاً فماذا افعل ؟
ونظر إلى عيني المرأة فلم يحتمل رؤية الدموع فيهما، فقدمهما لها قائلاً:
- الفطيرتان لكما..
ظهر الفرح والسرور على محياها ، وسعد ابنها سعادة رقصت لها أسارير وجهه ..
وعاد أبو نصر يفكر بولده وزوجته.

ما إن سار حتى سمع رجلاً ينادي من يدل على أبي نصر الصياد؟
فدله الناس على الرجل.. فقال له إن أباك كان قد أقرضني مالاً منذ عشرين سنة ثم مات ، خذ يا بني هذه الثلاثين ألف درهم فهو مال أبيك .

يقول أبو نصر الصياد
وتحولت غنياً بإذن الله تعالى وكثر مالي ، و ملكت البيوت وفاضت تجارتي ، وصرت أتصدق

بالألف درهم في المرة الواحدة في شكرالله تعالى..
ومرت الأيام ، وأنا أكثر من الصدقات حتى أعجبتني نفسي !!

وفي ليلة من الليالي رأيت في المنام أن الميزان قد وضع ونادى مناد : أبا نصر الصياد هلم لوزن حسناتك وسيئاتك ، فوضعت حسناتي ووضعت سيئاتي، فرجحت السيئات..
فقلت أين الأموال التي تصدقت بها ؟ فوضعت الأموال، فإذا تحت كل ألف درهم شهوة نفس أو إعجاب بصنيع كأنه لفافة من القطن لا تساوي شيئاً، ورجحت السيئات
وبكيَت .. بكيت حتى كادت نفسي تذهب وأحشائي تتقطع . وقلت ما النجاة ؟
وسمعت المنادي يقول : هل بقى له من شيء ؟
فأسمع الملك يقول: نعم بقيت له رقاقتان...
وتوضع الرقاقتان (الفطيرتان) في كفة الحسنات ، فتهبط كفة الحسنات حتى تساوت مع كفة السيئات.
فبقيت خائفاً .. وأسمع المنادي مرة أخرى يقول: هل بقى له من شيء؟ فأسمع الملك يقول: بقى له شيء
قلت: ما هو؟...
قيل له: دموع المرأة حين أعطيتها الرقاقتين.
فوزنت الدموع، فإذا بها كالحجر الصقيل وزناً .فثقلت كفة الحسنات، ففرحت فرحاً شديداً ..
وأسمع المنادي كرة أخرى يقول: هل بقى له من شيء؟
فقيل: نعم ابتسامة الطفل الصغير حين أعطيَت أمُه الرقاقتان...
وترجح كفة الحسنات...و ترجح ...وترجح ..
وأسمع المنادي يقول: لقد نجا ... لقد نجا
فاستيقظت من النوم فزعا أقول ما قاله لي أحمد بن مسكين حين رد إليّ إحدى الفطيرتين : لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة .

أنهى بلال حكايته قائلاً: فهمت اللى عاوز اقوله يا فارس

كان فارس يستمع وهو يشعر ابلراحه وكلما سمع وأنصت كلما شعر بالرضا وفهم مالم يفهم من قبل وقال:

- فهمت يا بلال...أنا كنت عايش علشان نفسى وأحلامى وبس وعلشان كده أخدت على قد ما قدمت

الفصل الثامن

عاد فارس أدراجه الى منزله وهو شارداً فى كلام صديقه بلال وأخذ يسمعه يصدح فى عقله ويتردد صداه بداخله مرات ومرات

- شوف يا فارس اللى حصلك ده سببه حاجات كتير أوى ولو بصينا على الاسباب الدنيويه اللى أنت بصيت عليها وركزت كل تفكيرك فيها مش هنلاقيلها حل ابداً لان الفساد هيفضل موجود

عاوزين نبص لأسباب تانيه ..الاسباب الحقيقيه يا فارس..أنت يا فارس عرفت الحرام والحلال ورغم كده تماديت فى الحرام وفضلت نزواتك ودنيتك على حساب أخرتك علشان كده التوفيق مبقاش حليفك وبعد عنك ...وأنت ربنا بيحبك أنه أبتلاك فى الدنيا علشان يفوقك وترجعله أحسن ما كان الحساب يجمع فى الاخره ..

وأنا مش هتكلم كتير أنا هقولك حديث النبى صلى الله عليه وسلم

" و إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه. " ..عارف معنى الكلام ده ايه..معناه انك ممكن يكون جاي للأنسان رزق من ربنا فى اى حاجه سواء بقى فلوس، أولاد ،عريس ،عروسه، شغل ..اى حاجه ..وييجى الانسان يرتكب ذنب ولا معصيه فيحرم من الرزق اللى كان جايله ده..ويقعد يقول ليه وعلشان ايه ويبص للأسباب الدنيويه وميخدش باله أنه ممكن يكون أتحرم منه لانه أرتكب معصيه تغضب ربه

عاد من شروده إلى أرض الواقع دفعة واحده عندما اصطدم بمهرة التى كانت تعبر بوابة بنايتهم وهى تبكى بشدة وتفرك عينيها ...حاول أن يحدثها ولكنها أسرعت للداخل فى غضب ..لحق بها ووقف يسد الطريق أمامها وقال بأسف حقيقى:

- متزعليش بقى خلى قلبك أبيض ده أحنا أصحاب من زمان يعنى

صاحت وهى تبكى:

- برضه مخصماك ومش هكلمك ..وانا قلبى مش بيضا

ضحك وهو يقول:

- لاء انتى قلبك بيضا أنا عارف

جلس على أول درجة من السلم ليمنعها من العبور وأستند براسه على قبضته وقال:

- ولو مصلحتنيش هفضل زعلان على طول..ثم استدرك بمكر:

- لكن لو صلحتينى هاجبلك هديه كان نفسك فيها من زمااااان اوى

قالت بلهفه وهى تمسح دموعها بكلتا يديها:

- بجد هتجبلى العروسه اللى طالعه جديد اللى أسمها باربى

أومأ برأسه فى تأكيد وهو يقول:

- اييييون...بس أصبرى عليا يومين لما أقبض مرتبى

ضحكت بشدة وأخذت بيده فى سعاده وهى تتقافز يمنة ويسرا...هدأ حركتها وقال مستدركاً:

- قوليلى بقى كنتى بتعيطى ليه؟!

مطت شفتاها وهى تقول بحزن:

- كنت رايحه ألعب مع البنات فى الشارع اللى ورانا بس مرضيوش يلعبونى وقالولى أنتى أوزعه وصغيرة ..قعدت أحلفلهم أنى عندى 11سنه بس محدش صدقنى وقالولى أنتى كدابه أنتى عندك 7سنين

ونظرت إليه وقد أغرورقت عيناها بالدموع وهى تقول:

- والله أنا مش كدابه يا فارس ومش بحب حد يقول عليا كدابه

حركت دموعها وطريقة بكاؤها أشجانه وقال فى عطف:

- بصى يا مهرة متروحيش تلعبى معاهم تانى ولما حد يضايقك تانى متعيطيش أبدا خليكى قويه اللى مش مصدقك عنه ما صدقك

أنهمرت دموعها وهى تستمع إليه ثم قالت:

- وانا ذنبى ايه أنى شكلى أصغر منهم ..حتى صحابى فى المدرسه بيضحكوا عليا

لا يعلم فارس لماذا ذكرته بنفسه وبحاله تذكر كلماته مع الدكتور حمدى

وهو يقول له < طب وانا ذنبى ايه أنى ساكن فى مكان زى ده وأن ماليش وسطه >

شعر أنه لابد أن يعلمها درساً ..لا بل يريد أن يلقن نفسه هذا الدرس أولاً.. نظر لها بجدية وقال:

- شوفى يا مهرة أنتى أه شكلك اصغر من سنك لكن أنتى ذكيه جدا وكل الناس بتحبك ...وتقدرى تتفوقى وتبقى اشطر منهم كلهم ..ولما تكبرى هتبقى أحسن منهم كلهم أن شاء الله لما تتفوقى عليهم بعقلك مش بشكلك ولابجسمك ...ذاكرى وأتشطرى وابذلى مجهود كبير وخلى المدرسين يعجبوا بيكى وبشطارتك ويحبوكى ..هتلاقى صحابك فى المدرسه هما اللى عاوزين يصاحبوكى ويلعبوا معاكى ويذاكروا معاكى كمان علشان يتعلموا منك...أنتى تقدرى تغيرى مستقبلك بعقلك ومجهودك مش بطولك ولا بشكلك...

نظر فى عينيها التى كانت تنظر له بأهتمام وأنصات وتحاول استيعاب جميع كلماته وقال:

- فهمتينى يا مهرة

حركت راسها موافقة ببراءه وهى تقول:

- فهمت

شعر بأنتشاء شديد يغزو كل كيانه وكأنه رسم صورة ذهنية لعقله ووضع فيها كل ما يحب أن يضع كل فى مكانه تماماً...

سيأخذ بالاسباب الدنيويه ويجتهد وفى نفس الوقت ستكون الاخرة هى غايته وليس الدنيا كما كان يفعل من قبل ..نعم هذا هو ما يريد أن يقوله لنفسه..أبذل مجهود وأجعل الصبر حليفك والاخرة غايتك ولن يضيعك الله ابداً وستأتى الدنيا لك راغمه وستمتلكها فى يدك وليس فى قلبك

جلست عبير بجوار أختها عزة وهى تتفحصها قائلة:

- يعنى مردتيش يا عزة على كلام ماما

نظرت لها عزة فى توتر وهى تقول :

- اقول ايه بس يا عبير ..اصلا بابا مش هيوافق

تدخلت والدتها قائله:

- أختك بتسألك على رايك مش على رأى ابوكى

فركت عزة كفيها فى توتر شديد وقالت بتلعثم:

- أنا اصلى اتفاجأت ومحتاجه وقت افكر يا ماما

أرتسمت علامات الغضب على وجه والدتها وهى تهتف بها:

- تفكرى فى ايه هو عمرو غريب عاوزه تعرفى اخلاقه ولا مش عارفين أهله

أنكمشت عزة من ردة فعل والدتها الغاضب وأحمر وجهها ولاذت بالصمت فنهضت عبير وهى تقول لوالدتها:

- معلش يا ماما سيبيها دلوقتى من حقها تفكر برضه وبعدين الجواز ده لازم يكون فيه قبول فسيبيها تفكر براحتها

نهضت والدتهما فى تبرم وهى تتمتم:

- بنات آخر زمن

أغلقت عبير باب غرفتهم واقتربت من أختها وجلست بجوارها وهى تضع ذراعها على كتفيها وقالت بحب:

- أنا حاسه بيكى يا عزة..متفتكريش أن محدش حاسس بيكى

تسللت دمعة خارج مقلتيها معلنة عن قلق وخوف واضح وهى تقول بخفوت:

- لا يا عبير مش اللى فى دماغك سبب ترددى

ابتسمت عبير وهى تمسح عبرتها بأناملها وقالت بحنان:

- مش مهم ايه السبب..المهم اننا نعرف رايك فى عمرو..طيب أنتى حاسه بقبول ناحيته ؟

أبتعلت ريقها بصعوبه وقالت:

- عادى يا عبير مش حاسه برفض ولا بقبول عادى يعنى...أن أصلا طول عمرى بتعامل مع عمرو على أنه أخويا مش أكتر فطبعا مش هكون بكره واحد بحسه زى أخويا وفى نفس الوقت مش بحبه

أبتسمت عبير وهى تقول :

- طب ايه رأيك لو بابا وافق تدى لنفسك فرصه وتبدأى تعامليه بطريقه مختلفه ...ثم ضحكت وهى تتذكره وقالت:

- وبصراحه الطريقه المجنونه اللى طلبك بيها تخلينى متأكده أنه هيقدر يخليكى تحبيه وأستدركت وهى تقول:

- بصراحه يا عزة ده شكله بيحبك أوى ياريت تفكرى تانى وتدى نفسك فرصه وتديله هو كمان فرصته

لوحت عزة بيدها متبرمه وهى تقول:

- بتكلمى كأن بابا وافق خلاص

شعرت عبير بمزيج مختلط من المشاعر وهى تقول :

- ملكيش دعوه ببابا ..بابا كان دايما يشكر فى عمرو وهو لو رفض يبقى مفيش غير سبب واحد وأنا ان شاء الله كفيله أنى اقنعه

هتفت عزة حانقه وهى تنهض واقفة:

- أنتى مالك عاوزه تخلصى مني كده ليه يا عبير

وقفت عبير وهى تضع يدها فى خصرها وتنظر لها نظرة ذات معنى وتقول:

- أنا مش عاوزه أخلص منك ولا حاجه أنا عاوزاكى أنتى اللى تخلصى بقى

استدارت عزة بأرتباك وأعطتها ظهرها وهى تقول بتلعثم:

- أخلص من ايه

وقفت قبالتها ونظرت لعينيها بعمق وهى تقول:

- تخلصى من المشاعر السلبيه اللى كابسه على نفسك دى..واللى مخلياكى مش عارفه راسك من رجلك ومأجله حياتك كلها بسببها...أنتى صحيح بقالك مدة طويله قريبه من ربنا

وبطلتى حاجات كتير كنتى بتعمليها بس مع الاسف لسه محتفظه بالسلبيه دى جواكى ومفيش حاجه هتخرجك من الدوامه دى غير عمرو ..انا متأكده

رفعت عزة كتفيها وهى تنظر لعبير بدهشه قائلة:

- ومالك متأكده كده ليه

ضحكت عبير وقالت:

- منا لسه قايلالك مجنون وبيحبك وزى ما ماما قالت كده عنده أستعداد يفضل يلف ورا بابا لحد ما يقنعه يعنى مُصر عليكى يعنى من الاخر كده رخم وهتحبيه يعنى هتحبيه والواد قمر برضه متنكريش

نظرت لها عزة بدهشه لما تقول وقالت :

- يا سلام يا سلام أومال حفظ ايه ومسجد ايه اللى بتروحيه

ضحكت عبير وقالت بخبث:

- آه ...هنبدأ الغيره بقى.....

خرج باسم من حجرة مكتبه وقال موجهاً حديثه لدنيا:

- تعالى شويه يا أستاذه دنيا لو سمحتى...ثم عاد الى مكتبه مرة اخرى

نهضت دنيا وهى تحاول أن لا تصطدم بنظرات فارس الناريه وتوجهت الى حجرة مكتبه ولكنها مل تنسى تنبيهات فارس له سابقاً بأن تترك الباب مفتوحاً ..جلست أمامه بتسائل وكانت تتوقع بحكم عمله كمسؤل عن ملفات القضايا فى المكتب أن يكون الحدث حول ذلك ولكنها وجدته ينظر لها مبتسماً وهو يقول:

- مش أنا هفتح مكتب خاص بيا

تعجبت للحظات وهى تنظر إليه بدهشه فما شأنها بذلك..وقالت بلامبالاه:

- مبروك يا استاذ باسم..بس أنا ايه دخلى فى الموضوع

أتسعت ابتسامته أكثر وهو يتفحصها بجرأه ويقول:

- أنا عاوزك تيجى تشتغلى معايا فى المكتب..

باغتها بطلبه فارتبكت وصمتت برهة لتفكر فى الامر فقطع شرودها قائلاً:

- هو أنتى مرتبك هنا كام؟

علت دهشتها وقالت بسرعه:

- ما حضرتك عارف

فأومأ برأسه وقال بثقه:

- مرتبك عندى هيبقى ضعف مرتبك هنا 3 مرات..ها قولتى ايه ثم استدرك قائلا بسرعه:

- بس ده فى الاول لكن بعد لما تاخدى خبره ممكن يبقى ليكى نسبه فى القضايا وأنتى وشطارتك ومش بتكلم فى كلام فاضى أنا بتكلم فى ألافات

أدارت عبارته راسها وقالت بتسائل:

- وحضرتك أخترتنى أنا ليه بالذات

قال بجرأة وصراحه:

- بصراحه عجبتينى

دنيا باستنكار:

- عجبتك يعنى ايه

رمم عبارته المتصدعه وحاول أن يجعلها أكثر تهذيباً وقال:

- قصدى يعنى بيعجبنى مجهودك فى الشغل وطموحك العالى اللى هيموت فى المكتب ده وبالمرتب اللى بتقبضيه هنا

صمتت وهى تنظر امامها بشرود تفكر فيما يقول فقال مؤكدا :

- على فكره معايا ممكن فى من الايام تحطى يافطه باسمك جنب يافطتى ويبقى ليكى مكتب خاص تستقبلى فيه زباينك ..ها قلتى ايه

نهضت واجمه وهى تقول ببطء:

- أدينى فرصه افكر

فقال موافقاً:

- فكرى براحتك عموما انا لسه قدامى مش أقل من شهرين علشان انقل شغلى هناك

أنتهى اليوم كالعادة وطويت الملفات والمستندات ..وقفت بجواره لتستقل سيارة أجره كما تفعل دائما لا يرحل قبل أن يطمئن عليها .. وضع بعض الحدود بينهما فى التعامل فى حدود علاقة الخطبة التى تربط بينهما ولكنه لم يستطع ألانتظار أكثر من هذا ..أنها لم تجيبه ولم تعطى قرارها حتى هذه اللحظه ...ألتفت إليها قائلا بجديه:

- دنيا..أنتى مردتيش عليا لحد دلوقتى فى موضوع كتب الكتاب ده

زفرت بضيق قائلة:

- أنا مش عارفه أنت مستعجل كده ليه..انا وافقت على كل كلامك اللى قلته..مبقناش نتكلم ولا نتقابل حتى النظرة مبقتش تبصهالى وانا كل ده متكلمتش ووافقتك... ايه المطلوب منى تانى

شعر بكلماتها تقطر حنقاً وضيقاً من هذا الوضع فقال مؤكداً:

- ماهو علشان كده أنا مستعجل على كتب الكتاب ..علشان نخرج ونتقابل واعرف أكلمك وأتكلم معاكى براحتى

نظرت فى ساعة يدها تستعجل الوقت وهى تقول :

- مش هينفع يا فارس كتب كتاب دلوقتى خالص نستنى شويه لما ظروفنا نتحسن..هو أنت مش بتقول عاوز تاخد الماجيستير فى اقرب وقت خلاص بقى ركز فى الرساله بتاعتك وحاول تخلصها بدرى ولما تخلصها يا سيدى نبقى نشوف هنعمل ايه..لكن الاستعجال بتاعك ده هيبوظ كل حاجه وهيعطلنا جامد وان كان عليا يا سيدى أنا هستناك انا مش عارفه أنت قلقان ليه كده

أنكمشت فى فراشها كما تفعل دائما عندما تواجهها مشكله وظلت عبارات باسم تتردد فى اذنيها :

- مرتب 3 أضعاف ...وفى المستقبل يافطه جانب يافطتى... نسبه من القضايا

ظلت تقارن هذا الوضع بتلك الذى ينتظرها فى مكتب الاستاذ حمدى مهران نعم هى تحب العمل فى هذا المكتب بصحبة فارس ولكن إلى متى ستظل هكذا تجد وتعمل فى أرهاق وتعب والمقابل ضعيف ولم لا تغير حظها بيدها فى مكان آخر بمقابل افضل...

ولكن ترمومتر فطرتها الانثويه مازال يعمل والذى أنبأها بأن باسم لم يريدها الا لرغبة فى نفسه وأن الاسباب التى قالها جميعها كاذبه بل وتنطق بالكذب ..هل تستطيع أن تحسم أمرها وتعمل معه ولكن تنتبه لنفسها وتحسب ألف حساب لكل كلمه وكل حركه وكل ردة فعل..أم تبقى كما هى

ولكن حتى لو وافقت هلى سيوافق فارس..بالطبع لا ..سيرفض أيما رفض وسيتمسك برايه بل ومن الممكن أن يخيرها بينه وبين العمل مع باسم...

وظل تسأل نفسها فى تردد وقلق ...لا بد من حل ما يرضى جميع الاطراف ولكن اين هو

خرج والد عزة من المسجد الصغير بعد صلاة أنتهاء صلاة العشاء وهو يبحث عن حذائه بين كوم الأحذيه أمام المسجد وقف يبحث بعينيه عنه حتى وجده اخيراً أنحنى ليلتقطه ولكنه فوجئْ بمن يسبقه اليه ويناوله اياه بأبتسامه ودوده ...فابتسم شاكراً وهو يقول:

- متشكر أوى يا عمرو يابنى

أتسعت أبتسامة عمرو وهو يقول:

- العفو يا عمى..أستنى حضرتك أجيب الحذاء بتاعى ونروح سوا وظل يتلفت حوله وهو يقول بتمثيل مكشوف:

- ياترى راح فين مع أنى لما باجى اصلى هنا كل يوم كل يوم بحطه فى نفس المكان

تبسم والد عزة وهو يشير لقدم عمرو قائلاً:

- ما أنت لبسه أهو يابنى

نظر عمرو الى قدميه بصدمه واضحه وهو يقول:

- ايه ده مش معقول ...لبسنى أمتى ده

ضحك والد عزة وهو يقول:

- طب لو ماشى يالا أنا مستعجل

سار عمرو بجوار والد عزة بمنتهى الادب والتواضع وهو يتصنع الوقار قائلاً:

- بس انا دايما باجى اصلى هنا هو حضرتك مبتجيش بأنتظام ولا ايه

ضحك الرجل مرة أخرى فمحاولاته مكشوفه دائما وقال:

- معلش بقى يمكن مش بنتقابل من الزحمه ولا حاجه

سارا بعض خطوات فى سكون غير مناسب لشخصية عمرو ولذلك لم يحتمل كثيراً وقال بشغفه المعهود:

- حضرتك مردتش عليا يا عمى فى موضوع الانسه عزة

وقف والد عزة ونظر اليه بملامح جامده وقال:

- لا رديت عليك وقولتلك ربنا ييسر الامر لما نشوف أختها الاول

قال عمرو بضيق:

- ياعمى طب انا كده مفهمتش حاجه ..أنا كده متعلق

تابع والدها بنفس ملامحه الجامده:

- عاوزنى أكسر قلب بنتى الكبيرة ؟

قال عمرو بتبرم واضح:

- لا يا عمى أكسر قلبى انا براحتك

مشي بجواره حتى وصل الى منزله وهم بالصعود ولكن عمرو لم يتركه لا يزال يلح بأستماته ووالدها يؤجل باستماته ايضاً وأخيراً قال :

- طيب يبنى ربنا يعمل اللى فيه الخير..سبنى أطلع بقى

أوقفه عمرو مرة أخرى وهو لا يعلم ماذا يقول كان يأمل فى أن يقنعه بالموافقه ولكن محاولاته جميعاً باءت بالفشل الذريع قاطع شروده صو وال عزة وهو يقول بضيق:

- ممكن بقى تسيبنى أطلع ولا هتفضل واقفلى كده على السلالم

ابتسم عمرو ابتسامه مصطنعه وهو يقول :

- طب استنى حضرتك بس عاوز اقولك على حاجه وبعدين أطلع

عقد الرجل ساعديه أمام صدره بضيق وقال بغضب :

- أتفضل يا سيدى ...قول

رسم عمرو ملامح الجديه على وجهه وقال بأهتمام:

- كان فى مره فى بلد اوروبى فيه أقليه مسلمه ناس بيصلوا العصر فى المسجد

بعد ما خلصوا صلاة ..دخل عليهم واحد ماسك سكينه كبيرة وقال:

- مين فيكم هنا مسلم؟

الناس بصت للسكينه اللى مع الراجل ومحدش أتجرأ ينطق الا واحد بس هو اللى أتشجع وقال :

- أنا مسلم

فالراجل أخده بره المسجد بعيد شويه عن الناس وقاله انا مسلم فى السر ومحدش يعرف وجبت خروف وعاوز أدبحه على الطريقه الاسلاميه بتعرف تدبح وتسلخ

فالراجل قاله :

- أنا بعرف أدبح لكن مبعرفش اسلخ روح شوف حد تانى بيعرف يسلخ

بعد ما دبحوا الخروف الراجل رجع للمسجد تانى وكان ماسك السكينه وفيها دم الخروف وقال للناس:

- مين فيكم مسلم تانى

الناس كلها بصت للسكينه اللى فى ايده وأترعبوا ومحدش نطق لكن شاوروا على الامام اللى كان بيصلى بيهم وقالوا:

- ده مسلم

فالامام أتخض وقالهم :

- فى ايه ..هو علشان صليت بيكم ركعتين خلاص بقيت مسلم ؟؟؟؟!!

أنفجر والد عزة ضاحكاً وبعد فتره من الضحك .. باغته عمرو مرة أخرى قائلاً بلهفه :

- ها يا عمى وافقت على الجواز !!!!!!

الفصل التاسع

صعد والد عزة الى شقته أخيراً والابتسامه تعلو شفتيه على أثر النكته التى ألقاها عليه عمرو منذ قليل جلس بين زوجته وبناته أمام التلفاز وهو يضرب كفاً بكف ويقول :

- أما والله حاجه عجيبه

نظرت له زوجته بأهتمام وابتسمت هى الاخرى لرؤيتها ابتسامته وقالت:

- خير يا ابو عبير هو ايه اللى عجيب

ألتفت إليها بابتسامته وهو يستند بساعديه الى حواف مقعده ويقول:

- البشمنهدس عمرو يا ستى...بقاله كام يوم مش سايبنى فى حالى وعمال يلف ورايا زى النحله ..

حانت منه ألتفافه إلى عزة التى اشاحت بوجهها سريعاً ونهضت قائلة:

- طب أنا هدخل أنام بقى تصبحوا على خير

اقتربت عبير من والدها على المقعد المجاور له وهى تتسائل:

- هو كلمك تانى يا بابا؟؟

هم أن يجيبها ولكن والدتها قاطعته قائله:

- قالك اشتغل ولا لسه يا ابو عبير

أشاح بوجهه عن زوجته ونظر الى عبير مرة أخرة وقال:

- يشتغل ولا ميشتغلش دى حاجه تخصه هو وانا مالى

ثم نهض واقفاً وهو يقول:

- انا هدخل اريح شويه تصبحوا على خير

تبعته عبير بنظرها حتى دخل غرفته واغلق بابها خلفه فنهضت واقفةً وهى تقول لوالدتها:

- ماما ممكن أدخل أتكلم مع بابا شويه لوحدنا

نظرت لها والدتها بدهشه قائلةً:

- خير يا عبير فى ايه

أقتربت منها وهى تقول بجدية:

- بصى يا ماما أنا فاهمه كويس بابا رافض عمرو ليه وعمال يأجل فى موضوعه مع عزة وأنا بصراحه محتاجه اتكلم معاه فى الحكايه دى مينفعش أسكت أكتر من كده

نهضت والدتها بموافقةً منها لكلام ابنتها وهى تقول:

- طب تعالى معايا

وضعت عبير يدها على كتف والدتها وقالت برجاء:

- معلش يا ماما خلينى اتكلم معاه لوحدى ..أنتى عارفه بابا لما بيلاقى أكتر من حد بيتكلم فى نفس الموضوع بيقفل

فكرت والدتها قليلا ثم قالت بايماءه بسيطه:

- طب خلاص اللى تشوفيه يابنتى خبطى عليه الاول بس براحه كده ليكون نام ولا حاجه

وقفت عبير امام غرفة والدها وطرقت الباب بخفه وقالت بهدوء:

- بابا حضرتك نمت؟

أتاها صوته قائلاً:

- أدخلى يا عبير

دخلت الغرفه وجدته يجلس على الاريكه بجوار النافذه فاتحاً لمصحفه امامه ويقرأ فيه قليلا قبل النوم كما هى عادته دائماً

نظر لها مبتسماً بحنان وهو يقول:

- تعالى يا عبير

جلست بجواره على الاريكه وقالت برجاء:

- بابا أرجوك توافق على خطوبة عمرو وعزة

صمت برهة وقال بضيق:

- وياترى بقى مين اللى قالك تيجى تقوليلى كده أمك ولا عزة

ابتلعت ريقها وقالت بوجل:

- بابا ..انا عارفه حضرتك بتاجل الموضوع ده ليه ..وصدقنى يا بابا انا الحكايه دى متفرقش معايا خالص بالعكس والله أنا أتمنى ان عزة تتخطب النهارده قبل بكره

وخفضت نظرها وقالت بخفوت:

- لو سمحت يا بابا متخالنيش أحس أنى واقفه قدام سعادة اختى ومستقبلها

هتف مستنكراً:

- ايه اللى بتقوليه ده يابنتى وأنتى عرفت منين ان سعادتها فى الجوازه دى

ابتسمت بمرارة وهى تقول:

- يا بابا حضرتك طول عمرك بتشكر فى عمرو وزى ما حضرتك قلت من شويه انه عمال يلف زى النحله وبيزن عليك ليه بقى اكون انا السبب انى اضيع على اختى واحد بيحبها وكمان عارفين اخلاقه واهله وكل حاجه عنه

تذوقت مرارة ابتسامتها لاول مره وشعرت بها تغص حلقها فابتلعتها برضى وهى تقول:

- الحمد لله يا بابا انا عارفه اان كل شىء نصيب وانا هيجيلى نصيبى لحد عندى سواء دلوقتى ولا بعدين...لكن أنا عمرى ما هبقى سعيده ابدا وانا رابطه اختى جنبى كده وهى ذنبها ايه طيب

نظر لها والدها بمشاعر مختلطه بين الفخر والحزن وهو يقول:

- ونعم العقل والايمان يا بنتى أنا كنت بقول لامك عبير قاعده طول النهار تسمع فى شرايط وداخله وخارجه تحضر دروس فى المسجد ومكنش عاجبنى ..مكنتش أعرف أنك بتستفيدى بيها بالشكل ده ..ربنا يرضى عنك يابنتى

لمعت دموع الفرح فى عينيها وهى تقول بلهفه:

- يعنى حضرتك وافقت يا بابا

ابتسم وهو يربط على ساعدها قائلا:

- بينى وبينك ... أه وافقت

نهضت فى سعاده وهى تهتف بفرحه حقيقة:

- أنا هروح ابشر ماما

أحتضن فارس "عمرو"بشدة وهو يقول بسعاده مازحاً:

- مبروك يا عمرو أخيراً يا اخى هتدخل القفص برجليك

دفعه عمرو بخفه وهو يتكلم بشغف كعادته:

- بطلوا قر بقى دى يدوب أبوها وافق أنى اروح أتقدم رسمى

ثم فرك كفيه بتوتر بالغ قائلاً:

- أنا هموت من القلق يا فارس..كل ما أتصور نفسى وأنا قاعد بتكلم معاها على أنى خطيبها بقى وكده..ياه أحساس جامد اوى ..ثم تابع بنبرة حائره:

- تفتكر هتوافق عليا يا فارس ولا أنت رايك ايه

شعر فارس بالحيره وقال متسائلاً:

- الله...أومال ابوها وافق على اي اساساً

تناول عمرو بعض قطع الشيكولاته أمامه وهو يجلس الى مائدتهم الصغيرة وقال:

- وافق أنى أتقدم واقعد أتكلم معاها..ماهو ده طلبها يا سيدى عاوزه تتكلم معايا الاول قبل ما تقول رأيها النهائى علشان تستخير

ومد يده مرة أخرى الى شبطة الشيكولاته ولكن فارس ضربه على يده قائلاً:

- كفايه بقى دى لو مهرة عرفت أن حد كل من الشيكولاته بتاعتها هتخرب الدنيا

خطف عمرو قطعة أخرى وهو يقول :

- خلاص يا عم اللى جابلك يخليلك أخر واحده بس ومتقولهاش ماشى أنا مش قدها يا فارس

ضحك فارس وهو يقول:

- طالما جبان كده يبقى متمدش ايدك على حاجتها أحسنلك

ثم اردف بأهتمام:

- بس أنا خايف من حاجه يا عمرو

عمرو وهو يبتلع قطع الشيكولاته بصعوبه:

- خايف من ايه؟

مط فارس شفتيه وهو يقول:

- لو المقابله دى على اساسها عزة هتحدد هى هتوافق ولا لاء يبقى فى خوف كبير بصراحه اصلك هتفضحنا انا عارفك..

لم يلحظ عمرو نبرة المزاح فى عبارة فارس فقال بجزع:

- ليه يا فارس ..طب قولى بسرعه اعمل ايه الله يخليك

أكمل فارس طريقته المصطنعه وهو يقول:

- بص أنت تحاول ..تحاول يعنى تبقى مؤدب كده ومحترم وذوق وظريف وهادى وعاقل كده يعنى ..انا عارف أن موضوع هادى وعاقل ده صعب عليك بس معلش حاول..

فرك عمرو راسه وهو يقول :

- هحاول...!!

-يلا يا عبير كل ده بتلمعوا الصالون...كانت عبير منحنيه تزيل بعض أثار التراب فى غرفة الاستقبال فأعتدلت وهى تجيب والدتها:

- خلاص يا ماما أنا خلصت أهو

أقبلت والدتهم مسرعه وهى تنهرهما قائلة:

- معقوله كده الناس زامنهم جايين ولسه مخلصتوش ..ونظرت الى عزة وقالت بعتاب:

-، انتى كمان لسه مجهزتيش نفسك هايجوا يلقوكى بترابك كده ؟؟؟؟؟

زفرت عزة بضيق وهى تهتف ساخطه:

- يا ماما يعنى اقطع نفسى يعنى وبعدين فى ايه ما الشقه نضيفه أهى ..

قالت والدتها وهى تدفعها للخارج:

- طب روحى يا فالحه جهزى نفسك بسرعه خلاص زمانهم جايين

خرجت عزة وهى تتمتم ببعض الكلمات معترضه بينما نظرت الام الى عبير وهى تجتهد فى أبراز جمال الغرفه وهى تصلح من شأنها بأهتمام فأقتربت منها وقالت برفق:

- عقبال يومك يا عبير يا بنتى

أستدارت لها عبير وهى مبتسمه فوجدت نظرة مشفقه تطل من عيني والدتها غاصت تلك النظرات فى قلب عبير حتى شعرت أنها شجته نصفين ..قاتلت حتى تستطيع رسم ابتاسمة عذبه على شفتيها وقالت تداعبها:

- أيه بقى يا ست ماما أنتى عاوزه تخلصى مننا كلنا علشان الجو يخلالك انتى وحبيب القلب ولا ايه

ضحكت أمها وقد تلاشت نظرة نظرة الحزن من عينيها وقالت :

- انتى بس لو تعقلى كده وتشيلى البتاع ده من على وشك وانتى خارجه كده والعرسان تشوفك بدل ما انتى مخبيه نفسك كده محدش عارف انتى حلوه ولا وحشه

قالت عبير بثقه وهدوء:

- يا ماما اللى هيجى يتقدملى علشان انا حلوه ولا اللى هيخاف يتقدملى احسن اكون وحشه..الاتنين ميلزمونيش وقلتهم أحسن ومش طالباهم بصراحه

فقالت أمها وهى تدفعها هى الاخرى للخارج:

- طب يالا روحى شوفى أختك بتعمل ايه يا أم لسانين

تجهز البيت وتزين لاستقبال جيرانهم الاعزاء عمرو ووالده ووالدته

وبعد الترحيب والاستقبال الحار وعبارات الود والمحبه جلس الجميع فى غرفة الاستقبال حيث قال أبو عزة بترحاب شديد:

- واحشنى والله يا ابو عمرو الواحد مبقاش يشوفك غير كل فين وفين

شد والد عمرو بيده على يد والد عزة وهو يقول بمرح:

- بكره تزهق مني يا ابو عبير ما احنا هنبقى نسايب بقى

ضحكا الرجلان بينما قالت والدة عمرو أومال فين عروستنا يا ام عزة مكسوف ولا ايه

نهضت الام واقفة وهى تقول بابتسامه واسعه :

- هروح أندهلها حالا

دخلت الام فوجدت عزة تكاد تبكى وهى تقول لعبير مش عاوزه اخرج يا عبير طب خلى مامته هى اللى تيجى هنا

قاطعهم والدتها وهى تهتف بها بصوت خفيض:

- تيجى هنا فين يا بت أنتى

حاولت عبير دفع عزة تجاه والدتهما وهى تقول بتشجيع:

- يابنتى أطلعى أومال هتكلمى معاه ازاى هو مش أنتى اللى طلبتى تقعدى معاه الاول

أخذتها والدتها من يدها كالاطفال وخرجت بها وهى خافضة راسها الى الارض خجلا من الموقف وقفت والدة عمرو وأحتضنتها وقبلتها بشدة وهى تضغط على ساعديها مره وعلى ظهرها وكتفيها مرة أخرى وتقول:

- ماشاء الله ماشاء الله أزيك عروستنا عامله ايه

أجابت عزة بخفوت:

- الحمد لله يا طنط

أجلستها بجوارها ...حيث قال والد عمرو:

-والله كبرتى يا وزه بقالى كتير مشوفتكيش عامله ايه يا بنتى

ابتسمت عزة فى خجل وهى تقول بصوت غير مسموع :

- الحمد لله

كان عمرو مسلط نظره عليها يريد منها ألتفاته واحده فقط ولكنها لم تفعل لم تنظر اليه ابدا حتى عندما تجرأوقال لها:

- أزيك يا أنسه عزة

أومأت براسها ولم ترد ..لاحظ ذلك والدها أنها لم ترفع عينها لعمرو قط ولم تجبه ايضاً على سؤاله ....فنهض وهو يقول موجهاً حديثه لزوجته:

هاتلنا بقى يا حاجه العصير هنا وخدى الولاد بره فى الصاله يقعدوا يتكلموا مع بعض شويه

نهض عمرو من فوره فى سرعة وسعاده بينما وقفت عزة على مضض وخرج ثلاثتهم ...

جلست عزة على المقعد المواجه لغرفة الصالون حيث يقع عليها نظر والدها كما تم الاتفاق مسبقاً معه وجلس عمرو على المقعد المجاور وذهبت والدتها للمطبخ لاحضار العصير التى كانت عبير قد أتمت أعداده وأعطته لوالدتها على الفور

خرجت من المطبخ ووضع أكواب العصير امام عزة وعمرو وعادت لغرفة الصالون مرةأخرى

ظل عمرو يعصر ذهنه ليتذكر وصايا فارس ولكنه لم يتذكر شىء على الاطلاق فقرر أن يتصرف بنفسه ..فألقى نظرة على غرفة الصالون ثم نظر إليها يتفحصها وقال بصوت تسمعه هى فقط:

- أزيك يا وزه

ألتفتت اليه باستنكار فشعر أنه ارتكب جرماً فقال بتلعثم:

- قصدى أزيك يا أنسه عزة

خفضت نظرها مرة أخرى وهى تقول:

- الحمد لله كويسه

مسح عمرو راسه وقال بتردد:

- طيب انا سامعك لو فى حاجه عاوزه تساليني فيها

ألقت عليه نظرة خاطفه أنهتها سريعاً وقالت بجديه:

- أنا كنت عاوزه أعرف بس أنت عاوز تجوزنى ليه واشمعنى أنا يعنى ؟؟

باغتته بالسؤال ..شعر بالارتباك وصمت قليلا وهو ينظر اليها ...فقالت :

- ايه مش لاقى أجابه ولا محرج تجاوب

رفع حاجبيه بدهشة وقال:

- يعنى ايه محرج أجاوب

أرتسمت على جانبى شفتيها ابتسامة سخريه صغيرة وهى تقول:

- يعنى محرج تقولى أنك زيك زى شباب كتير عاوز يتجوز وخلاص ومش فارق معاك انا بالذات يعنى .. علشان كده محرج تجاوب ...صح؟

زال الارتباك الذى كان قد شعر به كلياَ وشبك اصابع كفيه امامه وهو يتكأ الى ركبتيه وقال بثقه:

- لا مش صح

فقالت بسرعه :

- أومال سكت ليه مكنتش محضر أجابه

هز راسه نفياَ وقال بثقة أكبر:

- لاء مش علشان مكنتش محضر اجابه ...علشان خايف اجابتى تسببلك أحراج

رفعت كتفيها وأخفضتهما سريعاَ وهى تنظر إليه قائلة:

- لا عادى ..مفيش أحراج ولا حاجه

نظر فى عينيها بعمق وقال بهدوء:

- علشان بحبك

أحمرت وجنتيها تلقائياَ وخفضت عينيها فتابع حديثه:

بحبك من زمان ..من زمان أوى ...من واحنا لسه فى الثانويه العامه..بالتقريب كده من ساعة ما مشاعرى ابتدت تتحرك أساساَ وأعرف الحب

كانت تستمع اليه فى توتر وحياء وتكاد تقطع شفتاها من كثرة الضغط عليها بدون وعى

فقال وهو مازال ينظر اليها ويتابعها حركاتها وسكناتها:

- عرفتى بقى مكنتش عاوز اجاوب ليه

لم تستطع أن تنتظر أكثر من هذا ...كلماته ونظراته أخترقت خجلها وشعرت انه يرى قلبها من خلف ضلوعها وهو ينبض بعنف ويتابع أندفاع دماء جسدها كله من خلف شراينها ألى وجهها وراسها ...لامت نفسها على السؤال الذى طرحته والذى كان السبب فيما قال

كانت تعرف ان عمرو جرىء ومندفع ولكن لم تكن تعلم انه من الممكن ان يقول ما قال بهذا الشكل المفاجىء والصريح لابعد الحدود بل وكأنه كان يود أن تسأله هذا السؤال ليفصح عن مكنون قلبه ومشاعره تجاهها

فنهضت وقد تحشرج صوتها وهى تقول:

- طب عن أذنك

ودخلت فى سرعه فى أتجاه غرفتها وهى ترى ما حولها باللون الاصفر أو هكذا يبدو...

استقبلتها عبير وهى تنر لوجهها بدهشه قائلة:

- جيتى بسرعه كده ليه هو أنتى لحقتى تتكلمى معاه

وضعت عزة كفيها على وجنتيها تتحسس حرارتهما وهى تقول باستنكار:

- لو كنتى سمعتى كلمه واحده من اللى قالهالى كان زمانك قمتى من بدرى

أبتسمت عبير وقالت بشغف:

- قالك ايه

نظرة لها عزة بخجل وقالت بخفوت:

- سألته سؤال واحد بس ويارتينى مكنتش سألت أحرجنى اوى يا عبير ووقالى..قالى بحبك من زمان

ضحكت عبير ثم وضعت كفها فوق فمها لتكتم ضحكتها وقالت:

- مش بقولك رخم ......

نظرت لها عزة بعتاب وقالت:

- فرحانه فيا يا عبير ماشى

عبير:أبدا والله بس مستبشره خير ..ها رايك ايه بقى

قالت عزة بشرود:

- مش عارفه يا عبير محتاره اوى ومش عارفه اقرر لسه

عبير:طب بقولك ايه أنتى تستخيرى الاول وبعدين تقررى وان شاء الله خير

غادر عمرو واسرته منزلهم وجلست والدة عزة وزوجها فى غرفتهم وهى تقول:

- ها يا ابو عبير رايك ايه

قال بتاكيد:

- مانتى عارفه انى معنديش مانع يا ام عبير المهم راى عزة كلميها وشوفى نرد عليهم نقولهم ايه

قالت بلهفه:

- لا كلمها أنت هى بتسمع كلامك

هز راسه نفياَ وقال :

- لاء هتكسف مني...انتى امها..كلميها واعرفى منها بالظبط رايها ايه ولو عاوزه وقت تفكر براحتها خالص الولد اصلا لسه قدامه شويه

دخلت والدة عزة غرفة بناتها وجلست بجوارهم لتعرف رايى ابنتها ولكنها وجدتها مرتبكه ولم تحدد رايها بعد ومازالت متردده فقالت لها عبير:

- خلاص يا ماما أحنا اتفقنا أنها تستخير الاول وبعدين نشوف

نظرت عزة الى والدتها وقالت برجاء:

- ماما انا عارفه انك انتى وبابا متحمسين لعمرو وبتحبوه بس من فضلكم متغطوش عليا وسبونى افكر على مهلى

قالت والدتها بدهشه :

- ومين قالك انى جايه اضغط عليكى..انا جايه اعرف رايك بس مش أكتر

عزة:يعنى بابا مش هيغط عليا علشان اقول رأى بسرعه؟

الام:لاء بالعكس ده هو اللى قالى أسيبك تفكرى براحتك وقالى انه مش مستعجل علشان عمرو لسه قدامه شويه على ما يجهز

نظرت لها عزة باستنكار وقالت بحنق:

- اومال لما هو مش مستعد دلوقتى مستعجل ليه وكان عمال يزن على بابا كل شويه

استندت والدتها الى ظهر السرير ورفعت حاجبيها وهى تقول مداعبه:

- أصله خايف حد تانى ياخدك منه.....

ضحكت عبير من اسلوب والدتها وطريقة القائها للعباره وشعرت عزة بالدماء تتصاعد لوجنتيها مرة اخرى...تباً لهذا العمرو الذى يدفع الدماء الى راسها بين الحين والاخر بكلماته سواء ألقاها هو ام ارسلها لها عن طريق غير مباشر

****

أنطفأت الانوار وخلد كلً الى فراشه وقد سكنت العيون ولكنها لم تستطع النوم جافاها النوم وعصتها عيناها فلم تستجب لها ظلت مفتوحة طوال الليل ...عبير...ولكن من هو الذى سيستنشق عبيرها المقيد بداخلها ومتى سيخرج للنور

...مابكى يا عبير لماذا تعانين ما هذه المرارة التى تشعرين بها ...بل وتتذوقينها على شفتيكِ ..لعلها مرارة الوحدة ..نعم هى ذاك..الوحدة التى تشعر بها رغم كل البشر حولها والاهل والجيرة الطيبه ..ولكن..هى أمرأة..أنثى رغم كل شىء..بداخلها طاقة حب لا تعرف كيف توجهها والى من تمنحها .هى أنثى أتمت الثلاثون من عمرها ومازال فراشها بارداً خالياً.. بل ومتجمد ولو أن لم تكن أختها تشاركها نفس الغرفه لشعرت انها ملقاة بالصحراء تكاد وحوش وحدتها تلتهمها وهى فريسة وحيدة...بلا مأوى ..فاين هى المأوى واين هو المستقر الدافىء ..نعم ملتزمه ومنتقبه ولكنها ليست متبلدة المشاعر ..متجمدة الحس..ليست جماد..ولكن ايضاً ترفض أن تكون ريشة بمهب الريح لتحركها الشهوات كيف تشاء فتذهب مترنحه وتعود خاوية...فتتلمس ركعتين فى جوف الليل تناجى ربها ..يارب عجلى الخلاص والمفر

الفصل العاشر

وقف عمرو أمام هذا المبنى الكبير الكائن فى أحد الأحياء الراقيه فى القاهرة وتنقلت عيناه بين اللافتات الكثيرة فى ذك المبنى ما بين لافتات عيادات أطباء كبار وبين شركات متنوعه أستيراد وتصدير ومقاولات وشركات هندسيه وهنا توقف نظره على أحدى الافتات الكبيرة والتى من الواضح أنها تحتل أكثر من ثلاثة طوابق فى المبنى الكبير ...مشى ببطء داخل

ردهة الشركة الهندسه الخارجيه يتأمل الفخامه والديكور المميز الذى يدل على ذوق رفيع وبذخ فى الانفاق..ظل يجول ببصره حتى سمع صوت أنثوى يقول بلباقة :

- أهلا وسهلا يا فندم أقدر أساعد حضرتك أزاى ؟؟

أنتبه على صوت السكرتيرة ونظر إليها متفاجأ وقال:

- هه..اه..أنا المهندس عمرو مصطفى عندى معاد النهارده مع صاحبة الشركة

أبتسمت السكرتيرة وهى ترفع سماعة الهاتف وتضغط أحد الازرار قائله :

- البشمهندس عمرو مصطفى وصل يا فندم

وضعت السماعه ونهضت واقفة وسارت أمامه وهى تشير للداخل قائله بروتينيه:

- أتفضل يا بشمهندس ...

فتحت الباب وأشارت له بالدخول وأغلقت الباب خلفه خطى عمرو داخل المكتب وهو ينظر الى تلك المرأه القابعه خلف مكتبها تنظر له بابتسامه وعينين متفحصتين...مدت يدها وصافحته قائله:

- أهلا وسهلا يا بشمهندس ..أتفضل أرتاح

ثم قامت بالتعريف بشخصها قائلة:

- أنا البشمهندسه إلهام مديرة الشركة

أبتسم عمرو وهو ينظر إليها جالساَ..كانت أمرأة فى العقد الرابع من عمرها شارف الزمان على طوى نضارة شبابها ولكن من الواضح أنها تعانده بشده وتصر على محاربة الايام بالازياء الحديثة التى لا تليق بعمرها والزينة المُتكلفة التى هى سلاحها الدائم فى هذه المعركة و من الواضح أنها قاتلت فيها باستماته فلم تخسر منها الكثير...

كانت نظرته إليها استكشافيه لم تخلو من الفضول ولكن نظراتها هى قد تبدو مختلفة ومتباينة أكثر وذات معنى لم يفهمه عمرو للتو...

وأخيراً تكلمت وهى تتصفح ملفه الخاص الذى بين يديها قائلة:

- ملفك عاجبنى أوى يا بشمهندس ..ماشاء الله تقديراتك حلوه أوى وخصوصا فى العملى..مش ناقصه غير الخبره بس ..ودى سهله اوى ..هنا هتتعلم كل حاجه وخبرتك هتبقى أكبر مما تتوقع

قال عمرو بتلقائية:

- أن شاء الله يا فندم ..أنا اصلا بتعلم بسرعه والشغل معاكوا هنا مكسب لاى حد لسه متخرج زيى

أبتسمت فى رضا وضغطت أزرار هاتفها قائله وهى عيناها لا تفارق عمرو :

- أبعتيلى البشمهندس صلاح بسرعه

أغلقت الهاتف وهى مازالت تتفحصه بابتسامتها العذبه ..شعر عمرو بالحرج فقال:

- طيب أنا ممكن استنى بره مش عاوز أعطل حضرِتك اكتر من كده

أنتبهت لعلامات الحرج التى ظهرت على ملامحه فعادوت النظر الى ملفه مرة أخرى وهى تغلقه قائلة

- البشمهندس صلاح هيجى دلوقتى علشان يوريك مكتبك ويعرفك على زمايلك فيه...طرق الباب ودخل المهندس صلاح ...رجل فى أواخر العقد الخامس من عمره يظهر عليه الوقار والنشاط فى نفس الوقت ..دخل وهو يرمق عمرو بنظرات خاليه من أى تعبير وقال موجهاً حديث لألهام:

- خير يا بشمهندسه

قالت بترفع وهى تشير الى عمرو:

- البشمهندس عمرو مهندس مدنى هيبدأ معانا من النهارده وهيبقى تحت مسؤليتك يا بشمهندس

أومأ براسه لها ثم نظر الى عمر بأبتسامه ودوده قائلاً:

-أهلا بيك يا بشمهندس أتفضل معايا

نهض عمرو شاكراً أياها وتوجه فى سرعه للخارج وكأنه يهرب من وحش نظراتها الملتهمه

دخل حجرة مكتبه بصحبة المهندس صلاح الذى قال :

- إن شاء الله الشغل معانا هيفيدك كويس اوى فى بدايتك يا بشمهندس ..رفع الزملاء نظرهم إلى القادم الجديد فأشار المهندس صلاح إليه قائلاً:

- البشمهندس عمرو هيبقى معاكوا فى المكتب من النهارده

ثم قام بتعريفهم لديه قائلا:

- البشمهندس أحمد،البشمهندس نادر

صافح عمرو زملاءه فى ترحاب شديد شعر به مع أحمد ولكنه شعر بعكسه تجاه نادر الذى صافحه ببرود وهو يبسم له بتهكم ..لم يوله عمرو أهتمام وجلسه خلف مكتبه وهو ينظر له وللكمبيوتر الخاص به بنشوة وسعادة ..كانت هذه هى المرة الاولى التى يشاهد فيها الكمبيوتر خارج أسوار الجامعه فهو لم يكن قد أنتشر فى هذا الوقت ليصل للجميع بعد......

هتفت أم يحيى بصوت اشبه للبكاء قائلة بلوعة:

- أنا خايفه على البنت يا ست أم فارس ..أنا حاسه كده أن مخها متأخر عن سنها ..مش زى زمايلها فى المدرسه ابدا

نظرت لها أم فارس بدهشة كبيرة وقالت :

- ما تصلى على النبى كده يا أم يحيى أيه الكلام اللى بتقوليه ده..مُهره ذكيه وكنت بشوفها وفارس بيذاكرلها بتجاوب لهلوبه

تكلمت أم يحيى بحنق شديد وقالت بأنفعال:

- أومال ليه كل ما اقعد أقولها سمعى ولا أخلى أخوها يسألها سؤال مبترضاش تجاوب ..وغير كده البت زى ما تكون عبيطه كده وشعنونه مش عارفلها حاجه

وضعت أم فارس يدها على صدرها وقطبت جبينها قائله:
- عبيطه!!! بقى مهره عبيطه..لاء ده انتى شكلك متعرفيش بنتك كويس بقى....قاطعها ان سمعت صوت قرع جرس باب الشقه فنهضت وفتحت الباب وقالت بترحاب شديد:

- أهلا يا عزة يابنتى تعالى

وقفت أم يحيى لمصافحة عزة ثم قالت بحرج :

- طب استأذن أنا بقى يا ست أم فارس

جلست أم فارس بجوار عزة وقالت بحنو:

- ها يا حبيبتى تشربى معايا قهوة ولا اجيبلك حاجه تانيه

تمسكت عزة بذراعها قبل أن تنهض وقالت بسرعه:

- لا يا طنط أنا مش غريبه وبعدين انا ماشيه على طول ..ثم تنحنحت بحرج قائله:

- أنا بس كنت عاوزه أخد رايك فى حاجه كده

- خير يا عزة شكلك كده فى حاجه مهمه

شعرت عزة بأضطراب شديد أبتلعت ريقها بصعوبه وقالت:

- بصراحه يا طنط أنا جايه أخد رايك فى عمرو..أصلك ياعنى أتعاملتى معاه عن قرب اكتر مننا بحكم انه صاحب فارس من زمان يعنى

أبتسمت أم فارس وهى تنظر لعزة المطرقة براسها لاسفل..فهى تعلم أنها ما ارادت رايها وأنما أرادت راى فارس ..مازالت متعلقة بلأمل مازالت ترغبه ...تود أن يقول لها لا تتزوجيه أرفضيه فسأصبح لكى فى يوم من الايام ..

أفاقت أم فارس من شرودها على صوت المفتاح يدور فى باب الشقه ورأت فارس يدخل ويغلق الباب خلفه مبتسماً لهما وهو يقول:

- السلام عليكم ..أزيك يا عزة

أبتسمت عزة وهى تنهضت واقفة فى حرج وقالت:

- وعليكم السلام أزيك أنت يا فارس أخبارك أيه

تعجبت عزة أنه لا ينظر إليها وهو يحادثها ولكن قلبها خفق بشدة واصفر وجهها حينما سمعته يقول:

- ولا بلاش يا ستى أناديكى بأسمك كده لعمرو يزعل ولا حاجه ..أنا بعد كده هقولك يا مدام عمرو بقى وأخلص ..

أخذت حقيبة يدها بضيق وهى تعلقها على كتفها وتقول بتبرم:

- أنا لسه مبقتش مراته علشان تقولى مدام عمرو ..ثم أنحنت وقبلت أم فارس بسرعه وقالت لها وهى على عجلة من أمرها:

- معلش يا طنط اصلى أفتكرت حاجه مهمه عن اذنك

وخرجت سريعا وكأنها تهرول من بيته ..لا بل تهرول من صدى صوته التى مازال يتردد على مسامعها بكلماته التى أغضبتها وجعلتها تحسم أمرها سريعاً ..فلم تعد فى حاجه الى أن تستمع لرأيه فى شأن خطبتها من عمرو ..لقد أجابها دون سؤال

نظر فارس إلي والدته وهو يقترب منها متسائلا وقال:

- فى أيه يا ماما مالها عزة ؟!!

قالت والدته وهى تربت على كتفه :

- مفيش حاجه يابنى أدخل أنت غير هدومك على ما أحضرلك الغدا

دخل فارس غرفته ليبدل ملابسه ويلتقط انفاسه قليلا من عناء العمل بينما دخلت والدته المطبخ لتعد طعام وهى واجمة وتحدث نفسها قائلة فى شرود:

- وبعدهالك يا عزة هتفضلى متعلقه بحبال الهوا الدايبه لحد أمتى يابنتى ..والله لو كان عليا ماكنتش أسيبك ابداً لكن النصيب بقى

****

فى اليوم التالى وفى المساء صدح رنين الهاتف فى منزل عمرو ..قامت والدته للرد على الهاتف ..تحدثت فى سعاده كبيرة وبعد أن أنهت المكالمه أتجهت الى حيث يجلس عمرو ووالده وأخيه محمود وقالت بابتهاج تبشرهم:

- مبروك يا عمرو يا حبيبى عزة أستخارت ربنا ووافقت وعاوزنا نروح علشان نتفق على معاد الخطوبه والذى منه

أتسعت عيني عمرو فرحاً وهو ينظر لوالدته قائلاً:

- بجد يا ماما عزة وافقت عليا

قالت والدته بزهو:

- هما كانوا هيلاقوا أحسن منك فين يا بشمهندس

ربت والده على كتفه قائلاً:

- مبروك يابنى

ألتفت عمرو أليه وعانقه بشده وهو يقول:

- يا حبيبى يا بابا

تأوه والده من عناقه المؤلم ودفعه عنه قائلاً:

- فى ايه يا بنى هو حد قالك انى مش أبوك ولا ايه

ضحك أخيه محمود وهو يقول بعبث:

- ومالك فرحان كده ليه ده أنت هتخش القفص برجليلك يا حلو

أمسكه عمرو من خديه مداعباً هو يقول:

- خاليك فى الثانويه الجملى بتاعتك دى

ثم قبض كفيه وهو يشبكهما فى بعضهما البعض وينظر اليهم جميعا بسعاده ويقول:

- الحمد لله ربنا حققلى أغلى حاجه كنت بتمناها

ثم جلس بجوار والده وهو يقول بحرج:

- بابا حضرتك عارف طبعا انى أستلمت شغلى الجديد وأن شاء الله مرتبى هيبقى كويس أوى البشمهندس صلاح طمنى من الناحيه دى

قاطعه والده وهو يتفحصه قائلا:

- عاوز تقول ايه هات من الاخر

قال عمرو بسرعه:

- والله يا بابا هردهوملك أول ما اقبض

ألتقت نظرات والده بوالدته الحائرة فقال فى ثقه :

- متقلقيش يا أم عمرو أنا عامل حسابى ...

ثم نظر الى عمرو وقال مطمئناً

- متحملش هم أنا كنت عامل حساب اليوم ده من فتره وشبكة عزة عندى

****

كان الجميع يعمل فى صمت كلُ يرتب أوراقه ويدون ملاحظاته عليها حتى وضع فارس قلمه على مكتبه وأغلق أوراقه ثم مسح وجهه بكلتا يديه مزيلاً لآثار التعب والارهاق البادى على وجهه وقال موجهاً حديثه ل حسن:

- يالا يا حسن علشان ننزل نصلى العشاء

رفع الجميع راسه إليه وقال حسن:

- هبقى أصليها لما أروح البيت يا فارس متحبكهاش كده العشاء ممدوده

نهض فارس وأتجه إليه واغلق الملف أمامه وقال باصرار:

- افضل وقت العشاء قبل الثلث الاول ما ينتهى وبعدين أنت كده هيفوتك ثواب الجماعه يالا بقى نلحق الاقامه فى المسجد

نهض حسن على مضض وهو يقول:

- أمرى لله أدينى قايم يا سيدى

قالت نورا بأبتسامه رقيقه:

- طب وأحنا يا أستاذ فارس مش المفروض نصليها دلوقتى ولا ايه

قال فارس دون أن ينظر إليها :

- لو قفلتوا الباب وضامنين محدش يدخل عليكم صلوا لكن لو ممكن حد يدخل ويشفكم وأنتوا راكعين ولا ساجدين يبقى تستنوا لما تروحوا البيت أحسن ...على رأى الشيخ حسن العشاء ممدوده...

نظرت لها دنيا بغيرة واضحه مخلوطه ببعض التهكم وأنتظرت حتى خرج فارس وحسن ثم قالت:

- بقيتى تهتمى أنتى يا نورا بمواعيد الصلاه وكده

التفتت إليها نورا بدهشه قائلة:

- أنا بهتم بيها من زمان ..أنا بصلى من زمان الحمد لله

أبتسمت دنيا ابتسامة صفراء وهى تعيد نظرها للأوراق مرة أخرى

كان باسم يعلم ميعاد خروج فارس من المكتب لذهابه لاداء فريضة العشاء فى المسجد ..أنتظر حتى تأكد من ذهابه ثم أرسل فى طلب حضور دنيا إلى حجرة مكتبه..حضرت إليه كما أراد فاشار لها بالجلوس أمامه وفاجأها قائلاً:

- كل سنه وأنتى طيبه يا دنيا مش عيد ميلادك النهارده برضه

نظرت إليه بدهشه قائله:

- وحضرتك طيب بس عرفت ازاى أن عيد ميلادى النهارده

قال بثقه زائدة:

- اللى بيهتم بحد ..بيحب يعرف عنه كل حاجه

أخرج علبه متوسطة الحجم من درج مكتبه وقدمها لها قائلاً:

- أتفضلى هديتك

نظرت إلى العلبه مندهشه ولمعت عيناها من المفاجأة وقالت:

- ايه ده تليفون محمول مره واحده

علت الابتسامه شفتيه وهو يقول:

- ده اقل حاجه ممكن تتقدملك..قال عبارته هذه وهو يتفحصها بجرأته المعهوده

شعرت بالخجل من نظراته وقالت بأرتباك :

- بس انا اسمع أنه بيبقى مع رجال الاعمال بس علشان شغلهم يعنى ..أنا بقى هعمل بيه أيه

- لا ده كان أول ما نزل مصر بس دلوقتى أبتدى ينتشر شويه وبعدين يا ستى علشان لما أحب أطمن عليكى ...أصلك لسه مردتيش عليا فى موضوع الشغل وأنا خلاص يومين وماشى من هنا وعاوز أعرف أكلمك وقت ما أحب

لم تكن كلماته تحمل معنى آخر نظرت الى العلبة بين يديها سعيدة بها وحائرة هل تقبلها أم لا إنها هدية ليست بالبسيطه وفى نفس الوقت ماذا ستبرر ذلك لفارس ...وكأنه قرأ أفكرها التى ظهرت جلية فى عينيها وهى تنظر للعلبه فقال باصرار:

- أنا مش هتنازل عن أنك تقلبيها ..ألتفتت أليه فقال:

- وبعدين يا ستى لو خايفه من الاحراج مش لازم تقولى أنى أنا اللى ادتهولك ..وكأنه أعطاها المخرج من تلك الورطه فابتسمت وهى تقول:

- متشكره أوى يا أستاذ باسم على الهدية القيمه دى الحقيقه دى أغلى هديه جاتلى فى عيد ميلادى

مد يده ليصافحها قبل أن تخرج وضغط على كفها بين كفه برقه وقال:

- دى حاجه بسيطه بالنسبه للى جاى لو وافقتى تشتغلى معايا

أبتسمت بأرتباك وتوتر وهى تسحب يدها من يده ببطء قائله بخفوت:

- هشوف كده ربنا يسهل

خرجت دنيا من حجرة مكتب باسم مسرعة وهى تخشى أن يكون قد عاد من صلاة العشاء ولكنها أسترخت وهى لا ترى فى الحجرة سوى نورا فقط والتى كانت منكبه على عملها بأهتمام

حشرت العلبة فى حقيبه يدها عنوه ووضعتها تحت مكتبها الخاص حتى لا تلفت الانتباه بأنتفاخها وواصلت عملها بنظرات زائغه وكأن شيئا لم يكن

عاد فارس وحسن من صلاة العشاء وجلس كل منهم خلف مكتبهم ولكن نورا لم تنسى تحييه بابتسامه قائله:

- تقبل الله

- منا ومنكم

نظر حسن الى الجميع بأهتمام وقال وكأنه سيدلى بمعلومه سرية:

أنتوا عرفتوا يا جماعه أن الاستاذ باسم هيسيب الشغل هنا ويفتح مكتب خاص بيه

قال فارس دون أن يرفع نظره إليه وكأن الامر لا يعنيه:

- أيوا عارفين ربنا يصلح حالنا جميعا

قالت نورا بأهتمام :

- تفتكروا مين اللى هيمسك أدارة المكتب مكانه يا جماعه

أكمل حسن حديثه وكأنه لم يستمع إليها قائلا:

- طب عارفين أنى هروح معاه

نظر له فارس بأستنكار وقال:

- ليه يا حسن أنت هنا بتاخد خبره أكبر وبتتعلم من الدكتور حمدى

قال حسن بتهكم وهو يشير الى حجرة باسم:

- وهناك هاخد فلوس أكتر

ردت دنيا بحماس وكأنها قد وجدت من يعينها ويفكر مثلها:

- برافو عليك ده تفكير منطقى جداااا

ألتفت فارس بأستنكار وقال بضيق:

- تفكير منطقى أزاى يعنى ..الفلوس مش كل حاجه

أومأت نورا موافقه لكلامه وقالت:

- ده صحيح الخبره مستقبلها اكبر من المرتب بكتير ..ثم ألتفتت الى حسن وهى تتابع حديثها:

- وبعدين يعنى الفرق مش هيبقى كبير

عقد حسن ذراعيه أمام صدره وقال مخالفا:

- ولو جنيه واحد زياده هيفرق معايا...وبعدين أنتوا مش ملاحظين ان الشغل هنا ابتدى يقل ..وأخفض صوته وهو يستطرد قائلا:

- والدكتور كمان مبقاش يجى كتير

قال فارس بأنفعال:

- ده علشان الدكتور مبيقبلش قضايا المخدرات والقضايا المشكوك فيها يعنى على الاقل يا أخى ضامن ان مرتبك من فلوس حلال

أبتسم حسن بسخريه وهو يفتح ذراعيه قائلا:

- أهلا الشيخ فارس وصل

هب فارس واقفا بغضب واشار له محذرا وقال:

- ألزم حدودك معايا يا حسن وأتكلم باسلوب أحسن من كده

وقفت نورا مسرعه وهى تقول منفعله:

- أيه يا أساتذه صلوا على النبى كده وأهدوا ..كده صوتنا هيوصل للدكتور

أسندت دنيا رأسها الى كفيها وهى تنظر إليهم مشتتاً أفكارها وهى تقول فى نفسها:

- أومال لو قلتله أنى عاوزه أروح أشتغل معاه هيعمل فيا أيه

أوت إلى فراشها ليلاً وهى تمسك بالهاتف النقال فى يد وبالكتالوج فى اليد الاخرى محاولة فك طلاسم هذا الهاتف وهى تتمتم بسخريه:

- ايه الجهل اللى أنا فيه ده

وفجأه صدح رنينه بين يديها تفاجأت وهى تنظر لاسم باسم تضى به شاشة هاتفها وهمهمت قائله:

- انا مسجلتش اسمه ..معقوله يكون مديهولى وهو مسجل اسمه عليه

ترددت لبرهه ثم قررت الرد وقالت بصوت متلعثم:

- الو

- ها التليفون عجبك

- اه جميل بصراحه..ميرسى اوى

- مبروك عليكى ...طيب يا ستى أنا قلت بس أقولك تصبحى على خير

- وأنت من أهله

أغلقت الهاتف وهى تنظر له وتقلبه بين يديها وهى واجمةً وتفكر فى الخطوة القادمه

كيف ستفاتح فارس فى الامر وكيف ستكون ردة فعله تجاهها

****

أستيقظ فارس قبل الفجر بساعه وهو يمد يده ويطفىء ساعته المنبهه التى تصدح يوميا فى مثل هذا الموعد معلنةً عن وقت صلاة القيام ...تململ فارس فى فراشه وهو يشعر بأجهاد شديد وكأنه لم ينم الا منذ لحظات قليله معدودة ولكنه جاهد نفسه وهب واقفاً بدون تفكير حتى لا يفكر فى العودة الى النوم مرة اخرى ويغلبه كسله وأجهاده ...توضأ وعاد الى غرفته جلس وهو ممسكاً بالمصحف وقرا ورده الليلى منه ولكنه شرد بعقله وهو يفكر فى عمله ولا يعلم لماذا راودته صورة وهو فى حجرة مكتبه بين دنيا ونورا..فشعر بالاستنكار لهذه الصورة وبانقباض قلبه لها ..كيف أجلس كل هذا الوقت بين فتاتين وخصيصا أن حسن هو الاخر سوف يترك المكتب للعمل مع باسم هذا سيكون مدخل من مداخل الشيطان ومدعاة للفتن ..كيف لم يفكر فى هذا الامر من قبل لماذا لم يطلب من الدكتور حمدى سابقا ان يفصل بين النساء والرجال فى مكتبه

كيف تجلس النساء كل يوم كل هذه الساعات من العمل بصحبة الرجال الزملاء فى العمل ..من الاكيد سيحدث أعتياد وألفه وترى المرأة زميلها فى صورة متالقه غير التى ترى بها زوجها فى البيت يوميا وكذلك سيفعل الرجال سيرون زملايتهم فى ابهى صورة يوميا.. من

الملابس وطريقة المعاملات واسلوب الكلام غير التى يرى بها زوجته فى المنزل رغم أن الفارق كبير ..فهذه فى عملها وهذه بأطفالها ومسؤلياتها ولكن

الشيطان لن يقول لهما هذا... أنما سيجمل زميلته وزميلها فى عينيهما وسيصور لهما أنهما الافضل والاجمل وسيطفى عليهما صفات خياليه أخرى تجعل الالفه والاعتياد لهما مفهوما اخر

وضع المصحف جانباً ووقف يصلى القيام واطال فيه حتى ركع وأطال فى الركوع حتى سجد ولاول مره يشعر بسجود قلبه مع سجود جبهته أطال السجود وهو يشعر بحلاوته التى يتذوقها بقلبه وجوارحه أغمض عينيه وهو يدعو لا يريد ان يفارق تلك السجدة التى وجد حلاوتها ابدا فهى له الدنيا بما فيها ووجد نفسه يدعو..اللهم جنبنى الفتن ما ظهر منها وما بطن ،اللهم أكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك ،اللهم خذ بيدى إليك أخذ الكرام عليك

لم يستطع أن يرفع راسه ابدا الا عندما سمع صوت أذان الفجر ينتشر فى الارجاء ..أنهى فارس صلاته وقد قرر ان يفاتح الدكتور حمدى فى امر فصل الرجال عن النساء حين عودتهم للعمل

****

دخلت والدتها لتوقظها فى الصباح فوجدت الهاتف النقال بجانبها فأخذته وظلت تنظر إليه بأمعان وتتفحصه وباليد الاخرى توقظ دنيا وتهزها هاتفتاً بها:

- قومى يا دنيا ايه اللى جاب التليفون ده معاكى

نهضت دنيا متكاسله وهى تتثائب فتحت عيونها فوجدت امها تمسك هاتفها النقال بين يديها وتقلبه متسائلة:

- بتاع مين ده يا دنيا

أنتزعته من يد والدتها وهى تقول برجاء:

- الله يخليكى يا ماما مش عاوزه بابا يعرف ليقعد يحقق معايا وجبتيه منين ومجبتيهوش منين

نظرت لها والدتها بشك وقالت:

- وانا يعنى مش هسألك

قبلتها دنيا على وجنتها وقالت :

- انتى مامتى حبيبتى مش هتعقديلى الدنيا زى بابا

أبعدتها والدتها عنها قليلا وبرفق قالت:

- طب جاوبينى مين اللى أدهولك

- أستاذ باسم مدير المكتب اللى حكتلك عنه قبل كده أنه عاوز ياخدنى معاه مكتبه

- وجابهولك بمناسبة ايه ده

- بمناسبة عيد ميلادى يا حبيبتى

صمتت والدتها قليلا فقالت دنيا متوتره:

- ايه يا ماما سكتى يعنى

- مش عارفه مش مرتاحه

عانقتها دنيا وقبلتها مرة أخرى وهى تنهض من الفراش قائله بثقه:

- متقلقيش يا حبيبتى انا عارفه انا بعمل ايه كويس وبتعامل مع الناس أزاى

نظرت والدتها إليها وقد خرجت من الغرفه ثم ألتفتت الى الهاتف الملقى على الفراش وشردت تماما ولاول مره تشعر بالقلق حيال تصرفات ابنتها

****

ويوم الخميس وفى المساء كان منزل عزة مهيأ لتلك المناسبه المبهجة للأسرتين حفلة خطوبة عزة وعمرو

كانت الحفله بسيطه ينعزل فيها الرجال عن النساء نوعا ما فالنساء فى الصالون والرجال فى الخارج يفصل بينهما بابا لا يكاد ينغلق من كثرة الحضور..لذلك أحتفظت عبير بنقابها حتى لا يراها احد دون أن تشعر

لم يكن هناك شخص أسعد منه فى تلك اللحظه..اللحظة التى طوق خاتم خطبته اصبعها وأخيرا اصبحت خطيبته واخيرا اصبحت له...لم يكن بحاجه الى التعبير عن سعادته فلقد

تكفلت عيناه بهذا الامر مما جعل عزة تشعر بتأنيب الضمير لانها لا تبادله نفس مشاعره ولا حتى جزء منها غير الاحترام وفقط

كان فارس يجلس مع الرجال فى الخارج وفجأة شعر بمن يهزة من الخلف نظر خلفه فوجد مُهره ابتسم كعادته كلما رآها واستدار إليها فى جلسته ودون ان يقف فأقتربت من اذنه وهى تشير الى محمود أخو عمرو وهى تقول :

- ألحق يا فارس الواد الرخم ده بيضايقنى

نظر فارس إلى حيث تشير ثم نظر إليها مرة أخرى متعجباً وقال:

- بس هو شافك أزاى اصلاً علشان يضايقك

نظرت له بغضب ومطت شفتاها وقالت:

- انت كمان بتتريق عليا ماشى يا فارس

قال مداعباً:

- طب متزعليش بقى خلاص انا هقوم أكسرلك عضمه ..ثم حك ذقنه وهو يقول:

- بس قوليلى هو ضايقك ازاى يعنى خد منك حاجه

حركت راسها نفيا وقالت:

- لاء بيقولى شعرك حلو اوى

نظر لها بدهشه ثم تصنع الجديه والغضب وهب واقفا وهو يقول:

- طب استنى هنا انا هروح أكسرهولك

تقدم فارس من محمود أخو عمرو وهى تتبعه كظله وقال مداعباً له :

- أنت يا أخ أنت بتعاكس خطيبتى ليه

ضحك محمود وهو يقول:

- خطيبتك ايه يا ابيه فارس بقى الاوزعه دى خطيبتك

صاحت مُهره من جواره بغضب:

- بس متقولش أوزعه

أمسكه فارس من شعره كما يفعل به دائما كلما رأه وقال له:

- عارف لو شفتك بضايقها تانى هعمل فيك ايه ..هحلقلك شعرك اللى فرحان بيه ده زلبطه

ثم ألتفت الى مُهره واشار لها آمراً وقال بجديه :

- اتفضلى يا هانم اقعدى جوه مع الستات ايه اللى مطلعك وسط الرجاله

أستدارت مُهره وهى تنظر الى محمود بانتصار وشماته ودخلت عند النساء كما أمرها فارس

قال فارس لمحمود:

- أنت من صغرك كده هتقعد تعاكس البنات اومال لما تكبر شويه هتعمل ايه ..وبعدين ملقتش الا مُهره يعنى دى تجرسك فى كل حته يابنى

قال محمود : بصراحه يا ابيه فارس أنا ناوى اخطبها لما تكبر

-والله ..وانت بقى هتستناها لما تكبر

- وفيها ايه يا ابيه انا رايح تانيه ثانوى وهى رايحه تانيه أعدادى يعنى قريبين من بعض

أمسكه فارس من كتفه وقال بجدية:

- بقولك ايه يا محمود أنت فى مرحله حرجه دلوقتى يعنى تركز فى مذاكرتك أحسن يابنى علشان تعرف تدخل كليه محترمه..وبعدين يعنى اشمعنى مُهره دى شعرها أطول منها

- ماهو ده اللى عاجبنى فيها يا ابيه

كتم فارس غيظه وهو ينظر إليه شاعرا بتفاهته وقال:

- هو انا واقف معاك ليه اصلا ..ودفعه قائلا :

- امشى يلا من هنا

وقفت أمرأة بجوار عبير عن قصد وقالت بتشفى :

- عقبالك يا حبيبتى

نظرت لها عبير بود وقالت :

- جزاكى الله خيرا يا طنط عقبال بناتك يارب كده لما تفرحى بيهم

ضحكت المرأة وهى تنوى أغاظتها وقالت:

- بناتى ..انا بناتى أتجوزوا من زمان يا حبيبتى مفيش واحده فيهم قعدت لبعد العشرين ..عقبالك انتى بقى

صمتت عبير ولم ترد فقد شعرت فى نبرة المرأة شىء غير مريح فآثرت الصمت حتى لا تحدث مشكله تعكر صفو خطبة اختها ولكن المرأة لم تصمت ولم تتوقف وقالت:

- الا أنتى عديتى التلاتين ولا لسه يا عبير

بدون شعور منها وجدت العبرات طريقها الا عينيها حاولت منعها حتى لا تشمت بها تلك المرأة أكثر فرفعت يدها وأنزلت البيشه على عينيها فوق النقاب وهى تقول:

- لا لسه يا طنط عن أذنك

مرت بهدوء لتخرج من غرفة الصالون ولكن والدتها نادت عليها قائله :

- اطلعى يا عبير هاتى صندوق حاجه ساقعه من بره البقال باعتهم على السلم

خرجت بسرعه فى طريقها للباب الخارجى للشقه وهى تحاول دفع دموعها للتراجع ولكن بلا جدوى حتى أنعدمت الرؤيا تماما لديها وأختل توازنها وهى تحاول حمل الصندوق ولم تشعر بشى ألا وهى تسقط من اعلى درجات السلم وفقدت الوعى تماما ..

****

الفصل الحادي عشر

وقفت عزة فى حضن والدتها تبكى بمراره ولم تكن أمها بها من القوة ما يجعلها تخفف عنها كل ما استطاعت أن تفعله هو أن تدعو الله بقلبها ألا تكون عبير قد اصابت بسوء ...أقترب عمرو منهما وقال لعزة بعتاب :

- مش كده يا عزة المفروض أنتى اللى تقوى مامتك وتخففى عنها

بكت عزة بقوة أكبر وهى تقول :

- مش قادره أمسك نفسى يا عمرو خايفه على عبير أوى

خرج الطبيب من حجرة الكشف وتبعته الممرضه تدفع الترولى أمامها التى رقدت عبير فوقه ما بين النوم واليقظه قال الطبيب فى عجلة من أمره

- مش كده يا جماعه وسعوا شويه لازم أعملها اشعه على رجلها حالا

تشبث والدها بالطبيب وقال بصوت متهدج وهم يسرعون خلفه:

- طب طمنا عليها طيب قولنا أى حاجه

طمأنهم الطبيب قائلاً:

- متقلقوش هى كان مغمى عليها من اثر الوقعه وانا فوقتها والالم كله فى رجلها هنعمل الاشعه ونشوف

ربت فارس على كتفه من الخلف مطمئنا وقال :

- متقلقش ان شاء الله خير ..ثم اشار الى الجميع قائلا:

- تعالوا طيب اقعدوا فى أستراحة المستشفى لحد ما تخلص الاشعه

قالت الام بعصبيه:

- استراحه ايه ومين ليه نفس يستريح ودونى عند أوضة الاشعه دى عاوزه أعرف بنتى مالها

أومأ فارس براسه متفهما وقال محاولا أحتواء الموقف:

- طيب مفيش مشكله تعالوا نستناها هناك

أسرعت الام السير وهى مازالت متشبثة بذراع عزة التى كانت تحث الخطى بجوار أمها ووالدها ...أنحنى عمرو على أذن فارس خلفهم وقال بأعتذار:

- متزعلش يا فارس أنت مقدر طبعا الحاله اللى هى فيها

نظر له فارس معاتبا وقال:

- ايه اللى بتقوله يا ده عمرو ...طبعا مقدر وفاهم الله يكون فى عونهم

أنتظر الجميع فى الخارج حتى خرج إليهم الطبيب وهو يحمل صور الاشعه وقد ظهرت على وجهه علامات البشرى وقال:

- متقلقوش يا جماعه الموضوع مش خطير الحمد لله

قال الاب بلهفه:

- يعنى مفيهاش حاجه يا دكتور طمنا الله يخليك

وقف الطبيب امامهم يحاول ان يخفف من وقع كلماته وقال:

- بصوا يا جماعه وقعه زى دى كانت ممكن تأذى العمود الفقرى لكن الحمد لله العمود الفقرى كويس محصلش كسور غير فى الرجل اليمين

ضرت أمها على صدرها وشهقت وهى تقول:

- بنتى رجلها أتكسرت

ربتت عزة على كتفها وهى تكفكف دموعها قائله:

- الحمد لله يا ماما أنها جات على قد كده بيقولك العمود الفقرى كان ممكن يتاذى

تابع الطبيب قائلا:

- أحنا دلوقتى هنحط الجبس ومش أقل من 3أسابيع علشان نشيله وبعديه كمان هنبدأ فى العلاج الطبيعى برضه مش اقل من شهر

شعر الاب بوهن شديد ووخذ فى صدره ولكنه تماسك وقال بضعف:

- يعنى دلوقتى هى هتتجبس ونروح على البيت ولا ايه

الطبيب: لازم تبات هنا يومين على الاقل وبعدين تاخدوها وتروحوا بالسلامه

خرجت الممرضه تدفع عبير أمامها وما أن رأتها والدتها ملقاه على الترولى وهى مستقيظه حتى أندفعت أليها وأوقفت الممرضه وهى تقول لها بلوعه:

- حمد لله على سلامتك يابنتى ياريتنى ما كنت قلتلك اطلعى هاتى الصندوق من بره

كانت عبير تشعر بالالم فى جميع انحاء جسدها من اثر السقطه التى سقطعها من أعلى السلم حاولت أن تخرج صوتها متماسك ولكنها لم تنجح بشكل كامل فى ذلك وقالت :

- متقلقيش يا ماما انا كويسه قدر الله وماشاء فعل أدعيلى أنتى بس..لم تلاحظ عبير وجود عمرو وفارس لم تكن ترى الا امامها فقط فقالت لوالدها

- بابا فى حد شافنى

قالت عزة حانقه:

- انتى فى ايه ولا فى ايه يا عبير دلوقتى

أعادت عبير سؤالها مره اخرى على والدها فقال :

- متقلقيش يا بنتى وشك كان متغطى لحد ما جيتى المستشفى ودخلتى اوضه الكشف

قالت الممرضه وهى تدفع الترولى مرة اخرى :

- يا جماعه كفايه كده الدكتور مستنى لما تخلص ابقوا أتكلموا زى ما أنتوا عاوزين

سار الجميع خلفها مرة اخرى وسمعوا عبير تسأل الممرضه قائله:

- هو انا كان مغمى عليا ؟؟

قالت الممرضه وهى تسير بسرعه:

- ايوا

- مين اللى فوقنى ..؟؟

- الدكتور

- كشف وشى ؟؟

- طبعا أومال هيفوقك ازاى

شهقت عبير وهى تضع يدها على وجهها وبدأت فى البكاء وهى تسترجع قائله:

- إنا لله وإنا إليه راجعون لا حول ولا قوة الا بالله

تقدمت والدتها وقالت بلهفه:

- مالك يا بنتى حاسه بألم ولا حاجه

قالت عبير من بين دموعها:

- ياريت تيجى على ألم رجلى يا ماما الدكتور شاف وشى ولسه طبعا علشان يجبس رجلى لازم هيشوفها ويمسكها لا حول ولا قوة الا بالله اللهم أنك تعلم اننى لا ارتضى وذلك ولكنى مكروهه عليه

تركت الممرضه الترولى وفتحت باب غرفة الطبيب ثم عادت مره اخرى لتدفع الترولى داخلها ولكن عبير استوقفتها قائله :

- والدى هيدخل معايا

تقدم والدها وهو يقول:

- متقلقيش يا بنتى انا جاى معاكى

قالت الممرضه بأصرار:

- مينفعش حد يكون موجود وبعدين ما انا معاكى يا ستى

قالت عبير بحسم:

- لو والدى مدخلش معايا مش هدخل ومش هجبس رجلى

خرج الطبيب الذى كان يستمع إليهم وقال:

- طيب خلاص سبيه يدخل معاها مش مشكله

دخلت هى ووالدها وأغلق الباب جلست عزة بجوار والدتها وقد تحسنت حالتهما كثيرا

ووقف عمرو بجوار فارس الذى كان يستمع الى كل تلك الحوارات وشعر بالاعجاب الشديد حيال عبير وتصرفاتها ...سار قليلا الى آخر الممر حتى وصل للنافذة المطله على حديقة المشفى

وأتكأ إلى السور فراى بعض أهالى المصابين يخرجون من المشفى متوجهين للخارج ومن بينهم بعض الفتيات الاتى يرتدين الملابس الضيقة منها والمفتوحة نوعا ما فشعر بالدهشه وهو يغض بصره عنهن وقال:

- سبحان الله واحده رجلها مكسوره وبتتألم ألم محدش يعرفه غير اللى حصله كسر قبل كده ورغم كل ده حريصه على ان محدش يكون كشف وشها ولا شافها ومضايقه ان الدكتور هيشوف رجلها المسكوره وهيجبسها وبتعيط ..رغم انها فى حالة ضروره ومفيش قدامها

حاجه تانيه...وبنات تانيه نازلين من بيتهم بارادتهم ايديهم ورجليهم مكشوفين سواء بالعريان او الضيق اللى مجسم جسمهم ..وعادى جدا مش حاسين بأى حاجه ولا بأى مشكله ثم ابتسم بسخريه وهو يتمتم:

- لا و الواحده منهم لما تيجى تكلمها تقولك منا محجبه أهو.. زى ما يكون حد قالها الحجاب أنك تغطى شعرك وتعرى جسمك ..صحيح والله هناك نساء وأشباه نساء .....فى هذه اللحظه تذكر خطيبته دنيا وعزم على أمر ما بداخله

****

أنهى باسم جميع متعلقاته فى مكتب الدكتور حمدى مهران وتركه نهائياً وأخذ معه حسن للعمل معه فى مكتبه الخاص وفى نفس اليوم دخل الدكتور حمدى المكتب ولكنه لم يذهب مباشرة الى مكتبه وانما مره بالحجرة الاخرى الخاصه فارس ونورا ودنيا ..أطل براسه وقال موجهاً حديثه لفارس:

- تعالالى يا فارس شويه عايزك

نهض فارس واقفاً وذهب خلف الدكتور حمدى وترك دنيا ونورا تنظران اليه وعلامات الاستفهام تطل من اعينهما بوضوح..دخل حجرة مكتب الدكتور حمدى خلفه وسمعه يقول وهو يجلس خلف مكتبه:

- اقفل الباب وراك يا فارس

أغلق فارس الباب خلفه وجلس قبالته وهو ينظر إليه بأهتمام وهو يتوقع التكليف بقضية مهمه من ضمن القضايا التى يكلفه بها ولكنه فوجئْ به يقول:

- أنت هتمسك ادارة المكتب مكان الاستاذ باسم

أتعست عيناه دهشة فهو لم يكن يتوقع ابدا أن تسند إليه مثل هذه المهمه فى هذا التوقيت المبكر

وقال:

- ايوا يا دكتور بس ..

قاطعه الدكتور حمدى قائلا بجديه :

- انت طلعت كارنيه ابتدائى ولا لسه ؟؟

أومأ فارس براسه وقال:

- ايوا طلعته

فقال الدكتور حمدى:

- مبروك يا سيدى عقبال الاستئناف والنقض كمان..ثم اردف متابعاً:

- متقلقش من حاجه الموضوع اصلا مش محتاج حاجه يعنى مش مسؤليه زى ما انت فاهم وبعدين القضايا مبقتش كتير زى ما أنت شايف

أطرق فارس براسه لبرهة من الوقت صمت خلالها يفكر ثم رفع راسه وقال:

- بس أنا مش اقدم واحد فى المكتب فى ناس أقدم مني

ابتسم الدكتور حمدى وهو يقول بثقه:

- بس انا بثق فيك أنت...

ثم نظر امامه وكانه شرد قليلا وهو يقول:

- وبعدين انا بحضرك لحاجه كبيره بس مش دلوقتى

حاول فارس أن يتكلم متسائلا عن الامر ولكنه قاطعه مرة اخرى قائلا:

- رسالة الماجيستير قدامها قد ايه وتخلص

فكر فارس قليلا وكأنها يجمع الاوراق امام عينيه وقال:

- ان شاء الله كام شهر وأنتهى منها

هز راسه مبتسماً وهو يقول:

- طب يالا بقى على مكتبك الجديد..

خرج فارس من حجرة الدكتور حمدى بمشاعر مضطربه ما بين السعادة والخوف من المسؤليه الكبيرة التى ألقاها أستاذه على كاهله ووجد نفسه يهتف داخله متضرعاً:

- يارب وفقنى أنا محتاجلك اوى يارب

دخل حجرته فنهضت دنيا على الفور تقول متسائله:

- خير يا فارس الدكتور كان عاوزك ليه

ابتسم فارس وهو يأخذ نفساً عميقا ثم قال:

- الدكتور كلفنى بأدارة المكتب بدل الاستاذ باسم

شهقت دنيا فرحاً وهى تضع كفيها على وجنتيها وهتفت بسعادة:

- معقوله ..ألف مبروك يا حبيبى

نظرت إليه نورا بعينين لامعتين ما بين الفرحة والاسى فهو لم يعد يشاركهم نفس الحجرة مستقبلا فلن تراه الا عندما يطلبها فقط للعمل وقالت:

- مبروك يا استاذ فارس تستاهلها والله ..بس خلى بالك بقى الناس القدام اللى هنا مش هيعجبهم

قال فارس بجديه:

- انا قلت كده للدكتور لكن هو مصمم

قالت دنيا بحماس :

- ولا يهمك محدش يقدر يعملك حاجه

كان قد أنتهى من جمع بعض أوراقه فأنصرف قائلاً:

- طيب عن اذنكم يا أساتذه ..سلام عليكم ..وقبل أن يخرج توقف وكأنها قد تذكر شىء ذات اهميه وقال:

- لو سمحتى يا دنيا تعاليلى كمان ساعه كده عاوزك ضرورى

أبتسمت دنيا وهى تتابعه وهو يخرج من الحجرة ثم نظرت إلى نورا بغرور ..تجاهلت نورا نظرات دنيا وعادت لعملها وهى تشعر بالقهر تجاهها لم تستطع نورا حبس مشاعرها اكثر من ذلك وهى تشعر بنظرات دنيا الثاقبه ...وبرد فعل عكسى نهضت واقفه ونظرت إليها نظرات مشابهه وتوجهت لحجرة مكتب فارس الخاصه ..طرقت الباب ودخلت عندما سمعته يعطى الاذن بالدخول..وقفت فى حيرة من أمرها لا تدرى ماذا تقول ..فقال فارس بهدوء لا يخلو من الدهشه:

- فى حاجه يا استاذه نورا

وبحركة تلقائيه كادت ان تغلق الباب ولكنه أستوقفها قائلا:

- لو سمحتى سيبى الباب مفتوح

دلفت للداخل وجلست قبالته وقالت بتوتر:

- استاذ فارس ..أنا عارفه أنك مشغول أوى بس أنا...أنا بجد مخنوقه أوى ومحتاجة أتكلم معاك

ترك فارس مافى يده من ملفات وقال ببطء متسائلا:

- خير فى حاجه مضايقاكى ..فى الشغل...قال كلمته الاخيره تلك وهو يضغط حروفها جيدا وهو يعلم ماذا يقول وماذا يقصد

فرفعت نظرها إليه متعجبه وقالت باستنكار:

- غريبه اوى أنت كنت بتسمع لمشاكلى كلها وبتحاول تلاقيلى حل مهما كانت نوع المشاكل دى

أستند فارس إلى سطح المكتب وهو ينظر لكفيه ويقول :

- عارف يا استاذه نورا..بس أنا عرفت أن ده كان غلط ..مش غلط انى أحللك مشاكلك ..لاء..لكن الغلط فى حد ذاته أنى أخلى زميله ليا تشوفنى على أنى سوبر مان اللى مفيش مشكله بتقف قدامه ...وأنتى أغلب مشاكلك متعلقه بخطيبك وبعلاقتكم مع بعض وخصوصا المشاكل العاطفيه ومع الاسف انا مكنتش منتبه لما كنت بقعد اقولك ان خطيبك غلطان فى كده وكان لازم يعمل كده ومكنش المفروض يتصرف بالشكل ده فى الحكايه دى وكلام زى ده كتير كان بيتقال..وده طبعا كان ممكن يبقى باب فتنة ليكى كبيرة أوى..

بيتهيألى لو حكيتى لبنت زيك هيكون افضل وهنسد باب الفتن دى من أولها لاخرها

قطبت جبينها وقالت فى حرج :

- بس يا استاذ فارس حضرتك عمرك ما قلتلى كلمه وحشه علشان تقول كلمة فتنة دى

ابتسم فارس وهو مازال غاضا بصره عنها:

- ايوا مكنتش بقول ..بس الشيطان مش هيسيبك فى حالك هيفتحلك الف باب وباب ويهيألِك انى محصلتش.. والحقيقه انى بشر زى اى بشر بغلط وباتوب بتكلم حلو ووحش زى كل الناس لكن لما بنشوف المشكله من بره بيبقى حكمنا وطريقة كلامنا غير اللى عاشها فعلا

وقفت وهى تقول بحنق وقد شعرت بكلماته تغوص بداخلها لتخرج ما به من انفعالات وقالت بضيق شديد:

- متشكره اوى يا استاذ فارس على تنبيهك ده ..عن اذنك

خرجت من حجرته حانقة عليه وعلى نفسها دخلت لتتوضأ وعادت لحجرتها فى المكتب لتصلى فى أحد اركانه وتلكأت فى جلستها حتى نهضت دنيا ودلفت إلى مكتب فارس

وبنفس الطريقه اشار لها أن تبقى الباب مفتوحا

جلست امامه فى سعادة بالغه وهى تقول:

- مبروك مره تانيه يا حبيبى تستاهلها بجد

أخذ نفساً عميقا وهو يغمض عينيه وزفر فى بطء وهدوء ثم قال:

- دنيا أولا مينفعش تقعدى تقوليلى يا حبيبى والكلام ده ..متنسيش أننا لسه مخطوبين

مطت شفتاها بتبرم وهى تقول:

- وثانيا ؟؟؟؟؟؟؟

قال بسرعه:

- وثانيا بقى ياريت يعنى علشان خاطرى تغيرى طريقة لبسك دى ومتنسيش أنى كلمتك كتير فى الحكايه دى

- يوه بقى يا فارس أنت كل شويه هتطلعلى حاجه شكل مش عاجباك فيا

- يعنى أنتى شايفه ان لبسك ده صح

قالت بعناد وضيق:

- ايوا صح وبعدين دى الموضه

- حتى لو كانت الموضه دى مترضيش ربنا

- يعنى عاوز ايه دلوقتى يا فارس

- عاوز لبسك تنطبق عليه صفات الحجاب الشرعى لا يصف ولا يشف ومش ملفت للنظر

صاحت فى غضب وهى تهب واقفه:

- ما تقولى البسى خيمه أحسن

- أنتى زعلانه انى باغير عليكى وعاوزك تبقى ماشيه فى الشارع مستوره وربنا راضى عنك

تبرمت فى حنق وجلست مره اخرى ولم ترد أو بمعنى اصح تقلب الامر فى راسها فهى معتاده على ذلك لا ترفض ولا توافق قبل أن تفكر ايهما يأتى بأقل الخسائر..صمتت قليلا ثم قالت:

- طيب سيبنى بس لما اقبض علشان اعرف اشترى لبس جديد علشان انا معنديش لبس غير اللى مش عاجبك ده

أبتسم لموافقتها وقال:

- بسيطه كلها كام يوم ونقبض ...شعرت أنه يحاصرها وقالت فى نفسها بضيق :

- كام يوم..

قاطع حديثه الخاص وقال بابتسامه اكبر:

- وعلى ما الكام يوم دول يخلصوا مش هينفع طبعا أسيبك تمشى كده فى الشارع ..

ثم أخرج بعض المال وقدمه لها قائلا:

- معلش ده مبلغ بسيط بس هيكفى ان شاء الله تجيبى طقم بسيط كده على ما نقبض

نظرت للمال ثم نظرت إليه بضيق وهى تقول:

- حتى الكام يوم مش عاوز تسيبنى براحتى فيهم وبعدين شكرا يا سيدى هاخد فلوس من بابا

- أومال ليه بتقوليلى استنى لما اقبض

زفرت فى غضب هاتفة:

- يوووووووه بقى يا فارس ....حاضر حاضر حـــاااااضر

****

جلست نورا على مقعدها خلف مكتبها وهى تدفن راسها بين كفيها وتستعيد كلمات فارس الذى ألقاها عليها منذ قليل كمن يلقى دلواً باردا فى ليل الشتاء القارص على قلبها بلا رحمه أو شفقة

ولم تعد تدرى اهو يقصد صالحها كما قال أم يتهرب منها ومن مشاكلها التى غطت اذنيه منذ عملهما معاً...كانت تريد أن تختلى بنفسها قليلا بعيد عن أعين الناس ..نهضت وأخذت

حقيبتها وبدون أن تستأذن للأنصراف خطت بسرعه خارج المكتب مسرعة لا تعبأ بالسؤال عنها حين ملاحظة غيابها ..بل لم تعبا بالدنيا كلها كانت مرتبكة قلقه تتردد كلماته على قلبها قبل عقلها فتحث السير أكثر كأنها شبحا يطاردها

****

تقوقعت نورا فى فراشها وهى تحتضن قدميها إلى صدرها وهى تفكر فيما قاله لها اليوم وتفكر فيه بعمق وتحادث نفسها قائله

- مش عارفه معاه حق ولا لاء ..بس ..بس أنا فعلا فى الاول كنت بتكلم معاه على أنه زميلى وبس لكن مع كل مشكله كان بيحلهالى كنت بحس أنه هو ده اللى بدور عليه ..وكنت بندم على أنى مقابلتوش قبل خطيبى قبل ما نكتب الكتاب ..

أستلقت على أحدى جنبيها وهى تقول:

- مقدرش أغلطه ..لانه للاسف معاه حق ..انا فعلا من كتر من اتعودت عليه وعلى طريقة كلامه اللى كانت بتفتحلى السكك المقفوله لقيت نفسى بحبه من غير ما اقصد وبقارن بينه وبين خطيبى من غير ما اقصد وقلبى بيبعد عنه برضه من غير ما اقصد وبيقرب من فارس غصب عنى ...ألقت راسها على الوسادة وهى تفكر فى حل لما وقعت فيه بدون ارادة منها وقالت بضيق :

- ياريتنى كنت حكيت لبنت زيى على الاقل كنت هفضفض معاها من غير ما يحصل اللى حصل ده جوايا...تململت فى الفراش كتململ العصفور المبلل بماء المطر حتى استسلمت للنوم وقد قررت أن تقف مع نفسها بحسم وتصرف عن قلبها صورة فارس الهُلاميه التى صنعتها له بيديها ... صورة الرجل المتكلم الذى لا يخطىء أبدا ...وتضع مكانها صورة خطيبها وحبه لها لتستطيع أن تعيد حياتهما كما كانت سابقا لتجعل منه مددا لها لعلها تفيق مما هى فيه وتشعر بهذا الرجل الذى أهملته كثيرا بأوهامها السابقه.....

****

طرق عمرو باب مكتب ألهام ودخل وأغلق الباب وكالعاده رأى ابتسامتها الواسعه المرحبه به بشكل دائم وفى كل الاوقات ..وقفت أمامها وهو يقول:

- خير يا بشمهندسه حضرتك بعتيلى

أشارت إليه بالجلوس وهى تقول :

- تشرب أيه الاول

نظر إلى ساعته وهو يقول بحرج:

- أنا اسف مش هينفع أصل عندى شغل هخلصه وهمشى على طول عندى ارتباطات مهمه

نظرت إليه متفحصه بجرأة وقالت بهدوء:

- أيه عندك معاد غرامى ولا أيه

رفع نظره إليها بدهشه من جرأتها وتدخلها فى شؤنه الخاصه بها الشكل السافر وقال على الفور:

- لا معاد غرامى ايه أنا مش بتاع الكلام ده ..ثم اردف سريعاً:

- خير يا بشمهندسه فى حاجه فى الشغل

تابعت وكأنها لم تسمعه وقالت:

- أومال رايح فين

زادت دهشته من اهتمامها الزائد به وقال :

- ابدا رايح أجيب أخت خطيبتى من المستشفى مع والدها

أتسعت عيناها ونظرت ليده فلم تلحظ الدبله الفضيه فى يده قبل ذلك وقالت متوتره:

- ايه ده هو أنت خاطب من امتى أنا مشوفتش دبله فى ايدك أول مره جيت هنا

زفر بطريقة لم تلحظها وقال بضيق :

- أنا لسه خاطب من يومين بس

هزت راسها بعصبيه وهى تنقر على سطح مكتبها وتقول:

- ده أنت كنت مستنى لما تشتغل بقى علشان تخطبها ..ايه قصة حب ولا ايه

تحرك من مقعده قليلا وهو ينظر لساعة يده ويقول :

- حاجه زى كده ...طيب انا مضطر استأذن دلوقتى

نظرت إليه بحده وهى تقول بجديه:

- ساعات العمل الرسميه لسه مخلصتش يا بشمهندس ..ثم ابتسمت ابتسامه صفراء وهى تقول:

- لسه نص ساعه

أستند الى ظهر مقعده وظل صامتا فقالت بحنق:

- هو أنت متعود تمشى قبل المواعيد ولا أيه

حاول أن يغلب الغضب بداخله وقال دون ان ينظر اليها:

- انا مكنتش همشى قبل مواعيدى يا بشمهندسه ..أنا قلت لحضرتك فى الاول انى ورايا شغل عاوز أخلصه قبل ما أمشى

هبت واقفة وقالت بتعالى:

- طب اتفضل خلص شغلك يا بشمهندس أنا عندى أجتماع

نظر إليها متعجبا من تصرفاتها المتناقضه فهو لم يطلب الدخول إليها أو الجلوس معاه من الاساس فلماذا تفعل ذلك ولكن على كل حال تنهد فى أرتياح وهو يغادر إلى مكتبه

كسرت القلم بين يديها فى غضب وهى تنظر للفراغ الذى كان يحتله منذ دقائق

****

دخل عمرو مكتبه وتوجه على مكتبه الهندسى الخاص به تحت نظر زميله نادر الذى كان يرمقه متبرما لاستدعائها المتكرر له فى مكتبها الخاص ووجد نفسه يقول بسخريه:

- أتأخرت ليه يا روميو

نظر له كل من عمرو وزميلهم الثالث أحمد وقال عمرو فى أنفعال:

- بتكلمنى انا

قال نادر متهكما:

- هو فى روميو تانى هنا

ترك عمرو ما فى يده وقال له محذرا فى غضب شديد:

- أنا بحذرك تكلم معايا بالطريقة دى تانى أنت فاهم ولا لاء

كان يتوقع أن يهاجمه نادر ولكنه وده يقول بسخريه وهو ينظر لاحمد:

- شفت يا عم أحمد طبعا ما هو مسنود من فوق بقى

صاح عمرو بغضب مرة أخرى قائلا:

- بقولك اتكلم معايا كويس أحسنلك

حاول أحمد تهدئة الوضع بينهما ووقف يهتف بهما:

- ميصحش كده يا جماعه ثم نظر لنادر معاتبا وقال بضيق:

- وبعدين معاك يا نادر ده احنا زمايل وفى مكتب واحد يا أخى مش كده

نظر لهما نادر بسخرية وأعاد نظره الى عمله مرة اخرى دون ان يتفوه بكلمة أخرى وكأنه كان يختبر أعصاب عمرو هل هو سريع الغضب أم لا

ربت احمد على كتف عمرو قائلا بهدوء:

- معلش يا بشمهندس خاليها عليك المره دى

قال عمرو وهو يرمق نادر بعينيه ياريت الناس كلها فى أخلاقك يا بشمهندس أحمد ..دقائق من الهدوء سادت فى المكتب وكل منهم يتابع عمله حتى ينتهوا منه قبل مواعيد الانصراف

****

قطع عمرو بوابة المشفى مسرعا الى الممر ثم الى المصعد ومنه الى غرفه عبير وعندما وصل وجد والدها فى الخارج ينتظر خروجهم من الغرفه وفارس يقف خلفه يحمل حقيبة ملابس صغيره لعبير كانت بصحبتها فى المشفى

فقال بأنفاس متقطعه وهو يلهث:

- انا اسف والله أتأخرت غصب عنى ربنا ينتقم من اللى كان السبب

قال والد عبير بحنو:

- براحه يابنى خد نفسك وبعدين أحنا لسه ممشيناش أهو

جلس عمرو الى المقعد القريب منهم وهو يقول:

- هو الدكتور جوه ولا ايه

ابتسم والد عبير وهو يقول:

- هو لو الدكتور جوه كنت أنا هبقى هنا ليه يا بشمهندس

قال فارس بمزاح:

- طول عمرك ناصح على فكره

تابع والد عبير وهو يضحك على كلمات فارس قائلا:

- عزة ووالدتها معاها بيجهزوها علشان نمشى

أقتربت الممرضه وهى تدفع الكرسى المتحرك امامها ودخلت غرفة عبير وبعد دقائق قليله خرجت تدفع الكرسى فهب عمرو واقفا وهو يقول مشفقاً:

- حمدلله على سلامتك يا انسه عبير

وكذلك قال فارس :

- حمد لله على السلامه

قالت عبير وهى تخفض نظرها عنهما:

- الله يسلمكم جزاكم الله خيرا

****

عادت عبير إلى منزلها بصحبة عزة وعمرو ووالدها ووالدتها بينما استأذن فارس للعوده الى عمله مرة أخرى ....دخلت غرفتها بصحبة والدتها وأختها عزة ..استراحت على فراشها وسمعت عزة تقول:

- أجيبلك تاكلى يا عبير ولا هتنامى

- لا يا حبيبتى انا هنام شويه اصلى مكنتش عارفه انام فى المستشفى خالص

- منا عارفه مبتعرفيش تنامى بره البيت يا حبيبتى

تدخلت والدتها قائله:

- سيبى اختك تنام وأطلعى اقعدى مع خطيبك شويه ميصحش كده

نظرة عزة إلى عبير تستنجد بها فقالت عبير بسرعه:

- يا ماما مينفعش تقعد معاه لوحدها ده لسه خطيب مش زوج

نهضت والدتها وجذبت عزة من يدها وهى تدفعها تجاه الباب وتقول:

- أبوكى قاعد معاه بره مش هتقعدى معاه لوحدك يالا ياختى وخدى معاكى كوباية عصير فى ايدك الراجل واقف معانا من بدرى

خرجت عزة وهى تنظر تحت قدميها ان صحت العباره.. نظر عمرو اليها بطرف عينيه وشعر بخفقان قلبه كما يحدث له دائما عند رؤياها ...وضعت الكوب على الطاوله امامه وهى تقول بخجل:

- أتفضل ...تابعها بعينيه حتى جلست على مقعد آخر يبعد عنه بعض الشىء فقال والدها:

- اختك عامله ايه دلوقتى

- الحمد لله يا بابا ..سبتها تنام وترتاح

قال الوالد وهو يهز راسه راسه بأسى :

- والله منا عارف هتقعد فى الجبس 3 اسابيع ازاى وبعديهم كمان علاج طبيعى وشغلانه

تدخل عمرو قائلا:

- متقلقش يا عمى ان شاء الله خير وبعدين متقلقش من حكاية العلاج الطبيعى دى ..فارس يعرف دكتور كويس اوى وقريب من هنا جدا

خفق قلبها عند سماعها أسمه واشاحت بوجهها بعيدا حتى لا يرى أحد علامات تاثرها بادية على وجهها ..ساد الصمت للحظات قطعه والدها قائلا :

- منور يا بشمهندس

تنحنح عمرو بحرج وقال وهو ينهض واقفا :

- ده نورك يا عمى ..طيب أستأذن انا بقى

وقفت عزة ووالدها الذى قال بتصميم:

- لا والله ما ينفع ده أنت لسه داخل حتى ملحقتش تشرب حاجه

ابتسم عمرو بمودة وهو يقول:

- معلش يا عمى مره تانيه ان شاء الله

نظر إليها والدها وقال آمراً:

- وصلى خطيبك يا عزة

أحمر وجهها بشدة وهى تنظر لوالدها وكادت أن ترفض ولكنه وجدت علامات الجديه على وجهه فتراجعت عن الرفض وقالت وهى تشير لعمرو :

- اتفضل يا بشمهندس

توجه والدها للداخل وتركهم عند باب الشقة المفتوح وقف عمرو بالخارج وهى بالداخل تنظر الى الارض كانت تتصور ان يلقى السلام ويغادر ولكنه لم يفعل...وقف ينظر اليها وكل خلجه من خلجاته تنطق بالحب ليس نظراته فقط وما كانت عيناه الا مرآة يمر الحب خلالهما وينساب بدون أن يشعر ليسكن فى عينيها عندما رفعت عينيها اليه لترى سبب صمته الذى طال فأخفضت عينيها حياء منه ومن نظراته وهى تقول بخفوت :

- فى حاجه يا بشمهندس

قال بنفس خفوتها وابتسامته تملىء وجهه :

- على فكره أنا اسمى عمرو ..هه

قالت دون ان تنظر اليه :

- فى حاجه يا عمرو

خفق قلبه لنطقها اسمه وابتسم فى سعاده و ...قاطعت نظراته وافكاره ورفعت راسها فجأه وقالت بجديه:

- على فكره مينفعش تبصلى كده ..عن اذنك

تراجع للخلف بدهشه وأغلقت هى الباب وسمعته يقول من خلفه

- يخرب عقلك قطعتى لحظه رومانسيه بنت لذينه

وخبط كفا بكف وينزل درجات السلم وهو يهتف:

- ايه شغل الجنان ده

أبتسمت رغما عنها وأتجت للداخل ..لا تعلم لماذا تزداد أعجابا به يوما عن يوم رغم أنهما لم يتقابلا الا مرات معدوده ولكنه فى كل مره يثبت انه أهلا لها ولتحمل المسؤليه عن جداره تستحق الاحترام رغم صغر سنه بالمقارنه ببعض الرجال الذين تعدوا الثلاثون ولكنهم لا يشغلهم من الحياة الا أنفسهم ورغباتهم فقط ..فالايام لا تغير البشر ولكنها فقط تنزع القناع عنهم

****

الحلقة الثانية عشر

كان فارس يجلس بمكتبه حين سمع جلبة بالخارج حرك جسده قليلا وهو يحاول النظر من الباب المفتوح امامه فرأى رجلا يصيح بعصبيه قائلا:

- ده مش اسلوب معامله اومال مكتب كبير واسم كبير وخلاص وكل ده على الفاضى ومش عارفين تخلصولى حتة قضيه يخلصها محامى صغير

هب فارس ناهضا وأثناء خروجه وجد الدكتور حمدى يدخل حجرة مكتبه ويغلق الباب فى وجه الرجل بحده مما جعل الرجل يشتعل غضبا أكثر ودنيا ونورا يتابعان ما يحدث عن كثب وبعض المحامين يحاولون التحدث للرجل للرحيل بسلام ودون اثارة المشاكل ولكن كان منفعلا بشدة فلم يستجب لأحد .. حاول فارس تهدأته وعرض عليه الجلوس فى مكتبه ليتفاهم معه ومحاولة اصلاح الامر بصفته مدير المكتب ..أستجاب الرجل ودخل حجرة فارس

جلس فارس أمامه على المقعد المقابل له ولم يجلس خلف مكتبه ليستطيع التعامل معه ومع أنفعاله وهو يقول :

-أهدى بس حضرتك وقولى ايه الحكايه بالظبط

هدأ الرجل قليلا ثم قال متهكماً:

- ابدا يا سيدى حتة قضيه شرعى صغيره قد كده يخلصها اى محامى صغير ..جيت للدكتور بتاعكوا وقلت اسم وسمعه وهيخلصها قوام قوام لقيته بيرمى الملف ويقولى شفلك محامى غيرى وطردنى من مكتبه

قام فارس بتهدأته مره أخرى ثم قال:

- ورينى كده الملف ده

أعطاه الرجل الملف ..استند فارس لظهر مقعده وهو يقلب فيه سريعاً ثم قال بأستغراب:

- والدكتور رفض القضيه ليه دى قضية طلاق عاديه جدا

قال الرجل متهكما:

- ايوا يا سيدى اديك قلت قضية طلاق عاديه جدا ..

مال فارس للأمام وهو يتفحص الرجل وقال بجديه وهو يتكأ بمرفقيه على رجليه والملف بين يديه:

- ممكن حضرتك بس تجبلى الموضوع من الاول كده علشان افهم واقدر افيدك

- ولا حاجه ...طلقت مراتى وراحت بيت ابوها بالعيال ..رفعت عليا قضية نفقه ليها وللعيال ومؤخر بقى وقايمه والذى منه

حثه فارس على المتابعه قائلا:

- وبعدين

- ولا قابلين ..واحد صاحبى ليه تجربه فى الموضوع ده قبل كده ...شار عليا أنى لو قلت عليها انها ماشيها بطال وجبت شهود وأدله على كده كل حقوقها هتسقط ومش هيبقى ليها حاجه عندى غير نفقة العيال بس

قطب فارس جبينه بشدة وقال مستفهماً:

- وأنت فعلا عندك شهود على كده

ضحك الرجل بسخريه ثم قال:

- أهم مرمين على القهوه قدام المحكمه مش لاقين شغلانه ..كل واحد عشرين جنيه و تحفظه كلمتين وخلصت خلاص

شعر فارس بالدماء تغلى فى راسه ولكنه حاول ضبط أعصابه والتحكم بها وهو يقول:

- شهود زور يعنى ؟؟!!!

- زور ولا مش زور المهم الوليه دى متخدش منى حاجه الا بمزاجى

صمت فارس قليلا ثم قال بعد تفكير:

- وتقبل أن مراتك أم عيالك سمعتها وشرفها يبقى في بؤ كل واحد شويه وانت عارف ومتأكد أنها ست شريفه وكل ده علشان ايه ..علشان خاطر أنت مش عاوز تديها حقوقها اللى ربنا أمرك بيها وأستحلتها كزوجه بعد ما وافقت عليها ومضيت على كده

زفر الرجل فى ضيق وهتف به:

- بقولك ايه يا استاذ انا مش جاى هنا أسمع مواعظ ..هما كلمتين هتظبطلى القضيه دى ولا مش هتعرف ...ثم اردف بسرعه ..

- ولو وافقت ليك عليا هتعامل معاك من بره بره من غير الدكتور بتاعك ما يعرف وأتعابك هتبقى ليك لوحدك ...ها قلت ايه

أبتسم فارس وهو يقول:

- قلت أن حضرت مقرتش اليافطه اللى على المكتب بره كويس ...ده مكتب محاماه مش شقة دعاره

نظر له الرجل بدهشه وقد بدت علامات العبوس على وجهه فتابع فارس قائلا:

- أه والله مش مصدق ولا ايه ...ماهوأنا لو وافقت على اللى بتقوله يبقى مراتك دخلت عندنا شريفه وطلعت من عندنا مشيها بطال ...تبقى شقة دعاره ولا لاء

ثم هب واقفاً وهو ينظر للرجل بأحتقار وقال بهدوء:

- أتفضل حضرتك شوفلك حد تانى يلوث سمعت مراتك ولو كمان كسبت القضيه تبقى علمت على عيالك انهم ولاد حرام وفضحتهم قدام الناس كلها وضيعت مستقبلهم وكمان بقى عندك بنات شوف مين اللى هيبصلهم بعد كده...بس خلى بالك أنت كده بتقذفها فى شرفها وكمان بشهود زور...يعنى حسابك عند ربنا مش بس عقوبة القذف لالا دى كمان شهاده زور وتحريض على شهاده الزور ...

ثم غمزله بعينيه وهو يقول:

- يعنى حسابك هيتقل اوى يا باشا وبلُغة القانون الوضعى ..أعدام ...والاعدام بتاع الاخره ..على جنهم عدل

ظل الرجل ينظر لفارس ويحدق به وهو يتحدث حتى أنتهى من حديثه ثم جذب الملف من يده وهو يشعر بالتوتر من كلماته والارتباك وقال متلعثماً وهو يغادر بسرعه :

- أنا مش فاهم ،،مكتب محاماه ده ولا جامع

أنصرف الرجل وجلس فارس خلف مكتبه وهو يضع راسه بين كفيه قائلا باسى:

- لا حول ولا قوة الا بالله معقوله توصل للدرجادى

دخلت دنيا مسرعة وقالت بلهفه:

- أيوا كده يا فارس هو ده الشغل ..ها ظبطت الراجل وهتشتغل انت القضيه دى لحسابك صح ..؟؟

رفع رأسه إليها وهو يقول بحزن:

- لاء طبعا يا دنيا اصلك متعرفيش الراجل ده كان عاوز ايه

قطبت جبينها وقالت بغضب:

- ليه يا فارس ليه دى فرصه جات لحد عندنا كنت هتطلعلك منها بكام ألف

أبتسم ساخرا وهو يقول:

- حتى لو كانوا كام ألف حرام

صمتت وهى تنظر إليه بدهشه ودخلت نورا لتخبره أن الدكتور حمدى يطلبه ولكنه لم ينتبه لها وهو يقول:

- الراجل طلق مراته وعاوز يدعى عليها انها ماشيها بطال علشان ميديهاش حقها لاء وكمان هيجيب شهود زور على كده ..وهز راسه متهكما وهو يقول:

- لاء ويقولى خد القضيه لحسابك ...فاكرنى على اخر الزمن هاكل حرام

صمتت دنيا تفكر فى كلماته فبرغم شعورها بالحنق تجاه رفضه للقضيه الا أنها لم تستطع أخفاء شعورها بالأعجاب تجاهه ..لم تكن هى الوحيده التى أعجبت به بل كانت نورا ايضا التى كانت تقف تنظر إليه بأحترام شديد ..حانت منه ألتفاته إليها أنتزعتها من أفكارها وقالت بسرعه:

- الدكتور حمدى عاوزك فى مكتبه..وأنصرفت على الفور

****

نظر فارس الى وجه الدكتور حمدى فوجده مازال محتقنا بالدماء من كثرة غضبه وأنفعاله فقال:

- أهدى يا دكتور الراجل مشى خلاص

قال الدكتور حمدى بعصبيه وهو يضرب سطح المكتب بقبضته :

- شفت الراجل الوقح ده كان عاوز ايه

أومأ فارس مجيبا وهو يقول:

- أيوا يا دكتور وعموما أنا أديته اللى فيه النصيب ومشى

نظر إليه حمدى مستفهما فقال فارس:

- أديته كلمتين فى عضمه يمكن يفوقوه ويفكروه ان فى آخره وعذاب وحساب من ربنا

ضرب حمدى كفيه ببعضهما وهو يهتف متعجباً:

- لاء ومش دى المصيبه يا فارس أنى كنت فاكر انى مشغل معايا ناس عندهم ضمير لكن للأسف الكام محامى اللى شفتهم بره بيهدوه كانوا موجودين ويقولولى وفيها ايه يا دكتور ده شغل ..تخيل يا فارس انا على أخر الزمن اشتغل بالطريقه دى

نهض فارسا واقفا بقلق وهو يقول:

- أنا هروح اجيب لحضرتك كوبايه مايه

أشار إليه حمدى مستوقفاً أياه وهو يقول:

- لا متقلقش يا فارس..أنا خلاص هديت وبقيت كويس متقلقش

ثم زفر وهو يعيد ظهره الى الوراء ويستند إلى ظهر كرسيه وهو ينظر لفارس قائلا :

- الحمد لله أنا كده أتأكدت أنى أخترت صح من الاول

****

أنتهت نورا من عملها وأنصرفت من المكتب وما ان هبطت للاسفل حتى وجدت خطيبها رامى ينتظرها امام البنايه داخل سيارته الصغيرة..أبتسمت ابتسامة صغير وأستقلت السيارة بجواره فأنطلق بها وهو يقول:

- وحشتينى يا نورا شكلك مرهق أوى النهارده

نظرت له وقد بدا عليها الارهاق بشده وهى تقول:

- ما أنت عارف يا رامى شغلنا متعب أزاى

- أنا مش عارف ايه اللى جابرك على كده منا قلتلك كفايه بقى من زمان بس أنتى اللى مصممه تشتغلى مش عارف ليه ..كان يتوقع أن تتكلم بحدة كعادتها عندما تأتى سيرة عملها ولكنها هذه المره قابلت الحديث بصمت وهى تستند براسها للخلف وتقول:

- هبقى افكر فى الموضوع ده تانى

أغمضت عينيها بأسترخاء ولكن فجأه فتحتهما وكأنها تذكرت سيئا وقالت بأهتمام:

- عاوزه اخد رأيك فى حاجه مهمه

- قولى يا نورا انا سامعك

قصت عليه ماحدث فى المكتب اليوم من شد وجذب مع هذا الرجل ولكنها لم تذكر له رد فعل فارس وأكتفت بما فعله الدكتور حمدى ثم قالت تختبره:

- أنت ايه رايه يا رامى لو كان الراجل ده عرض عليا القضيه أشتغلها لحسابى اوافق ولا لاء ؟؟

قال بسرعه وبدون تفكير:

- لاء طبعا ده راجل معندوش دم ولا ضمير ده كويس أن الدكتور حمدى طرده بس ده لو كنت انا كنت طبقت فى زمارة رقبته

- حتى لو كان هيدفعلى الفلوس اللى أنا عاوزاها

قال بغضب:

- حتى لو كان هيدفع مال قارون دى هتبقى فلوس حرام

أبتسمت نورا وهى تسترخى بجسدها بالكامل للوراء وتسائلت ...لماذا اذن لم تكن ترى خطيبها يحمل تلك المشاعر النبيله والضمير اليقظ من قبل ...هل لانها لم ترى ألا فارس فقط أم لانها كانت تحكم على رامى مسبقا دون ان تعرف شيئا عنه او تحتك به عن قرب كما كان يحدث هذا يوميا مع فارس تعددت الاسباب والحكم واحد فى النهايه ..لا تعلم لماذا بدت صورة فارس أمام عينيها تتلاشى لتحل محلاها صورة رامى الجالس بجانبها خلف عجلة القيادة ..حانت منه ألتفاته إليها فرأى نظرات الحب التى لم يرها ابدا فى عينيها منذ أن عقد قرانها ..فأوقف السياره جانبا وظل ينظر إليها بحب وشوق لتلك النظرة المطلة من عينيها ..فقالت :

- وقفت العربيه ليه يا رامى

- ابتسم وهو يقول:

- اصل أنا معرفش أحب وأسوق فى نفس الوقت بصراحه

****

عاد فارس لمنزله فى اليوم التالى سريعاً بعد صلاة الظهر ليلحق بميعاد الغذاء مع والدته حتى لا تأكل وحدها وهو ما يزال مشدوها مما حدث يوم أمس فى المكتب ومما سمع من هذا الرجل ..ربتت والدته على راسه بحنان وهى تهم بالجلوس بجواره حول مائدة الطعام ...نظر لها بابتسامته العذبه فقالت:

- مالك يابنى من ساعة ما رجعت وأنت سرحان وبالك مشغول

ما كادت أن تنهى عبارتها حتى سمعت طرقاً على باب الشقة ..نهض فارس سريعاً وأتجه ليفتح الباب فوجد أم يحيى أمامه ويبدو عليها علامات العجلة والتوتر وقالت:

- أسفه والله يا استاذ فارس هى الست أم فارس موجوده

نادتها أم فارس من الداخل :

- تعالى يا أم يحيى أتفضلى

أفسح لها فارس المجال للدخول ولكنها أكتفت بأن تطل براسها وهى تقول :

- معلش يا ست أم فارس مش هقدر اصل أختى تعبانه شويه ولازم اروحلها دلوقتى

نهضت أم فارس واقتربت منها وهى تقول مستفهمةً:

- خير مالها

أم يحيى: لا ابدا حاجه بسيطه أنا هروح أطل عليها وارجع على طول ..ثم قالت بحرج:

- بس لو مكنش فيها رزاله مني ممكن بس لو مُهرة نزلتلك تخليها عندك لحد ما ارجع اصلها عليها واجبات كتير النهارده ومكنش ينفع اخدها معايا

تدخل فارس قائلا:

- هى لوحدها فوق ولا يحيى معاها

قالت بحرج:

- لا اصل يحيى عنده درس دلوقتى ومعاه زمايله فوق وأنا سبتها معاهم لحد ما ارجع بس ممكن تضايق لوحدها ولا حاجه فلو نزلت معلش يعنى استحمليها لحد ما ارجع ،،أنا مش هتأخر ان شاء الله ....قاطعها فارس مرة اخرى وقال مؤنباً أياها:

- معقوله يا أم يحيى سايباها مع شباب لوحدها فوق وكمان المدرس اللى معاهم كده ينفع يعنى

ضحكت أم يحيى وهى تقول:

- شباب ايه بس يا استاذ فارس دول شوية عيال فى تانيه ثانوى وهى مقروضه زى ما انت عارف وبعدين مفيش حد غريب ده يحيى معاه محمود أخو البشمهندس عمرو ومعاهم أتنين من زمايلهم فى المدرسه

رفع فارس حاجبيه وقال متهكماً:

- شويه عيال والله انتى غلبانه يا ست أم يحيى ده محمود ده بالذات عاكسها قدامى فى خطوبة عمرو وجيت أكلمه مهموش وعاد نفس الكلام قدامى مابالك بقى بالاتنين التانين ثم اشار إليها بأتجاه السلم وهو يقول:

- لو سمحتى أطلعى هاتيها دلوقتى ..أهى تقعد معانا لحد ما ترجعى

قالت ام يحيى وهى تهم بالرحيل:

- مينفعش والله ده انا يدوب ألحق اروح وارجع وبعدين دى مُهرة هتشلنى على ما تلم كتابها وكراريسها وهتأخرنى

قالت أم فارس :

- خلاص روحى أنت وأنا هبقى أطلع أجيبها

أنصرفت أم يحيى سريعاً وهبطت الدرج على عجلة منها وهمت أم فارس أن تغلق الباب ولكنه استوقفها قائلا:

- استنى يا ماما لما أطلع أجيبها الاول

- أتغدى طيب وبعدين انا هبقى أطلع أجيبها

قال وهو يخرج من الباب ويتجه الى السلم :

- معلش يا ماما هجيبها الاول وأهى تتغدى معانا بالمره

- طيب يابنى على راحتك

صعد فارس للطابق التالى لهم وطرق الباب ففتح له يحيى وابتسم عندما رآه قائلا:

- أبيه فارس أتفضل

دخل فارس وهو يضع ذراعه على كتفه بود قائلا:

- ها عامل ايه فى المذاكره

- المستر لسه مجاش أتأخر النهارده وانا قاعد أهو بخلص الواجب اللى كان مديهولنا فى المدرسه

نظر فارس حوله وهو يحدثه فوجد الولدان الاخران يقلبان فى قنوات التلفاز ويتضاحان بشكل عشوائى ويدفعون بعضهما البعض ومحمود يقف فى الشرفه يضايق مُهره كالعاده وهى تلعب بدميتها المفضله باربى هدية فارس لها....أشار له فارس بأتجاه محمود وقال بغضب:

- أزاى أمك تأمنك على أختك وسايب صاحبك واقف يكلمها كده ويضايقها

سمعت مُهرة صوت فارس فأقبلت مسرعة باتجاها ضاحكه بينما كان يحيى يقول:

- مانا مخلى بالى منها يا ابيه هو انا عملت حاجه وبعدين يضايقها ايه دى تضايق بلد بحالها

زفر فارس بضيق وقال ليحيى :

- طب خلص الدرس بتاعك وبعدين هبقى اقعد أتكلم معاك فى الحكايه دى بعدين وافهمك

ثم ألتفت لمهُرة قائلا:

- يالا روحى هاتى شنطتك والواجب بتاعك علشان تنزلى معايا

أخذها فارس وهبط بها لشقته ووجد والدته تعد لها صحنها التى تحب أن تأكل فيه فأبتسمت عندما رأتها بصحبته وقالت :

- أزيك يا مُهرة تعالى يالا علشان تاكلى معانا

ألتف ثلاثتهم حول المائدة وهو يقول :

- كويس أنى طلعت على طول

نظرت له والدته متسائله فقال:

- بعدين هبقى اقولك ..وعايزك تبقى تفهمى مامتها علشان تخلى بالها منها أكتر من كده

بعد أنتهاء الغذاء أعد فارس الشاى ووضعهم امام والدته على الطاوله وأتكأت ومُهرة امام كراساتها على الارض وهى تحل بعض المسائل الحسابيه..فقالت لها أم فارس:

- يابنتى ما تقعدى على الترابيزة حد يذاكر وهو نايم على بطنه كده ..كده هتتعبى

قالت مُهرة دون أن تنظر إليها مبعرفش اذاكر غير كده يا طنط

ألتفت فارس إلى والدته وقال:

- سيبيها يا ماما ما أنتى عارفاها دماغها ناشفه

نظرت له والدته وقالت:

- على فكره أنا منستش أنك كنت سرحان وبالك مشغول وأنت خدتنى فى دوكه فى موضوع مُهره ده ..ها قولى بقى مالك

تناول فارس كوب الشاى الخاص به وأخذ منه رشفة صغيرة وقال فارس متعجباً :

- تخيلى يا ماما واحد جالنا المكتب النهارده ..ومش هتصدقى كان عاوز ايه

قالت والدته بفضول وأهتمام وهى تضيق عينيها:

- كان عاوز ايه يابنى

قص عليها تفاصيل ماحدث بينه وبينه الرجل والحوار الذى دار بينهما وما سمعه من الدكتور حمدى عقب خروج الرجل من عنده فقالت وهى تهز رأسها بحزن :

- ومالك يابنى مستغرب كده ليه ده بقى عادى خلاص ..الناس بقت تاكل فى بعضها

- عمرى ما قابلت شخصيه زى دى ابدا . دى مراته وأم عياله ازاى يعمل فيها كده أزاى ضميره يسمحله يجيب عليها شهود زور يقولوا عنها كده..طب بلاش ضمير ..طب معندوش ذرة دين طيب

مطت والدته شفتاها وهى تقول:

- أومال يابنى لو سمعت اللى أنا بسمعه فى طابور العيش ..تبقى واحده وبتكلم جارتها على أختها وعماله تقطع فى فروتها ..أبقى مستعجبه وأقول سبحان الله ازاى تبقى أختها وبتتكلم عليها كده ..ده حتى المثل زمان كان بيقول انا وأخويا على بن عمى وانا وبن عمى على الغريب..دلوقتى بقى العكس والله يابنى وسيرة الناس بقت لبانه فى بؤ كل واحده شويه من غير خشى ولا ضمير بالكدب بقى بالباطل مش هتفرق

هز فارس راسه نفيا وهو يقول:

- حتى المثل ده كمان غلط يا ماما مفيش حاجه فى الدين اسمها كده ...الرسول عليه الصلاة والسلام بيقول:

- أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ...فالصحابه سألوه ننصره مظلوما يا رسول الله لكن كيف ننصره ظالما ..فقال الرسول صل الله عليه وسلم :ترده عن الظلم ...يعنى نقوله أنت غلطان يا ماما ونبينله أنه غلط

تابعت والدته قائله:

- عموما يابنى انا مبرضاش أدخل وبحاول على قد ما أقدر مسمعش كلامهم رغم ان بؤهم بيبقى فى ودنى

- أنتى يا ماما برضه حاولى تذكريهم ان ده حرام واو مستجابوش ليكى خلاص ..اقعدى سبحى واستغفرى بصوت عالى أهو منه متسمعيش كلامهم اللى بيقولوه ومنه يمكن واحده فيهم تخلى عندها دم وتفتكر أن ليها رب مطلع عليها وعلى كلامها

قالت والدته مردفة:

- والله يابنى كنت اجى أتكلم الاقى اللى تطلع فيا وتقولى هو أحنا بنقول حاجه غلط ما اللى بنقوله ده فيها فعلا يعنى مش بنجيب حاجه من عندنا

تنهد فارس وأخذ نفسا عميقا وهو يقول:

- ماهو ده من الجهل بالدين يا ماما ..ميعرفوش أن اللى يجيب سيرة واحد بكلام هو فيه فعلا يبقى ده اسمه غيبه ولو كلام مش فيه يبقى اسمه بهتان ونميمه والاتنين من كبائر الذنوب

والرسول عليه الصلاة والسلام قال : - لا يدخل الجنة نمام

رفعت مُهرة راسها من بين كتبها وقالت:

- يعنى لو واحده صاحبتى قالت عليا لواحده صاحبتى تانيه ان انا أوزعه يبقى كده حرام صح يا فارس

نظرا إليها كل من فارس ووالدتها متعجبين وقالت أم فارس :

- ايه ده أنتى واخده بالك من الكلام وانا اللى فاكراكى غلبانه أه منك أنتى

ضحك فارس ووجه كلامه لمُهرة قائلا:

صح يا مُهرة وهحكيلك بقى حكاية علشان تفضلى فاكره الموضوع ده فى دماغك على طول بما أنك بتحبى الحكايات يعنى

جلست مُهرة فى أنتباه وهى تستمع إليه فقال:

- بصى يا ستى كان مرة الرسول عليه الصلاة والسلام ماشى وكان فى ناس ماشيين وراه بيتكلموا على واحد مش موجود كلام مش كويس بعد شويه الرسول عليه الصلاة والسلام شاف حمار ميت مرمى فى الطريق ...عمل ايه بقى الرسول علشان يعلمهم براحه

شاور على الحمار الميت ده وقالهم ياكلوا منه...وبعد ما الناس أستغربت وقالوا ..ازاى هناك حمار ميت ..أم الرسول بقى قالهم لو كنتم أكلتم لحم الحمار الميت ده أهون من أنكم تتكلموا على أخيكم وتتكلموا عليه كلام هو ميحبش حد يقولوا عليه

يعنى يا مُهرة لو لقيتى حد بيتكلم على حد بحاجات هو ميحبهاش فى نفسه أتخيلى كده أنهم قاعدين ياكلوا لحم حمار ميت

وضعت مُهرة يدها على فمها متقرفه ... وهى تقول :

- طب لو انا عملت كده أعمل ايه طيب

ضحكت أم فارس من طريقتها وأبتسم فارس وقال:

- قولى استغفر الله وأستغفرى كتير ليكى وللى اتكلمتى عليها

****

صلى فارس الجمعة ووقف يبحث بعينيه عن الشيخ بلال وأخيرا وجده فاقبل عليه مسرعاً وصافحه بحراره فقال بلال:

- هو انا يابنى مش هشوفك غير فى المصايب ولا أيه

ضحك فارس لداعبته وقال مدافعاً:

- لا والله مفيش مصيبه المره دى ..دى خدمه بس

ضحك بلال وقال:

- أنا برضه بقول عليك بتاع مصلحتك..ها خير

- شوف يا سيدى الحكاية بأختصار ..أخت خطيبة عمرو صاحبى وقعت من على السلم ورجلها أتكسرت والدكتور قال لازم علاج طبيعى بعد ما تفك الجبس وأهى فكته من يومين

ومن ساعتها وأحنا دايخين على دكتورة ست ..مش لاقين التخصص ده ستات خالص وبما أنك بقى دكتور علاج طبيعى يبقى مفيش قدامنا غير سيادتك

حاول بلال أن يتكلم رافضاً ولكن فارس قاطعه بسرعه

أولا انا عارف أنك ملكش فى علاج الستات وبتتعامل مع الرجاله بس ..لكن والله غصب عننا ومفيش حل تانى يا أما ست يا أما دكتور نضمن خلقه وامانته

ثانيا انا عارف أنك شهم ومش هترضى نوديها عند أى دكتور منضمنوش ده غير أنها رافضه تروح لدكتور لانها منتقبه ومش عاوزه راجل يلمسها يرضيك بقى يحصلها مشكله فى رجلها

أطرق بلال برأسه قليلا ليفكر فى الامر لقد كان الامر شبه مستحيل بالنسبة له أن يتعامل مع النساء وخصوصا فى هذا المجال الذى يتطلب بعض اللمسات المباشرة ..فرقع راسه وقال متسائلا:

- قلتلى أنها رافضه تروح لدكتور راجل ؟؟

- أه والله يا بلال ده حتى لما رجلها أتكسرت وراحت المستشفى بدل ما تعيط من الالم كانت بتعيط أن راجل شاف وشها وصممت ان والدها يدخل معاها عند الدكتور علشان يجبسها وكل اللى كان مضايقها انه هيلمس رجلها

قال بلال بعفويه :

- هى منتقبه من زمان ؟

نظر له فارس بدهشة وقال:

- افتكرتك هتسألنى على حالتها الصحيه

أنتبه بلال لسؤاله وقال مستدركاً:

- طب ماهى هترفض تجيلى برضه مش بتقول رافضه تروح لدكتور راجل

أبتسم وهو يقول:

- لو وافقت هقول لباباها وهو هيتصرف ..وبعدين لما هتعرف أنك ملتزم أكيد هتوافق مفيش قدامها حل تانى ماهو الدكتور خوفها بعد ما فك الجبس وقالها لو معملتيش علاج طبيعى هيحصل تيبس للعضلات وضمور ومش هتعرفى تتحركى تانى

قطب بلال جبينه وهو يعقد ذراعيه امام صدره قائلا:

- قصدك يعنى ان انا اقل الضررين

وضع فارس يده على ذراعه قائلا بنفس الطريقه :

- بالظبط كده يا دكتور

أبتسم بلال قائلا:

- هاتهالى المركز بكره ..بس يكون والدها معاها

الفصل الثالث عشر

كانت عزة تجلس بجوار أختها عبير صباحاً وهى تساعدها فى أرتداء أسدال الصلاة فسمعت صوت رنين الهاتف فقالت عبير:

- روحى شوفى مين يا عزة خلاص هلف الطرحه واصلى

تركتها عزة وأتجهت للهاتف بعد أن ربتت على كتفها وأجابت على المتصل:

- السلام عليكم

أبتسم عمرو بتلقائيه وهو يقول:

- وعليكم السلام ..هى النمره غلط ولا ايه

قالت عزة باستغراب:

- لا يا عمرو النمره مش غلط انا عزة

أتسعت ابتسامته أكثر وأخفض صوته وهو يضع اصابعه على سماعة الهاتف قائلا :

- لما رديتى عليا وسمعت صوتك افتكرت انى أتصلت بمحل العصافير

أنتبهت عزة أنه يداعبها فلم تستطع أن تمنع نفسها من الابتسام ولكنها قالت بنرة جديه:

- خير يا عمرو فى حاجه

زفر عمرو بقوة شعرت بها عزة على الطرف الاخر وقال:

- أه فى طبعا أومال بتصل علشان أقولك وحشتينى مثلا لا يا ماما ده بُعدك

أحمرت وجنتها وقالت بنبرة اكثر جديه:

- لو سمحت يا عمرو قول عاوز ايه والا هنادى ماما تكلمك هى بقى

قال بسرعه :

- لالالا على ايه يا ستى ..بصى احنا الحمد لله لقينا دكتور علاج طبيعى كويس أوى ومحترم جدا ومتدين وعلى فكره هو مش بيتعامل مع ستات بس لما فارس قاله ان عبير مش عاوزه تروح لدكتور والكلام ده .. وافق طبعا بس عاوز والدك يروح معاها

قالت عزة بتلقائيه وبدون تفكير:

- معرفتك ولا معرفة فارس ؟

تغير صوت عمرو وقال بضيق:

- هتفرق معاكى مش كده ..؟؟

شعرت بالارتباك وندمت على كلمتها ولكنها قالت بتماسك :

- لا مش قصدى ..قصدى يعنى اصلك بتقول متدين و...محتـ....قاطعها بغضب وغيرة واضحه:

- وأنا معرفش حد متدين ومحترم لكن فارس يعرف مش كده مش ده قصدك ؟

..حاولت ان تتكلم ولكنه قاطعها مرة أخرى قائلا:

- عموما هكلم والدك لما أرجع من الشغل وأديله التفاصيل والعنوان..سلام

أنهى عمرو المكالمه فى عصبية ومسح رأسه بعنف ..حاول أن يعود إلى عمله أمسك القلم وشرع فى اعادة الرسم الذى بين يديه ولكن افكاره جميعها تشتت وغلب عليها عدم التركيز فترك القلم مرة أخرى ووضع راسه بين يديه وأغمض عينيه وأستسلم لشيطانه الذى أخذ يوسوس له ويؤكد له الفكره التى زرعتها هى بكلمتها تلك ..

تناول القلم مرة أخرى ودون عنوان الدكتور بلال عليه ..وضع الورقه فى جيبه وغادر المكتب وأتجه إلى المهندس صلاح قائلا بضيق:

- لو سمحت يا بشمهندس ممكن استأذن دلوقتى أنا اصلى مرهق شويه ومش عارف اركز خالص ومحتاج ارتاح

نهض صلاح وهو يتامله ويتأمل علامات التوتر والعصبية البادية على وجهه بوضوح ثم ربت على ذراعه قائلا:

- مالك يا بشمهندس تعبان ولا حد ضايقك

- ابدا يا بشمهندس مرهق شويه بس وعموما لو فى مشكله ممكن أستنى

ابتسم له صلاح بحنو وقال:

- لا يابنى مفيش حاجه وعموما مبقاش فاضل الا ساعه يعنى مش هتفرق يلا انت أتوكل على الله روح استريح

أبتسم له عمرو أبتسامه خاويه باهته وغادر وهو يحاول السيطرة على أعصابه ولكنه لم يستطع

وصل إلى منزل عزة وصعد بسرعه ... طرق الباب وأنتظر بعيدا حتى فتحت والدتها الباب وقالت بترحاب لا يخلو من الدهشه:

- اهلا يا بشمهندس ..أتفضل يابنى

أخرج عمرو الورقه من جيبه ومد يده بها إليها وهو يقول:

- معلش يا طنط وقت تانى ان شاء الله ..ده عنوان دكتور علاج طبيعى كويس صاحب فارس مش صاحبى ..فارس كلمه على حالة الآنسه عبير وهو مرحب بيها فى أى وقت بس لازم يكون والدها معاها..والاشعه كلها ..مدت يدها لتأخذها وهى تقول:

- يابنى تعالى مينفعش على السلم كده

قال وهو يتجه للسلم مسرعاً:

- معلش اصلى مستعجل شويه ..سلام عليكم

عادت والدة عزة للداخل وهى تنظر امامها متعجبه وتقول:

- سبحان الله ...!!

خرج زوجها من غرفة نومه بعد أن انهى صلاته وقال وهو ينظر إليها:

- مين يا ام عبير

قالت زوجته وهى تنظر لعزة الجالسه أمام التلفاز شاردة :

- ده عمرو يا حاج

أنتبهت عزة وألتفتت إليها وقال والدها متعجباً:

- ومدخلش ليه ؟

نظرت الام الى عزة مرة اخرى باستفهام وقالت:

- مش عارفه يا حاج شكله كده مضايق من حاجه ..وأعطته الورقه وهى تقول:

- كان جايب عنوان دكتور علاج طبيعى لعبير وبيقولى انه صاحب فارس مش صاحبه هو

أخترقت الكلمه أذن عزة وشعرت ان الدماء ستنفجر من رأسها وقالت بداخلها وهى واجمة:

- يارب ميكنش أفتكر حاجه كده ولا كده ..لا .. بس طالما زعل وعمل كده يبقى أكيد أفتكر أن فى حاجه ..يارب استر يارب

هتفت عبير مستنكره:

- أنا مش هروح يا بابا مش هروح لدكتور راجل ابدا..

نظر لها والدها بحده لم تعتدها منه وقال:

- هتروحى يا عبير يعنى هتروحى ..ولا عاوزه يحصلك زى ما الدكتور اللى فكلك الجبس ما قال ..عاوز يحصلك ضمور ومتتحركيش تانى

شعرت بالعبرات تقتحم مجال رؤيتها لتعيقها عنه وهى تقول:

- يا بابا حضرتك عارف يعنى ايه علاج طبيعى ..يعنى ممكن يقول تدليلك وكلام فاضى يرضيك يعنى يا بابا واحد يقعد يدلك رجلى

تدخلت عزة وقالت بخفوت وكأنها تخشى أن يخرج صوتها من حلقها قائله بأرتباك:

- عمرو لما أتصل قال انه متدين ومحترم ومش بيتعامل مع ستات اصلا لكن لما ..وشعرت بغصه وهى تقول على مضض ..لما فارس قاله أنك مش عاوز تروحلى لدكتور راجل وان احنا مش لاقين دكتور مضمون نعرفه وافق بصعوبه

نهض والدها وقال موجهاً حديثه لعبير :

- جهزى نفسك هنروح بكره على طول

وقبل أن تتكلم قال آمراً:

- ومش عاوز كلمه زياده

****

دخلت عبير مركز العلاج الطبيعى وهى تستند لذراعى والدها ووالدتها نظرت إلى الآفتة التى تحمل أسم المركز واسم الطبيب المعالج شعرت بالدهشة وهى تقرأ أسمه ...الدكتور بلال ..جلست تنتظر دورها بجوارهما فى قلق ..المكان حولهم ملىء بالرجال لا يوجد امرأة واحده فى المركز شعرت بألم فى معدتها وحاولت أن تذكر الله مراراً حتى تهدأ ..نهض والدها وتحدث الى الممرض ثم عاد وجلس بجوارهما مره اخرى ومال عليهما قائلا:

- خلاص قدامنا حالتين بس الحمد لله

همست عبير مستنجدة به:

- بابا انا عاوزه اروح البيت

نظر لها محذرا وقال:

- عبير ايه شغل العيال ده اصبرى بقى خلاص قربنا ندخل أهو

وأخيرا جاء دورها فى الدخول له ..ولم تكن تطأ إلى غرفته حتى أتسعت عيناها دهشة وهى تنظر إلى بلال ولحيته وسمته الظاهر ولكنها غضت بصرها سريعاً عنه وسمعت والدها يلقى السلام وسمعته يرد عليه السلام بود وأحترام ..ثم هب بلال واقفاً ووضع مقعد الكشف فى وضع مريح لها وابتعد حتى تجلس بأريحية وعاد ليجلس خلف مكتبه مره اخرى

جلس والداها على المقعدين المقابلين امام مكتبه وهو ينظر إلى الاشعه بأمعان وتأمل دقيق.. ثم رفع راسه بابتسامه عذبة وبشاشة قائلا:

- ماشاء الله نتيجة الاشعه ممتازة ..باذن الله كده الموضوع مش صعب خالص على فكره ...متقلقوش يا جماعه خير إن شاء الله

قالت والدتها وقد لانت تعابير وجهها قليلا:

- ان شاء الله .. تسلم يا دكتور والله أنت وشك فيه القبول

أردف زوجها بسرعه :

- اه والله يا حاجه معاكى حق

ابتسم بلال وهو ينظر للزوج قائلا:

- جزاكم الله خيرا والله ده من ذوقكم بس ..تناول أحد الملفات الفارغه وهو يقول:

- انا هعملها ملف بحالتها فى الاول كده علشان نبقى متابعين التطورات اول بأول

لمعت عينيه بنظرة ذات مغزى وهو يدون البيانات .. تظاهر بالاستغراق فى كتابة البيانات ووالدها يمليه اسمها والعنوان ورقم التليفون وتوقف فجأه عن الكتابه وسأل بشىء من الامبالاة قائلا:

- أكتب آنسه عبير ولا مدام عبير

قالت والدتها سريعاً:

-آنسه عبير يا دكتور

دون بلال البيانات فقال والدها:

- هو العلاج الطبيعى ده بيبقى ازاى ..معلش يا دكتور اصلها بصراحه قلقانه أوى ومكنتش عاوزه تيجى علشان يعنى مش عاوزه حد يشوفها

قال بلال وهو ينهض ويتجه إليها قائلا:

- متقلقش يا حاج وتناول مقعد صغير ووضعه بجوار مقعد الكشف الذى تجلس عليه عبير وما أن جلس عليه امامها مباشرة وما أن شعرت عبير باقترابه حتى هتفت فجأه:

- مش هكشف ..مش هكشف انا عاوزه امشى ..روحنى يا بابا

هب والدها واقفاً واقترب منها يهدأها بينما قال بلال له:

- لو سمحت يا حاج استنى حضرتك شويه ..عاوز أتكلم مع الآنسه عبير

أومأ والدها براسه موافقاً له فأستند بلال بمرفقيه على قدميه وقال لها دون أن ينظر إليها:

- آنسه عبير لو سمحتى أهدى علشان أعرف افهمك طبيعة العلاج ...غشيت الدموع عينيها ولم ترد .. شعر بالشفقة تجاهها وهو يرى دموعها تنساب من عينيها لتبلل غطاء وجهها وقالت بصوت متقطع:

- أنا عندى أموت ومفيش راجل يلمسنى

قال بجديه :

- يعنى أنتى عمرك ما روحتى لدكتور خالص ؟

قالت بأنفعال الحمد لله عمرى ما تعبت الا ولقيت دكتوره ست إلا المره دى

قال مختبراً :

- اه بس ليه تتكسفى من الدكتور ده شغله يعنى مش أى راجل كده وخلاص

قالت بصوت متقطع من اثر البكاء:

- السيده عائشه كانت بتشد ملابسها عليها وهى داخله الحجره اللى ادفن فيها الرسول عليه الصلاة والسلام علشان عمر بن الخطاب كان مدفون جنبه.. يعنى كانت بتستحى من واحد ميت حضرتك بقى مش عاوزنى استحى من راجل عايش لمجرد أنه دكتور

أطرق بلال براسه ولاحت أبتسامة رضا على شفتيه ثم قال بصوته العذب مطمئناً:

- وانتى حالتك اصلا مش محتاجه كشف يعنى أنا مكنتش هكشف عليكى اصلا

.. زى ما قلتلك حالتك واضحه من الاشعه جدا وكويسه اوى وأحب أطمنك العلاج الطبيعى مش هيطول ومش هيحتاج ان راجل يلمسك ...ممكن تهدى بقى علشان نعرف نتفاهم ..

هدأت عبير قليلا وتبادل والدها ووالدتها النظرات القلقه من المرحله القادمه ...نهض بلال واقفاً وأبعد مقعده قليلا وقال بحزم:

- قومى اقفى لو سمحتى

نظرت إلى والدها الذى كان يقف بجوارها ومدت يدها له ليساعدها ولكن بلال أوقفها قائلا:

- لالالا محدش هيساعدك انتى هتقفى لوحدك

حاولت عبير النهوض وأخيرا نهضت بصعوبه وهى تتألم فقال بأبتسامه :

- ماشاء الله مكنتش متوقع تجيبيها لوحدها فى الاول كده ..ثم اشار إلى أحد الاجهزة بعيدا وقال:

- شايفه الجهاز ده روحى اقعدى على الكرسى اللى جانبه....كانت تمشى بصعوبه بالغه وهى تكتم آلامها بداخلها وأخيرا وصلت اليه وجلست بصعوبة وحدها أقترب منها وضغط أحد أزرار الجهاز وهو يقول:

- ده جهاز ممتاز اوى لحالتك ..يالا أرفعى رجلك وحطيها هنا تحت النور ده بالظبط ..فعلت كما أمرها ثم قالت بتوتر:

- على فكره لو هتقولى تدليك مش هعمله

أبتسم وهو يتجه لمكتبه وقال:

- تدليك ايه بس ده موضه قديمه فى العلاج

جلس خلف مكتبه وهو يكتب فى ملفها ميعاد أول الجلسات فقال والدها:

- هو العلاج ده هياخد كام جلسه يا دكتور

بلال :

- السؤال ده لسه شويه عليه يا حاج...الجلسه دى هتبقى بالاشعه بس ومن الجلسه الجايه ان شاء الله هنبدأ التمرينات ألقى نظر سريعه على عبير ثم تابع حديثه قائلا:

- يعنى لازم الآنسه عبير تشد حيلها معانا بقى علشان تخلص بسرعه وترجع زى الاول بأذن الله وأحسن ..متستعجلش وأطمئن مش هيطول ان شاء الله

****

خرجت والدة دنيا من غرفتها ليلا وهى فى طريقها إلى الحمام مروراً بغرفة ابنتها سمعت صوت يشبه الهمس آتى من الداخل .. نظرت للباب بأنتباه ودهشه واقتربت ببطء ووضعت أذنها عليه لتستمع لما يدور بالداخل ..خفق قلبها وهى تستمع لابنتها تقول بتوتر :

- لا يا استاذ باسم مينفعش كده حضرتك كده زودتها أوى ..أنا قلتلك كتير قبل كتير أنى محبش الكلام ده....وبعدين انا كل ما احاول أفاتحه فى الموضوع بتراجع ..أنا متأكده أن فارس مش هيوافق وهيعملى مشاكل كتير.. إذا كنت متجرأتش أقوله على حكاية الموبايل دى لحد دلوقتى

وقفت الام تفكر ماذا تفعل :

- هل تدخل تسألها ماذا يحدث أم تتركها للصباح ..ترددت قليلا ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها حينما سمعتها تقول:

- لا يا أستاذ باسم انا عمرى ما أرضى أبقى زوجة تانية ابدا وكمان عرفى ليه يعنى أعمل فى نفسى كده ليه

فتحت أمها الباب فجأة فوقع الهاتف من يدها وهى تنظر إليها بخوف .. أقتربت منها أمها وقالت بسخط:

- مين باسم ده يا دنيا

ارتبكت دنيا وتلعثمت وهى تقول :

- فى ايه يا ماما مالك كده

أقتربت أمها منها أكثر وتناولت الهاتف قائلة بغضب:

- انا مش هلوم عليكى أنا اللى معرفتش أربيكى من الاول ..وأخذت الهاتف معها وخرجت من غرفة دنيا ..دخلت غرفتها وأطمئنت ان زوجها نائماً نظرت للهاتف بحيرة ممزوجه بالغضب ثم وضعته فى خزانة ملابسها الخاصه وأحكمت غلقه بالمفتاح الخاص به وجلست على طرف الفراش بجوار زوجها الذى قد سكن جسده بجوارها...

جلست دنيا منكمشة فى فراشها تفكر فى رد فعل والدتها وماذا ستفعل بها ولم تمضى الساعه حتى دخلت عليها والدتها مرة اخرى ولكنها كانت فى حالة أنهيار شديد ودموعها تملىء وجهها وهى تصرخ بها :

- ابوكى مات يا دنيا..ابوكى مات

****

وقف فارس أمام باب شقة دنيا يأخذ عزاء والدها بجوار خالها ودنيا ووالدتها تجلس مع النساء فى الداخل ..أنتهى العزاء وغادر المعزيين وجلس فارس أمامه لا يدرى ما يقول الموقف فى منتهى الصعوبه لا يحتمل اى كلمات ...فهو يرى دنيا تدفن راسها بين أيديها وتذرف العبرات من عينيها ووالدتها تجلس فى حزن وكأنها قد زاد عمرها أضعافاً وأنحنى ظهرها وكأنه يستعد لحمل المسؤلية من بعد والدها وعينيها شاردة وملامحها واجمة تستمع الى كلمات المواساة من أخيها وعمة دنيا وأبنائهم ولا يظهر عليها اى رد فعل تجاهها ..رفعت رأسها ببطء ونظرت إلى فارس نظرة طويلة أنهدش لها فارس قليلا ولكنه تعجب أكثر حينما نهضت بوهن وقالت وهى تشير له:

- من فضلك عاوزاك لحظه يا فارس يابنى

أبتعدت قليلا عن الجالسين معهم وتبعها هو فى صمت ثم ألفتت إليه بجسدها كله ونظرت إليه بشرود وهى تقول:

- أنا يابنى عاوزه منك خدمه وعارفه أنك مش هترفضلى طلب

ثم اردفت فى حزن:

- انا عارفة أن الكلام ده مش وقته ولا مكانه ومش عاوزاك تستغرب ..نظر إليها بأهتمام فتابعت برجاء:

- أنا عاوزاك تكتب كتابك على دنيا فى اقرب وقت

****

نظرت له والدته بدهشة وهتفت :

- بتقول ايه ..ازاى أمها تطلب طلب زى ده يابنى وجوزها لسه مدفون

قال فارس بحيرة كبيرة:

- مش عارف يا ماما .. بتقول أنها خايفه على دنيا وخصوصا انها قرايبهم طول عمرهم بعيد عنهم يعنى لو حصلها حاجه دنيا هتبقى لوحدها

نظرت له والدته بتمعن وقالت بشك:

- مش عارفه يابنى مش مطمنه للموضوع ده ...طب كانت تستنى للاربعين حتى

ابتسم فارس وهو يقول :

اربعين ايه بس يا ماما ..مفيش حاجه فى السنة الصحيحه اسمها اربعين وخميس وسنويه كل ده بدع

أتسعت عيناها وهى تقول:

- ازاى يابنى لا فى طبعا ...طب حتى اسأل صاحبك الشيخ بلال

ابتسم فارس مرة أخرى وهو يربط على يد أمه بحنان ويقول:

أنتى تعرفى يا ماما الناس جابت حكاية الاربعين دى منين...؟؟

- منين يابنى ؟

- زمان الفراعنه كانوا بيقعدوا يحنطوا الميتين بتوعهم اربعين يوم وفى اليوم الاربعين بيقفلوا عليه وبيفتكروا أن روحه رجعتلوا تانى ودخلت جسمه وهو قام بقى ولبس الدهب بتاعه وكل الاكل اللى سابينه جانبه اصلا وبعدين بقى روحه تلف على حبايبه واهله فلازم يشوف عزا وحداد والا هيغضب عليهم ويتحول لروح شريرة

قال فارس كلمته الاخيرة وضحك بشدة وهو يقول:

- كويس أن مُهرة مش موجوده وتابع ضحكاته الخافته وهو يردف :

والحكايه بقى دخلت بعد كده فى خرافات والناس نقلوها لبعض جيل ورا جيل لحد ما بقت حاجه عاديه ...وميعرفوش أن اصلها كفر والعياذ بالله لان أحنا كمسلمين دينا بيقول أن الميت بيقوم فى القبر يتحاسب على عمله فى الدنيا مش بيقوم يلبس دهب وياكل ويشرب وروحه تخرج تتفسح شويه

مطت والدته شفتاها وقالت باستغراب:

- والله يابنى ما كنت أعرف بس كويس أنك نبهتنى وعموما يعنى دور كلام أمها فى دماغك كويس وأستخير ربنا

نهض فارس بارهاق وهو يقول:

- حاضر يا ماما ..انا كده ولا كده مستنى رد دنيا لانها لسه متعرفش .. أمها قالتلى أنها لسه مفتحتهاش فى الموضوع

****

وضعت عزة سماعة الهاتف فى يأس ونظرات الحزن تطل من عينيها وتفصح عن نفسها ..جلست والدتها بجوارها وهى تقول :

- مش عاوز يكلمك ليه؟؟

ألتفتت عزة لها متعجبةً وقالت بسرعه:

- هو مين ده يا ماما

- خطيبك

- مين اللى قالك كده يا ماما ده انا لسه كنت ...كنت بكلمه أهو

أمسكتها أمها كتفها ونظرت لعينيها قائله:

- ماهو لو مقولتيش هروح أقول لبوكى وهو بقى يقررك بمعرفته

قالت والدتها هذه الكلمه وهمت بأن تنصرف ولكن عزة أمسكتها من يدها وأنحنت تقبل كفها قائلة برجاء:

- لا يا ماما الله يخليكى بلاش تدخلى بابا فى الحكايه

أعتدلت أمها فى جلستها وهى تقول:

- قولى يا عزة ايه اللى حصل بينكوا ..أصلا اللى جه يدينى العنوان ده مش عمرو اللى احنا نعرفه ده كأنه واحد تانى وانا متأكده أنك عملتى مصيبه

أطرقت عزة برأسها وقالت بخفوت:

- بصراحه يا ماما أنا شكلى ضايقته جامد بس والله ما كنت اقصد ومش عارفه هو فهم ايه

- أحكى خلصى

روت لها عزة ما حدث وما قالت فى المكالمة الهاتفية التى كانت بينها وبين عمرو ..نظرت لها أمها بضيق وقالت بغضب:

- أنتى يابت غبية ولا مبتفهميش وضربت على قدمها بأنفعال وهى تقول:

- والله أعلم بقى فهم ايه دلوقتى ويمكن يروح يقول لأمه على كلامك وأمه تيجى تتكلم هنا وتبقى مشكله..

قالت عزة متبرمة:

- هتقول ايه يعنى وبعدين هو اللى فهم غلط

قالت أمها بعصبيه:

- لاء مفهمش غلط يا عاقله يا كامله أى عيل صغير يفهم أنك بتبصى لفارس نظرة غير اللى بتبصيها لخطيبك يا فالحه.. ويارب يكون فهم كده وبس والشيطان ميكونش لعب بعقله وفهمه حاجه تانيه

هبت واقفة وأمسكتها من يدها بقوة وهى تقول آمره:

- أتفضلى روحى ألبسى علشان نعملهم زياره ونشوف ميتهم ايه يلا بسرعه..واسمعى متجبيش سيرة عن حاجه قدام امه أتعاملى عادى كان مفيش حاجه

****

رحبت والدة عمرو بعزة ووالدتها وعانقتهما بحرارة مما جعل والدة عزة تطمئن ان عمرو لم يتكلم معها فى شىء ..نهضت والدته وهى تقول بترحاب شديد:

- ثوانى هعمل الشاى وأشوف عمرو صاحى ولا نايم لسه

تبادلت عزة النظرات مع والدتها التى همست لها:

- كده يبقى مقالش حاجه لأمه اصل أنا عارفاها اللى فى قلبها على لسانها مبتعرفش تخبى

خرج عمرو من غرفته فوقع نظره على عزة ووالدتها تجلس بجوارها حاول رسم ابتسامة على شفتيه وهو يقول:

- اهلا وسهلا أزى حضرتك يا طنط ثم قال بسرعه وكانه يجبر نفسه للحديث معها قائلا:

- ازيك يا عزة

أبتسمت والدتها وهى تقول له :

- أزيك أنت يا حبيبى أخبار شغلك ايه

جلس دون أن ينظر إليهما وهو يقول:

- الحمد لله تمام

لكزتها أمها فى يدها لتتكلم معه ونظرت لها بحدة فقالت عزة على الفور بصوت ضعيف:

- أزيك يا عمرو

هب واقفاً وهو يقول بجفاء:

- الحمد لله .. طب عن اذنكم بقى علشان عندى مشوار مهم

أوقفته والدتها وهى تقول واقفةً:

- استنى يا عمرو عزة عاوزه تقولك كلمتين نظرت الى عزة بضيق وهى تقول :

- قولى لخطيبك اللى أنتى عايزاه على ما أدخل أعمل فنجان القهوة بتاعى مع خالتك يا عزة

تبعتها بنظرها حتى دخلت المطبخ خلف والدته وقالت بأسف :

- عمرو انا اسفه أنت والله فهمت غلط

اشاح بوجهه بعيداً ولم يرد..كانت مشاعره متضاربه كالأمواج الممتلاطمة يريد أن يسامحها ويبتسم لها ويمزح معها كما أعتاد ويزيل نظرات الحزن من عينيها ولكنه لم يستطع .. طال صمته فقالت بحزن:

- والله ما كان قصدى انا كده متسرعه فى كلامى ومبفكرش فيه الاول قبل ما أقوله

ألتفت إليها حانقاً وقال:

- أنتى فعلا مفكرتيش فيه أنتى قلتى اللى فى قلبك يا عزة ..أنتى عمرك ما هتشوفنى راجل محترم وطبعا بما أنى مش محترم فأستحاله أعرف حد محترم عارفه ليه علشان عنيكى مش شايفه غير واحد بس .. قاطعته بلوعه:

- أرجوك أسكت متقولش كده أنت غلطان والله غلطان

- ماشى أنا غلطان بس أنا هسألك سؤال واحد ..أنتى وافقتى على خطوبتى ليه

شعرت بالارتباك وهى تقول متلعثمة:

- علشان أنت شاب كويس ومحترم وجارى وأخلاقك كويسه

قال بحده وبلهجة حاسمه:

- وفين الحب فى كل ده ..أنتى عمرك ما حبتينى ولا هتحبينى......

نظر إلى عينيها بحدة وأشار إلى خاتم الخطبه فى اصبعها وهو يقول:

- الطوق اللى خانقك ده تقدرى تقلعيه فى أى وقت براحتك .. ومتقلقيش محدش هيعرف حاجه .. أحنا كده خلاص ..

قفزت دمعة من عينيها رغماً عنها وهى تقول بصوت متقطع :

- مش هقلعها يا عمرو

واستدارت وغادرت المكان كله نظر إلى الفراغ الذى كان يحتله جسدها منذ قليل وهو غير مصدق الكلمات التى خرجت من فمه ... والدموع التى أنسابت من عينيها بسببه كل شىء كان له سبب فى عقله كلامها ورجائها وغضبه منها الا شىء واحد .. عبراتها !... دخل غرفته وأغلق الباب بقوة وهوى إلى فراشه غضبان أسفا ...يلعن القلب الذى مازال يحبها رغم علمه أنها تحب غيره ...ضرب الفراش بقبضته ومد يده يخلع الطوق الذى يحيط بأصبعه والذى شعر أنه يطوق عنقه ويخنقه هو أيضا ويمنع عنه الهواء

الفصل الرابع عشر

دخلت دنيا غرفة والدتها ودلفت إليها فى حذر وهى تنظر لوالدتها التى كانت تجلس على طرف فراشها وهى ممسكة ببعض الصور التى كانت تجمعها بزوجها وشريك عمرها فى بداية زواجها وقد لمعت العبرات فى عينيها ولكنها تظاهرت بالتماسك أمام ابنتها وهى تقول بجدية:

- اقفلى الباب وراكى مش عاوزه حد يسمع فضايحنا

خفق قلب دنيا وهى تغلق الباب وتقف خلفه وهى تنظر لوالدتها بخوف وأرتياب فقالت أمها بصرامه :

- اسمعى ..أنتى عارفه أنى مبحبش أكرر الكلام مرتين ...ومش عاوزه أسمع نفسك ..عمتك بره ومش عاوزاها تسمع

وقفت دنيا متربصة فى صمت وبعينين زائغتين تنتظر حديث أمها التى يظهر من بدايته أنه غير مبشر على الأطلاق ..فتابعت والدتها بحسم :

- أنا أتكلمت مع فارس وأتفقنا على كتب الكتاب قريب أوى وهو وافق بس مستنى رايك

أتسعت عينيى دنيا دهشة وهتفت بأستنكار:

- بتقولى ايه يا ماما

هبت أمها من مجلسها وتقدمت منها وجذبتها من يدها بعنف وابعدتها عن الباب أتجهت بها إلى الفراش ولفتها إليها وأمسكتها من ذراعيها ونظرت إليها نظرات مخترقة وهى تقول بغضب:

- أسمعى يا بت أنتى أقسم برب العزه لو قلتى لاء ولا فتحتى بؤك بكلمه لكون بعتاكى مع عمتك على البلد وهتقعدى هناك ومش هترجعى هنا تانى وهناك بقى يا عين أمك يبقوا يجوزوكى بمعرفتهم

بكت دنيا بين يدى أمها وهى تتضرع لها قائلة:

- ليه كده يا ماما هو انا عملت ايه علشان كل ده

دفعتها أمها على الفراش وقالت بحزم:

- أنا مش هسيبك لما عيارك يفلت وتعتمدى على أنك ابوكى خلاص مبقاش موجود وسطينا

دفنت دنيا وجهها فى الفراش وهى تبكى بحرقة وتقول بصوت مختنق:

- يا ماما والله ما عملت حاجه الراجل ده كان بيعرض عليا الجواز وأنا رفضت والموضوع أنتهى

أم دنيا :

- هو انتى يا بت مش كنتى بتقولى أنك بتحبى خطيبك ..مش عاوزه تجوزيه ليه ..هه فهمينى

مسحت دنيا دموعها بكفيها وهى تقول بصوت متقطع:

- يا ماما والله عاوزه أتجوزه بس مش عاوزه أعيش فى الحاره مع أمه

أم دنيا :

- خلاص بسيطه نكتب الكتاب لحد ما نلاقى شقه ايجار كويسه تعيشوا فيها واهو مرتبه زاد كتير بعد ما أترقى فى المكتب

قالت دنيا بحنق وهى تجفف دمعها:

- ايجار يا ماما ..أنتى عمرك ما وافقتى على الاقتراح ده قبل كده

نظرت والدتها أمامها وقالت بوجوم:

- كنت غلطانه ..كل حاجه كانت غلط ..لكن دلوقتى خلاص مينفعش أغلط تانى ...أبوكى سابك أمانه فى رقبتى وانا مش هخزله ابدا وافرط فيكى واسيبك تضيعى وتضيعينا معاكى

ثم ألتفتت إليها وقالت محذرة:

- أمه هتيجى تعزينا النهارده وهو هيسألك عن رايك وطبعا أنتى موافقة ..مش كده ولا ايه

قالت دنيا باستسلام :

- حاضر يا ماما هوافق

نهضت أمها واقفة وهى تلقى نظرة على صور ابيها وتقول بشرود:

- ابوكى كان بيقول على فارس راجل وقد المسؤليه ..يارب بس يقدر يستحمل بلاويكى وأعملى حسابك أنتى مش هتخرجى من البيت قبل كتب الكتاب فاهمه ولا لاء

أطرقت دنيا برأسها أرضاً فى تفكير وهى تقول بشرود :

- فاهمه ..

****

أنهى بلال صلاة المغرب وتوجه الى المركز العلاجى سريعاً وما أن دخل وألقى السلام حتى قال الممرض الذى كان ينتظره خارجا:

- وعليكم السلام يا دكتور والدة حضرتك مستنياك جوه

عقد بلال ما بين حاجبيه مندهشاً وهو يدلف إلى حجرة الكشف ورأى والدته وهى تجلس على المقعد بجوار مكتبه الخاص تنتظره...أقبل عليها وأنحنى بأبتسامة يقبل يدها وهو يقول مرحباً:

- يا اهلا يا أمى منوره الدنيا كلها

أبتسمت والدته وقالت:

- ربنا يخاليك ليا يا حبيبى ..

أستحى أن يجلس خلف مكتبه أمامها ..جلس على المقعد المقابل لها وهو يقول:

- خير يا امى ايه اللى نزلك وأنتى لسه تعبانه

أبتسمت بلؤم وهى تقول:

- جايه اشوف عبير مش هى برضه جايه النهارده

ضحك بلال ضحكة رنانه وقال:

- ينهار ابيض يا امى طب أنا غلطان أنى حكتلك

ضحكت ثم قالت:

- هو انت يعنى كنت عاوز تقول ده أنا اللى سحبت الكلام منك سحب

مال إلى الامام وهو يقول بأهتمام:

- أمى الله يكرمك الناس زمانها جايه وأنا مش عاوز أحرجهم

ضربته أمه على قدمه وهى تقول:

- هو انا جايه أحرجهم يا واد ...ده انا هسلم وأمشى بس كانى كنت قاعده معاك عادى يعنى ولما هم جم مشيت على طول

أبتسم وهو يضيق عينيه ناظراً إليها وهو يقول:

- طب وايه لازمتها لما هتمشى على طول

رجعت للخلف وهى تستند الى مقعدها قائله:

- نفسى اشوف مين دى اللى لفتت نظرك يا بلال ..ده أنت أتعرضت عليك بنات كتير مفيش واحده فيهم لفتت نظرك..وبعدين عاوزه اشوف أهلها وطريقة كلامهم انا برضه ليا نظره

طرق الممرض الباب ودخل ووضع الملف أمام بلال على مكتبه قائلا:

- أدخل الحاله يا دكتور ولا استنى شويه

قالت والدته بسرعه :

- دخلهم يابنى انا ماشيه على طول

نهض بلال وجلس خلف مكتبه ..دخل والد عبير وهو يبتسم له ويمد يده للمصافحه قائلا:

- السلام عليكم أزيك يا دكتور

صافحه بلال بحراره مرحباً:

- وعليكم السلام ..نظرت أم بلال إلى والد عبير تتصفحص هيئته وطريقة حديثه ثم نظرت سريعا إلى الباب وهى تتابع دخول عبير متكأة على يد والدتها بنظرات متأمله متعمقة وتبادلت النظرات معهما ..ثم قالت لوالدتها :

- ألف سلامه ربنا يقومهالك بالسلامه يارب

قالت أم عبير بابتسامة متسائله:

- الله يسلمك يا حبيبتى

قالت والدته وهى تعرف نفسها :

- انا أم الدكتور بلال ...صافحتها أم عبير بابتسامة واسعه وهى تقول:

- تشرفنا يا حجه والله

قال والد عبير :

- اهلا وسهلا يا حجه اتشرفنا بمعرفتك

ردت أم بلال وهى تنظر إليهم قائله:

- الشرف لينا يا حج ..أنا مش هعطلكوا على الجلسه انا أصلى نسيت الادوات بتاعة الحجامه بتاعتى عند بلال وقلت أنزل أخدها وطالعه على طول أصل أحنا شقتنا فوق المركز على طول

قالت ام عبير بانتباه :

- هو حضرتك بتعرفى تعملى حجامه ..ده انا وعبير بنتى كنا دايخين على حد بيعرف يعملها

نظرت عبير لوالدتها بدهشه فهى لم تسمعها يوما تسأل عن هذا الامر مسبقاً ولكنها آثارت السكوت ..وسمعت أم بلال تقول :

- تشرفينى فى أى وقت يا حجه انتى وعبير زى ما قلتلك انا ساكنه فوق المركز على طول وقاعده فى البيت مبخرجش الا للشديد القوى ..تنوروني فى أى وقت .. ولا اقولك أطلعولى بعد الجلسه لحد ما الحج يروح يصلى العشا ويرجع نكون خلصنا

نظرت عبير ووالدها إلى والدتها وهى تقول بموافقة وحماس :

- خلاص أتفقنا هنطلعلك بعد الجلسه على طول واهو لحد ما الحج يروح يصلى العشاء مع الدكتور بلال

أبتسمت أم بلال وهى تنظر لأم عبير التى بادلتها النظرات وكأن كل منهما يتبادلان النظرات المُشفرة التى لا يعلم معناها الا هما فقط

خرجت أم بلال تودعهم وأغلقت الباب خلفها بابتسامة كبيرة وهى تشعر انها قد حققت هدفاً فى مرمى حياة ولدها المستقبليه

جلست عبير على الكرسى التى جلست عليه فى المرة السابقة وهى مازالت تنظر للأمها متعجبة من امر حديثها لوالدة الدكتور بلال عن الحجامة

نهض بلال وأخذ نفس المقعد الصغير ووضعه قريب منها كما فعل فى المرة السابقة وهو يقول بجدية مفاجأةً:

- أنتى مبتسمعيش الكلام ليه ؟؟

نظرت له نظرة خاطفة وقالت بقلق :

- هه يعنى ايه

تابع بنفس الجديه:

- انا مش قلت عاوزك تعتمدى على نفسك فى الحركه ومحدش يساعدك

تدخلت والدتها قائله:

- والله يا دكتور ماشين على التعليمات وبتعتمد على نفسها

ألتفت بأتجاه عبير مرة أخرى وقال:

- ازاى بقى ..أنا شايفها داخله متسنده عليكى يا حجه وحتى لما جات تقعد أتسندت عليكى برضه

قالت عبير بخفوت وهى تنظر للارض:

- ده دلوقتى بس لكن فى البيت لاء

أومأ براسه ونهض من مكانه ..أحضر كرسى آخر له مسند غير الذى تجلس عليه وقال بحزم:

- تعالى اقعدى هنا علشان نبدأ التمرينات

شعرت عبير بصعوبه وهى تنهض بمفردها ولكن ليس هذا ما تشعر به فقط وليس هذا هو سبب توترها ..لا تعلم لماذا ترتجف عندما يتحدث إليها بشكل مباشر هل لانها غير معتادة على أن رجل غريب يتحدث إليها بشكل مباشر ام لشىء أخر لا تعلمه

أتجهت إلى حيث أمرها فابتعد عن مقعدها وتركها تجلس وأتى بمقعده ووضعه أمامها ..جلس عليه وهو يقول :

- كل حركه هعملها لازم تعملى زيها بالظبط

أومأت براسها موافقة ورأته يرفع ساقه ويمدها أمامه ببطء شديد ويعيدها إلى مكانها ببطء مرة أخرى فشعرت أنها لن تستطيع فعل ذلك التمرين يبدو سهلا ولكنه بالنسبه لمن يعانى من كسر جديد فى قدمه فهو صعب للغاية

قال متابعاً:

- يالا هتفردى رجلك ببطء على عشر تسبيحات وترجعيها مكانها تانى ببطء برضه على عشر تكبيرات ..أتفقنا ؟

نظرت له بدهشه وقالت:

- ازاى يعنى

قال بابتسامة عذبه :

- يعنى ياستى بدل ما نقول نرفع رجلينا ببطء على عشر عدات أو عشر دقات أو زى بعض الدكاتره يشغل موسيقى ويقول للمريض ارفع رجلك ونزلها مع المقطع الموسيقى وفى نفس زمنه

لاء أحنا هنعمل التمرينات بس على اللى أحسن من كده هنعملها على ذكر الله وكده التمرينات يبقى فيها بركه وفى نفس الوقت أخدنا ثوابها

أبتسمت عبير من خلف نقابها وتبادلا أمها وابيها النظرات وألتفتوا مرة أخرى إلى الدكتور بلال وهو يقول:

- شوفى زى كده بالظبط

وبدء فى رفع ساقه ببطء قائلاً:

- سبحان الله ...سبحان الله ...سبحان الله ....

ثم أعادها إلى حيث كانت مرة أخرى ببطء ايضا وهو يقول:

- الله أكبر... الله أكبر .... الله أكبر....

جاهدت عبير لفعل ما أمرها به ولكنها كانت خجلة وهى تسبح وتكبر بصوت هامس وخجول

كان بلال يتابعها فى صمت وهو يستمع إلى صوت تسبيحها الهامس وتكبيرها الخفيض شعر بصوتها يسرى بداخله ويتغلل بين جنباته يسبح بين طيات قلبه بأنسيابيه ويسر...أفاق من شروده على صوتها الخجول وهى تقول بأجهاد:

- خلصت يا دكتور أكرره تانى ولا خلاص

رفع راسه لها منتبهتاً ثم قال وهو ينهض مبتعداً :

- لاء هنكرره تانى ...جلس خلف مكتبه وتركها تكرر التمرين وحدها وأخرج بعض الصور الملونه المطبوعة بحرفية وقدمها لوالدتها ووالدها قائلا:

- دى صور لبعض التمارين المهمه ..لازم تعملها بمساعدة حد فى الاول ..نظر إلى والدها قائلا:

- على فكره حضرتك ممكن تساعديها بسهوله فى البيت والورق ده فيه كل الخطوات وهو سهل ان شاء الله

قلبت أمها الورق فى يدها وقالت بابتسامه:

- اه الصور سهله تسلم ايدك يا دكتور

قال بلال بأهتمام :

- من فضلك يا حجه مش عاوزك تساعديها خالص فى الحركه العاديه فى البيت هى لازم تقوم وتقعد وتتحرك لوحدها ولازم تضغط على نفسها ثم ألقى عليها نظرة سريعه قائلا:

- وهى ماشاء الله صبوره وبتتحمل الالم..التمرين اللى عملته دلوقتى ده فى ناس بتاخد وقت فيه على ما تعرف تنفذه لوحدها

شعرت عبير بأنتشاء بداخلها وهى تستمع لتشجيعه وأطراءه عليها مما جعلها تتحمل قدر أكبر من الألآم وهى تحرك ساقها بهمه وتصميم

أنتهت الجلسه على وقت أذان العشاء ..ذهب بلال ووالد عبير إلى الصلاة بينما صعدت عبير وأمها إلى أم بلال التى كانت تنتظرهم فى شقتها وقبل أن يطرقوا الباب قالت عبير هامسه لوالدتها:

- هو فى ايه يا ماما من أمتى وأنتى بتحبى الحجامه

طرقت أمها الباب وهى تضغط على يدها قائلة:

- حبتها مالكيش دعوه

وضعت أم بلال أكواب العصير مرحبة بالزائرتين وبدأت فى وضع الكاسات الهوائية فى أماكن معينه فى جسد عبير وهى تتفحص وجهها وشعرها بنظرات خبيرة قائلة:

- ماشاء الله يا عبير أنتى زى القمر

أبتسمت عبير فى خجل ولم ترد فقالت أمها و قد لمعت عينيها بسعادة :

- عبير طول عمرها حلوه ومهتمه بنفسها بس البتاع اللى حاطاه على وشها ده هو اللى مخلى محدش بيشوفها ولا يعرف شكلها ايه

قالت أم بلال وهى تضغط الكاسات الهوائيه على قدم عبير:

- اللى يستحق يشوفها ويشوف جمالها هو اللى ربنا كاتبله يبقى جوزها مش الناس اللى ماشيه فى الشارع يا ست أم عبير..ثم رفعت راسها لعبير قائله:

- يالا بقى علشان أعملك حجامه على ضهرك كمان بالمره كده

أحمر وجهها وهى تقول بحياء:

- لا معلش يا طنط مش هينفع اقلع البلوزه

نظرت لها أمها بحده وقالت آمره :

- دى ست زيك يا عبير هتكسفى من الستات برضه

هزت عبير راسها وقالت معانده:

- معلش بجد مش هينفع مقدرش والله

كادت أمها أن تنهمر عليها بالنظرات والكلمات الازعه ولكن أم بلال منعتها قائله بحسم:

- خلاص يا بنتى مفيش مشكله معاكى حق أصلك لسه متعرفنيش ..لما نعرف بعض كويس مش هتتكسفى منى

أزالت الكاسات عن قدمها ومسحت بعض الدماء وهى تقول :

- متنسيش يا عبير أن الحجامه دى سنه عن النبى عليه الصلاة والسلام

قالت عبير:

- ايوا يا طنط عارفه

قالت أمها متسائله:

- بس يعنى هو أى حد ممكن يعملها ولا لازم يكون متخصص

قالت ام بلال بأهتمام:

أنا لما جيت أتعلمها بلال هو اللى علمهالى بما أنه دكتور يعنى وكان ساعتها قالى أن فى دورات بتتاخد فيها واللى بيدى الدورات دى دكاتره واللى بياخد الدورات دى بيبقى معاه شهادة معتمده أنه عنده علم بيها لان فى أماكن فى الجسم خطر أى حد كده يقرب منها لازم يكون دارس..ثم اردفت قائله :

- دى سنه للعلاج محدش واخد باله منها بعد ما بتتعمل الواحد بيحس أنه زى ما يكون كان مخنوق وفجأه ابتدى يتنفس والهوا يدخل جسمه من أول وجديد

بعد أنتهاء صلاة العشاء أرتدت عبير ملابسها ووضعت غطاء وجهها وأنتظرت حتى أنتهت الصلاة وأنصرفت بصحبة أمها مودعة أم بلال التى ودعتهم بابتسامة متفائله على وعد باللقاء

****

أحتضنت دنيا أم فارس وهى تقبلها هى ووالدتها وهى تعزيهم فى فقد الزوج والوالد والركن الشديد ومظلة الحماية لعائلتهم الصغيرة ... وبعد وقت قصير باغتتهم والدة دنيا بقولها :

- ها يا فارس حددت معاد مناسب ولا لسه

نظر إليها فارس منتبهاً لكلماتها وتبادل نظرات صغيرة مع والدته ثم نظر إلى دنيا وقال:

- رأيك ايه يا دنيا وأيه المعاد اللى يناسبك

قالت دنيا متلعثمه وهى تتجنب النظر إلى عينين والدتها المصوبة إليها بحده:

- المعاد اللى ماما تحدده

حاول فارس أن يخفى ابتسامته فهى غير مناسبة للموقف تماماً فقالت أمها مرة أخرى:

- شهر كويس ..ونظرت إلى والدة فارس تسألها:

- ولا أنتى أيه رايك يا حجه

قالت أم فارس مرحبة ومندهشة فى نفس الوقت :

- كويس أوى

ظهرت علامات الارتياح على وجه أم دنيا ونظرت لفارس وقالت بصدق:

- شوف يابنى أوعى تفتكر أنى هضغط عليك فحاجه لاء أبدا ...كتب الكتاب هيبقى على الضيق كده فى البيت يعنى متفتكرش أنى طالبه منك فوق طاقتك أنا عارفه أنك لسه فى بدايتك وأنا عن نفسى مش عاوزه غير أنى أطمن على بنتى أنى لو مت وسبتها تبقى مع راجل يقدر يحميها ويتحمل مسؤليتها والحج الله يرحمه كان دايما بيقول عليك قد المسؤليه

لمعت عينى فارس تأثراً وأطرق برأسه حزناً على فقد هذا الرجل الحكيم الذى كان يتمنى أن يمتد به العمر أكثر ليثبت له أنه عند حسن ظنه به بينما قالت والدته:

- الله يرحمه ويحسن إليه

تم تحديد ميعاد كتب الكتاب بعد شهر من هذا اليوم وأخبرته والدة دنيا برغبتها فى بقاء دنيا معها هذه الفتره وبعدم رغبتها فى عودتها للمكتب وطمئنها فارس بموافقته وأن الدكتور حمدى ليس لديه أى مشكله وأنه يقدر ظروف دنيا بعد وفاة والدها

****

جلس بلال إلى والدة بعد عودته ليلاً وعلى وجهه سعاده كبيره لما يسمعه منها عن عبير ووالدتها وقال بلهفه:

- بجد يا أمى يعنى أنتى فعلا حسيتى أنها مرتحالى طيب أفاتحهم فى الموضوع أمتى

ضحكت والدته وهى تقول:

- ومالك مستعجل أوى كده ده أنت يدوب شفتها مرتين ..ثم ضحكت مرة أخرى وهى تستدرك:

- آل شفتها آل

ضحك بلال لدعابة والدته وقال:

- أنتى بتقولى فيها يا أمى ..أنا فعلاً شفتها بس شوفتها بقلبى وعقلى متقدريش تتصورى يا امى هى حييه وخجوله وبتحافظ على نفسها قد ايه ودى أول حاجه شدتنى ليها حتى من غير ما اقابلها اصلاً

ربتت على ساقه وهى تقول مطمئنةً:

- متقلقش سيب الموضوع على الله ثم عليا لو تحب أروح أخطبهالك النهارده قبل بكره

فرك كفيه قلقاً وهو يقول:

- أنا بس عاوز أتكلم معاها علشان أعرف شوية حاجات تهمنى كده وده ان شاء الله يحصل فى الرؤية الشرعيه

- بس يابنى هنروح نتقدم كده مش نستنى لما تخف الاول طيب

ابتسم بلال ابتسامة ذات معنى وهو يتمتم:

- ماهى لما تبقى مراتى هعرف أعالجها بضمير

****

وقفت عزه ليلا فى نافذتها تتطلع إلى بداية الطريق عن كثب وتتأمل المنعطف الذى يجتازة عمرو يوميا فى نفس الميعاد عائداً من عمله ..ظلت تنظر لساعة يدها بين كل دقيقة وأخرى فى قلق وهى تتمتم بقلق:

- أتأخر أوى النهارده

سمعت صوت أنثوى من خلفها يقول:

- سبحان الله له فى خلقه شئون

ألفتت عزه إلى عبير وعاودة النظر من النافذى مرة أخرى إلى تلك البقعة الفارغه والتى تنتظر عمروٌ ليمر بها وكانهما على موعد وقالت:

- بطلى التلميحات دى يا عبير

ضحكت عبير وهى تقول:

- صحيح والله الممنوع مرغوب..الراجل كان بيتمنالك الرضا ترضى وكنتى حتى مبتفتكريش اسم الشركه اللى شغال فيها ..أول ما يديكى الوش الخشب تبقى هتموتى عليه وعارفه مواعيد رجوعه بالظبط

قالت عزه بتوتر دون أن تنظر إليها:

- أنا مش هموت على حد على فكره انا واقفه عادى

قالت عبير وهى تومأ براسها ساخره:

- صح وأنا مصدقاكى ...ثم قالت مردفةً:

- على فكره بقى اللى بيحصل ده فى مصلحتك والله

لمعت عينيى عزه بالدموع وهى تقول بهمس:

- من مصلحتى أنه يخاصمنى ومش عاوز يرد على تليفوناتى ويتهرب مني ...من مصلحتى أنه قلع الدبله وقالى اقلعيها خلاص

هزت عبير راسها نفياً وهى تقول:

- لاء من مصلحتك انك تعرفى قيمة الراجل اللى هتجوزيه اياً كان مين الراجل ده من مصحلتك أنك تشيلى من قلبك أى رواسب قديمه كانت هتسبب فى مشاكل بينكوا بعدين وانا شايفه بقى اللى حصل ده هو اللى هيشيل الرواسب دى

قالت عزه بصوت مختنق بالدموع :

- والدبله اللى قلعها

قالت عبير بثقه:

- ولا تسوى حاجه أنتى عارفه أنه بيحبك والدبله اللى أتقلعت تتلبس تانى المهم قلبك أنتى يكون صفى ومستعد لأستبقال البشمهندس اللى هيجننك ده

وكأن عبير قد استدعته بكلامها عنه تعلقت عينيى عزه بمنحنى الطريق ورأته وهو يدلف منه واضعاً يديه فى جيبيى بنطاله ويسير ببطء يركل كل حصى تقابله وكأنه يتعارك معها ويتوعدها ألا تصادفه مرة أخرى وتتنحى أمام قدميه المتحفزتين ...يظهر الحزن على قسماته وتعابير وجهه وكأنه فقد شخصاً أو شيئاً أو قلباً

فى كل مرة كانت تقف هكذا تتمنى أن يرفع راسه ليراها واقفة تنتظره ولكنه لم يكن يفعل ابداً ..ولكن هذه المره وبتلقائيه شديده رفع راسه وكأنه يتوقع أن يرى نافذتها مغلقه فى هذا التوقيت ..ولكنه رآها تطل عليه بعينين زائغتين معتذرتين دامعتين ....تلاقت نظراتهما مع خفقان قلبها وشعوره بالحنين لفقدانها ....دار حواراً سريعاً بين عينيهما كان عنوانه الاول والاخير ...

أعتـذر منـك ..أشتـاقك ..عُـد إلـي

الفصل الخامس عشر

دوت الزغاريد فى منزل الحج فتحى للمرة الثانية على التوالى ولكن هذه المره كانت العروس مختلفة...كانت عبير ..عبير ذات العبير المعتق فى صدفته ينتظر نصفه الآخر المقدر له أستنشاقه وملىء رئتيه بنسيم العذراء القابعة فى خدرها تحت مظلة الحلال..أحمر وجهها وهى تجذب والدتها من ملابسها لتجلسها مرة أخرى ووالدها يكمم فمها هاتفاً بها:

- أسكتى يا ست أنتى مش وقته الناس تقول علينا ايه

جلست أم عبير وهى تلهث من فرحتها قائلة:

- يقولوا عندنا فرح هيقولوا ايه يعنى

نهرها قائلا:

- مش لما العروسة توافق الاول يا ام مخ مهوى أنتى

نظرت إلى أبنتها وهى تقول :

- عبير موافقة طبعاً هى دى عايزة كلام

قالت عزه بحماس وهى تنظر إلى أختها :

- صح يا ماما

صوب الجميع نظره إليها فى أنتظار كلمتها وبعد فترة من الصمت قالت بأرتباك :

- لما أقعد معاه الاول وأسأله شوية أسئلة وبعدين أستخير...ده جواز يعنى لازم يكون منهجنا واحد والا هيبقى فيه مشاكل كتير بينا بعد كده الحكاية مش حكاية لحيه وخلاص

تم تحديد ميعاد للقاء عبير وبلال للرؤية الشرعية بعد يومين وتم تجهيز المنزل لإستقبال بلال ووالدته ولن نستطيع أن نتهم عبير بالسعادة لانها لم تكن تجرؤ على هذا الأحساس بل كانت تأده كلما حاول الظهور على السطح .. كل ما كانت تشعر به هو التوجس والإنتظار ..لا تعلم لماذا أختارها هى بالذات للتقدم لطلب الزواج بها ..فهى ليست مميزة عن غيرها نعم هى ملتزمة ولكنه بالتأكيد صادف قبلها كثير من الأخوات الملتزمات وبالتأكيد شاهدهن خلال الرؤية الشرعية وكانت منهم الجميلات والأصغر سناً منها ولكنه لم يتزوج بواحدة منهم فماذا يميزها عن غيرها ليختارها هى ..نعم كانت خائفة بل ووجلة .. ليس من تلك الهواجس فقط ولكن خافت أن يكون على غير المنهج الصحيح الذى أختارته لنفسها ووافق السنة الصحيحة ..

دخلت عليها والدتها لتجدها على حالها تلك الذى تركتها عليه منذ قليل جالسة على فراشها ترتدى كامل ملابسها التى تخرج بها إلى الطريق لم يختلف شىء غير أنها قد أزاحت غطاء وجهها عنها ليستطيع رؤية وجهها بوضوح وهي تردد بعض الأذكار لتخفف من توترها وارتباكها وخفقان قلبها ..وقالت تستعجلها:

- يالا يا عبير الضيوف وصلوا ..تبعتها عزه التى دلفت خلف والدتها مباشرة وهى تهتف بها :

- يالا يا ستى مامته بتسأل عليكى

وقفت عبير وهى تشعر بالالم فى ساقها الذى لم يتعافى بعد ورغم أنها رؤية شرعية ولابد أن تكشف عن وجهها ليراها إلا أنها شعرت وهى تخرج أمامه هكذا بوجهها المكشوف كأنها عارية أمامه فزاد حيائها وخجلها وحمرة وجنتيها وإطراق رأسها أرضاً أكثر وأكثر هبت والدته واقفة عندما ظهرت عليهم واقبلت عليها فى ترحاب تقبلها وتعانقها وتساعدها فى الجلوس على اقرب مقعد جواره ..وكما قال رسول الله صل الله عليه وسلم : (الحياء لا يأتى إلا بخير)..هذا الحياء الذى علق قلبه بها فى الأمس هو نفسه من علق عينيه بها اليوم وهو ينظر إليها بشغف ويتأمل أحمرار وجنتيها الصافيه وعينيها الخجولة الناظرة إلى أى شىء وكل شىء إلا هو خوفاً من اللقاء ....ظل يتأملها قليلا فى صمت وعلى ثغره ابتسامة ناعمة تحمل كل الرضا والقبول

أرادت والدته أن تقطع هذا الصمت أو بالأحرى أرادت أن تعطيه طرف الحديث معها فقالت:

- رجلك عامله ايه دلوقتى يا عبير

قالت بصوت لا يكاد يكون مسموعاً :

- الحمد لله يا طنط أحسن شويه

تحرك لسانه أخيراً وتحررمن صمته ووجد نفسه يقول:

- بتعملى التمارين ؟؟

أومأت برأسها إيجاباً ولم تجبه شفاهتاً ..وكما فعلوا مع عزه وعمرو فى السابق فعلوا مع عبير .. تركوها مع بلال فى الخارج وأنتقلوا لغرفة استقبال الضيوف وجلس والدها نفس المجلس فى المرة السابقة ليستطيع رؤية ما يحدث فى الخارج

كان لهذا اثر كبير على بلال الذى تحرر من خجله لمجرد أن اصبح وحده معها ولكنه فى داخله شكر فعل والدها أنه يحرص عليها مع ترك مساحة من الحرية لا تسمح الا بالحديث معها فقط

فكم سقط فى عينيه آباء كُـثر تركوا لهما المجال خالياً تماماً بل ومنهم من وارب الباب عليهما بدعوى حرية الحديث لولا أنه كان يرفض ويأبى كل هذا بل ويكون هذا سبب خروجه من هذا البيت بلا عوده

ظلت عبير صامته مطرقة الرأس ولكنه لم يظل صامتاً ..قال في حنان وهو يتأملها :

- على فكره ..الرؤية دى يعنى احنا الاتنين نشوف بعض كويس مش أنا بس اللى أشوفك

جاهدت على أخراج صوتها من حلقها وكأنه يعبر الاحبال الصوتيه فى مشقة وقالت :

- منا شوفتك قبل كده

لاحت ابتسامة صغيرة على جانبى شفتيه وشعر أن الامر يتطلب جرأة أكثر فقال:

- طيب ممكن ترفعى راسك شويه مش عارف أشوفك كويس

خفق قلبها بشدة وشعرت أنها لو تركت العنان لنفسها لهبت من مقعدها لتجرى إلى غرفتها وتغلقها عليها لتختبىء من نظراته المصوبة إليها ولكنها تعلم أنه من حقه أن يراها جيداً وينظر إليها ..رفعت وجهها ببطء ولكنها لم تقدر على النظر إليه مباشرة ..نظر إليها ملياً ثم قال :

- ماشاء الله ..

شىء بداخلها لا تعلم ماهو جعلها تخطف نظرة إليه ثم تعيد عينيها إلى حيث كانت ..ربما كانت تريد أن ترى رد فعله وهو ينظر لها هل أعجبته أم لا ..لم تكن عبير تلك الفتاة الفاقدة الثقة فى نفسها رغم أنها فتاة عادية ليست بارعة الجمال بل وليست مميزة فى جمالها بل كانت فتاة عاديه بكل المقاييس ولكنها ارادت أن ترى نظرة سابحة فى عالمها منصهرة فى وجودها كانت قد رأتها فى عينيه مرة واحدة حينما كان يستمع لصوتها وهى تسبح وتكبر فى عيادته سابقاً وهى تؤدى التمرين ولقد وجدتها وعثرت عليها للمرة الثانية واستشفت ما وراءها من قبول ورضا ...

أستردت نفسها حينما سمعته يقول:

- والدك كان قالى أنك عاوزه تتأكدى من حاجات معينه ..أتفضلى أنا تحت أمرك

حاولت عبير أن تقذف بخجلها بعيدا بل وترميه خلف ظهرها فهذا زواج لابد أن يكون فيه من المكاشفة ما فيه حتى تستقر سفينة الحياة بهم فى المستقبل على جبل التوافق والرشاد

خرج صوتها بصعوبة وهى تقول:

- ايوا فعلا كنت ..كنت عاوزه أسألك على منهجك ..منهج أهل السنه والجماعه ولا حاجه تانيه

أتسعت ابتسامته واشرق قلبه بسؤالها فهى ليست فتاة خجوله وفقط بل أنها تعرف ماذا تريد فى زوج المستقبل وتعرف أنه ليس كل ملتحى متبعاً للمنهج الصحيح ..أجابها قائلا:

- أيوا الحمد لله انا على منهج أهل السنه والجماعه

قالت تختبره:

- طيب ايه رايك فى الطواف حول القبور والناس اللى بتؤمن أن السيدة زينب والسيده نفيسه والحسين ليهم بركات حتى بعد ما ماتوا وبيروحوا يلمسوا الحديد وبيقولوا انهم كده بياخدوا البركه

أتكأ بمرفقيه على ساقيه وهو يقول:

- طالما قلتلك أنى منهجى منهج أهل السنه يبقى أكيد انا مش من الناس دول أما بالنسبه للناس اللى بتقولى عليهم ربنا يهديهم لانهم كده وقعوا فى شرك وهما مش عارفين

ظلت عبير تسأله وهو يجيب كأنما يجلس أمام محقق يعرف جيدا كيف يستخرج منه الاجابات الوافيه سألته عن شيوخه والأشرطه التى يستمع إليها ودروس العلم التى يحضرها وكيف بدأت حياته الدعويه ورأيه فى الموسيقى والافلام والمسلسلات وغيرها وكيف يستطيع أن يوفق بين عمله كطبيب والدعوه

فقال:

- بغض النظر عن أنى ممكن أخطب خطبة أو أتكلم مع حد ادعوه لكن بجد انا شايف أن الدعوه دى بتكون فى أى مكان وفى أى حته ومهما كان الواحد بيشتغل ممكن يدعوا الناس عن طريق شغله

قالت مستدركه:

- قصدك يعنى عن طريق أخلاقه

هز راسه نفياً وهو يقول:

- مش بس أخلاقه الدكتور والمهندس والمحامي وأى موظف فى أى مكان أو صاحب محل ممكن يحط قدامه كتيبات وشرايط على المكتب والمريض أو العميل أو الزبون اللى يدخل عنده يديله منها ..الست ممكن تشيلها فى شنطتها وتدى منها هدايا لواحده ست قاعده جنبها فى المواصلات أو زميلتها فى الشغل أو جيرانها ...الواحد يجى يوم القيامه يلاقى جبال حسنات مش عارف جاتله منين ممكن واحده تقرا الكتيب وربنا يهديها وتبقى فى ميزان حسناتك وانتى مش عارفه تتفاجئ بيها يوم القيامه فى ميزان حسناتك وهكذا ..علشان كده

بقول مفيش حاجه اسمها مش عارف أوفق بين الدعوه الى الله وشغلى مهما كانت طبيعة الشغل ده..

أخذت نفساً عميقاً وهى تشعر بالراحة النفسية الكبيرة وهى تنصت إليه فى أهتمام ..حتى أنتهى من حديثه وأجاباته النموذجية كان ينظر إليها وهو يجيبها وكلما أجاب اجابة ابتسمت ابتسامة صغيرة مما جعله يعرف نتيجة الامتحان سريعاً مما شجعه على أن يقول :

- ها فى حاجه تانيه ولا خلاص .. ؟

هزت راسها نفياً أن لا .. فقال مردفاً بمرح :

- أنا أتعصرت على فكره

أبتسمت أبتسامة صغيرة وهى تشعر بالقبول تجاهه ولكن قلبها خفق مرة أخرى حينما سمعته يقول:

- ممكن اسأل أنا بقى ...؟

أومأت براسها موافقةً وقد كانت تتوقع أن يسألها أسئلة شبيهة بأسئلتها وقد كانت مستعدة تماماً لها ولكنها فوجأت به يقول:

- بتحبى الشعر؟

نظرت له مندهشةً وقالت باستغراب:

- شعر !!

ابتسم وهو ينظر إلى علامات الدهشة التى ملأت قسمات وجهها وأومأ براسه مؤكداً وهو يقول:

- أيوا ...الشعر بتحبيه ؟..

ثم قال هامساً :

- اصل أنا رومانسى أوى وبحب كل حاجه رومانسيه

أرتبكت ولم تدرى ماذا تقول لقد غير مجرى الحوار تماماً وعاد إليها خجلها مرة أخرى غازياً كل خلجاتها مرة أخرى وبعنفوانه أصر على تلوين وجهها مرة أخرى بلونه الوردى بعد أن كانت قد تحررت منه منذ قليل

قاومت فضولها ولكنها لم تستطع ووجدت نفسها تقول:

- وعرفت منين أنك رومانسى هو كان فى علاقات من أى نوع قبل كده

أسند ذقنه على راحة يده وقال مبتسماً :

- لا طبعاً.. أنا شايل كل مشاعرى ومحافظ على قلبى لحبيبتى اللى هتبقى مراتى ومراتى اللى هتبقى حبيبتى وبس ...

لم تستطع أن تجلس أكثر من هذا لم تعد تتحمل تلميحاته المتلاحقه والتى جعلت قلبها تتلاحق دقاته هو الاخر ويقفز بجنون بعد أن عاش طويلا يعانى شظف القسوة وتغالب الحرمان .. وجد من يأوى إليه ويستغرقه وينصهر بداخله ليصيرا مكوناً واحداً

وبدأ اللهب يشتعلاً فى مدفأة الحب .... وبعد الاستخاره كانت النتيجة المتوقعة بالموافقة وتم تحديد ميعاد عقد القرآن ... كانت عبير تحاول تأخير الميعاد حتى تكون شفيت تماماً ولكن بلال كان مصراً على العقد بعد اسبوع بحجة أن تعود عبير لممارسة العلاج الطبيعى تحت اشرافه مرة أخرى دون موانع شرعية

****

فوجئْ عمرو باتصال من والد عزه يخبره بميعاد زواج عبير ويطلب منه حضور العقد والشهادة عليه ولم يستطيع عمرو أن يرفض وأنما وافق على الفور ..

المشهد الأخير الذى رأى فيه عزه واقفة تنتظره فى نافذتها الصغيرة جعل قلبه يرق لها مرة اخرى ويشعر بقيمته لديها

فإن قيمة الانسان الحقيقية تتحدد بمن يعنيهم أمرنا وبمن يمثل رضاؤنا عنهم أو جفاؤنا منهم شيئاً ذا قيمة ..غضب منها لأنه لم يستطع ان ينسى جرحها وكلمتها التى القتها على اذنيه فى الهاتف ...هو دائماً هكذا تغلبه انفعالاته وعصبيته فتثور ثائرته سريعاً لاقل كلمة يشعر أنها تحض من شأنه وتقلل منه ..ولكنه يعود ويتراجع ويلين فإن لم يلن الجانب لحبيبته فلمن يفعل إذن ....

وهو أحبها وأختارها منذ البداية وهو يشك فى مشاعرها تجاه صديقه ولكل أختيار تبعاته التى لابد ان نتحملها ونتعامل معها راضين بها لأنها جزء لا يتجزأ من هذا الأختيار.

****

ضرب نادر بقبضته على مكتب إلهام بعنف وغضب وهو يصيح بها غاضباً:

- انا عاوز أعرف بقى ايه حكاية اللى اسمه عمرو ده معاكى

نهضت إلهام وهى تقول بحدة :

- وطى صوتك يا بنى آدم ..أنت عاوز تعملنا فضيحه ولا أيه وبعدين وأنت مالك أنت ..أنت مجرد حتة مهندس فى شركتى ملكش دعوه بتصرفاتى ولا فاكر نفسك جوزى ! ؟

قال وهو يشير إليها محذراً:

- اسمعى يا إلهام أنا مش هسمح باللى فى دماغك ده أنا فاهمك كويس

أبتسمت إلهام ساخرة وهى تقترب منه وتقف أمامه مباشرة قائلة:

- أنت هتمثل ولا ايه ..عاوز تفهمنى أنك بتغير عليا ...أنا عارفه كويس أوى أنت خايف وقلقان منه ليه... ثم وضعت يدها على ذراعه وقالت :

- ومتقلقش الخير كتير ونصيبك محدش هيلمسه فى أى عمليه ..خلاص أرتاح بقى ومتقعدش تتنططلى كل شويه وتعملى فيها غيران

تركها وجلس على المقعد امام المكتب وهو يستند بمرفقه إلى حافته قائلاً:

- أنا عايز أعرف بس أنتى هتحتاجيه فى ايه هو انا مش مهندس برضه وبخلصلك اللى أنتى عايزاه كله وأحسن ..عاوزه تحشريه ليه وسطنا ده بدل ما نقول يا حيطه دارينا

إلهام بعصبية :

- أيه الالفاظ دى.. حيطة ايه دى اللى تدارينا هو أنت ناسى أحنا بنشتغل مع مين ولا ايه ومالك كده محسسنى اننا بنتاجر فى المخدرات ...

وقفت خلفه ووضعت يدها على كتفه وقالت بحسم:

- اسمع يا نادر أنت متدخلش فى شغلى تانى وملكش دعوه بعمرو وبطل تضايقه فى شغله أما بقى شغلنا الخاص مش عاوزاك تقلق عمرو مش هيدخل فى نصيبك هيبقى ليه نصيب خاص بيه لوحده

هب واقفاً وصاح مرة اخرى:

- وليه كل ده هيعمل أيه زياده

عقدت ذراعيها أمام صدرها وقالت بجرأة:

- بصراحه ....عمرو ذكى أوى وليه لمحات كده فى شغله بتحسسنى أنه فنان فعلا مش مجرد مهندس كده وخلاص ومن الاخر عاجبنى وعاوزه أكبره

أبتسم نادر بسخرية ممزوجة بالغضب وهو يهتف :

- اه عاوزه تكبريه على قفايا مش كده

قالت متأففه وهى تجلس خلف مكتبها:

- يووه أطلع من دماغى بقى يا نادر أنا جبتلك من الاخر وأنت مش عاوز تفهم

أتكأ على المكتب ونظر لها بتحدى قائلا:

- دلوقتى أطلع من دماغك ..طبعا ما أنتى استغنيتى خلاص

- مش زى ما أنت فاهم على فكره

رفع حاجبيه وقال ساخراً:

- كمان مش زى ما أنا فاهم ..ثم ضحك قائلا:

- يعنى لسه مدوخك ومطلع عينك ..أومال عاجبنى ومش عاجبنى وبعتينى علشانه وهو ولا معبرك

أستندت إلى ظهر مقعدها باستعلاء وهى تضع ساقاً فوق الاخرى وقالت بأستفزاز:

- أنا مش هزعل من كلامك ده علشان مقدره حالتك كويس ..لكن متنساش مين هى إلهام ..انا محدش يقدر يقولى لاء ..لا عمرو ولا غيره ...وأنت مجرب

****

وفى صباح يوم عقد قرآن عبير وبلال كانت أعمال تعليق المصابيح والكهرباء تجرى على قدم وساق فى شارعهم الصغير وسط مباركه ومشاركه من الجميع الذين ابهجهم خبر زواج عبير ..هذه الفتاة المتدينه التى لا يروها فى الطريق إلا غاضةً لبصرها تحاول أن تمشى بعيداً عن مجالس الرجال قدر استطاعتها رغم أنها لا يُرى منها شيئاً

وحزنوا من اجلها جميعاً عندما سقطت وأرتطمت ساقها وكُسرت ومازالت تعانى من هذه السقطة حتى الان وبينما كان الرجال فى شارعهم يساعدون فى تعليق الزينة والمصابيح

وقفت أمرأه تنظر إليهم شذراً وبجوارها أبنتها وهى تقول:

- ياترى اتجوزت مين دى واحد عنده خمسين سنه ولا عنده عاهه

وضحكت هى وابنتها ضحكة خافته وقالت :

- نبقى نيجى بالليل نتفرج على عريس الغفله

وضحكا مرة اخرى وأنصرفن بأوزارهن التى حُمّلوا بها إلى بيتهن مأزورات غير مأجورات

أبتسمت أم يحيى وهى تفتح بابها عندما وجدت فارس واقفاً أمامها فقالت مرحبةً:

- اهلا يا استاذ فارس أتفضل

قال بسرعة وعلى محياه ابتسامة عذبة :

- لا معلش يا أم يحيى اصلى مستعجل كتب كتاب صاحبى والانسه عبير النهارده انتى مش عارفه ولا ايه

قالت ام يحيى بسعاده:

- لا عارفه طبعا ورايحه كمان شويه هو فى أغلى عندى من عبير دى هى اللى علمتنى الصلاه ونبهتنى ليها

كان واضعاً يديه خلف ظهره وهو يتحدث وقال:

- أومال مُهرة فين مش سامع صوتها يعنى بقالى كام يوم

- بتذاكر بقى الامتحانات قربت

- طب نديهالى ثوانى بس مش هعطلــ !!! لم يكمل عبارته حتى وجدها تدفع امها من الخلف محاولةً أن تخرج رأسها بجوار خصرها بصعوبه هاتفةً باسمه ..تنحت أمها جانباً لتمر بجوارها وتراجعت هى قائلة:

- ياريتنا كنا افتكرنا شلن ..وأستأذنته قائله:

- طب عن اذنك يا استاذ فارس اشوف اللى على النار

نظر لها بتمعن وقال بمرح:

- ايه ده مش معقول زى ما تكونى طولتى خير اللهم اجعله خير خمسه سنتى

كان يتوقع عاصفه رعديه بعد انهاء كلمته الاخيره ولكن العكس هو الذى حدث نظرت لنفسها ووقفت على اطراف اصابعها وهى تقول بلهفه:

- بجد يا فارس أنا طولت بجد

ضحك وهو يقول:

- أه طبعا طولتى وكبرتى وعلشان كده بقى جايبلك حاجه هتعجبك اوى

وأخرج الشنطة البلاستيكية من خلف ظهره وأعطاها لها قائلا:

- أتفضلى يا ستى ده بقى علشان تلبسيه فى كتب كتاب عبير النهارده

فضت الشنطة فى سرعه شغوفة واخرجت منها فستان وحجاب أعادت الحجاب فى الشنطة مرة ثانية وأمسكت بالفستان بفرح وهى تتامل الوانه الهادئة المتداخله فى أنسيابيه وضعته على جسدها وقالت بتبرم :

- بس ده طويل يا فارس هيكعبلنى

هز راسه نفيا وقال بتصميم:

- لا طبعاً ولا هيكعبلك ولا حاجه ده يدوب واصل لاخر رجلك

ثم اخرج الحجاب من الشنطة قائلاً:

- وده بقى هتلبسيه فوقيه شايفه لونهم حلو ازاى على بعض

قالت وهى تمسك بشعرها:

- بس انا كنت عاوزه أسيب شعرى فى الفرح النهارده

عقد ذراعيه أمام صدره واشاح بوجهه بعيداً عنها ولم يجيبها ...نظرت إليه ملياً وهتفت فجأة:

- طب خلاص متزعلش هلبسه والله ..والله خلاص

ألتفت إليها وقطب جبينه وقال محذراً:

- ولو محمود أخو عمرو ولا أى حد غيره حاول يكلمك مترضيش عليه ومتجيش تقوليلى وسط الرجاله.. لاء... أدخلى عند البنات جوه وده طبعاً اذا اضطريتى تخرجى لكن من الافضل تخليكى جوه على طول فاهمانى

أومأت برأسها بقوة موافقة وهى تقول:

- حاضر يا فارس

تابع حديثه قائلا بأهتمام:

- والحجاب ده متقلعيهوش تانى ومتخرجيش من غيره ولما يكون يحيى عنده درس متخرجيش من اوضتك ابدا الا وانتى لابساه فاهمه

أومأت براسها بقوة مرة اخرى توافقة ولكنها توقفت فجاة وقالت:

- طب وانا نازله عندكم البسه برضه

كان الرد منطقى وطبيعى أن يقول نعم ولكنه لا يعلم لماذا تردد ربما لانه يعتبر نفسه مُربيها وولى أمرها وكأنه ابيها أوأخيها الاكبر سناً ولكن فى النهاية لا يصح إلا الصحيح فقال:

- ايوا طبعاً حتى وأنتى نازله عندنا تلبسيه ..أتفقنا

- أتفقنا ..

كانت حفل عقد القران بسيطاً ولكنه ممتلىء بالبركة ولا عجب من ذلك فإن لم تكن البركة فى الحلال بعد الصبر الجميل فاين تكون ...أنتهى المأذون من العقد قائلاً :

- حد يودى الدفتر للعروس علشان تمضى

لمح والدها عزه تقف بين النساء فنادى عليها فاقبلت سريعاً وكأنها تنتظر هذا النداء لتلقى نظرة سريعة على عمرو الجالس بجوار فارس وبلال ..راقب عمرو نظرتها فوجدها تبحث عنه وحده.. وابتسمت عندما وجدته ...أعطاها والدها الدفتر الكبير واسرعت هى فى سعادة إلى غرفة أختها التى كانت تحيطها أمها وأم بلال وبعض النساء والجارات المحبات ووضعتها أمامها فى شغف قائلة:

- أمضى يا عروسه يالا ولا رجعتى فى كلامك ؟!!!

ابتسمت عبير وهى تنظر إلى الدفتر وعزه تشير لها على المكان المخصص لتوقيعها وابتسمت أكثر عندما وجدت توقيع بلال وكأنها تراه هو شخصياً وليس توقيعه فقط ..شعرت باضطراب وبخفقان شديد فى نبضها وهى توقع بجانبه ..وساد الصمت حتى أنها شعرت أن الجميع يسمع صوت نبضاتها المتلاحقة تتسارع أيهما ينبض أولاً ...أخذت عزه الدفتر مرة أخرى بعد ان قبلت اختها مهنئةً لها ومباركة لزواجها وسط زغاريد النساء المتعاليه وعادت سريعاً لتلقى نظرة أخرى وهى ترد الدفتر لابيها ولكنها لم تجده مقعده فارغاً بحثت بعينيها سريعاً فى الغرفة فلم تجده...أنتهت الاجراءات بمباركة الجميع وعناق فارس ل بلال فى سعادة كبيرة ..

بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما فى خير...

عادت عزه أدراجها فلم تجده خارج الغرفه فالمكان مزدحم قليلا ظلت تبحث عنه وهى تتجنب الصدام بالرجال حتى خرجت خارج الشقة ألقت نظرة سريعة على السلم فلم تجده وقبل أن تلتفت لتعود سمعته يقول :

- بتدورى على حد !؟

شهقت وهى تضع يدها على صدرها وألتفتت إليه سريعاً قائلة:

- فزعتنى

عقد ذراعيه أمام صدره وقال بجدية:

- سلامتك

أطرقت للاسفل ثم قالت متوترة:

- سامحتنى ولا لسه

- أنتى شايفه ايه ؟

- أنت لسه مش على طبيعتك معايا

أطل عمرو براسه داخل الشقه ثم عاد كما كان وهو يقول :

- طيب مش وقته الكلام ده ..بعدين نبقى نتكلم تلاقيهم بيدوروا عليا ..كاد ان يدخل ويتركها ولكنه أستدار إليها مرة اخرى وأشار إلى وجهها قائلا:

- مش عاوزك تحطى مكياج قدام الناس تانى

وضعت يدها على وجهها بتلقائية على اثر كلماته وقالت بسرعه:

- انت عارف انى مبحطش مكياج بس علشان النهارده فرح عبير وبعدين الرجاله بعيد عن الستات

أومأ براسه وهو يقول متهكماً:

- اه صح.. يعنى مدخلتيش عند الرجاله مرتين ومخرجتيش دلوقتى بره الشقه مش كده

قالت منفعلة مدافعةً عن نفسها:

- انا خرجت ادور عليك

لاحت ابتسامة صغيرة على جانبى ثغره ولكنه اخفاها سريعاً وقال بجديه :

- عموما يعنى انا ماليش حكم عليكى ... براحتك

قال كلمته ودلف للداخل كادت أن تمسك بذراعه لتوقفه ولكن يدها توقفت فى الهواء ..زفرت بضيق فلم تستطيع استخراج ما بداخله وتركها فى حيرة وكادت ان تظن انه نسيها تماماً لولا أخر كلمه قالها وتعليقه على زينة وجهها

تنهدت فى حيرة ودلفت للداخل دون النظر لأحد وقفت أمام مرآة الحمام وأزالة الالوان العالقة بشفتاها ووجنتها وعينيها وأعادة وجهها الى ما كان عليه فى صفاءه ونضارته الطبيعية

دخلت المراة وابنتها لا تبارك وأنما لتشمت ولتسخر شعرت بالحقد وهى ترى عبير فى أبهى صورها ..قبلتها ببرود وهى تبارك لها بكلمات خاويه غير صادقه ومن العجيب أن عبير كانت قد نسيتها تماماً ولم تتذكرها الا عندما سمعتها تسخر وهى تحادث أمها قائلة :

- والعريس بقى عدى الخمسين ولا لسه

كادت أم عبير أن ترد بعصبية ولكن أم بلال قاطعتها قائلة بزهو:

- ابنى الدكتور بلال لسه مكملش ال34 سنه

وأردفت أم عبير قائله بحده:

- وملتزم ويعرف ربنا

نظرت ابنتها إليها بحقد وهى تردد ...دكتور !!!!

ردت عبير قائلة :

- ده الدكتور اللى عالجنى لما وقعت على السلم ورجلى اتكسرت يا طنط

لا تعلم عبير لماذا قالت ذلك ولكنى أعتقد أنها فعلت ذلك بداعى أنثوى محض لا يعلمه ولم يختبره غير النساء ...

خرجت المرأة مقهورة هى وابنتها وبعد ان شاهدت بلال وسط الرجال زادت قوة سخطها وقهرتها وهى تراه بلحيته المنمقة التى زادته وسامة وجاذبية وضحكته المجلجلة بينهم التى تنم عن سعادته بهذه الزيجة المباركة ...

أنفض الجمع وخلا الحبيب بحبيبه ولكن هذه المرة بعيداً عن الاعين المراقبة ..أعدت أم عبير عشاءً فاخراً لزوج ابنتها وتركتهم وحدهم فى غرفة الصالون وتركت الباب مفتوحاً وأنضمت إلى زوجها فى غرفته بينما كانت عزه تنظف فى المطبخ اثار حفلة زواج أختها فى سعادة وحيرة من أمر عمرو

جلس بلال على المقعد الملاصق لها أمام مائدة الطعام وهو يتأملها فى حب ..كان يتوقع من نفسه غير ذلك فى تلك الليلة التى كان ينتظرها بشغف ولكنه وجد نفسه مرتبكاً أكثر منها ..أخذ يتفحصها فى سعادة كبيرة وفى صمت ايضاً ..قطعت هى ذلك الصمت ولكن بهمس وقالت بخجل:

- مش هتتعشى ؟؟

أنتبه من سُباته وقال بسرعه :

- اه هاكل طبعا ده انا واقع من الجوع

حاول أن يطعمها فى فمها ولكنه خجلت وأمتنعت فقال:

- ايه ده بقى عاوزه تحرمينى الاجر ولا ايه

ألتفت له متعجبة وقالت:

- أجر أيه

أبتسم وهو يقول :

- متعرفيش حديث الرسول صل الله عليه وسلم : إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك) ...شفتى بقى يعنى اللقمه اللى هحطها فى بؤك هاخد عليها أجر عاوزه تحرمينى من الاجر ليه بقى

أبتسمت بخجل وهويمد يده و يضع قطعة صغيرة من اللحم فى فمها ولكن احمرار وجنتها طغى وبشدة

وكادت ان يغشى عليها حينما وضع أطراف أصابعه التى لامست شفتيها فى فمه وهو يتذوقها متلذذاً هو يتأملها قائلا:

- هى صوابعى طعمها أحلو كده ليه

أشفق عليها عندما راى تلون وجهها بعد عبارته فاراد تغير الحديث وقال بجديه :

- اسمعى بقى من هنا ورايح مفيش دلع لازم تخفى بسرعه عاوزين نخرج مع بعض ونفسى أوى افسحك ونتمشى مع بعض كده وأدينا فى ايد بعض زى الحبيبه ...

رأى ابتسامتها فتابع قائلا:

- خلاص اتفقنا من بكره ان شاء الله هنبدأ تمارين مكثفه

قالت عبير بصوت خفيض:

- بس هتكسف أجيلك المركز

رفع حاجبيه متعجباً وقال:

- وتيجى ليه ..أنا اللى هجيلك وهنعمل التمارين هنا ولو احتجتى للجهاز هبقى اخدك على هناك بنفسى

قالت بحياء وهى تضع خصلة شعرها خلف اذنها :

- هنا فى البيت ؟؟؟

مال إلى الامام وهو يتلمس خصلتها التى نامت على كتفها وقال هامساً:

- اه هنا فى البيت هو انتى مش مراتى ولا ايه

ثم جعل صوته أكثر عذوبة وهمساً وهو يقول:

- وبعدين كان فى تمارين مش عارفين نعملها قبل كده افتكر بقى دلوقتى هنعملها بسهوله

وقبل أن تجيب أعتدل فى جلسته وقال بشغف :

- مش أنا أمبارح قرأت شعر حلو أوى وحسيت أنه مكتوب علشانك أنتى قعدت أحفظ فيه طول الليل علشان أقولهولك النهارده

لم يتلقى منها أجابة إلا صمتها الخجول وعينيها الحييه فبدأ فى سرد ما حفظه من شعر يهديه لها بصوت عذب هامس ...

أحبـــك ... واحة هــــــدأت عليها كـــل أحزاني

أحبـــك ... نسمة تروي لصمت النـــاس ألحانـــي

و لو أنساكِ يا عمري ..... حنايا القلب تنسـاني

و لو خُيِّرتٌ في وطن ..... لقلتٌ هواكِ أوطانــي

إذا ما ضعت في درب ..... ففي عينيكِ عنوانـي

....

أخذت تنصت إليه وهى تشعر أن المكان غير المكان والزمان غير الزمان وكأن الغرفة الصغيرة تحولت لسحابة هادئة تمضى بهم فى رحلة غير مماثلة تمضى بهم إلى واحة هائنة ينفث الحب فيها عطره الفواح

الفصل السادس عشر

طرق عمرو باب حجرة المكتب الخاص بإلهام ودلف إليها مبتسماً أبتسامة روتينية بعد أن ألقى التحية ...اشارت له إلهام بالجلوس وهى تتأمله متفحصة وأرتسمت على شفتيها الابتسامة المعتادة التى تغزوها كلما رأته ثم قالت بنعومه:

- أيه يا بشمهندس يعنى محدش بيشوفك

لم يستطع أن يغالب المزاح بداخله فوجد نفسه قائلا:

- والله ..وفيها ايه لما يشوفنى يعنى

قطب جبينها وقالت بعدم فهم:

- هو مين ده !!

رفع حاجبيه وهو يقول:

- محدش

أبتسمت وهى تضيق عينيها قليلا ناظرة إليه وقالت:

- ايه ده وكمان دمك خفيف..

وخضعت بالقول وهى تردف:

- مش كفايه ذكى ووسيم وجذاب كمان دمك خفيف لاء كده مش هاستحمل

أبتلع عمرو ريقة وهو حانقاً على نفسه وعلى دعابته هل اصبحت الدعابه تسرى فى دمه لهذه الدرجه فلا يستطيع وضع احاديثه فى نصابها الصحيح ومع الشخص الصحيح .. رآها تنهض من مجلسها وتقف خلفه وقالت :

- عمرو.. انا عاوزه أتكلم معاك شويه بره الشغل ... أنت بيبقى وراك حاجه بالليل

قالت كلمتها الاخيرة هذه وهى تلامس خصلات شعره من الخلف مما جعله ينتفض واقفاً وبحث عن مخرج مناسب لا يتسبب فى أنهاء حياته العمليه من الشركة ولكنها لم تنتظره طويلا وأعتبرت صمته تفكير فى الامر فاقتربت أكثر لتحثه على الموافقه وتعده بما ليس له بل وليس من حقه بدنوها منه إلى هذه الدرجه حتى شعر بانفاسها من خلف أذنيه واشتم رائحة عطرها النفاذ تزكم أنفه رغماً عنه لتوقظ بعض مشاعره الدفينه وشعر بدفء جسدها بملامسة ظهره وسمعها تقول بهمس كالفحيح:

- أيه رأيك نتعشى سوا الليله

وفجأة فُتح الباب ودلف المهندس صلاح فى عجلة من أمره ولكنه توقف أمام ذلك المشهد ..عمرو واقفاً فى توتروإلهام تقف خلفه مقتربة منه بشده ..وقف جامداً ينظر إليهما ولكنها كانت فرصة سانحه وجدها عمرو للهروب بدون عواقب كما كان يفكر قبل دخول صلاح عليهما ..تنحنح وهو يتحرك فى اتجاه صلاح ووقف بجواره قائلا:

- طب أستأذن أنا علشان عندى شغل كتير

بمجرد أن خرج عمرو حتى قامت عاصفة إلهام الرعديه وظلت ترعد وتؤنب صلاح على دخوله بغير أذن وبغير ميعاد ...وضع صلاح الملف الذى كان يحتاج إلى توقيعها امامها على المكتب وأنصرف على الفور وتركها وسط حممها المتصاعدة وعاد لعمله .. فوجئ بوجود عمرو فى مكتبة ينتظره..ألقى عليه نظرة عتاب كبيرة وهو يجلس خلف مكتبة ويتابع عمله بصمت...وقف عمرو مدافعاًعن نفسه وقال:

متبصليش كده يا بشمهندس أنا والله ما عملت حاجه

رفع صلاح عينيه إليه قائلا:

- معملتش اه لكن سكت والانسان اللى يسكت على الغلط يبقى مشارك فيه ومينفعش بعد كده انه يلوم اللى هيطمع فيه بعد كده نتيجة سكوته وزى ما بيقولوا السكوت علامة الرضا

قال عمرو بأنفعال وهو يجلس :

- أنا مكنتش ساكت أنا كنت بدور على طريقة مناسبه أهرب بيها من الموقف

- الحكايه مش محتاجه تفكير يا عمرو أنت بتخاف على شغلك ومستقبلك أكتر ما بتخاف من ربنا . .. وأنا حذرتك كتير ونبهتك كتير بس أنت شكلك مش هتتعلم ببلاش ..اللى بيسيب الباب موارب يابنى مايزعلش لما يدخله منه شر بعد كده

خرج عمرو من مكتب المهندس صلاح يضيق بنفسه ذرعاً ولا يعلم لماذا يتهاون إلى هذا الحد هل كما قال صلاح فعلا هو يخاف على مستقبلة وعمله أكثر من خوفه من خالقه ...نفض الفكرة عن رأسه مستنكراً لها ولكنه لم يستطع أن ينفض تلك المشاعر التى عاشها والتى أستقيظت بداخله منذ لحظات فى مكتب إلهام فمازال يشتم عطرها النفاذ ومالزال يشعر بلمستها ...لم يستطع أن يغالب هذا الشعور الذى يجتاحه فخرج فورا من الشركة عائداً لمنزله تصارعه مشاعر شتى وبدلاً من أن يدخل منزله وجد نفسه يتوجه إلى بيت خطيبته قاصداً اياها ...

****

دخل والد عزه على زوجته وبناته المجتمعين فى غرفة عبير ينظر إليهم نظرات حائرة فقالت زوجته على الفور:

- خير يا حاج عمرو كان عاوزك ف أيه

نظر إلى عزه قائلا:

- عاوز يكتب الكتاب

تبادلت عزه النظرات مع والدتها التى قالت:

- وايه اللى طلعها فى دماغه فجأة كده مش كنا متفقين هنستنى شويه

قال زوجها موجهاً حديثه لأبنته متسائلاً:

- أنتى رايك ايه يا عزه يابنتى ..

قالت عزه وهى حائرة:

- مش عارفه يا بابا ...حضرتك رايك ايه ؟

- أنا يابنتى قولتله أحنا متفقين نستنى شويه لكن جوز أختك كان قاعد وسامع الكلام وقعد يقنع فيا أنى أوافق

تدخلت عبير قائلة:

- بيتهيالى يا بابا بلال معاه حق نتوكل على الله وأهو أحسن من الخطوبه اللى مالهاش لازمه دى لا بيعرفوا يتكلموا ولا يقعدوا مع بعض خالص زيه زى أى حد غريب

****

تم تحديد ميعاد عقد قران عزه وعمرو بعد أسبوع ليصبح فارس هو أخر من يتم عقد قرانه بينهم وفى هذه الفترة كان عمرو يتهرب من اى لقاء يجمعه بإلهام وكان المهندس صلاح يساعده على ذلك ويتصدر هو لاى عمل يتطلب وجود عمرو معها فى مكان واحد وجاء اليوم المنتظر وكان بسيطاً كالذى سبقه تماماً يجتمع فيه الاهل والاحبة والجيران فى منزل العروس ليتم عقد القران بينهم وبحضور الشاهدين فارس وبلال ويالها من مفارقة ...كانت فى يوم من الايام تتمناه زوجاً وها هو اليوم يشهد على عقد قرانها ويزيل عقدها بتوقيعه المميز ..

أجتمعت بعض النساء فى الداخل ينشدون لعزه الاناشيد بقيادة عبير التى كانت قد تحسنت كثيرا بفضل تمارين بلال المكثفه و< بضمير > كما كان يقول ويبدو أن ضميره هذا قد أنعكس على حالتها النفسية كثيراً فقد كانت تبدو كما لو كانت هى العروس وكأنها فى العشرين من ربيعها وهى تغرد بأناشيدها المحببة وتضرب بالدف فى سعادة وقوة وتتنقل

بين النساء كالفراشة التى تتنقل بين الزهور فى بستان المودة والرحمه التى نهلت منه منذ أن أصبحت زوجة لـ بلال وحبيبة لقلبه الفياض ...

وأثناء انشغالها سمعت أمها تهمس فى اذنها ان زوجها يريدها فى الخارج ربما قد يكون الامر عاديا لولا أن والدتها أنبئتها أنه يبدو عليه الانزعاج وربما الغضب ..أرتدت ملابسها كاملة وخرجت تبحث عنه فاشارت لها والدتها أنه ينتظرها فى المطبخ ..دخلت بسرعة إلى مطبخها فوجدته فعلا قد بدا عليه الضيق الشديد ..فرفعت نقابها ونظرت إليه بقلق وقالت متسأله:

- مالك يا حبيبى فى ايه

نظر إليها بضيق وقطب جبينه وقال منفعلا:

- مش عارفه فى ايه ..أنتى فاكره نفسك بتنشدى فى الصحرا لوحدك ..صوتك واصل بره عندنا يا هانم

أصفر وجهها وشحب وأتسعت عيناها وهى تضع يديها على وجهها ثم قالت بأحراج:

- ينهار ابيض والله ما كنت واخده بالى ..ثم نظرت له معتذرة وقالت :

- أنا اسفه يا حبيبى بالله عليك متزعلش مني

هدأ قليلاً وهو عاقداً ذراعيه خلف ظهره وقال معاتباً:

- أبقى خدى بالك بعد كده ..ثم مد يده ومسح وجنتها بظهر أنامله وقال بحب:

- ما أنتى عارفه انا بغير عليكى أزاى يا حبيبتى حتى صوتك محبش أن راجل غيرى يسمعه

عقدت ذراعيها أمام صدرها وقالت مداعبةً له:

- ده أنت أرهابى بقى

أمسك وجهها بين كفيه وأحتواها بعينيه ..ثم قال:

- لو ده الارهاب فأنا أرهابى أصيل... ثم قبل جبهتها وقال مردفاً:

- ولابس حزام ناسف كمان

أبتسمت فى سكون وهى تمسك بيديه التى تحيط بوجهها فقال :

- أخبار رجلك ايه

نظرت له بدهشه وقالت:

- كويسه الحمد لله بتسأل ليه

مط شفتيه وقال:

- انا بقول نعمل الفرح والدخله بقى علشان نكمل التمارين فى بيتنا براحتنا الواحد يا شيخه مش حاسس أنه بيشتغل بضمير فى العلاج

أزاحت يديه ووضعت يديها حول خصرها قائلة:

- كل ده وضميرك لسه مستريحش

ابتسم وهو يرمقها بنظراته المتفحصه:

- كل ده ايه ده انا حاسس انى مقصر.. يرضيكى يعنى ضميرى يعذبنى

قالت وهى تعيد النقاب على وجهها مرة أخرى :

- مقصر ..لاء خاليك مقصر الله يخليك وأفلتت من يده وعادة الى النساء مرة اخرى أكثر اشراقاً وجاذبيه فهكذا هى الزهرة كلما لاقت حباً وأهتماماً وعنايةً كلما زادت اشراقاً وتألقاً وتفتحاً وعبيراً...تفيض على من حولها بشذاها

أنتهت حفلة عقد القران وأستأذن بلال والد عبير أن يخرجا سوياً وخرج معها من منزلها اصابعهما متشابكة كما كان يحلم دائماً وهى تقول :

- بلال أنا مكسوفه أمشى فى شارعنا وأحنا ماسكين ايد بعض كده

بلال :

- ليه يا حبيبتى هو انتى صاحبتى ده انتى مراتى

****

دفعت عزه عمرو بعيدا عنها بهدوء وقالت بارتباك :

- ايه يا عمرو ده مينفعش كده على فكره

نظر إليها بضيق وقال متبرماً:

- ايه يا عزه أنا جوزك دلوقتى

- يا عمرو دى اول مره نقعد فيها مع بعض ارجوك تراعى الحكايه دى

أسند مرفقيه على مائدة الطعام امامه وقال معتذرا :

- حاضر هراعى بس انتى كمان راعى أنى بحبك وأنى شاب زى كل الشباب وطول عمرى بشوف بنات وشباب وعلاقتهم مفتوحه كأنها مراته فى كل حته بمشى فيها فى البلد ورغم كده عمرى ما عملت زيهم عارفه ليه ..وقبل أن تجيب قال :

- علشان بحبك وعمرى ما حبيت أنى ارتبط بواحده غيرك لا فى حلال ولا فى حرام مينفعش بقى تيجى بعد كل ده وتقوليلى مينفعش يا عمرو

كادت عزه ان تبكى وهى تشعر بضغطه عليها بكلماته وأستعجاله للأمور بهذا الالحاح المتواصل ومحاولاته المستمره

****

سار بلال بجوار عبير بمحاذاة كورنيش النيل متعانقة ايديهما متشابكة اصابعهما نظر لها ليرى بعض علامات الضيق والاضطراب ظاهرة بوضوح فى عينيها فقال:

- مالك يا حبيبتى ايه اللى مضايقك

- مش شايف المناظر يا بلال هى البنات دى مش مكسوفه وهى واقفه بالشكل ده طب مش خايفين من اهاليهم

...بلاش اهاليهم مش خايفين من ربنا طيب

هز راسه باسى وكأن حديثها اثار شجونه وقال:

يعنى انتى من مره واحده وقلتى كده وأضايقتى من المناظر اومال أنا أعمل ايه اللى على مدار حياتى شفت اضعاف اضعاف المناظر دى ده غير الاشكال اللى كنت بقابلها فى شغلى ايام ما كنت بشتغل فى مركز كبير بعد تخرجى وكان بيورد علينا رجاله وستات والحاجات اللى كانت بتتعرض عليا ساعتها ورغم كده الواحد كان بيستحمل وبيصبر وبيغض بصره عن الحرام

قالت عبير بحنان:

- وكنت بتقدر تستحمل كده ده ازاى يا حبيبى

- علشان ربنا يا عبير ...كنت بصبر وبصوم كتير وبخرج طاقتى فى شغلى وفى المشى والرياضة والحمد لله ربنا عصمنى

ثم نظر لها وقال بحب:

- مش كده وبس ..ده كمان كافأنى ورزقنى بزوجه صالحه زيك

ابتسمت رغم الشجن الذى لمسته من كلماته وحاولت تخفيف ما أستعاده من ذكريات قد تضيق بها نفسه وقالت بمرح :

- بس ايه يا عم الكاجوال الخطير ده الناس يقولوا ايه شيخ ولابس كاجوال

نظر إلى ملابسه وقال بزهو مصطنع:

- لا وكله كوم والتيشرت الفظيع ده كوم لوحده

ضحك كلاهما وهم يسيرو عكس أتجاه الطريق ليعودا أدراجهما إلى منازلهم وتركوا خلفهم شباب متسكعه وبنات متخبطة فى شهوات الدنيا وملذات الحياه متسلقين زورقا للحب يتخبط بهم فى بحار عالية الامواج بعيدة القاع ذات اليمين وذات الشمال فهل يُأمل لهم النجاة وقد بعُد المرسى ....

****

أستطاعت دنيا أن تتكيف على عالمها الجديد فلا تدخل ولا تخرج الا بصحبة والدتها وقد اشرفت والدتها بنفسها على شراء ملابسها الجديده فأختارت لها كل ما هو طويل وغير مكشوف وتغيرت طريقة لبس دنيا بالكامل مما جعل فارس يشعر انهما على بداية الطريق الصحيح وأنها من الممكن أن تتغير فعلا وأنه أحسن الاختيار ...ولكنه لم يعرف أنها كانت تجاريهم فقط لتمر الازمة على خير وفى كل الحالات هى تحب فارس ولا باس عندها من الزواج به ..

حاولت والدة فارس أن تجعل حفل كتب الكتاب فى منزلها نظرا لظروف وفاة والدها ولكن والدتها أصرت أن تسير الامور بشكل طبيعى وأن يتم كتب الكتاب فى بيتها للأشهار فى منطقة سكنها ...

حضر عقد القران كل من عمرو وبلال وعبير وعزة ورغم المحاولات الكثيرة التى قام بها فارس لأصطحاب مُهرة معهم ولكنها رفضت بشدة بل وتصنعت المرض لكى لا تذهب معهم ...

بعد كتب الكتاب أصرتا عزه وعبير على المغادرة فى سرعه فلقد كانت دنيا تتعامل معهم ببرود وبابتسامه خاويه من اى ترحيب مما جعلهن يشعرن بالوحدة فى بيتها وطلبا المغادرة بعد تهنئتها بالزواج بصحبة والدة فارس ...غادر الجميع وتركت والدة دنيا لفارس المجال أن يجلس مع دنيا قليلا على أنفراد بعد ان اصبحت زوجته قبل أن ينصرف هو الاخر بعد أن طبع قبلة رقيقة على وجنتها مودعاً أياها

ومرت الشهور تلو الشهور وسنة يعقبها سنه تتسابق وتتلاحق وكأنها فأر يقرض فى عمر الزمن فى سرعة وخفة لا يشعر بها أحد وماهى الا أعمار تنتهى وأعمار تبدأ وحياة تنتهى وحياة تولد والفائز هو من استغل عمره فى حسن عمله ...

كان فارس قد حصل على الماجيستير وبدأ فى رسالة الدكتوراه فى همة عالية

ورزق بلال من عبير باربع توائم دفعة واحدة وكأن الله سبحانه وتعالى قد صرف لها الاقدار ومنحها دفعة واحدة جوائزه وعطاياه كما لو كانت تزوجت منذ سنوات وهذه هى البركة التى لا يعلم عنها الكثير فى هذا الزمن

وحاول عمرو اقناع والد عزه بأن يتم الزواج فى شقة والده ولكن والدها رفض نظراً لان لديه أخ صغير وهو محمود والذى كان قد أنهى الثانويه وألتحق بالجامعة هو ويحيى صديقة فكيف ستعيش عزه مع محمود فى منزل واحد فبائت المحاوله بالفشل وبدأ عمرو فى البحث عن شقة ايجار فى مكان قريب منهم

وبدأت مُهرة فى مرحله جديدة وهى مرحلة المراهقه بعد أن أصبحت فى الصف الثانى الثانوى..ولكنها ظلت البنت العنيدة التى لا تستسلم بسهوله ولا تصمت على شىء تراه خطأ من وجهة نظرها وكانت تحاكى افعال فارس فى كل شىء بل وتتحدث مثله وتستمع إليه وتدون النقاط المهمة فى حديثه تحفظها عن ظهر قلب حتى أن الجميع كان يلقبها بالفارس الصغير .... كانت أنوثتها قد لاحت فى الافاق ولكن فارس لم يراها يوماً إلا طفلته الصغيرة العنيدة التى يفخر بها وبصدعها للحق دائما فى وجه المخطا لا تخاف لومة لائم

****

الفصل السابع عشر

طرقت مُهرة باب شقة فارس وهى تمسك بيدها بطفلين صغيرين لم يتما السنتين بعد ..أبتسمت أم فارس وتفتح لها الباب وتنظر إلى الولدين فى يدها وقالت وهى تنحنى لتأخذ واحدا منهما وتلاعبه:

- تعالى يا أم العيال أدخلى

دخلت مُهرة وهى تضحك لمداعبة أم فارس وجلست ووضعت الطفل على قدمها وأخذت تهزة وتأرجحه وهى تقول:

- اه والله يا طنط أنا حاسه انى انا أمهم فعلا

أعطتهم أم فارس أحد قطع الالعاب الصغيرة وهى تقول:

- من يوم ما شوفتيهم بعد ما أتولدوا وأنتى شايلاهم بصراحه يا مُهرة أنتى شلتى عبء كبير عن عبير

وضعت مُهرة يديها فى خصرها وهى تقول بمشاغبة:

- يا سلام مش ساعتها كنتوا بتقولوا صغيره ومش هتعرف تخلى بالها منهم

وعزة مش مكفيها تاخد منهم واحد لا كمان كانت طمعانه فى اللى حطيت عينى عليه

ضحكت ام فارس وهى تقول باستغراب:

- هما طبق كشرى بتفرقى يابنتى دول أطفال صغيرة

- بس عرفت اخد بالى منهم ولا لاء

قالت أم فارس بإعجاب :

- بصراحه عرفتى وابصملك بالعشرة

دارت مُهرة ببصرها فى المنزل وهى تقول:

- هو فارس لسه مجاش من الشغل

ضربت أم فارس بيدها على جبينها وهى تقول متذكرة:

- الاكل على النار يخرب عقلك يا مُهرة نستينى

نهضت واقفة وتابعت وهى فى طريقها للمطبخ:

- ده زمانه جاى هو ومراته ..عازمها على الغدا عندنا النهارده

مطت شفتيها بأمتعاض وهى تقول بصوت عالى :

- الله يكون فى عونك يا طنط أنا عارفه هتستحمليها ازاى

خرجت ام فارس من المطبخ ونظرت إلى مُهرة بعتاب وقالت:

- لاء يا مُهرة محبش أسمعك بتقولى كده لو فارس سمعك هيزعل أوى دى مراته برضه

لوحت مُهرة بيدها وهى تقول معترضه:

- لاء مش مراته دى خطيبته بس

أبتسمت أم فارس وهى تقول :

- لاء مدام كتب كتابه عليها تبقى مراته

قالت كلمتها الاخيره وعادت للمطبخ ثانية تكمل ما بدأته من طعام الغذاء ..وضعت مهُرة الطفلين على الاريكة وأخذت تلاعبهما وتضاحكهما ببعض الالعاب ثم وضعتهم على الارض يمرحان بألعابهم ووقفت تنظر لغرفة فارس التى اعتادت الدخول إليها يوميا وهو غير موجود فى البيت ... وقفت وسط الغرفة تتأمل المكان حولها وكأنها تدخل لاول مرة وفعلت كما تفعل يوميا ..جلست خلف مكتبه الصغير وفتحت احد أدراجه وأخرجت بعض من صورها الذى ألتقطت لها وهى صغيرة ومازال فارس محتفظا بها فى درج ذكرياته كما يسميه...تأملت صورها قليلا وهى تبتسم تارة لصورتها بشعرها الاشعث المتناثر وصورة اخرى بملابس العيد الجديدة وصورة جمعت بينهما وهما ينظران لبعضهما البعض ويخرج كل منهما لسانه للآخر بمشاغبة وهى تحمل دميتها المفضلة باربى هدية فارس لها...

أنتزعها من ذكرياتها صوت ثلاث طرقات على باب الشقه تعرفهم جيدا وتحفظ نغمتهم ..أعادت الدرج الى وضعه سريعاً وخرجت مسرعة فوجدت والدته قد سبقتها وفتحت الباب قبلها ورأت دنيا تدلف من الباب ونظرها مصوب بأتجاه مهُرة رغم أنها تقبل أم فارس

وتصافحها ...دخل خلفها فارس يلقى السلام فوجد مُهرة واقفة مستندة على حافة باب غرفته المفتوحه

فابتسم لها وقال محذراً:

- عارفه لو لعبتى فى شغلى من ورايا هعمل فيكى ايه

قالت بأندفاع :

- لا والله ما لعبت فى حاجه

أبتسم فارس وهو يشير لدنيا موجهاً حديثه لمُهرة قائلا:

- مش هتسلمى على ابله دنيا

نظرت لها مُهرة فوجدتها تنظر لها ببرود وتبتسم لها ابتسامة صفراء فبادلتها نفس الابتسامه ونفس النظرة وهى تضغط كلمتها قائلة:

- اهلاً

نظرت لها دنيا بحدة وقالت:

- يصح بنت كبيرة كده تدخل اوضة راجل غريب هى مامتك مبتعلمكيش الحاجات دى ولا ايه

نظر لها فارس بضيق ولمعت الدموع فى عينيى مُهرة بينما قالت ام فارس وهى تنظر لها بجديه:

- هى مبتدخلش الاوضه وهو موجود

ثم تابعت بضيق:

- مُهرة غاليه عليا ومحبش حد يكلمها كده ابداً حتى لو كان فارس نفسه

عقدت دنيا ذراعيها امام صدرها وقالت بتهكم:

- يا طنط انا اللى مرات ابنك مش هيه

جذبها فارس من ذراعها برفق وقال بحسم:

- دنيا ..هنتكلم فى الموضوع ده كام مره مش خلصنا منه قبل كده ولا ايه

تحركت مُهرة بانفعال وهى تحبس دموعها وأخذت الطفلين وتوجهت بهما إلى الخارج واغلقت الباب خلفها بقوة وصعدت لشقتها

دخلت ام فارس المطبخ ودخل خلفها قبل راسها وقال معتذرا:

- أنا اسف يا أمى بالنيابه عنها معلش متزعليش علشان خاطرى

نظرت له أمه بعتاب وقالت :

- فهم مراتك ان مُهره زى بنتى واللى مبيحبهاش على الاقل يراعى انى بحبها وانها غاليه عليا

أحاط كتفيها وقال بحنو:

- ما انتى عارفه يا ماما ان مُهره غاليه عندى انا كمان وبعتبرها أختى الصغيرة ونفسى والله دنيا تحبها بس مش عارفه هى واخده موقف عدائى منها كده ليه

لاحت ابتسامة واثقة على شفتيها وقالت:

- انا بقى عارفه

رفع حاجبيه متعجباً وقال:

- عارفه ايه يا أمى

ربطت على كتفيه قائلة:

- مش وقته دلوقتى روح يالا اقعد معاها لتتقمص زى المره اللى فاتت وتاخد بعضها وتمشى

قبل راسها مرة أخرى وخرج من المطبخ متوجهاً إليها لم يجدها فى الصاله الخارجيه بحث بعينيه سريعاً فوجدها بداخل غرفته دلف خلفها فوجدها تنظر يمنةً ويسره وكأنها تبحث عن شىء ما لا تعرفه فقال:

- فى ايه بتدورى على حاجه ؟

كانت تظن أن مُهرة ربما تكون قد تركت لفارس رسالة أو شيئاً من هذا القبيل فى غرفته ولكنها قالت له :

- ابداً مفيش هو انا يعنى اللى اوضتك متحرمه عليا ولا ايه

لفها إليه ورفع راسها ينظر إليها وقال :

- دنيا ..أنتى اللى محرمه نفسك عليها ..هو فى حد يقعد كاتب كتابه 3 سنين

أزاحت يديه وقالت حانقة:

- يوه بقى يا فارس انت كل ما تشوفنى تكلمنى فى الحكايه دى وبعدين ماهو عندك صاحبك عمرو مش ده برضه كتب كتابه معانا تقريبا ولسه مدخلش لحد دلوقتى

حاول فارس أن يتحكم بأعصابه وكتم غضبه حتى لا تستمع والدته لما يحدث بينهم فأخفض صوته وقال بضيق:

- وأحنا مالنا ومال عمرو وبعدين هو لو عليه كان زمانه دخل من زمان لكن ده من ساعة ما كتب كتابه وزى ما يكونوا بينتقموا منه فى شغلوا ومبهدلينوا فى مشاريع بره القاهره حتى مراته مبيشوفهاش غير مرتين تلاته فى السنه ...

و زفر بقوة ثم تابع قائلاً:

- وبعدين هو عنده مشكله فى الشقه لكن أحنا الشقه اللى هنتجوز فيها موجوده أهى وأنتى وافقتى لما كتبنا الكتاب وقلتى معندكيش مانع نقعد هنا

شعرت دنيا بالتوتر يسود بينهم وشعرت أن فارس غضبه يتصاعد فحاولت من تخفيف حدة النقاش قليلاً فغيرت نبرة صوتها وجعلتها أكثر نعومة وقالت:

- يا فارس ما أنت عارف ظروفى ده بدل ما تتفهم حالتى النفسيه بعد وفاة بابا الله يرحمه وبعدين مش أحنا كنا متفقين لما تخلص الدكتوراه علشان مفيش حاجه تعطلك عن الرساله وتخلصها بسرعه

وقبل أن يجيب سمع والدته تناديه من الخارج ..خرج إليها مسرعاً فقالت:

- الغدا خلص تعالى حط الاطباق معايا على السفرة وبعد كده تكملوا بعيد عن البيت

أنا وحده عندى الضغط ومش ناقصه حرق دم

****

أستيقظ بلال من نومه وهو يتململ فى فراشة نظر فى ساعته بعين مفتوحه وأخرى ..مغمضة هب واقفاً فى سرعة ليلحق بصلاة العصر فى المسجد ..توضأ وبدل ملابسه وسريعاً للخارج فوجد عبير تجلس بجوار والدته ويتسامران ..نظر لها بعتاب وقال:

- كده برضوا يا عبير ..أنا مش منبه عليكى تصحينى قبل الاذان بربع ساعه

نهضت وقالت معتذره:

- اسفه والله يا حبيبى كنت هدخل اصحيك من شويه والكلام خدنا انا وماما

نظر إلى والدته وهى تحمل طفله الصغير على قدمها وتلاعبه فقال وهو ينظر حوله:

- الله أومال فين باقى الولاد نايمين ولا ايه

ضحكت والدته وهى تقول:

- لا مش هنا اصلاً واحد مع عزه وأتنين مع مُهرة

نظر لهم متعجباً وأتجه إلى الباب وهو يتمتم:

- واحد مع عزه وأتنين مع مُهرة انا مش عارف هما دول ولادى ولا علبة ألوان

ألقى السلام وخرج وأغلق الباب خلفه متوجهاً للمسجد

جلست عبير وهى تحمل الطفل عن أم بلال وهى تقول:

- والله يا ماما أنا ما كنت عارفه هعمل ايه فى العيال دى لوحدى لولا أن ربنا من عليا بعزه ومُهرة وأنتى كمان يا ماما بتتعبى معانا اوى ربنا يخاليكى لينا

ربطت ام بلال على كتفها برضا وأردفت تقول:

- انا مكنتش مستغربه من عزه لانها كبيرة ماشاء الله وتقدر تخلى بالها من طفل صغير اللى كنت مستغربه منه بجد هى مُهرة ...تعرفى يا عبير لما شفتها فى فرحك حسيت أن البنت دى هتبقى قريبه مننا أوى وحسيت انى اعرفها من زمان ولما ولدتى وجبتى الاربعه ماشاء الله صممت تيجى تقعد معاكى وأمها بصراحه مقالتش لاء ...وفى أسبوع واحد كانت أتعلمت تتعامل مع العيال أزاى وتديهم الرضعه وتنيمهم والعيال كمان أتعلقت بيها أوى ..بس تعرفى يا عبير أمها كمان بتحبك أوى

ابتسمت عبير وهى تقول:

- أم يحيى دى غلبانه اوى يا ماما هى اللى شايله بيتها على كتفها جوزها اصلا بيخرج الفجر مبيرجعش غير بعد نص الليل ولا يعرف حاجه عن ولادوا ومكبر دماغوا ..لما كلمتها عن الصلاة لقيتها ياعينى متعرفش حاجه ومن ساعة ما اتعلمت وهى مواظبه عليها وبتحبنى أوى من ساعتها

أبتسمت لها أم بلال وقالت بحنان:

- انتى يا عبير بترضى ربنا علشان كده ربنا بيحبك وبيخلى الناس الكويسه كلها تحبك وتتعلق بيكى يابنتى

عاد بلال من المسجد فوجدهما فى مكانهما كما تركهما ..دخل وأغلق الباب خلفه ينظر إليهم بابتسامة وهو يردد دعاء دخول المنزل ..

- بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى ربنا توكلنا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أقبلت عبير عليه بابتسامه فقبلها على جبينها وأتجه إلى أمه وقبل كفها وحمل عنها طفله الصغير فقالت عبير :

- ثوانى هحضر الغدا ..أوقفها نداء زوجها فالتفتت إليه متسائله فاقترب منها قائلاً:

- صليتى العصر

قالت بسرعة وهى تستدير للتوجه للمطبخ مرة أخرى:

- لاء لسه هحضر الغدا وأروح اصليه

جذبها من ساعدها برفق وقال:

- تعالى يا عبير عاوزك فى كلمتين

أخذها ودخل بها غرفتهم وأغلقها خلفه ...أستدار لها ينظر إليها وأبتسم وهو يقترب منها ويتحسس وجنتها بأنامله فى رقة وقال :

- على فكره انا زعلان منك أوى يا حبيبتى

قطبت جبينها وقالت بلهفه :

- ليه يا بلال أنا عملت ايه

قال وهو مازال يداعب وجنتها برفق:

- مش ملاحظه يا عيون بلال انك من ساعة ما ربنا رزقنا بالاولاد وانتى بتأخرى الصلاة

خفضت نظرها فى خجل وقالت :

- معاك حق يا حبيبى بس والله بيبقى غصب عنى ...بعمل حاجات كتيرة والولاد وشغل البيت بيخلونى باخرها غصب عنى

قبلها على وجنتها قائلا:

- روح قلبى ..أنتى عارفه كويس أن مينفعش نقدم اى حاجه على الصلاة مهما كانت الحاجه دى ايه ..عارفه لو أول ما سمعتى الاذان سبتى كل اللى فى ايدك وروحتى أتوضيتى وصليتى ...

هترجعى تلاقى الحاجه بتتعمل بسهوله ويسر أكتر من لو أخرتى الصلاه علشانها ...يعنى لو سبتى الطبيخ وروحتى صليتى هترجعى تكملى وأنتى مرتاحه والاكل هيطلع فيه بركة من ربنا ...

لو بداتى تتهاونى فى مواعيد الصلاه يا عبير هتلاقى نفسك يوم ورا يوم بتصليها قبل الوقت اللى بعدها بخمس دقايق وواحده واحده هتسيبى النوافل والسنن لانك بتصليها يدوب على الوقت

وواحده واحده هتلاقى نفسك بتجمعى الصلوات مع بعض ....ماهو الشيطان مش هيجى يقولك مره واحده كده سيبى الصلاه لاء..ده هيجبهالك واحده واحده الاول تأخريها وبعدين تسيبى السنن وبعدين تجمعى الصلوات وبعد كده الله اعلم ...وأنا عارف أن حبيبتى هتاخد بالها بعد كده ولو الولد بيعيط حتى ...صلى وانتى شايلاه مفيهاش حاجه

أبتسمت عبير وهى تمسك بيده التى سكنت على وجنتها قالت بحب:

- ربنا يخاليك ليا يا حبيبى ...انا مبسوطه بيك اوى يا بلال ..لو كنت اتجوزت راجل مش ملتزم كنت هلاقى مين ينبهنى ويقولى الكلام ده وبالطريقة دى

أبتسم وهو ينظر لعينيها وقال بحب:

- لا اعملى حسابك مش كل مره هتكلم بالطريقة دى ..المره اللى جايه فى ضرب ومش أى ضرب ده هيبقى ضرب بضمير وطبعا أنتى عارفه ضميرى ..فاهمانى

ضحكت عبير وهى تحمل الطفل قائلة:

- الا عارفه أنت هتقولى على ضميرك برضه ..انا هروح بقى اصلى وبعدين أحضر الغدا

لحق بها عند باب الغرفه وقال:

- لا بلاش تدخلى المطبخ

ألتفتت له بدهشة وقالت متعجبة :

- ليه

قال بحب وهو يمسح على شعرها:

- بغير عليكى من عيون البوتاجاز

ضحكت عبير وأحمرت وجنتيها وخرجت مسرعة توضأت وصلت العصر وأعدت الطعام كأحسن ما يكون.. ولم لا فلقد بثها حناناً فأطعمته جمالاً..جعلها ملكةً فوضعته على عرش قلبها وتوجتهُ حاكماً وملكته صكوك غفرانها

****

أخذت عزة الهاتف وسحبت السلك خلفها ودخلت غرفتها وأغلقتها خلفها وهى تضع سامعته على أذنها وتسندها بكتفها وابتسامتها واسعة ثم قالت بصوت خفيض:

- وحشتنى

قال مداعباً:

- أيه الجرأة دى كلها وحشتنى مره واحده ..الله يرحم اللى كانت قاعده جنبى يوم كتب كتابنا ومكنتش عاوزانى ألمسها اصلاً

أحمر وجهها وقالت بعتاب:

- كده يا عمرو طب انا غلطانه مش هقولك حاجه تانى

قال بسرعة :

- لالالالا بهزر معاكى يا شيخه أنتى ايه ما بتصدقى علشان تمنعى عنى الدعم السنوى

أتجهت إلى فراشها وهى تحمل الهاتف وكأنها تحمل قلبها بين يديها بعنايه وجلست عليه وقالت بشوق:

- بجد يا عمرو هتيجى أمتى وحشتنى جدا جدا جدا

أستلقى على فراشه ووضع يده تحت راسه وقال بهمس:

- وأنتى كمان يا حبيبتى وحشتينى اوى بس غصب عنى والله بس عموماً هانت كلها أسبوعين وتلاقينى عندك وساعتها بقى يا جميل هبقى عاوز عشره يكتفونى زى الراجل ابو عضلات ده اللى بيقعد فى المولد يقول عاوز عشره يكتفونى وبعدين يعيط ويقول وعشرين يفوكونى

- اسبوعين يا عمرو لسه أسبوعين كمان وياترى بقى زى كل مره هتيجى يومين وتمشى تانى

أراد عمرو ان يغير مجرى الحديث فهو يعلم انها ستبكى بعد قليل كعادتها وتطالبه بترك شركته التى أتعبتها شوقاً له منذ عقد قرانه عليها فقال :

- فاكره يا وزه يوم كتب الكتاب عملتى فيا ايه بقى فى عروسه تسيب جوزها زعلان وتقعد تاكل هى

ابتسمت وقد تذكرت ذلك اليوم وقالت :

- هو انا يعنى كنت باكل جوع انا كنت بهرب منك أنت مكنتش شايف شكلك ساعتها

ضحك ضحكات رنانه أختلج لها قلبها وقال:

- بصراحه معاكى حق أنا كنت عامل زى القطر اللى من غير سواق

وضحك مرة اخرى وأختلج قلبها وخفق مرة اخرى وهى تستمع لمغازلاته وأشواقه وأنهت المكالمه كما تنهيها كل مرة هاتفةً:

- عمرو أنت مش مؤدب ..

وتضع سماعة الهاتف بارتباك وقد تلون وجهها وتنهض مقطبةً جبينها وهى تتوعده فى داخلها بنفس العباره..

- ماشى يا عمرو مش هكلمك تانى بالليل ولو أتصلت مش هرد عليك....

****

وفى الليل دخل فارس فراشة وأستلقى فى أرهاق شديد ..أمسك جبينه بيديه يشعربألم شديد فى رأسه ...نهض مرة أخرى وجلس خلف مكتبة الصغير يبحث عن حبات مسكنة للصداع تناول واحدة منها وشرع فى إغلاق درج مكتبة مرة أخرى فوقع بصره على الصور الفوتوغرافية الصغير مبعثرة داخله فأبتسم وقد علم أن مُهرة كانت تشاهدها وأغلقت الدرج سريعاً بحيث بعثرت ما به ...أعادها بعناية كما كانت سابقاً وهو يحاول أن يذكر نفسه بأن يحضر ألبوماً للصور لكى يحافظ عليها من أى اهمال قد يصيبها فهى تمثل حقبة مهمة من حياته منذ أن كان صبياً فى الحادية عشر من عمره ووُلدت مُهرة فى غياب والدها وحملها طوال الليل بعد أن اهملها الجميع فكان الجميع منشغلاً فى والدتها التى أُصيبت بنزيف حاد بعد ولادتها وأعطتها له والدته يحملها ويرعاها ووضعت بجوار كوب به ماءاً مختلطاً بالسكر ليسقيها حتى تعود إليه ونسيها الجميع معه...كان يسقيها تارة ويتأملها تاره ويدور بها فى الغرفه حتى يسكت بكاؤها الذى لم يطل كثيراً وأخذ يفكر فى اسم يليق بملامحها

البريئة حتى بزوخ فجر يوم جديد كان قد أستقر على أسمها الجديد والذى استقاه من أسمه وقد كانت مُهرة ..أنتزعه صوت هاتفه النقال من عالمه الخاص وابتسم وهو ينظر لاسم المتصل وأجابه على الفور:

- حظك حلو لسه كنت هعمل الموبايل صامت وهنام

ضحك عمرو وقال مداعباً:

- والله وعرفنا الموبايلات والصامت والحركات ربنا يخاليك لينا يا شارع عبد العزيز

ضحك فارس لدعابته وقال :

- والله عمرك ما هتتغير ده أنت تستحق البهدله اللى أنت فيها

زفر عمرو بقوة وهو يقول:

- وأى بهدله يا فارس أنا مش عارف هو انا مهندس ولا متهم وواخدينه كعب داير

- وأنا مش عارف أنت متمسك بالشركة دى كده ليه طالما مطلعين عينك

- أعمل ايه بس يا فارس منا دخت على شغل كتير مش لاقى حتى نص المرتب اللى باخده من الشركه دى

- خلاص بقى أستحمل ومتشتكيش

- انا متبعبش من الشغل وأنت عارف انا بس مضايق علشان عزة كل ما أكلمها الاقيها مضايقه من كتر سفرى والشحططه اللى أنا فيها وعماله تزن عليا علشان أسيب الشغل وانا بصراحه مش ناوى أسيبه الا لما الاقى حاجه أحسن

- بصراحه معاها حق انا لو منها أصمم مش عارف هى ليه بتسمع كلامك

ضحك عمرو وقال بثقة:

- يابنى أنا محدش يقدر يقف قدام جاذبيتى ...واردف قائلاً:

- وبعدين خلاص هانت بابا كلمنى وقالى أن فى شقة على اول شارعنا هتفضى قريب وإيجارها معقول أوى وهو ظبط مع صاحب البيت خلاص ...المهم أنت عامل ايه وهتدخل أمتى لما تخلل ولا قبلها بشويه ؟!!!

نظر فارس أمامه وقال بحسم:

- خلاص يا عمرو انا مش هستحمل أعذارها أكتر من كده كبيرها معايا شهرين اخلص فيها الرسالة ومش هقبل أى تأجيل تانى خلاص

تحدث قليلاً مع صديقه وعاد إلى فراشة مرة اخرى مستعداً للاستغراق فى نوم عميق ولكن عقله كان شارداً فى علاقته بدنيا ووضع امامه علامات استفهام كبيرة ..هل حقاً هى التى تؤجل الزفاف بدون اسباب مقنعه ام هو الذى كان يوافقها على أسبابها تلك وكأنه يرحب بالتأجيل ...كيف ستسكن فى شقة واحدة مع أمى وهما مشاعرهما متنافرة تجاه بعضهما البعض لن يستطيع أن يترك امه وحدها مهما كانت الاسباب وخصيصاً أن أمه أمرأة خلُوقة لا تؤذى احداً بلسانها ولا بافعالها ولا تتطفل على احد ولن تسبب لهما أى ضيق فى حياتهما الزوجية هى فقط تريد من يرعاها ويذكرها بدوائها ويتسامر معها قليلا حتى لا تشعر بالوحدة فهل هذا كثيراً عليها فى مثل هذا العمر ....

****

وفى الصباح خرجت مُهرة لتذهب لمدرستها ولكنها توقفت فجأة أمام باب شقة فارس ولمعت عينيها بفكرة مراهقه مثلها ..صعدت مرة اخرى أربع درجات من السلم للخلف ووقفت تنتظره فهو يذهب إلى عمله صباحاً فى هذا التوقيت وقفت أكثر من ربع ساعة حتى سمعت مقبض الباب يدور من الداخل والباب يفتح فتصنعت النزول وكأنها قابلته صدفه ...أبتسم لها قائلاً:

- صباح الخير يا مُهرة رايحه المدرسة ؟

أبتسمت فى خجل وقبل أن تجيبه وجدته قطب جبينه وهو يقول بجدية:

- ايه ده يا مُهرة الحجاب صغير كده ليه

وضعت يدها على أطراف حجابها ونظرت إليه وقالت:

- مش صغير ولا حاجه ده كبير بس بلفوا بطريقة معينه زى صحباتى ما بيعملوا

حك ذقنه قليلاً ثم طرق باب شقته ففتحت والدته ونظرت لهما دهشة وهى تقول:

- ايه يابنى نسيت حاجه ولا أيه

أشار إلى مُهرة وقال بضيق:

- أه نسيت نسيت أخد بالى منها بقالى بفترة طويله ..خديها يا ماما لو سمحتى جوه خاليها تظبط حجابها

وقفت مُهرة أمام المرآه تعدل من حجابها سريعاً وهى تتمتم متبرمة:

- يا طنط كل صحابتى بيلفوا طرحتهم كده

كانت والدته تنظر إليها فى صمت وشرود وهى تتحدث وتمط شفتيها وتتمتم فى ضيق وتحرك يديها فى سرعة لتثبت دبابيس الحجاب جيدا حتى أنتهت وألتفتت إليها قائله:

- ها كده كويس

أومأت لها والدته وقالت :

- أيوا كده كويس يالا بقى علشان متتأخريش على مدرستك اكتر من كده

ألقى فارس نظرة سريعة على حجابها وأستدار ليخرج متوجهاً لعمله وهو يقول:

- هجبلك النهارده وأنا راجع خمارات لف ...شغل الطرح ده مش عاجبنى

حملت مُهرة حقيبتها وخرجت تعدو لتلحق بمعاد المدرسة وأغلقت الباب خلفها ظلت أم فارس تنظر إلى الباب المغلق واجمةً وبداخلها مشاعر كثيرة ودت لو كانت مخطأةُ فيها ...

****

الفصل الثامن عشر

أستيقظت مُهرة فزعةً من نومها تصرخ باسم فارس وتناديه ..جلست على فراشها تلتقط أنفاسها بصعوبة .. كانت تبكى وهى نائمة على اثر حلم مفزع ولكنها فوجأت بالدموع تغرق وجهها وكأنها كانت تبكى فى الحقيقة لا فى الحلم .. مسحت دموعها التى شقت طريقها فى ثبات على وجنتيها وأخذت تمتم بالاستعاذة لتهدئْ من روعها قليلاً وهى تدور بيعينيها فى غرفتها لتتأكد أنها وحيدة فيها ولم يسمعها أحد ..نهضت متثاقلة من فراشها وهى تحيط جسدها بذراعيها لتبث الامان فى نفسها ..فتحت نافذة غرفتها ليتسلل ضوء القمر إليها ويغمر وجهها مداعباً لوجنتيها..

أطلت برأسها للأسفل لعلها ترى خيال ظله فى نافذته أو شرفته التى كانت غارقة فى الظلام أغلقت نافذتها وأتجهت إلى فراشها مرة أخرى ولكنها سمعت صوته يتردد فى عقلها وهو يقول:

- لو شفتى كابوس أتفلى على الناحيه الشمال ثلث مرات واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم ويستحسن تقومى تتوضى وتصلى ركعتين علشان تطمنى

توجهت مباشرة إلى الحمام توضات وصلت ركعتين أدخلا الطمأنينة فى نفسها ثم عادت لفراشها وقد داعب النوم جفونها فتثاقلت وأستسلمت لنوم عميق

****

جلس فارس بجوار والدته حول مائدة الغذاء وبدأ فى تناول الطعام وهو يقول:

- متعرفيش مُهرة رجعت من المدرسة ولا لسه يا ماما

هزت والدته رأسها نفياً وابتلعت طعامها ثم قالت:

- لاء لسه عندها درس بعد المدرسة على طول ..بتسأل ليه؟

ترك الملعقة من يده ونظر إلى والدته متسائلاً:

- درس أيه ده وفين

نظرت إليه والدته بتفكير ثم قالت:

- مش عارفه درس أيه بالظبط اللى أعرفه أنها عندها دروس بعد المدرسه ..بطلت أكل ليه

تناول ملعقته مرة اخرى وقال بضيق:

- أنا مبحبش قصة الدروس اللى مالهاش مواعيد دى وبعدين ما تاخد الدرس فى بيتها

لازم تروح تتنطط عند الناس بره والله اعلم بيوتهم عامل أزاى وشكلها أيه وعندهم رجاله ولا لاء...صمت قليلاً ثم اردف قائلاً:

- لما ترجع ابقى نادى عليها علشان عايزها.. لما نشوف ايه حكاية الدروس دى

شردت والدته قليلاً وهى تقلب طعامها فى طبقها عدة مرات حتى لاحظ هو ونظر إليها وتسائل بأهتمام:

- مالك يا ماما مبتكليش ليه

وضعت أمه معلقتها وشبكت اصابعها امامها وهى تستند بمرفقيها على المائدة ونظر إليه بعمق وقالت:

- تسمح ملكش دعوه بالحكايه دى ..مُهرة كبرت يا فارس ومينفعش تفضل تتعامل معاها كده وبعدين أخوها يحيى كبر وبقى راجل وهو اللى يقولها رايحه فين وجايه منين والكلام اللى أنت عاوز تعمله ده

قالت جملتها الاخيرة وهو ينظر إليها بدهشة لا يكاد يصدق ما يسمع فقال باستغراب:

- بتكلمى كده ليه يا ماما من امتى وانا مش مسئول عن مُهرة أنتى قولتيلى الكلام ده قبل كده لما جبتلها الخمارات وأنا مركزتش معاكى لكن لما يتعاد تانى يبقى فى حاجه انا معرفهاش

مدت يدها وربتت على يده وقالت بشفقة:

- انا عارفه انك انت اللى مربيها وبتعتبر نفسك مسئول عنها لكن يابنى دلوقتى الوضع اختلف مُهرة كبرت خلاص

ترك ملعقته ونهض وهو يقول بانفعال شديد:

- معنى أنها كبرت أنى خلاص أشيل أيدى من المسئوليه وكمان وأن عارف أن اخوها مكبر دماغه وبره البيت طول اليوم وأبوها مسافر وسايبهم ...

أعتدلت والدته وهى تقول :

- طب يابنى تعالى كمل أكلك مالك زعلت كده ليه

أتجه إلى غرفته وهو يقول باقتضاب :

- معلش يا ماما شبعت عن اذنك هدخل اريح جوه شويه

هزت والدته رأسها فى عدم رضا وهى تقول بأسف:

- ربنا يهدى الحال

دخل فارس غرفته متبرماً ألقى جسده على الفراش كما لو كان يدفع حملاً ثقيلاً عن كتفيه قد أثقله ...كيف يتركها وهى ...هى التى وُلدت ووُضعت بين ذراعيه مباشرة قبل أن تلامسها يدي والدتها وقبل أن يراها أخيها وقبل أن يعلم أبيها بأنها قد جاءت إلى الحياة..

هى التى كبُرت بين يدي وأحتوتها غرفتي لسنوات طفولتها ومشاغباتها وألعابها وسعادتها ومرحها بل وبكائها وتبرمها وضجرها وزرعتُ فيها القيم والاخلاق التى أُحبها وعاداتى المفضلة فأصبحت تتوقع تتصرفاتى قبل أن افعلها وعلمتُ عنها كل شىء بل وأكتشفتها كما أكتشفتنى فاصبحت كتاباً مفتوحاً أمامى خالى من الالغاز لاتوجد به علامة استفهام واحده ...ترددت كلمات أمه فى عقله مقتحمة ذكرياته مبعثرة افكاره وهى تخبره أن أخيها أولى بها لانها قد كُبرت..فوضع الوسادة على وجهه يريد اسكات هذه الكلمات التى غزة عقله وقال بعناد وبصوت مسموع ..لا لم تكبر مازالت طفلتى الصغيرة !!

****

نقر عمرو بخفه نقرات بسيطه باب مكتب المهندس صلاح ثم فتحه وأطل برأسه داخله وهو يقول:

- صباح الخيرات

ضحك صلاح وهو ينهض ويتجه إليه ..عانقه بحرارة وهو يقول:

- حمدلله على السلامة جيت أمتى ؟

قال عمرو بمرح:

- لسه نازل من الجتر يا بشمهنديز

أهتز صلاح ضاحكاً وهو واضع ذراعه على كتف عمرو وقال:

- لاء شكلك أخدت الجنسيه من كتر قاعدتك هناك

جلس عمرو على المقعد المقابل للمكتب وقال برجاء:

- أبوس أديكوا بقى كفايه أنا لفيت جمهورية مصر العربية كلها هو أنا عملت فيكوا ايه علشان ترحلونى كل شويه كده

أختفت أبتسامة صلاح وجلس على المقعد المقابل لعمرو وقال بجدية:

- يعنى مش عارف عملت ايه حد قالك تتجوز

أستند عمرو بمرفقه على حافة المكتب ولوح بيديه قائلاً:

- هو انا عارف أتجوز ده انا كتب كتابى ومن ساعتها وانا متبهدل هى الشركه كل مشاريعها خارج القاهره ليه نفسى اعرف

مال صلاح للأمام وقطب جبينه قائلاً:

- أسمع يا عمرو أنت عارف أنى بحبك زى ابنى بالظبط وبصراحه كده أنا مش عاجبنى تصرفاتك أنت يابنى زى ماتكون عاجبك اللى بيحصل ومبسوط أن فى حد بيجرى وراك وعايزك

عقد عمرو يديه أمام صدره وقال معترضاً:

- هو انا يعنى عاوز أتمرمط كده فى كل حته شويه ..أنا بس والله عاوز أحوش قرشين علشان أعرف أجيب العفش ..ولو سبت الشغل دلوقتى يبقى قول على جوازى يا رحمان يارحيم ..أعمل ايه مضطر استنى واشتغل واسافر وأستحمل بعدى عن أهلى ومراتى لحد ما الاقى شغل تانى على الاقل بنفس المرتب اللى باخده هنا..

أسند صلاح ظهره الى المقعد وقال متسائلاً:

- يعنى جبت الشقه خلاص

قال عمرو بابتسامة واسعة :

- أه الحمد لله حاجه كده ايجار بس حلوه ومش محتاجه توضيب كتير يعنى تقريباً جاهزة

ابتسم صلاح وهو يقول متهكماً:

- يعنى عاوز ثلاث سنين كمان علشان تعرف تجيب العفش ؟!!

زفر عمرو بحنق وقال بضيق:

- والله منا عارف انا شكلى هطلب سلفه أنت ايه رايك

حك صلاح ذقنه وصمت قليلاً يفكر ثم قال:

- فى حل تانى غير السلفه اللى انا متأكد ان مدام إلهام مش هتوافق عليها

قال عمرو بلهفه:

- إلحقنى بيه قوام

صلاح :

- عندى واحد صاحبى عنده معرض كبير للاثاث هو بيبيع بالقسط أنا هروح معاك اعرفك المكان وأكلموا وهو هيظبطك فى حكاية القسط دى ان شاء الله متشلش هم

هب عمرو واقفاً وأمسك رأس صلاح وقبلها بقوة وقال:

- ربنا يخليك لينا يا كبير

ضحك صلاح ثم قال بجدية:

- عاوز نصيحتى ..أمشى دلوقتى قبل ما حد يشوفك ونتقابل بعد المغرب ونروح المعرض سوا

وبكره وبعده أجازه ممكن تاخد مراتك وتروحوا تنقوا العفش ...ثم أشار له محذراً وقال:

- ولما تنوى على المعاد الفرح أنا اللى هخدلك الاجازة بنفسى علشان محدش يقفلك فيها

عانقه عمرو فى سعادة ثم تركه فجأة وفتح الباب وفر هارباً ..

****

كان فارس عائداً من عمله فى وقت الظهيرة وقبل أن يأخذ طريق المنعطف أذا به يصطدم بعمرو الذى كان يمشى بخطوات واسعه فى الاتجاه المعاكس وهو على عجلة من أمره تفاجأ فارس بعودة عمرو وهتف وهو يعانقه فى سعادة :

- عمور جيت امتى حمد لله على السلامه

عانقه عمرو بقوة وربط على ظهره وهو يقول:

- واحشنى يا ابو الفوارس والله أنا لسه جاى طاظه

فارس :

- ورايح على فين كده

مسح على شعره وقال بابتسامة واسعه:

- اصلى هروح عند عزة كمان شويه وقلت يعنى اجيبلها هديه بقالى كتير معملتهاش

ضحك فارس وهو يقول:

- ايه ده .. بقى عندك دم اخيراً مبروك يا اخى ..

عمرو :

- الله يبارك فيك عقبالك كده لما تتجوز وتريحنا منك

تذكر عمرو مقابلته مع صلاح فقال سريعاً:

- صحيح يا فارس ما تيجى معايا النهارده هروح معرض بيبع عفش بالقسط ايه رايك تيجى تتفرج..البشمهندس صلاح رئيسى فى الشغل يعرف صاحب المعرض وهيظبطلى موضوع التقسيط وان شاء الله هيبقى القسط حنين

لمعت عينيى فارس وقال:

- أنت وقعتلى من السما يابنى ده انا كنت فى مشكله بسبب الموضوع ده محتار هجيب العفش منين وبكام

ربط عمرو على ذراعه وهو يقول بغرور:

- خلاص نتقابل نروح سوا ..بس ابقى عد الجمايل بقى ها..

ثم أردف متسائلاً:

- هتناقش الرسالة أمتى ؟؟

قال عبارته الاخيرة وهو يرى فارس ينظر فى الاتجاه الآخر بتركيز فأعاد عبارته مرة اخرى ولكنه لم يجبه ايضاً بل وتركه وتحرك بسرعة ...تابعه عمرو بنظره فوجده يتحرك فى أتجاه مُهرة التى تسير بسرعه وكأنها تستعد للعدو وأخيه محمود يسير خلفها يحاول أن يتكلم معها ومن الواضح انه يضايقها

فُزعت مُهرة عندما تفاجأت بفارس مقبلاً عليها مسرعاً والشرر يتطاير من عينيه وهو ينظر لمحمود وقد احتقن وجهه ...أصفر وجه محمود عندما رأى فارس فى هذا الوضع وتسمر مكانه ..

أمسك فارس بتلابيب محمود وقال زاجراً:

- أنت راجل انت ؟!.. ده بدل ما تحميها

اقترب عمرو فى سرعه وخلص أخيه من قبضة فارس وهو يقول:

- معلش يا فارس أمسحها فيا

ثم نظر لمحمود مؤنباً وقال:

- كده يصح يا محمود برضه

شرعت مُهرة فى التدخل ولكن فارس نظر إليها بصرامة أخافتها وصاح بها:

- أمشى أطلعى على البيت وحسابى معاكى بعدين

خافت مُهرة وهرولت إلى المنزل سريعاً وهى تتمتم :

- يارب استر يارب استر

أطرق محمود رأسه أرضاً وهو يقول:

- انا مكنش قصدى أعاكسها أنا كنت عاوز أقولها أنى عاوز أخطبها وهى كانت مش عاوزه تسمعنى

أمسكه فارس من ملابسه مرة اخرى وقال بعصبية:

- تخطب مين يلا ..مش لما تبقى راجل الاول وتحافظ على بنات الناس

تدخل عمرو مرة أخرى وخلص أخيه وهو يحاول تهدأت فارس الذى أفلته وتوعده بعينين تشعان غضباً وقال بلهجة صارمة :

- أنا مرضتش أمد أيدى عليك علشان خاطر عمرو بس ..لكن لو الموقف ده أتكرر تانى محدش يلومنى على اللى هيحصلك ..على الله تقرب منها تانى ولا حتى تيجى على بالك أنت فاهمنى يلا ولا لاء

قال كلمته الاخيره وتركهم وأنصرف فى غضب هادر ..نظر عمرو إلى أخيه محمود وقال بجدية:

- من أمتى وأحنا بنعاكس البنات فى الشوارع يا محمود عيب يا أخى ده انت حتى صاحب أخوها يحيى

قال محمود بضجر وهو يلوح بيديه:

- وهو ماله هو أبصلها ولا افكر فيها ..هو كان ولى أمرها وبعدين أنا غرضى شريف وهخطبها يعنى هخطبها

دفعه عمرو من كتفه بأتجاه البيت وهو يقول:

- طب أمشى بقى فورت دمى

وتركه وأنصرف فى طريقه وهو يتمتم :

- ايه البلاوى دى اروح للموزه بتاعتى أزاى وانا دمى فاير كده

****

دلفت مُهرة باب شقتها وأغلقت الباب خلفها وهى تضع يدها على صدرها الذى كان يعلو ويهبط بسرعة ..تتنفس بصعوبة وقد تلاحقت انفاسها بشدة كأن أسداً كان يلاحقها ..أقبلت عليها والدتها مسرعة وهى تنظر لها بلهفة وقالت :

- مالك يا مُهرة فى حد بيجرى وراكى

حاولت ألتقاط أنفاسها وقالت وهى تجلس على اقرب مقعد:

- فارس شاف محمود وهو ماشى ورايا وكان هيضربه

- محمود مين صاحب يحيى؟! وكان ماشى وراكى ليه ده وعايز منك ايه

- بيقولى عاوز يخطبنى

جلست أم يحيى امامها وقالت بتفكير:

- هو قالك كده ؟!.......طب أزاى ده لسه طالب فى الجامعه

نظرت لها مُهرة وقالت متبرمة:

- طالب ولا مش طالب أنا اصلا مش طايقاه وهقول ليحيى ميدخلوش هنا تانى

قالت والدتها بسرعة :

- اسكتى أنتى ملكيش دعوه انا هبقى اشوف الحكايه دى

نهضت مُهرة وحملت حقيبة المدرسة فى يدها لتدخل غرفتها وهى تقول بحنق:

- حكاية ايه يا ماما ده ولد مش كويس وكمان شوفته مره وهو بيشرب سجاير ولو كلمنى تانى هقول لامه

قالت كلمتها الاخيره بعصبيه ودخلت غرفتها ..نظرت إليها والدتها وضحكت وهى تردد كلمتها الاخيره:

- هتقولى لامه !!!!!!...هتفضلى عيله لحد أمتى يا بنتى

****

خرجت عزة من غرفتها سريعاً عندما أستمعت لصوت عمرو فى الخارج وهو يتحدث مع والدها بصوت مرتفع ويضحك بشدة ..تلك الضحكات التى تأسرها وتزلزل قلبها ..أصطدمت بوالدتها التى كانت متوجهة للمطبخ ..أتسعت عينيى والدتها وقالت بدهشة:

- خضتينى يا عزة بتجرى كده ليه

ارتبكت عزة وهى تقول:

- مفيش يا ماما تقريباً كده حد بينده عليا

نظرت لها والدتها بخبث وقالت:

- ياسلام ..يابت أتقلى شويه يقول عليكى ايه ...

ثم اردفت وهى تتجه للمطبخ :

- تعالى ورايا يالا خدى الشاى علشان تقدميه بدل ما تخرجى زى العبيطه كده

تبعتها عزة وبدأت فى صنع الشاى فدخل والدها المطبخ وقال وهو ينظر إليها:

- بتعملى ايه عندك يالا أطلعى سلمي على جوزك

لم تنتظر عزة كثيراً وأنطلقت فى سرعة إلى غرفة الصالون وبمجرد أن أن أقتربت منها وقفت وهندمت ملابسها وشعرها ثم فتحت الباب بهدوء ودلفت للداخل وقد تعلقت عيناها بزوجها الذى نهض واقفاً وعلى شفتيه أبتسامة عذبة وهو يكاد أن يلتهمها بعينيه ونظراته المشتاقه..

خطت فى أتجاهه ومدت يدها تصافحه فتناول كلتا يديها ورفعها لشفتيه وقبلها بشوق ثم وضعها على وجنتيه وهو يقول:

- وحشتينى جداا يا حبيبتى

تأملت وجهه وهى تقول بحب:

- وأنت كمان

فرت دمعة من عينيها بدون شعور فمد يده ومسحهما وداعب وجنتيها وهو ينظر إلى عينيها التى تحمل الشوق المختلط بالحزن وقال :

- أنا مش هسألك الدموع دى ليه ..أنا عارف أنى مقصر معاكى بس والله غصب عنى

ابتسمت بأسى وقالت :

- حمد لله على سلامتك وأوعى تقولى انهم كلفوك بشغل فى حته تانيه زى كل مره

أبتسم وألتفت إلى الاريكه وتناول من عليها شنطة وأخرج منها علبة مستطيلة الشكل صغيرة وقدمها لها قائلاً:

- حبيبتى ممكن تقبل منى الهدية البسيطه دى

أخذتها عزة بلهفة وفضتها أمامه وأتسعت عينيها وهى تنظر إلى الهدية ثم تنظر إليه

وقالت بسعادة:

- الله ايه ده برفان

وضعت منها قليلا على يدها وقربتها من أنفها وأستنشقتها بنشوى وهى تقول :

- الله دى جميلة أوى يا عمرو ..متشكرة أوى يا حبيبى

أمسك عمرو كفها واستنشقه وهو يغمض عينيه أستمتاعاً برائحته ثم نظر لها وقال بشوق:

- البرفان ده ميتحطش غير ليا انا بس فاهمه ولا لاء

طرقت والدتها الباب ودخلت تحمل صينية الشاى أخذها عمرو من يدها ووضعها على الطاولة أمامه فقالت:

- الله ايه الريحه الحلوه دى

قالت عزة بسعادة:

- شوفتى يا ماما عمرو جابلى أيه

قالت والدتها وهى تنظر إليهما :

- يعيش ويجبلك يابنتى ..ثم نظرت لعمرو وقالت:

- عمك بيقول أنك هتروح تشوف المحل اللى هتجيب منه العفش النهارده يا عمرو

لمعت عينيى عزة سروراً وهى تنظر إليه فقال:

- النهارده ان شاء الله هروح اشوفه ولو الامور مشيت فى موضوع القسط ده هاخدكوا بكره ان شاء الله ونروح نتفرج وعزة تنقى اللى هى عايزاه فى بيتها

ثم قال موجهاً كلامه لأم عزة:

- انا عارف أنى طولت عليكم فى موضوع الفرح .. محدش بيكتب كتابه كل ده بس خلاص هانت أحنا نخلص موضوع العفش فى أسبوع إن شاء الله وبعدين نحدد معاد للفرح

وقصد أن ينظر لـ عزة ويتأمل عينيها فى أهتمام وهو يتابع قائلاً:

- فارس قالى أنه أحتمال كبير يدخل على أول الشهر بعد ما يناقش الرساله على طول وممكن نعمل فرحنا مع بعض...

لا يعلم عمرو لماذا كان يبحث عن علامه من علامات الحزن أو الاسى فى ملامحها وعينيها وهو يلقى هذا الخبر ولكنه لم يجد إلا السعادة والفرحه التى أجتاحت ملامح عزة وهى تستمع إلى بشرياته واحده تلو الاخرى وهتفت قائلة:

- بجد يا عمرو ... ثم عانقة والدتها وأحتضنتها بسعادة

قطع تصرف عزة هذا وسعادتها الكبيرة بما تسمع الشك باليقين فى قلب عمرو تجاه مشاعر عزه نحو صديقه وقال بمرح :

- مش هتغدونا بقى ولا ايه يا جماعه أنا واقع من الجوع

****

- تعال اقعد يا فارس ..

نطق الدكتور حمدى بهذه العباره وهو يشير إليه بالجلوس وقد بدا عليه الاهتمام الشديد وهو يعتدل فى جلسته ويستند إلى المكتب بمرفقيه ويشبك أصابع كفيه فى بعضهما البعض ..كانت طريقتة توحى بأنه يستعد لالقاء حديثاً هاماً مما جعل فارس يشحذ حواسه كلها وهو ينظر إليه متسائلاً وهو يقول:

- خير يا دكتور قضية مهمه مش كده ؟

أبتسم الدكتور حمدى وهو يهز راسه موافقاً وقال :

- هى فعلاً قضيه مهمه ..يمكن أهم قضية فى حياتك

طلت النظرات المتسائلة من عينيى فارس ولكنه لم يعقب وترك المجال للدكتور حمدى ليشرح بنفسه فقال:

- فاكر يا فارس لما قلتلك انى بحضرك لحاجه مهمه أوى

هز فارس رأسه وهو يقول:

- أيوا فاكر يا دكتور

أردف الدكتور حمدى متابعاً:

- شوف يا فارس أنا عاوز تسمعنى كويس وتفهمنى ... أستدار فارس بجسده كله تجاهه وهو ينصت بأهتمام وتركيز حيث قال الدكتور حمدى:

- أنا نويت أسيب المكتب وأتفرغ شويه لبيتى ومراتى وولادى وبينى وبينك زهقت من الفساد اللى بقى متفشى حوالينا فى المهنه دى زى السرطان .. زمان كنت صغير وكنت بناطح وبحارب دلوقتى صحتى خلاص مبقتش تستحمل

قاطعه فارس وهو يقول بضيق:

- لا يا دكتور أنا مش معاك فى القرار ده لو سبنا الساحه للمفسدين يبقى كأننا بنساعدهم بالظبط

قاطعه الدكتور حمدى باشارة من يده وقال :

- استنانى لما أخلص كلامى يا فارس ...أنت كلامك صح وده اللى انا فكرت فيه ده غير أنى مهما كان مهنش عليا أرمى أسمى وتاريخى الطويل ورا ضهرى بسهوله كده واقفل المكتب ...ولما فكرت كويس ربنا هدانى لفكرة دخلت دماغى أوى وشايفها حل وسط هيريحنى وفى نفس الوقت هتبقى دى بدايتك الحقيقيه

جالت بخاطره افكار كثيرة متشعبه ومتشابكه كأشجار الغابات فبداية الحديث غير مبشرة بالمره ولكن نهايته لغز كبير ..قرأ

حمدى الحيرة فى عينيه فقال بحسم:

- أنت يا فارس اللى هتمسك المكتب كله بدالى ومكتبى ده هيبقى بتاعك والقاضايا اللى هتشتغلها هتتوزع على تلاته تلت ليا وتلت ليك وتلت للمكتب مرتبات ومصاريف

أتسعت عينى فارس من وقع المفاجأة ونهض بغير ارادة منه واقفاً وهو يقول بذهول:

- مش معقول ..انا مش مصدق يا دكتور ..

واشار إلى صدره وقد أزدادت قوة نظراته المتسلطة على الدكتور حمدى وهو يقول بعدم تصديق :

- انا ؟!!

أومأ الدكتور حمدى براسه وقال مؤكداً:

- ايوا يا فارس ..وبعدين مالك مستأل بنفسك كده ليه ..ده انت اقل من شهر وتاخد الدكتوراه

المفاجأة كانت كبيرة جدا على فارس فلم يكن ليصدق ما يسمع هل سيدير المكتب ويجلس خلف مكتب الدكتور حمدى ليأخذ مكانه ويشاركه نسبة الثلث فى أتعاب كل قضية !!

هز راسه يمنة ويسره وهو يحاول استيعاب الموقف جيداً ولكن الدكتور حمدى أعاد كلامه مرة اخرى وهو يؤكد له ما فهمه منه وأخبره أنه سينتظره حتى يعود من أجازة زواجة ليبدء مهام عمله الجديد بداخل مكتب الدكتور حمدى شخصياً

****

أندفعت دنيا معانقةً لـ فارس وهى تهتف بأنفعال:

- بجد يا فارس أنا مش مصدقة يعنى المكتب ده كله هيبقى بتاعنا

عانقها بحب وقال ضاحكاً:

- ده انتى مفرحتيش كده يوم كتب كتابنا ولا حتى يوم الماجيستير

ضحكت وهى تبتعد عنه بنعومه وعينيها تكاد تنطق بالبهجة والسعادة وقالت وكانها لم تسمعه:

- طبعاً التلت ده هيبقى أكتر من مرتبك دلوقتى بمراحل يعنى هنجيب شقه فى حته حلوه..ونفرشها بمزاج ونجيب عربية وصفقت بيديها وهى تقول:

- وبعد شويه نحط أسامينا على اليافطة جنب اسم الدكتور

كان فارس ينظر إليها بتمعن وهى تتحدث عن المستقبل بكل تلك السعادة وتسرح بخيالها الممتد للافاق الشاسع وهى تنظر إليه ولكنها فى خضم تلك السعادة نسيته تماماً ولم تتحدث الا فى الماديات فقط ولم تحلم إلا بها وحدها .. أنتزعها من أحلامها وهو يقول :

- أنا مش هسيب أمى لوحدها فى البيت يا دنيا ومش هاخد شقه فى حته تانيه إلا لما هى توافق وترحب بكده وتوافق أنها تسيب بيتها وتيجى معانا

توقفت دنيا عن الدوران فى سماء أحلامها وطوت جناحى الامانى لتعود الى الارض مرة أخرى فى هبوط اضطرارى وقطبت جبينها وهى تقول بحنق:

- يعنى ايه الكلام ده ..حتى بعد ما اللى حصل عاوز تفضل عايش فى الحاره

أختلطت أبتسامته بقسمات حزن وهو يقول متهكماً:

- أنا مش عارف انتى ليه مصممه أنها حاره ..ما علينا حاره ولا مدق حتى مهما أختلفت المسميات مش هسيب امى لوحدها وأخذ نفساً عميقاً وأخرجه ببطء وهو ينوى حسم الامر قائلاً:

- والامر ده لازم يتحسم دلوقتى علشان ابدا فى تجهيز البيت ونجيب اوضة النوم بتاعتنا

نظرت إليه فى ضجر وضيق شديدين وقالت ساخرة:

- كمان مش هتغير غير اوضة النوم بس

أتجه إلى باب غرفة مكتبها ليخرج منه وهو يشعر ان فرحته قد أنطفات بكلماتها الاذعة وقال ببرود:

- لما اروح معرض الفرش مع عمرو هشوف هقدر أجيب ايه..المهم دلوقتى تعملى حسابك أن الفرح هيبقى بعد مناقشة الرسالة على طول...

****

لم تكن عزة لتصدق نفسها وهى تنتقل ببصرها بين أنواع الاثاث الجيدة امامها وقد اعجبت بتصميمها العصرى الانيق ومالت على عمرو وقالت بخفوت:

- بس العفش ده هيبقى غالى علينا ولا ايه يا عمرو

وضع اصبعه على فمه مشيراً لها بالسكوت وبدأ فى مفاوضاته هو وفارس مع صاحب معرض الاثاث حول الاسعار والقسط المناسب .. وجد فارس مبتغاه فى هذا المعرض وقرر ان ياتى بغرفة صالون اضافيه لاستقبال الضيوف وعاد لمداولاته مع صاحب المعرض وهو يتمنى أن يرى السعادة فى عينيى دنيا كما رآها فى تصرفات عزة حينما شاهدت الاثاث لاول مرة وابدت اعجابها الشديد به ...

وبدأت رحله تجهيز البيت وأعداده ونقل الاثاث إليه وقد بذل فارس مجهوداً أضافياً ليستطيع توفير كماليات البيت ليبدوا جديداً فى عينيى زوجته وفى نفس الوقت يضع اللمسات الاخيرة فى رسالة الدكتوراة وقد أطمئن قلبه إليها وخصيصاُ عندما سمع أطراء الدكتور حمدى عليها وعلى المجهود المبذول فيها ...

أنتهت جميع الترييات الازمه فى شقة الزوجية الخاصة بعمرو وكذلك شقة فارس وأصبحت كل شقة منهما جاهزة لاستقبال عروسها الجديد ..

لم تكن تفصل بينهما وبين حياتهما الجديدة إلا ايام قليلة ..ايام قليلة تفصلهما عن مستقبلهما الذى لم يكن أياً منهما يتصوره ولا يخطر بباله ..فإن الانسان مهما فعل لا يستطيع أن يمنع الاخرين من الأساءة إليه ...!

الفصل التاسع عشر

أنتشت روحه أبتهاجاً وسعادة ما بعدها سعادة ودوت دقات قلبه بين جنباته فى اصرار لترسم خطوطها على قسمات وجهه البسام وعينيه المشعتان أملاً وأنتصاراً وهو يعانق الزملاء والمحبين والمهنئين له وقد اقترن أسمه بلقب الدكتور .. وأصبح يدعى الدكتور فارس سيف الدين ..

جائزته التى طالما أنتظرها طويلاً بعد جهد وعناء ومشقة وسنوات دراسة وبذل وسهر وتعب وأرهاق مضاعف ...كم هى مذاقها طيب لذة الانتصار وكم هو مرهق مشوار النجاح وتحقيق الاهداف .. بحث بعينيه كثيراً عنها بين المهنئين فلم يجدها كيف ذلك وقد وعدته

بالحضور لتشاركه أحلامه وسعادته تلك اللحظة شعر بالقلق حيالها هل ربما قد تكون أصابها مكروه ...أخرج هاتفه الخلوى وهاتفها سمع صوتها فرد بلهفة:

- حبيبتى أنتى كويسه؟

أنتفضت دنيا من فراشها هاتفة:

- أيه ده هى الساعه كام دلوقتى

أطاحت المرارة بابتسامة ثغره ووضعت مرارتها على شفتيه وأحتلتها أحتلالاً وهو يقول:

- أنتى كنتى نايمه ؟! ..معلش صحيتك روحى كملى نوم ..سلام

أمسكت الهاتف بكلتا يديها وقالت بلوعة:

- والله يا حبيبى راحت عليا نومه مش عارفه ازاى ... اصلى نايمه بعد الفجر .. بس أنت غلطان مكلمتنيش ليه قبل ما تنزل الصبح

قال بضيق :

- خلاص خلاص محصلش حاجه يلا سلام

أغلق الهاتف وهو يشعر أن مرارة ابتسامتة قد أستعمرت قلبه ورفعت رايتها معلنة أحكامها وبعثرت غصتها فى حلقه تباعاً لتجبره على الانصياع لها بلا مقاومه.. ولم يكن ليفعل .. لم يكن ليقاوم ذاك الشعور المرير بأهمالها الدائم له وعدم حرصها عليه وتفكيرها الأبدى فى شخصها وفقط .. كيف يكون ذلك حباً ..

عاد إلى بيته وهو يحاول التخلص من تلك المشاعر التى أحتلته فلا يريد أن يزعج احداً بما يعانيه ..كل ما كان يفكر به هو اسعاد تلك المرأة الطيبة التى بذلت عمرها لأجله ولم تبقى لنفسها عافية إلا وقدمتها بحب وأرتياح وهى تراه يحقق الانجازات يوماُ بعد يوم فكأنها هى التى تنجح وهى التى تتقدم وهى التى تخطو نحو المستقبل بخطاً ثابته..

أحضر لها معه بعض الأشياء التى تحبها ورسم ابتسامة سعيدة على محياه ليدخل البهجة على قلبها ..قابلته .. وجدها تقف فى الشرفة تنتظره على أحر من الجمر فابتسم لها وخطى خطوات واسعة نحو المنزل صعد درجات السلم فى سرعة كبيرة فوجدها قد سبقته ونزلت هى إليه ..عانقته وهى تضحك بين دموعها وتحسست وجهه بيديها الواهنتين وهى تقول ببكاء:

- مبروك يا حبيبى ألف مبروك يا ما انت كريم يارب الحمد لله يابنى

وكأن دموعها قد سمحت لدموعه بالافلات أخيراً من محبسهم وبغزارة..وهو يقول :

- أيه يا ست الكل أنتى تفرحى تعيطى تزعلى تعيطى

قبلت كتفه وأحاطها بذراعه وهى تقول:

- دى دموع الفرح يا دكتور

جائهم صوت مُهرة من خلفهم وهى تقول بصوت يشبه البكاء:

- كده خلتونى أعيط..

ألتفتا فوجداها تقف اعلى الدرج وعيناها تلمع بعبراتها السعيدة التى هطلت بغزارة على جنتيها وهى تنظر إليهم بأبتسامة كبيرة فأعطت مظهراً يُرسم له لوحة فنية بكل تلك المشاعر المتناقضة على وجهها الدموع المنهمرة بلا توقف والابتسامة الكبيرة السعيدة وتلك الملامح البريئة التى لا تخطئها عين...

هبطت درجتين من السلم حتى اقتربت ثم توقفت وأخرجت من جيب تنورتها ميدالية مرصعة بفصوص من الفضة مكتوب وسطها وبخط فضى صغير د/فارس سيف الدين ....وقدمتها له وهى تقول ببراءة :

- مبروك يا دكتور ممكن تقبل منى الهدية البسيطه دى

أخذها فارس وهو ينظر لها ويقلبها بين يديه متأملاً وقد تملكته الدهشة وقال:

- الله يبارك فيكى يا مُهرة..بس جبتيها أمتى دى وعملتيها أزاى

رفعت كتفيها وقالت بتلقائية:

- من سنة كده وأنا عند ابله عبير شفت واحد جنبهم بيعمل حاجات فضه طلعت فى دماغى ووصيته عليها ولسه مستلماها منه من اسبوع بس

رفع حاجبيه وقد أندمج مع عباراتها التلقائية ولم يكن حال والدته باقل من حالته وهما ينصتان لكلماتها العفوية وقال متسائلاً:

- من سنه ولسه مستلماها من أسبوع

أبتسمت فى خجل وهى تطرق برأسها وقالت:

- أصل أنا كنت بحوش تمنها ولما خلصت أدهالى

أتسعت ابتسامته وهو يتبادل النظرات مع والدته التى شعرت كأنها تراها لأول مرة أما هو فقد شعر بمتعة وهو يتسائل مرة اخرى ويقول :

- وانتى بقى عرفتى منين المعاد بتاع مناقشة الرسالة علشان تظبطيها كده وتخلصى تمنها قبلها بأسبوع

أستندت بذراعها إلى سور الدرج ولوحت بيدها الاخرى بعفوية وهى تقول:

- مرة سمعتك وانت بتتكلم مع طنط

رفع حاجبية مندهشاً وقال :

- سمعتى المعاد مره من سنه !!!!

أومأت بخجل ثم عقدت جبينها ونظرت لأم فارس ثم نظرت إليه وقالت:

- هى معجبتكش ولا ايه

أجاب بدون وعى وبدون تفكير:

- بالعكس دى جميله جدا

نظرت له والدته فوجدته شارداً أو حائراً وهو ينظر إلى الميدالية فى يده ويقول فى وجوم:

- شكلك كنتى متأكده أنى هاخد الدكتوراه حتى من قبل ما أكون انا متأكد

صعدت والدته درجتين وربتت على كتف مُهرة ثم مسحت على ذراعها فى حنان وقالت :

- طول عمرك جدعه يا مُهرة وفاكره الناس اللى حواليكى ثم نظرت لملابسها وقالت متسائلة:

- انتى رجعتى من المدرسه بدرى النهارده ولا ايه

نظرت مُهرة لملابسها المدرسية ومطت شفتاها وهى تقول بحزن:

- انا مروحتش أصلاً النهارده الصبح صحيت بدرى علشان أروح أتفرج على فارس وهو بياخد الدكتوراه بس ماما مرضيتش وقعدت تتخانق معايا علشان الامتحانات قربت وصممت ألبس وأروح المدرسه ..طبعا بقى على ما الخناقه خلصت ولبست كان عدى وقت المدرسه لقيت ماما بتقولى خلاص اتأخرتى هتروحى فين..ومن ساعتها بقى وانا مغيرتش هدومى وقاعده اذاكر فى البلكونه علشان لما فارس يرجع اشوفه وأديله الهديه...

شعر فارس بكلمات مُهرة تُطيح بالمرارة التى كانت قد احتلت قلبه من قبل وتنزع رايتها وتحررقلبه من القسوة التى كانت تحاول فرض سيطرتها عليه بالقوة وتُميت عواطفه وتكاد تدفنها فى اعماقه فلا تظهر مرة أخرى على السطح

ولكنها جائت فى الوقت المناسب لتعيد تشغيله واعادته إلى الحياة مرة ثانية ..

قبض على هدية مُهرة فى راحته ولا يعلم لماذا شعر فى هذه اللحظة بالذات انه يجب أن يغض بصره عنها لأنها ...لأنها قد كبرت ...كبرت إلى هذه الدرجة ..كبرت النبتة التى زرعها بيديه وزرع ما بها من معانى جميلة وعواطف نبيلة مخلصة لتصبح وارفة الظلال لتظله هو ايضا ببعض ظلالها حينما تسحقه رمضاء الحياة

****

ومرت الأيام الخمس ووقف فارس يرتدى سترته الانيقة السوداء امام المرآة وهو يستعد لحفل زفافه ..لم يكن متحمساً كما كان يظن فى ذلك اليوم .. مشط شعره فى عناية شديدة ووقف ينظر للمرآة ويتمم على أناقته حينها سمع صوت بلال وعمرو فى الخارج ابتسم وهو يفتح باب غرفته وسمع عمرو يصيح بمرح:

- وأنا هاخد وقت فى اللبس ليه انا حلو من غير حاجه

خرج فارس ورد عليه قائلاً:

- ده ايه التواضع ده كله

ضحك بلال وهو يضرب على كتف فارس قائلاً:

- نحن السابقون و انتم اللاحقون

نظر بلال إلى فارس وقال متسائلاً:

- أنتوا مسافرين بعد الفرح فعلا يا فارس

أومأ فارس براسه وقال:

- أيوا الدكتور حمدى عزمنا نقضى اسبوع فى شقته اللى فى اسكندرية ..هنقضى ساعه كده فى الفرح ونسافر على طول

وضع عمرو يديه فى خصره وهو يتصنع الحقد وقال:

- ماشيه معاك يا عم مين قدك

- بقولك ايه يا عمرو مابدل الحقد اللى مالى قلبك ده.. يومين تلاته كده وتعالوا قضوا معانا يومين فى اسكندرية

حك عمرو راسه وهو يقول:

- ممم هفكر واخد رأى الحكومه

ضحك ثلاثتهم بينما قال عمرو :

- يالا يا سيدنا العرايس فى الكوافير مستنينا على نااااار

نظر فارس حوله وهو يقول متسائلاً:

- هى ماما راحت فين

قال بلال وهو يضع يديه فى جيب بنطاله:

- طلعت تودى الولاد عند مُهرة ونازله على طول ان شاء الله

عقد فارس بين حاجبيه وقال متسائلاً بقلق:

- ليه هما مش جايين معانا

جذبه عمرو من ذراعه وهو يتجه به صوب باب الشقة ويقول :

- ياعمنا يالا بقى هنستناهم تحت الستات دول يومهم بسنه

خرج ثلاثتهم وأغلق فارس الباب خلفة ونزل الدرج خلفهم فى توتر وقلق وهو ينظر للأعلى ثم ينظر امامه ويكمل طريقة فى الهبوط

وقف الجميع اسفل بنايتهم وتبادلوا العناق والتهنئة مع الجيران والاحبة والمدعوين منهم للحفل ...تأخرت والدته قليلاً فقال عمرو:

- ما تطلع تشوف الحاجه يا فارس عزة عماله تتصل شكلنا بقى وحش أوى

نظر فارس الى هاتفه فوجد مكالمتين من دنيا لم ينتبه إليهم..

كان على وشك أن يهاتفها ليخبرها أنهم فى طريقهم ولكنه وجد يحيى يهبط الدرج بسرعة ويتجه إلى بلال مباشرة وهو يقول:

- لو سمحت يا دكتور ممكن تطلع معانا اصل مُهرة تعبانه اوى

لم يتحدث فارس كثيرا بل لم يسأله من الاصل أنما توجه للأعلى مباشرة وطرق الباب ..فتحت له أم يحيى الباب وفى عينيها اثر البكاء معلنا عن نفسه بوضوح فقال بلوعة:

- فى ايه مُهرة مالها

كان بلال ويحيى قد لحقا به ..غض بلال نظره وهو يقول :

- خير يا جماعه مالها

افسحت لهم أم يحيى الطريق وهى تقول:

- مش عارفه يا دكتور سخنه اوى وبتترعش والكمادات مش جايبه نتيجه خايفه تكون حمى

قال بلال بسرعة دون ان ينظر إليها:

- طب غطيها وحطى حاجه على شعرها

دخلت ام يحيى سريعاً إلى غرفة مُهرة وخرجت بعد ثوانى وهى تقول بلهفه:

- خلاص يا دكتور اتفضل

هم بلال بالدخول ولكنه تفاجأ بفارس يمسك بذراعه يوقفه فنظر بلال إلى يد فارس الممسكة به ثم نظر إليه فى تسائل ....فقال فارس بصوت كأنه خرج من شخص آخر غيره ومن حلق آخر غير حلقه وكأنه آتى من بئر عميق وبعيد :

- هو انت بتكشف على بنات؟

شيئاً ما فى عينى فارس جعل بلال ينظر إليه بعمق وهو حائراً من امره ثم قال:

- انا مش هكشف عليها أنا هشوفها بس حمى ولا لاء وده مش محتاج كشف زى ما أنت فاهم ..علشان لو حمى مش هينفع نستنى اكتر من كده

ثم أشار بلال إلى أم يحيى أن تتبعه ..دخلت معه والدتها لغرفتها فوجد أم فارس تجلس بجوارها وتبكى على حالها وما أصابها ومُهرة نائمة وجبينها متعرق من اثر الحرارة العالية والكمادات التى غطتها....

وقف فارس حائراً فى الخارج يريد الدخول ولكن لا يستطيع بعد دقائق خرج بلال وهو يحادث زوجته على الهاتف ويقول:

- خلاص نازلين اهو ..لا الحمد لله كويسه..اه طبعا هجيب الولاد معايا

لم يستطع الانتظار أكثر ..أمسك بلال من يده التى يحمل بها الهاتف وقال بسرعه :

- طمنى يا بلال

أنهى بلال مكالمته مع عبير ووضع الهاتف فى جيبه وقال ل فارس وهو يتفرس فى ملامحه:

- متقلقش دى حرارة عاديه مش حمى ...كويس أن والدتها بتعرف تدى حقن انا كتبتلها اسم حقنه لما تاخدها هتبقى كويسه بأذن الله

مر يحيى من جوارهم سريعاً فى طريقة للخروج ليحضر الحقنه التى طلبها بلال وخرجت على اثره ام فارس من الغرفه وتوجهت ل فارس وهى تقول:

- انت لسه هنا يابنى يالا أنت اتوكل على الله علشان تلحق عروستك فى الكوافير مش عاوزين مشاكل فى ليله زى دى

جاء صوت رنين هاتف فارس فى هذه اللحظه فنظر فى الهاتف فوجده عمرو الذى تكلم بسرعة قائلا:

- انتوا هتباتوا عندكوا يا فارس

قال فارس بدون تردد:

- أمشى انت يا عمرو روح خدهم من الكوافير ووديهم القاعة وماما وبلال هيحصلوك

هتف عمرو مستنكراً:

- هما مين اللى أخدهم دول اروح اقول لمراتك تعالى معايا وجوزك جاى ورانا فى ايه يا فارس

صاح فارس بغضب:

- اعمل اللى بقولك عليه يا عمرو ..ماما هتنزل دلوقتى وهتاخدها معاك من الكوافير وتروحوا على القاعه وانا هبقى أحصلكوا ..وبعدين كده ولا كده قاعة الرجاله مفصوله عن قاعة الستات يعنى محدش هياخد باله انى هتأخر

أنتزعت أم فارس الهاتف من يده وهى تنظر له بحدة وقالت ل عمرو:

- فارس نازلك يا عمرو دلوقتى سلام

أغلقت الهاتف ونظرت إليه بصرامه وقالت:

- يالا روح خد عروستك من الكوافير وأنا هقعد معاها لحد ما تتحسن

زفر فارس بضيق وهو يشعر ان حفل زفافه تحول إلى جبل على صدره يريد التخلص منه ...لاحظ بلال الحيرة فى عينيه ونفس الشىء الغامض الذى استشعره سابقاً وهو لا يريده أن يدخل للكشف عليها فتدخل لحل المشكلة قائلاً:

- بص يا فارس السخونيه دى حاجه عادية بتيجى وتروح ومتقلقش هى هتاخد الحقنه وهتبقى زى الحصان

عاد يحيى سريعاً بالحقنه ودخل غرفة أخته مسرعاً كانت أم يحيى واقفة تستمع للحوار بجوار باب غرفة ابنتها فحزمت امرها ورسمت ابتسامة على شفتيها وخرجت مبتسمة وهى تقول:

- الحمد لله الحرارة نزلت شويه وابتدت تتحسن

ألتفت بلال إليها دون النظر لها مباشرة وقد أستشعر خدعتها فهو كطبيب يعلم أن الحرارة تحتاج لوقت أكبر من هذا لتعود لطبيعتها..

أنهالت المكالمات على هاتف فارس وبلال وأحتالت أم يحيى كثيرا عليهم حتى لا يتأخروا أكثر من هذا على زفافهم بسبب مرض ابنتها فهم لا ذنب لهم فيما يحدث لها ...

وبعد مداولات كثيرة أستقل فارس السيارة ويكاد يكون فى عالم آخر.. يأكله القلق والتوتر والاضطراب وتكاد أن تفتك به أناتها التى كانت تخرج منها عالية فتصل إلى اذنيه وتنهش صدره عن بعد وهو ينظر خلفه ويكاد أن يراها من خلف الابواب المغلقة والجدران ... والسيارة تبتعد به وتفصله عن عالمه الذى طالما أحبه ....

****

وقف فارس وعمرو على باب الكوافير ينتظر كل منهما عروسه ولم ينتظرا طويلاً فقد كانتا كل منهما تجهزت منذ وقت وأنتهت من زينتها ...

دلفت عبير إلى الداخل ووضعت الكاب الابيض على عزه لتغطى به زينتها التى زينت بها وجهها بينما رفضت دنيا أن تفعل ذلك واصرت على الخروج وهى تحمل الغيظ والحنق بين جنباتها وعلى قسمات وجهها لاصرار فارس أن ترتدى الحجاب فى هذا اليوم ولتاخره عليها كل هذا الوقت ...

خرجت كل منهما إلى زوجها وتأبطت ذراعه إلى السيارة وأنطلق الجميع وسط الزغاريد وأصوات أبواق السيارات حتى وصلوا إلى قاعة الافراح...

كانت قاعة الرجال فى الدور الارضى بينما قاعة النساء فى الدور الاول ..صعدت النساء للأعلى بينما دلف الرجال إلى القاعة الارضيه ...

كانت هناك فرقة من النساء تقف فى بهو القاعه ينتظرون حضور العروستان فى صفين يحملن المشاعل وصفين آخرين يحملن الدفوف

مرت عزة بين صفى الدفوف بينما مرت دنيا بين صفى المشاعل ..كانت أستقباليه رائعه بين ضرب الدف والانشاد وبين أنوار المشاعل الملونه جلست كل منهما فى مقعدها المخصص لها والمزين بالتول والورود والقلوب الحمراء وبدات الفرقه فى أداء فقراتها المدربة عليها ولكن كل هذا لم يعجب دنيا وكانت تشاهد ما يحدث بملل وكأنهم نساء من كوكب آخر وتنظر إلى عزة بدهشه وتتعجب كيف يبدو عليها السعادة والبهجه بل وتشاركهم الرقص على ضرب الدف هل هذه حفلة زفاف !!

أين الراقصات والمغنيات اين الاختلاط اين الاغانى كل هذا كان ليس له وجود فقد كانت عبير هى متعهدة هذه الحفله وقد رتبتها بما يرضى الله وجهزتها لتخرج بدون معاصى وايضا فى أبهى حلة لها ...

أما فى الاسفل عند الرجال وقف عمرو يتضاحك مع اصدقائه ومحبيه ويتبادلون النكات ووقف فارس بجوراه يصافح المهنئين له ويبتسم لهم ولكن عقله كان فى مكان آخر فيتجه إلى ركن ما فى القاعة ويخرج هاتفت ويتصل على هاتف يحيى الذى يجيبه ببعض الكلمات المطمئنه التى لقنته اياها والدته ...

ترك عمرو اصدقائه وأتجه إلى ركن هادىء بالقاعه وأتصل على والدته وقال وهو يتلفت حوله :

- بقولك ايه يا ست الكل مش كفايه كده بقالنا ساعتين مش هنروح بقى ولا ايه

ضحكت والدته ثم قالت :

- طيب خلاص ربع ساعة كده وننزل

أنهى عمرو الاتصال ووقف يفرك كفيه ما بين توتر و عجلة وحانت منه التفاته إلى فارس الذى يقف شارداً يضغط ازرار هاتفه فى أنفعال ما بين الحين والاخر فاتجه إليه ووضع ذراعه على كتفه وقال مداعباً :

- أنت كمان مستعجل ولا ايه

رسم فارس ابتسامه على شفتيه ولم يجيبه

فقال عمرو :

- مالك يا فارس شكلك مش طبيعى خالص من ساعة ما وصلنا

فارس:

- مفيش يا عمرو مفيش

أنتهى حفل الزفاف واستقل عمرو سيارة بجوار عزة فى طريقهما لعش الزوجية بينما لاحظت أم فارس قلقه وعدم رغبته فى السفر فاقتربت منه وربطت على كتفه وقالت وكانها ترى ما يدور بعقله:

- يابنى اطمن هى خلاص بقت كويسه يلا توكل انت على الله وخد عروستك وسافر

أنحنت دنيا وهى داخل السيارة واطلت براسها من زجاجها وقالت بانفعال:

- انا هفضل ملطوعه كده كتير

أضطر فارس إلى استقلال السيارة تحت الالحاح الشديد من والدته وكلمات دنيا اللاذعة وأنطلق بها إلى الاسكندرية

ظلت طوال الطريق تؤنبه وتوبخه على تأخره عليها فى الكوافير وفى السيارة امام القاعة ولكنه لم يرد كاد ان يستشيط غضباً وهو يحاول ارضائها ويقدم أعذاره ولكنها لم تقبل بل وأزدادت حدة كلماتها القاسية التى تتهمه فيها بالاهمال والتقصير ...والبداية الغير المبشرة بحياة سعيدة

****

فتحت والدة عزة باب الشقة ودلفت وهى تطلق الزغاريد المتواصله وتبعتها عبير وعزة وعمرو...قبلت عبير أختها وعانقتها وهى تتمنى لهما حياة سعيدة وأيام مباركه وأنصرفت بسرعه كما أمرها بلال من قبل بينما ظلت والدة عزة تطلق الزغاريد المتواصله حتى مال عمرو على عزه وقال هامساً:

- هو النهارده الزغاريت وبكره الفرح ولا ايه !!

ابتسمت عزه خجلاً ولم تجبيه وانما تمنت ان تبقى والدتها ولا تنصرف ابدا من كثرة خوفها من عمرو الذى كان يتوعدها بهذه الليله مراراً وتكراراً وهو يداعبها ...

صعدت والدة عمرو وجذبت أم عزة من يدها وقالت بمرح:

- يالا بقى أحنا هنبات هنا ولا ايه

فرت دمعتين من عينيى ام عزة وهى تحتضنها وتقبلها قائلة:

- خللى بالك من نفسك وكلى كويس ها

لمعت عينيى عزة بالدموع وهى تودع والدتها على الباب بينما أسرع عمرو وأغلق الباب خلف الجميع وهو يزفر بارتياح قائلا:

- الحمد لله أخيرا ..ايه رايك نقفل بالمفتاح والترباس لحسن يرجعوا تانى ؟!!

أطرقت عزة برأسها ولم تجيبه وشعرت أن الدنيا تميد بها وتكاد أن يغشى عليها ..لاحظ عمرو العلامات الجلية على وجهها وشحوبه خوفاً فقال بلامبالاة :

- يلا بقى انا هموت من الجوع أدخلى غيرى وأطلعى بسرعه قبل ما أخلص العشا لوحدى

لم تصدق نفسها هرولت للداخل أغلقت الباب عليها وبدلت ملابسها سريعاً بعد أن تعثرت قليلا وهى ترتديها وتتمتم بصوت خفيض:

- بتتلبس ازاى دى !

بعد قليل خرجت إليه وجدته يأكل بنهم شديد فنظرت إليه باستغراب وقد تناست خوفها قليلاً وهى تسمعه يقول لها دون أن ينظر إليها:

- الاكله دى خلتنى عامل زى اللى واخدين بنج وشكلى كده هكسف أهلى وأنام على روحى

أبتسمت وقد تلاشى أى شعور داخلها بالخوف وجلست على مقعدها تتناول بعض الطعام وتصنعت أن الامر لا يعنيها وهى تقول:

- كل وأدخل خد دش علشان تسترخى ونام وأنا هابقى اصحيك الفجر علشان نصلى سوا على فكره شكلك مرهق اوى أوى

نظر إليها بطرف عينيه وهو يلعق اصبعه من بقايا الطعام وقال :

- أسكتى يا بت انتى وكلى عيش فى البيت ده وانتى ساكته أحسنلك

أنهى طعامه ودلف الى الحمام أغتسل وخرج ليجدها قد استغرقت فى نوم عميق على الاريكة أمام التلفاز

حاول ايقاظها ولكنها لم تستجب حاولا مراراً ولكنها تعمدت الاستغراق أكثر فى النوم فإتجه الى الثلاجه وأخرج زجاجة عصير وأتجه إليها ووقف بجوارها وهو يفتح الزجاجه بصوت عالى وقال:

- ياترى نوع العصير ده لما بيتكب على هدوم ولا على شعر ولا على السجاده ولا على الكنبه بيطلع تانى ولا لاء

أنتفضت عزة واقفة وهى تقول برجاء:

- لالالالا بلاش أنا صاحيه اهو

اشار لها لتسير أمامه للداخل وهو يعقد جبينه قائلا بجديه مصطنعه:

- قدااامى ...ناس مبتجيش غير بالعين الحمرا صحيح

****

وأما هناك وفى الاسكندرية وقبل الفجر بدقائق كانت هناك دوى صفعة قوية على وجهها هوت على اثرها أرضاً وهى تصرخ قائلة:

- متظلمنيش يا فارس مكنش بايدى ...اسمعنى طيب

قبض على ساعديها بقوة وعينيه تشعان غضباً وكأن الشيطان قد سكنها وأطلق منها قذائف نيرانه فتطايرت فى وجهها ولفحتها وهو يجذبها لتقف مرة أخرى على قدميها وهى تهتز خوفاً وهلعا وهو يقول بصوت يشبه الفحيح:

- مين اللى عمل كده أتكلمى ولا هقتلك وأدفنك هنا دلوقتى حالاً ..

قال كلمته الاخيرة وهو يصفعها مرة اخرى لترتطم بالفراش وتسقط عليه بثقلها ..وضعت يدها وجنتها وهى ترتعش وتقول متوسلة له:

- هتكلم هحكيلك على كل حاجه بس اسمعنى والله مظلمومه مظلمومه يا فارس ...بدأت تتعثر فى كلماتها وتتلعثم وهى تقول:

- فى يوم بعد ما ركبتنى التاكسى ومشيت فضل ماشى بيا فى الطريق عادى وقبل ما يدخل على بيتنا دخل فى الشارع الضلمه اللى قصاده اللى كله عمارات فاضيه ولسه بتتبنى ما أنت عارفه وو..و بعدين طلع مطوه وهددنى ومقدرتش افتح بؤى خفت يا فارس خفت وبعدين أغمى عليا ولما فوقت لقيت نفسى فى الشارع قمت جريت ودخلت بيتنا وماما كانت نايمه ومشفتنيش

قبض على شعرها بقوة وصرخ بها:

- كدااابة ..انا عمرى ما ركبتك تاكسى لوحدك ابدا

صرخت وهى تحاول الفكاك منه ومن قبضته حتى شعرت أن روحها تفرقت فى جسدها وهربت من كثرة الالم وقالت وهى تنتفض:

- ايوا ايوا أنت عمرك ما ركبتنى تاكسى لوحدى بس فى اليوم ده الميني

باص اللى ركبتهولى اتعطل والناس نزلت كلها واضطريت أخد تاكسى وحصل اللى حصل

صرخ بها وهو مازال قابضاً على شعرها بقوة :

- ومقولتليش ليه ومبلغتيش ليه وأمتى كل ده حصل

بكت بشدة وهى تصرخ من الالم وقالت :

- حصل من سنه تقريبا وخفت يا فارس خفت اقولك وخفت ابلغ

دفعها على الفراش بقوة فارتطم رأسها به وأخذت تبكى وترتعش بقوة .. نظر إليها تسلط عليه الشيطان فى تلك اللحظه فاقدم على قتلها ولكنه تراجع ..

كلماتها تفوح منها رائحة الكذب ولكنه لا دليل لديه على شىء أخر ..ابتعد عنها ودخل الشرفة فلفحه الهواء بقوة وشعر أنه كان تحت سطح البحر لا يكاد يتنفس وخرج فجأة الى الهواء العليل فكادت ان تنفجر رئتيه وشعر بدمائه تغلى بداخل عروقه لتلهبها وتحرقها ورأى الماء يندفع بجنون ويرتطم بأمواج عقله فتطحن رجولته وتبعثرها وتنثرها على الشاطىء ..

شعر أنه سيفقد عقله ورشده ..جلس على الارض واضعاً وجهه بين كفيه وهو يشعر أن قلبة قد طُعن طعنة غدر من اقرب الناس إليه لا يصدقها وليس لديه حل آخر هل يعرضها على طبيبه لتكشف له الامر ولكن الامر قد مضى عليه سنه كاملة ..

هل يفضحها ويقول لوالدتها ويطلقها أم يستر عليها ..صدح صوت اذان الفجر ليتسلل لقلبه المكلوم الممزق ..نهض بتثاقل وتوجه للحمام أغتسل وبدل ملابسه وصلى الفجر وقد انهمرت عبراته الساخنه التى كانت تقطع طريقها على وجنتيه ثم تغير وجهتها وتقفز على الارض لتروى مكان سجوده بماء دموعه ..أنكفأ لونه وارتجفت أوصاله ..

فلقد عاد الفارس من معركته خاسراً ولكنه لم يفقد روحه وأنما فقد حكمته وشرفه...

ولكن الفارس النبيل مازال بداخله يستصرخه أن يظل نبيلاً حتى آخر رمق وان زهقت روحه تحت راية نبلة وتذكر حديث النبى صل الله عليه وسلم :

- (من ستر مؤمنا فى الدنيا ستره الله يوم القيامه)

ولكن هل يستطيع ذلك ؟!!

****

الحلقة العشرون

أشرقت شمس يوم الجمعة تتسلل بأشعتها الذهبية بين النوافذ والجدران مقتحمةً الابواب المغلقة لترى ما لا نستطيع أن نراه ثم تنسحب بهدوء بعد أن قد حملت بين طياتها الكثير والكثير ولكنها لن تفشى الاسرار فهى ليست من بنى البشر ..

فتح فارس عينيه قليلاً ووضع يديه عليها ليحميها من اشعة الشمس فلقد غفى قليلاً على مقعده فى الشرفة المطلة على البحر ..نظر حوله وهو يدعو الله أن يكون ما حدث ليلة الامس كان حلماً مفزعاً فقط ولكن وضعه وغفوته أنبأته أنه كان حقيقةً بائسةً فلما نظلم الاحلام معنا دائماً ..

أعتدل وهو يشعر بألم فى كل خلجة من خلجاته .. مسح على رقبته التى شعر بها تؤلمه بشدة من اثر غفوته تلك .. نظر للداخل دون أن يتحرك لم يجد لها اثر وباب غرفة النوم مغلق فعلم انها مازالت نائمة أو أنها تهرب من مواجهته مرة أخرى..

نهض متثاقلاً وبصعوبة توجه إلى الحمام وتوضأ خرج من الحمام لتقع عينيه على حقيبته التى مازالت أمام باب الشقة ..

شرد ذهنه وهو يتذكر ليلة أمس عندما طلبت منه أن يحمل حقيبتها للداخل ففعل ثم تذكر جرأتها الشديدة فهى التى تقدمت إليه حتى أنها لم تدعه يتوضا ليصلى بها ركعتين فى بداية حياتهما الزوجيه ولم تنتظره حتى يُدخل حقيبته هو الاخر ليبدل ملابسه...

تملكه شعور الدهشه والاستغراب وهو يتذكر افعالها ..كيف تكون مرت بما مرت به وتفعل هذا دون خوف مما ينتظرها ..كان من الاولى أن تتمنع وتطلب منه أن يمنحها بعض الوقت ..إن كانت كاذبه كانت ستفعل ذلك وإن كانت صادقه فيما قالت أيضا كانت ستفعل ذلك ثم تُخبره بالحقيقة وبما حدث لها دون ارادتها ..

فهى تعلم أخلاقه وأنه لن يظلمها ...أم كانت تتصور لانه عديم الخبره أنه لن يكتشف الامر وستسطيع أن تنهى الموقف لصالحها ودون أن ينتبه ...

دارت كل تلك التساؤلات فى عقله وقلبه فى لحظة واحدة وهو مازال مصوب عينيه لحقيبته القابعه مكانها من ليلة أمس..هز رأسه بقوة ينفض عنه كل تلك الافكار التى مازالت به لا تفارقه لحظة واحدة لتشعل النار بقلبه من جديد ...

عاد إلى الحمام ليتوضا مرة اخرى ليطفأ ما نشب فى صدره من غل وكره وشعور قوى بالانتقام وما تبعه من وسوسة الشيطان بان يثار لشرفه ويقتلها لتهدأ رجولته قليلاً لما فعلته به ..توضا وعاد وقطرات المياه تتساقط من يديه وخصلات شعره التى تناثرت على جبينه ...

أخذ حقيبته ووضعها على الاريكة وأخرج منها جلباب الصلاة ..أرتداه فى سرعة وأخذ هاتفه ومفاتيحه وخرج ليلحق بصلاة الجمعة...

أنتهى من صلاته وتناول مصحف من مصاحف التفسير الميسر المرصوصة جنباً إلى جنب على أحد الأرفف وقبع بالمسجد يقرأ فى كتاب الله لعله يجد المرشد له فيما وقع فيه وهو يشعر أن سنوات عمره مضت هباءاً منثورا مع تلك المرأة التى أحبها وخانته ولكن مع الاسف ليس لديه دليلاً على خيانتها ويخاف أن تكون تعرضت فعلا للأغتصاب فيكون بذلك قد ظلمها وحاكمها بما ليس لها فيه شيء...

و وسط مشاعره المتلاطمة وقعت عيناه على الاية الكريمة فى سورة النور :

- (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ألا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لا يعلم لماذا شعر أنها رسالة من الله عزوجل إليه يلهمه فيها بالصواب ويرشده إلى الطريق ..جرى بعينيه على سطور التفسير فى عجلة حتى وجدها..

لقد نزلت الاية الكريمة فى الصحابى الجليل ابو بكرالصديق !!! نعم نزلت فى هذا الرجل المعطاء الذى كان ينفق على الكثير من الناس ..حدق فارس فى التفسير جيداً يحاول فهم سبب النزول فعلم ان رجلاً كان ممن ينفق عليهم أبى بكر الصديق يدعى مسطح ..تكلم فى عرض أبنته عائشة رضى الله عنها فغضب ابى بكر وقرر قطع ما كان ينفقه على هذا الرجل جزاء بما تكلم به من كذب وبهتان فى عرض أبنته ..فنزلت هذه الاية الكريمة فعفا عنه أبى بكر رضى الله عنه و قال والله أنى أحب أن يغفر الله لى ويعفوا عنى وأعاد ما كان ينفقه عليه مرة أخرى...

أغمض فارس عينيه بقوة يحاول السيطرة على مشاعره المكلومة وقلبه المذبوح حاول أن يرتقى بنفسه وبصبره إلى اقصى درجة ..وتذكر وقتها ايام خطبته بدنيا وتذكر أنه علم الحلال والحرام ورغم ذلك استمرا في الحرام سنه كاملة وظل يغضب ربه من أجلها فجعلها الله عزوجل هى من تشق قلبه وتذبحه فكانت هذه النهاية الحتمية ..

إذن فهو أحد المسؤلين عن ما يحدث له معها اليوم فلماذا يحاسبها وحدها لماذا لا يعاقب نفسه ايضاً وهل سيختار عقاباً رادعاً لنفسه أكثر منها ؟!! ....

خرج من المسجد وقد حسم أمره تماماً وأتضحت الرؤية أمام عينيه وأتخذ قراراً نهائياً بشأنها ..عبر الطريق ووقف ينظر لمياه البحر فى شرود ..شرد ذهنه بعيداً تماماً عن دنيا..فوجد نفسه كالمسحور يخرج هاتفه ويتصل بوالدته التى تعجبت وأصابتها الدهشة عندما سمعت صوته فى الطرف الاخر وهويقول :

- السلام عليكم أزيك يا ماما عامله ايه

ردت باستغراب:

- الحمد لله يابنى أنا كويسه ..أنت أزيك ؟!!

هز رأسه وكأنها تراه وهو يقول بشرود :

- الحمد لله

صمت وصمتت قليلاً ثم قالت على أستحياء:

- خير يابنى فى حاجه ولا ايه

تردد قليلاً ثم قال :

- ابداً يا ماما مفيش أنا بس كنت بطمن عليكى

ابتسمت ابتسامة صغيرة وساورها الشك فى طريقة حديثه فقالت:

- غريبة يعنى المفروض أنى مجيش على بالك النهارده خالص

حاول أن يتصنع المرح وهو يقول:

- ازاى بس يا ست الكل هو أنا اقدر أستغنى عنك ابداً

صمت وصمتت مرة أخرى ولكنه هو الذى قطع الصمت هذه المرة وقال بارتباك:

- متعرفيش يا ماما مُهره عامله ايه النهارده

أتسعت عيناها بعض الشىء وهى تقول بدهشة كبيرة:

- مُهرة ..!!! ..أنت سايب عروستك علشان تسأل على مُهره !!

أرتبك أكثر وقال بتلعثم :

- وفيها أيه يا ماما ..مش أنا أمبارح سايبها وهى تعبانه ايه المشكله أنى أطمن عليها دلوقتى

ضيقت عينيها قليلاً وهى تقول بأرتياب:

- هى مراتك فين يا فارس ؟

شعر بغصة فى حلقة ومرارة على لسانه وهو يقول بصوت مخنوق:

- فى البيت..انا نزلت اصلى الجمعه ولسه مطلعتش

عقدت جابيها وهى تقول:

- كل ده يا فارس بتصلى الجمعه ...ده العصر قرب يابنى

سعى فارس إلى تغيير مجرى الحديث وعاد إلى سؤاله مرة أخرى وقال:

- مقولتليش يا ماما مُهره عامله ايه دلوقتى

تنهدت فى عدم أرتياح ثم قالت:

- كويسه يابنى لسه نازله من عندها من شويه وكانت كويسه

شعر أنه لن يأخذ منها أكثر من هذا وأنها مرتابه من سؤاله عنها من البداية فقرر أن يكتفى بما حصل عليه من معلومات وأنهى المكالمة مع والدته ولكن قلبه لم يكن مطمئناً ابداً هناك شىء يخبره أنها ليست على ما يرام ..

بحث فى هاتفه على رقم بلال ووجده وأتصل به ..لم يكن بلال أقل دهشة من والدته فى أتصال فارس به وسؤاله عن مُهره ولكنه أجاب:

- أنا عندها دلوقتى

ابتلع فارس ريقة من المفاجأة وقال بلهفة:

- بجد يا بلال طب ليه هى تعبت تانى ولا ايه

رفع بلال حاجبيه وهو يقول :

- لا ابداً فى دكتور صاحبى جبته يشوفها ..والدتها أتصلت بينا وقالت مبتكلمش ومبتردش على حد ومبتاكلش وبتعيط على طول ..طبعاً أنت عارف ان ده مش تخصصى

خفق قلب فارس بقوة وهو يجلس على أحد الصخور وقال :

- الدكتور قال أيه

بلال :

- لسه خارج اهو اقفل وانا هبقى أكلمك

هتف فارس بسرعه :

- لالا متقفلش خالينى على الخط وقولى قالك ايه

نظر بلال إلى الهاتف بدهشة ثم أنزله للاسفل وهو يتحدث للطبيب الذى قال :

- متقلقوش يا جماعه دى حالة من حالات الاكتئاب البسيط وان شاء الله هتعدى مع الوقت بسرعه ..

ثم نظر الطبيب إلى الجميع وهو يقول:

- هو فى حد زعلها ؟

قالت أم يحيى سريعاً :

- هى بقالها كام يوم كده مش عارفه مالها أكلها قليل ومبتنامش كويس ومش مركزه فى مذاكرتها

قال الطبيب متفهماً:

- يمكن المذاكره هى السبب وعموماً فى سنها ده الحاله النفسيه بتبقى متقلبه متقلقوش مع الوقت هتتحسن وترجع لطبيعتها أنتوا بس متضغطوش عليها ..وضع بلال الهاتف على اذنه مرة اخرى ليبلغ فارس بما قاله الطبيب وقال :

- ايوا يا فارس ..أرهف فارس سمعه لكلام بلال ولكن أم يحيى قطعت عليه كلامه وهى تقول لبلال:

- بعد اذنك يا دكتور هو ده الاستاذ فارس

قال بلال دون أن ينظر إليها:

- أيوا هو ..

قالت بإحراج:

- طب ممكن بعد أذنك أكلمه أعتذرله أنى محضرتش فرحه أمبارح وأباركله

ناول بلال الهاتف ليحيى الواقف بجواره الذى أخذه منه وأعطاه لوالدته فقالت بخجل:

- أزيك يا استاذ فارس ألف مبروك أنا والله بتاسفلك علشان مقدرتش أحضر فرحك أمبارح بس أنت عارف الظرف اللى حصل بقى

تفاجأ فارس بكلام أم يحيى ولكنه وجدها فرصة مناسبة تماماً فقال:

- ولا يهمك يا ست أم يحيى مانا كنت موجود وشايف بنفسى ...هو الدكتور قال ايه

قالت بحزن:

- بيقول أكتئاب وهيعدى ان شاء الله ..أنا والله ما فاهمه يعنى ايه اكتئاب اصلا يا استاذ فارس أنا اللى يهمنى أن بنتى تقوم زى الاول بس مش عارفه أعمل ايه

قال فارس بإشفاق:

- أكتئاب !! ..ثم قال فى سرعة :

- لو سمحتى خلينى أكلمها

فرت دمعة من عينيها وقالت باسى:

- ياريت يابنى دى لا بتاكل ولا بتتحرك ولا بتتكلم

شعر فارس أن قلبه يعتصر فى صدره وينقبض بقوة على حالها الذى لا يعلم له سبب فقال:

- طب حطى التليفون على ودنها وانا هكلمها يمكن تستجيب لكلامى

نظرت أم يحيى إلى بلال الذى كان يتحدث مع الطبيب الاخر ويحيى يقف معه يستمع لحديثهم فدخلت لغرفة مُهرة ..وجدتها كما هى نائمةً على الفراش تنظر لسقف الغرفة دون حراك ...اقتربت منها ووضعت الهاتف على أذنها وقالت :

- اهى معاك أهى ..ثم نقلت الهاتف على اذن مُهره

أخذ فارس نفساً عميقاً وقال بهدوء:

- مُهره ...أنتفض جسدها الصغير بمجرد أن سمعت صوته وأخذ صدرها يعلو ويهبط فى سرعه وهى لا تزال محدقة فى سقف الغرفة وهو يقول ببطء:

- مالك يا مُهره ايه اللى تاعبك ..كلمينى علشان خاطرى ..أتكلمى يا مُهره

بدأت الدموع تقفز من مقلتيها واحدة تلو الاخرى بغزارة ودون توقف ترسم طريقاً على خديها وما أن ينقطع بها السبل حتى تغير مسارها لتروى وسادتها التى شاركتها لياليها الموحشة من قبل ...كلما تكلم كلما اراد أن لا يتوقف ابداً فظل ينادى عليها مراراً وتكراراً بتصميم:

- انا فارس يا مهره أنا فارس كلمينى قوليلى مالك أشكيلى مين اللى ضايقك ..

قال كلمته الاخيرة ووجد عبراته تقفز هى الاخرى على خديه وبدا صوته يشبه البكاء وهو يرجوها أن تتحدث أن تقول أى شىء خالطت دموعه دموعها ولكن عن بُعد لم يراها ولم يسمع الا صوت شهقاتها التى بدأت فى الظهور أخيراً وهى تبكى.... ولم تراه ولم تسمع الا نداءاته المختلطة بالبكاء وكأنه يعتذر عن شىء لا يعرفه أو لا يفهمه ...فقط يشعر به...

هبت أم يحيى واقفةً وهى تمسك بالهاتف خرجت سريعاً وهى تقول للطبيب بلهفه:

- مًهرة بتعيط بصوت عالى يا دكتور صوتها طلع

هتف يحيى بسعاده:

- بجد يا ماما اتكلمت يعنى

قالت من بين دموعها :

- لاء بس بتعيط بصوت عالى

ابتسم الطبيب وقال لبلال :

- كده خلاص الازمه ابتدت تعدى الحمد لله

أعطت أم يحيى الهاتف ل بلال وهى تشكره قائلة:

- متشكره اوى يا دكتور بلال الاستاذ فارس اول لما كلمها ابتدت تعيط بصوت وصوتها طلع اخيرا الحمد لله

****

باتت ليلتها مترنحة خائفة تخشاه ..تترقب خطواته تضع أذنها على الباب تستمع لصوت انفاسه كلما اقترب من الغرفة أهتز جسدها رعباً تظن أنه سيقتلها بالتأكيد سيقتلها لن يرضى على رجولته أن يعيش مع أمرأة فعلت فعلتها ...أذاً ماذا يفعل ...لماذا تأخر مصيرها إلى هذا الحد ..سمعت صوته يتجه للحمام ويغلقه خلفه ...

فتحت الباب فى بطء وهدوء ويديها ترتعش وأوصالها ترتجف خوفاً ..مشت ببطء وحذر إلى الحمام ووضعت اذنها وتنصت بإضطراب شديد ..سمعت صوت المياه فعلمت أنه يغتسل ...أغمضت عينيها وكادت أن تزفر بقوة ولكنها وضعت يديها على فمها خشية أن يسمعها ...عادت تمشى وكأنها تزحف بحذر إلى غرفتها وأغلقتها مرة أخرى عليها ...

ظلت قابعة خلف بابها تترقب خطواته ذات اليمين وذات الشمال حتى سمعته يكبر تكبيرة الاحرام ثم بدا فى ترتيل الفاتحة فتيقنت أنه يصلى ...

هنا فقط زفرت زفرةً طويلة أخرجت فيها ما كان يجيش بصدرها من خوف وقلق ورعباً ..فلو كان ينوى قتلها لما وقف يصلى هكذا ..

هوت بجسدها على الفراش وهى تلعن اليوم الذى قابلت فيه باسم وتلعن اليوم الذى صدقت فيه كلماته وعباراته المطمئنة لها كم كانت حمقاء ساذجه كيف لمثلها أن تقع فيما وقعت فيه وبهذه السهوله ...

وكيف أكتشف فارس فعلتها بهذه البساطه وهى كانت تعتقده أنه غِر ليس لديه خبره ..لقد نسجت خيوطها جيداً فكيف رأى الحقيقة بهذا الوضوح ولكن الذى جعلها غاضبة حانقة أكثر هو كيف فشلت العملية رغم تأكيدات الطبيب أنها عادت لعذريتها كما كانت من قبل ولن يكتشفها أحد مهما كانت خبرته فى عالم النساء ...

وضعت يدها على خدها تتلمس صفعات فارس الموجعة فلازالت تشعر بخدر فى وجنتيها نتيجة لصفعاته المتتاليه ...عادت إليها رهبتها منه مرة أخرى عندما سمعت صوت باب الشرفة يفتح عنوة ...نظرت من فتحة الباب مكان المفتاح فوجدته قد دخل الشرفة واسترخى على مقعدها وأغمض عينيه ....

زفرت فى أرتياح وحنق وتأكدت من غلق الباب جيداً وعادت إلى فراشها وهى تتوعد باسم وتسبه باقذع الالفاظ وذهبت فى نوم عميق ...

أستيقظت فزعة من نومها على صوت صفق باب الشقة بقوة ..جلست فى فراشها دقائق وبعد ان تأكدت من مغادرته الشقة فتحت الباب فى هدوء وأتجهت للحمام مباشرة أغتسلت وعادت لغرفتها مرة أخرى لتغلقها عليها لتسكت الشعور بالخوف بداخلها ولكنها لم تستطع أسكات الشعور بالجوع الذى مزق معدتها ...

****

عاد فارس من الخارج بعد صلاة العصر فتح الباب ودخل بدون سابق أنذار سقطت الملعقة من يدها بمجرد أن سمعت صوت غلق الباب ..دخل عليها ونظر إلى الطعام امامها ثم نظر إليها بعينين خاليتين من أى تعبير وقال ببرود:

- وكمان ليكى نفس تاكلى

أبتلعت ما كان فى جوفها وتجمدت مكانها كالتمثال وهى محدقة به تحاول استكشاف ما بداخله من خلال تعابير وجه وظلت قابعة مكانها تنتظر رد فعله تجاهها ...جلس أمامها حول المائدة وصوب بصره إليها بصرامه وقال :

- مش ناوية تقولى الحقيقة ؟

أبتلعت ريقها بصعوبة وشعرت بجفاف حلقها وشحب وجهها و قالت بصوت خافت مرتعش :

- اللى قولتهولك أمبارح هو ده الحقيقة كلها

أومأ برأسه بقوة ونظر إليها ببغض قائلاً:

- وأنا مش مصدق حرف واحد منه ..لكن مع ذلك ...صمت قليلاً وتعلق بصرها به وخفق قلبها بقوة فقال :

- مع ذلك هستر عليكى ومش هفضحك ..لكن عمرى ما هسامحك وعمرك ما هتبقى مراتى

قفز قلبها من مكانها وهى تستمع له وقد تيقنت أنه لن يثأر منها ولن يفضحها فعادت الدماء تُضخ إلى مجرى وجهها مرة أخرى وهى تنظر له بترقب فنهض من أمامها واشار إليها قائلاً:

- بكره هنرجع القاهرة جهزى نفسك وأعملى حسابك أمى مش هتعرف حاجه عن الموضوع ده ثم نظر إليها بأحتقار وهو يقول:

- مش عاوزها تموت بحسرتها عليا ...

أستدار متوجهاً للخارج مرة أخرى ولكنها وقفت وقالت برجاء:

- استنى يا فارس ارجوك صدقنى

أستدار إليها بنظرة مخيفة جعلتها تجلس مكانها ثانية بلا حراك وقد شعرت أن الهواء تجمد فى رئتيها فلا تستطيع التنفس أو حتى التألم ..فتح الباب وخرج مرة أخرى وهو يشعر بالاشمئزاز من المكان ومنها ومن نفسه ...

خرج يمشى رويدا على الشاطىء ثم وقف واستدار للبحر نظر إلى سطحه محاولاً الوصول لأعماقه ومعرفة اسراره متغلغلاً بداخله بعقله واجماً فى تلك المرأة التى اصبحت زوجته والتى لطخت شرفه ..وشعر أن مياه البحر تسخر منه وتؤنبه وأعماق البحر تتهكم عليه بل وتحاكمه ..كيف لم يكتشف شخصيتها من قبل كيف لم يرى جرأتها معه وتهكمها على حديثه عن المعاصى كيف يسلم اسمه وشرفه لامرأة لا ترى حلالا ولا تحرم حراماً والكل عندها سواء ..كيف خُدع فيها إلى هذه الدرجة ؟!

هل أحبها إلى أن طُمست عيناه عن حقيقتها .. بكل خبرته ودراسته الطويله وأحتكاكه بالبشر لم يعرفها حق المعرفه بل كانت والدته المرأة الغير متعلمة التى لم تخرج من شارعهم مطلقاً إلا للضرورة تعرفها أكثر منه ربما ليس بخبرتها ولكن بقلبها ... وأحساسها تجاه الاخرين ...فكيف كان يستهين بهذا الاحساس الربانى

****

دخل بلال غرفته هو وزوجته فوجدها ترتدى ملابسها مستعدة للخروج فنظر لها متأملاً ثم قال:

- الهانم رايحه فين

ألتفتت له وهى تغلق أزار ملابسها وقالت مبتسمة :

- انت لحقت تنسى ..رايحه مع ماما عند عزة يا سيدى النهارده الصباحيه عقبال ولادك

عقد ذراعيه امام صدره وقال :

- وعقبال ولادى ليه متقوليلى عقبالك

رفعت راسها إليه وعقدت حاجبيها وقالت محذره :

- بلال بقولك ايه متخاليش دماغى تودى وتجيب

أقترب منها ببطء وقال بابتسامه :

- مفيش خروج أنا بقولك اهو

وضعت يديها حول خصرها وهى تقول متبرمة:

- يعنى مروحش لاختى صباحيتها يا بلال

زفر بهدوء وهو يجلس على الفراش وقال :

- يابنتى انا مش عارف ايه حكاية الصباحيه دى ومين اللى اخترعها اصلا .. دى لا هى سنة ولا عادات دى غلط فى غلط ..عريس وعروسه نروحلهم تانى يوم ونضايقهم ليه

لوحت بيدها وقالت بتلقائية :

- وانا مالى أنا رايحه معاهم وخلاص يعنى هى جات عليا وبعدين يعنى هنضايقهم ليه دى هى نص ساعه ونمشى

لف ذراعه حولها واسند جبهته إلى جبتهتها وغمز لها بعينه قائلاً:

- أنتى اللى بتقولى كده ...

ضحكت وهى تنهض من جواره ثم التفتت إليه قائلة:

بصراحه معاك حق بس لو مروحتش ماما هتزعل مني ..

فكرت قليلاً وهو ينظر إليها مبتسماً ثم قالت :

- بص بقى أنت تعالى معانا وأستنانى فى العربيه وانا هطلع خمس دقايق وأنزل بسرعه وأتحجج أنك مستنى تحت

اتكأ على الفراش بمرفقه وهو يقول مداعباً:

- يا سلام على النصاحه هما يعنى هيسيبونى اقعد فى العربيه ..لو روحت معاكم ابوكى وامك هيصمموا انى اطلع وانا يا ستى محبش ابقى عزول ...

ارتدت أسدالها وشرعت فى وضع غطاء وجهها حانت منها ألتفافة إليه فوجدته شارداً تماماً ..جلست بجانبه وقالت متسائلة:

- مالك يا بلال أنت مش زى عوايدك

أنتبه إليها وهز راسه نفياً وهو يقول:

- لالا متشغليش بالك مفيش حاجه

مسحت على راسه وهى تقول بنعومه :

- مالك يا حبيبى فيك ايه

رفع راسه ينظر إليها وقال فى وجوم:

- بصراحه يا عبير ..حصلت حاجه النهارده كده عند أم يحيى ومش هضحك عليكى واقولك مش لاقى تفسير ..لالا ...أنا بس مستغرب شويه

قالت فى اهتمام :

- احكيلى

قص عليها ما حدث بالامس عندما كره فارس أن يدخل بلال ليرى مُهرة وما حدث أمام قاعة الافراح عندما رفض فارس السفر الا بعد أن يطمئن عليها وكذلك المكالمه التى حدثت اليوم امام طبيب الامراض النفسيه ..فقالت عبير بشرود :

- وأنت مستغرب من ايه مش هو اللى مربيها

هز بلال راسه نفياً وقال مؤكدا :

- لا يا عبير أنا راجل واقدر افهم نظرة الراجل اللى زى وتصرفاته ..مفيش عريس فى الدنيا يعمل كده

قالت بقلق :

- يعنى ايه يا بلال تفتكر يعنى ..

أومأ براسه موافقاً وهو يقول :

- انا مش افتكر ..انا متأكد يا حبيبتى ...بس مستنى فارس لما يحكيلى بنفسه .. طب لما هى الحكايه كده أتجوز مراته دى ليه ...حاجه غريبه اوى

شردت عبير بعيدا أكثر وأكثر وهى تقول فى نفسها :

- يااه يا عزة ده انتى ربنا بيحبك اوى اوى ..أهى خطيبته اللى اتجوزها وانتى افتكرتى أنه فضلها عليكى أهى طلعت فى الاخر برده مخدتش حاجه غير وجوده معاها لكن قلبه فى مكان تانى خالص مكان ابعد ما كنا نتخيل كلنا ... يااه قد ايه ربنا رحيم بينا أكتر من نفسنا ..

****

وقفت عزة أمام الفراش تحاول جاهدةً ايقاظ عمرو بشتى السبل ولكنها تفشل دائماً فما كان منها إلا أن جاءت بزجاجه مياه باردة وسكبت بعضاً منها على راسه ...هب جالساً فى فراشه وهو يصيح :

- ايه يا ماما شغل المكوجيه ده على الصبح

عقدت ذراعيها أما صدرها وقالت ساخره:

- ماما مين يا حبيب ماما أنت وبعدين صبح ايه أحنا العصر يافندى

نظر إليها وهو يفرك عينيه بقوة وقال متذكرا:

- عزة حبيبتى ..أه صحيح ده احنا اتجوزنا امبارح وزغاريد بقى وحركات

ثم نظر إليها بعين مفتوحه والاخرى مغمضة وقال متسائلا:

- اه صحيح هو حصل ايه بعد الزغاريد انا مش فاكر حاجه

ضحكت وهى تشير للخارج قائلة:

- لو مش فاكر اروح أجيب أزازة العصير افكرك بيها ها

اشار إليها يستوقفها وهو ينهض متثاقلاً ويقف امامها قائلا:

- خلاص انا صحيت أهو ..ثم احاط خصرها بذراعيه وهو يقول :

- صباح الخير يا عروستى

ابتعدت عنه وقالت بحزن مصطنع:

- لا انا زعلانه منك ..أنت عارف أنك راحت عليك صلاة الجمعة حتى الظهر مصلتوش وأهو العصر كما اذن عليك ..ينفع كده يا عمرو من اولها هتجمع الصلاة

مطت شفتيه وعقد جبينه وقال معتذراً :

- انا اسف والله يا حبيبتى كنت تعبان اوى معلش أوعدك مش هيتكرر ده تانى

ولف ذراعيه حول كتفيها قائلاً بمرح :

- خلاص صافى يالبن

رفعت كتفيها وأستدارت وهى تشير للخارج قائلة بحسم :

- طب اتفضل بقى على الحمام علشان تلحق اللى فاتك

رفع حاجبيه وقال بصرامة مضحكه:

- ده طلب ولا امر ؟!!

رفعت جابيها مثله وقالت :

- لا أمر

سار امامها مطيعاً وهو يقول :

- اه افتكرت ..ايوة كده اتعدلى معايا

خرج من الحمام وصلى ما فاته من صلوات وبمجرد ان أنتهى سمع صوت قرع جرس االباب ووجد عزه تدخل عليه مسرعة وهى تقول:

- عمرو عمرو يالا تعالى افتح الباب بسرعة

قال بسرعة وهو يتوجه للمطبخ :

- روحى افتحيلهم على ما اضربلى كام سندوشت على السريع كده

قالت بخجل :

- لا يا سيدى افتح انت انا مكسوفه

هز راسه نفياً وقال :

- يعنى اموت من الجوع علشان سيادتك مكسوفه أمشى يا بت افتحى الباب

****

مضى اليومان وعاد الطير إلى عشه القديم تهفو نفسه إلى الاهل والاحباب ..فتحت أم فارس ذراعيها وهى تعانق ولدها الذى ألقى بنفسه بين ذراعيها على الفور وكأنه يحتمى بها كما كان يفعل فى الصغر ممن يخفيه ولسان حاله يعتذر لها عن عدم طاعتها بتمسكه بهذه الدنيا الغادره...رفع راسه وقبل رأسها فى شوق كبير وهو يقول بعينين دامعتين :

- وحشتينى أوى يا امى

قاطعته دنيا من خلفه وهى تقول بترم :

- أنا هفضل واقفه كده كتير

أفسحت لها أم فارس الطريق للدخول وهمت بمعنقتها هى الاخرى مرحبة بها ولكن دنيا اكتفت بمصافحتها ببرود وهى تقول :

- أهلا بيكى

أغلق فارس الباب خلفه واستدار لوالدته يعانقها مرة اخرى ويسئل عن حالها وصحتها فأجابته ثم قالت :

- أنت ايه اللى خلاك تقطع الاجازة بدرى كده مقعدش يومين كمان فى اسكندريه ليه يافارس

أحاط كتفها وهو يجلس بجوارها قائلا :

- عندى شغل كتير أوى يا أمى والدكتور مبيروحش المكتب ولازم حد يتابع الشغل

نهضت دنيا واقفة بحنق وهى تقول :

- طب هدخل أنا اريح شويه من السفر

ألتفتت لها والدته وهى تقول بابتسامه كبيره :

- وماله يا حبيبتى ارتاحى أنتى على اعملكوا غدى هتاكلى صوابعك وراه

نظرت لها دنيا ببرود وقالت :

- لا متتعبيش نفسك أنا مش جعانه

نهضت أم فارس واقتربت منها وربتت على ظهرها وهى تقول بود:

- متعبش نفسى ايه ده انتى زى بنتى قوليلى بس تحبى تاكلى ايه وأنا هعملهولك

ابتعدت عنها وأتجهت لغرفتها وهى تقول بتثاقل :

- مفتكرش بتعرفى تطبخى الحاجات اللى بحبها

وقبل ان تدير مقبض حجرتها سمعت صوته الهادر وهو يستوقفها بغضب قائلاً:

- دنيااا...ألتفتت إليه لتجد الشرر يتطاير من عينيه وقال بقسوة :

- لما ماما تكلمك تردى عليها كويس فاهمانى

أنكمشت مكانها وأستدارت إليه والدته وقالت بلهفه:

- مفيش حاجه يابنى البنت مقالتش حاجه غلط ...خلاص سبها على راحتها وألتفتت إليها قائلة :

- ادخلى ارتاحى يابنتى

اسرعت دنيا بالدخول إلى غرفتها متفادية النظر إليه فأنحنى وقبل يد والدته وقال معتذراً:

- كتزعليش يا ماما حقك عليا أنا

ربتت على ظهره وهى تقول مبتسمة :

- أعذرها يابنى هى لسه مش متعوده عليا ..بكره لما تاخد عليا وتعرفنى كويس هتعرف انى أمها التانيه مش حماتها زى ماهى فاكره ..وانا بكره ان شاء الله هعزم الست والدتها تتغدى معانا هنا علشان تعرف اننا عيله واحده وانى زى أمها ...

قبل راسها وهو يقول :

- ربنا يديكى الصحه يا ماما ..تركها وأستدار إلى حقيبته الصغيرة واخرج منها هاتف نقال صغير باللون الوردى وأعطاه لها قائلاً :

- مما ممكن تدى ده ل مُهره ..هو فيه الخط بتاعه

نظرت والدته إلى الهاتف ثم نظرت إليه متسائلة :

- جايبلها تليفون ليه

قال بحرج :

- يعنى حبيت ارفع روحها المعنويه شويه يعنى علشان كانت تعبانه ومضايقه أكيد هتفرح بيه ..ثم تابع بارتباك :

- مش كده برضه وانا غلطان

أخذت منه الهاتف وأومأت براسها وقالت ببطء:

- بعد الشر عنك من الغلط يابنى خلاص انا هديهولها أنا كده ولا كده طالعالهم دلوقتى أدخل أنت ارتاح مع عروستك بس ..بس انا هقولها أنه هديه منى أنا أتفقنا

ابتسم وقال بأحراج :

- مش هتفرق يا ماما أنا وأنتى واحد المهم انها تتبسط وتخرج من حالتها دى شويه

****

نظرت مُهره إلى الهاتف فى يديها وتأملته قليلاً ثم اعادته أمام ام فارس قائلة :

- أنا آسفه يا طنط بس أنا مش عاوزه حاجه

هتفت والدتها معاتبةً:

- ليه يابنتى ده هدية من خالتك أم فارس حد يرد الهديه

ربتت أم فارس على يدها بإشفاق وكأنها قرأت فى عينيها وهى تتفحصه أنها علمت من الذى أحضره لها وقالت بهدوء:

- أنا كنت فاكراكى هتفرحى بيه كده برضه ترفضتى هديتى

نظرت لها مُهره نظرة طويلة وقالت بشرود :

- عمرى ما رفضت هديه من ...من حضرتك وطول عمرى بفرح بالهدايا بس دلوقتى خلاص مبقتش تفرق معايا كتير

أقتربت منها أم فارس وأحاطت كتفها بذراعها وربتت على يدها الاخرى وقبلتها على وجنتها وقالت بتعاطف:

- تصدقى انك كبرتى فعلا ..بس لو ليا غلاوة عندك خديه

ثم همست فى اذنها:

- يا عبيطه بقولك ده هديتى انا ..ولا أنا بقى خلاص راحت عليا مبقتش ليا غلاوه فى قلبك

قفزت دمعة من عينها فمسحتها سريعاً وهى تقول :

- متقوليش كده يا طنط ده أنتى اللى مربيانى

وضعته أم فارس فى يدها وهى تضغط على يدها برفق قائلة :

- خلاص يبقى تاخديه من سكات

قبضت عليه فى يدها وهى تقول :

- متشكره أوى يا طنط ربنا يخليكى ليا

ابتسمت أمها بينما قبلتها ام فارس ثانية وقالت متسائلة :

- أخبار المذاكره ايه بتذاكرى ولا بتطنشى

نظرت مُهرة امامها وقالت بجدية :

- بذاكر وهفضل اذاكر طول عمرى يا طنط لحد ما ابقى حاجه كبيره اوى انا دلوقتى ميهمنيش غير مستقبلى وبس هو ده اللى هينفعنى مش اى حاجه تانيه ...عزمت على نسيان ماضيها وحاولت أن تقتلعه من حياتها ولا تفكر سوى فى مستقبلها وفقط ولكن هذه

هى طريقة تفكير الحالمون فقط ...فالحلمون فقط هم من يعتقدون أن الانسان من الممكن ان ينفصل عن ماضيه وظروفه و بيئته التى كونت شخصيته واصبحت جزء من تكوينه وبنيانه بل اصبحت جزء لا يتجزء من حاضره ومستقبله ايضاً ...

****

الفصل الحادى والعشرون

عاد الفارس إلى صهوة جواده مرة أخرى وأستأنف حياته العملية ثانية ولكن هذه المره وهو يجلس خلف مكتب الدكتور حمدى مهران كنائباً عنه ومديراً للمكتب وشريك فيه بمجهوده بنسبة الثلث ...لينفذ فكر استاذه فى قبول القضايا ورفضها حسب ما يترائى له من حلها وحرمتها مهما كانت باهظة الثمن ...وعادت دنيا تقبع خلف مكتبها تقلب أوراقها بملل

غير راضية عن وضعها القديم فقط كانت تتصور أن شأنها سيرتفع لمجرد أنها زوجته وأنه سيعطيها مكتب مخصص لها ولكنها تركها كما هى حتى عندما غضبت وطلبت منه ذلك رد ببرود:

- لو هارقى حد هيبقى على حسب كفائته مش على حسب هو يقربلى ايه

وقد كانت الضربة الموجعة لها والقاسمة لغرورها وكبريائها أنه أعطى نورا صلاحية مدير المكتب وخصص لها مكتبه سابقاً بل وخفف عنها عبء عمل النهار وأصبحت تعمل مساءا كمديرة للمكتب فقط مما جعل دنيا تستشيط غضباً وحنقاً وتستعر النار بداخلها ...خرجت من المكتب دون أستئذان وتوجهت لوالدتها لتحكى لها مأساتها معه والظلم الذى تلاقيه فى عملها فاجابتها والدتها بهدوء:

- فى حاجه مش طبيعيه بينك وبينه ومحدش فيكوا عاوز يقول عليها

جلست دنيا تقلم اظافرها وهى ترفع كتفيها وتقول بدهاء :

- بصراحه يا ماما فيه بس يعنى ..ضميرى مش سامحلى انى افضح جوزى

نظرت لها والدتها مستفهمة وقد عقدت حاجبيها قائلة:

- يعنى ايه يابنتى مش عاوزه تفضحيه هو فى ايه بالظبط

رفعت رأسها إلى والدتها وتصنعت الخجل وهى تقول :

- اصله بصراحه يعنى مش قد كده معايا ..يمكن بقى علشان كده علطول مضايق وبيعاملنى وحش زى ما اكون أنا المسؤله عن حالته ديه

زاد أنعقاد حاجبى والدتها وهى تنظر إليها قائلة:

- طب ليه ما يروحش لدكتور بدل ما العلاقه بينكوا متوترة كده

زفرت دنيا متبرمة وهى تقول بملل:

- يووه حاولت كتير معاه وكل مره بيزعل ويعمل خناقه ..خلاص بقى قسمتى ونصيبى انا راضيه

جلست والدتها واستندت إلى ظهر مقعدها وهى تعقد ذراعيها أمام صدرها وتنظر لأبنتها بشك ثم قالت :

- غريبه أوى الحكايه دى

عادت دنيا لتقليم أظافرها ثانية وهى تقول بأسى :

- شايفه يا ماما انا مستحمله أيه وكمان قاعده مع أمه فى مكان واحد ومعاملتها بقت حاجه صعبه اوى

مالت أمها للأمام بأبتسامة متهكمه وقالت :

- اهى دى بقى لو حلفتيلى عليها عمرك كله مش هصدقك ..ده أنا شفت بعينى محدش قالى

نظرت دنيا إليها وقالت بحزن:

- كده يا ماما بقى أنتى برضه تخيل عليكى حركات الست دى ...دى بتعمل كده قدامك بس

ضحكت أمها بسخريه وقالت :

- روحى شوفيلك كدبه تانيه بس تكون محبوكه شويه عن دى

هبت دنيا واقفة وهى تقول بإنفعال :

- كده يا ماما ...ماشى ...أنا هدخل اناملى شويه

- انتى مش هتروحى

- لاء لازم يعرف انه غلط ..دخلت غرفتها وتنفست بقوة وهى تزفر بضيق متسائلة بداخلها.. لماذا دائما يكذبها الجميع حتى والدتها لا تصدقها فى شىء ألهذه الدرجة هى مكروهة منهم ...هوت إلى فراشها بقوة وغضب وهى تلوم نفسها على سذاجتها التى أودت بها ..تذكرت يوم وفاة ابيها واليوم الذى توعدتها أمها أنها ستجعل عمتها تأخذها معها إلى الصعيد لتعيش هناك بقية عمرها وتذكرت يوم أن قررت مصيرها وحددت معاد عقد قرانها على فارس دون الرجوع إليها عادت لتذكر الشعور الذى مر بها والغضب الذى تملكها حينها وهى ترى حياتها تسير فى الاتجاه الخاطىء وسينتهى بها الامر فى حاره مع حماتها فى شقة واحده ...أستعادت ذاكرتها هذا اليوم المشؤم الذى بحثت فيه عن الدواء المنوم خاصتها ووضعت منه لوالدتها فى مشروبها والذى جعلها تنام نوما عميقا مما أتاح الفرصه لها أن تخرج وأول ماتوجهت كان لمكتب باسم الذى رحب بها وأغلق الباب قائلا:

- ولا يهمك محدش يقدر يجوزك غصب عنك

- كل ده بسببك أنت ..ماما عملت كده علشان سمعتك وانت بتكلمنى فى التليفون بالليل فى الليله اللى بابا مات فيها ...أسمع بقى أنا مش هغرق لوحدى لازم تطلعنى من الحكايه دى فورا

- يعنى عاوزانى اعمل أيه

- أنت مش قلت هتجوزى وتخلينى شريكتك فى المكتب ؟...يبقى تيجى بكره وتطلب ايدى رسمى أنت فاهم ولا لاء

- أيه ده يعنى بتفضلينى على حبيب القلب ولا ايه مش فاهم

- حبيب قلب أيه دلوقتى ..يعنى ارمى نفسى بايدى فى الحاره مع أمه علشان بحبه ..لاء طبعا

فكر قليلا ثم قال :

- أومال انتى خرجت ازاى دلوقتى

- حطيت منوم لماما هينيمها طول الليل وقلت أجيلك وارجع البيت من غير تحس أنى خرجت ..وطبعا أنت هتتقدم بكره رسمى ومش هتسيبنى فى اللى أنا فيه ده لوحدى مش كده يا باسم مش كنت بتقول أنك بتحبنى وأنك مستعد تعمل أى حاجه علشانى ...أغمضت عينيها وهى تتذكر نظرة عينيه فى تلك اللحظه وكيف عادت لبيتها وهى تجر أذيال الخيبة ... مترنحة لا تصدق ما فعله بها بعد أن وثقت به وعاد صوته يتردد داخلها مرة أخرى وهو يقول بمنتهى الوقاحة :

- أعرف دكتور كويس هيرجعك زى ما كنتى وأحسن كمان ..

شعرت بغصة فى حلقها عندما وصلت لهذه النقطة من ذكرياتها المقززة ... و أخذت تفكر فى طريقة تعيد بها مكانتها مرة أخرى .. فكان لابد أن تبدأ بفارس أولا ...لابد أن تستعيد مكانتها فى قلبه بأى شكل من الاشكال وبشتى الطرق ..

****

ظلت مُهرة تداعب أبناء عبير الاربعة وتجرى وهم يجرون خلفها وصوت ضحكاتهم يتردد بين جدران المنزل فى سعادة بينما قالت أم بلال وهى تضع يدها على صدرها :

- كفايه يا مُهرة قلبى وجعنى من الضحك يابنتى

قالت عبير وهى تجرى خلف أحدهم بطبق الطعام:

- سيبيها يا ماما دول كده بياكلوا وجبتهم كلها

جلست مُهرة على الارض والاطفال تجذبها من يدها لتقوم مرة اخرى وهى تتنفس بصعوبه وتقول بأنفاس متقطعة:

- كفايه مش قادره قطعتوا نفسى يا ولاد الدكتور

ضحكت عبير وهى تقول بمرح:

- أنتى خلاص يا مُهرة بقى عندك خبرة ينفع نجوزك من بكره

نهضت أم بلال وهى تقول أنا هدخل اريح شويه دماغى وجعنى من كتر الضحك

نهضت مُهرة وأخذت طفلين على قدماها تداعبهم وشرعت عبير فى إطعام الاثنين الاخرين وهى تنظر إلى مُهرة نظرات متفحصة ثم قالت :

- مُهرة أنتى فى حاجه مضايقاكى

ألتفتت إليها مُهرة بحيرة وقالت بتردد :

- أبدا يا ابله عبير ليه بتقولى كده

ركزت عبير على عينيها وقالت بثقه:

- علشان عارفاكى كويس لما بتبقى مضايقه ومهمومه بتقعدى تجرى وتلعبى وتضحكى أكتر من الطبيعى بتاعك

حاولت مُهرة تغير مجرى الحديث وهى تقول :

- أحنا مش هنروح لـ عزة ولا ايه يالا بقى قومى ألبسى

نهضت عبير وهى ترمقها بنظراتها وقالت :

- ماشى يا مُهرة بس خليكى فكرة أنى أختك الكبيرة لو أحتاجتى تتكلمى انا موجوده

قالت عبير كلمتها الاخيرة وتوجهت لغرفتها مصطحبة اطفالها لتبدل لهم ملابسهم بينما كانت عينان مُهرة تتابعها فى شرود وقد عاد الاسى يسكن قسمات هذا الوجه الملائكى مرة أخرى .

سمع صلاح طرقات منغمه على باب غرفته فالتفت إلى الباب وقال بمرح :

- ادخل يا عريس

أطل عمرو برأسه من فتحة الباب بابتسامته العذبه المرحه ودخل إليه يعانقه قائلا:

- وحشنى والله يا أستاذ صلاح

نظر إليه صلاح متأملا وهو يقول :

- وأنت والله يا عمرو ..بس ايه الحلاوه دى هو الجواز عامل عمايله معاك ولا ايه

رفع عمرو يديه يستعرض عضلاته وقال بغرور مصطنع :

- لا ولسه مشفتش المجانص كمان

لم يضحك صلاح فنظر إليه عمرو فوجده ينظر خلفه ووجهه قد عاد إليه جموده فألتفت عمرو خلفه فوجد إلهام واقفة خلفه عند الباب وتنظر إليه بنظرات إعجاب جريئة تكاد تلتهمه بعينيها وقالت برقه :

- حمد لله على السلامه يا بشمهندس ..تعال المكتب شويه لو سمحت ضرورى

وخرجت متوجهة لمكتبها فوضع صلاح يديه على كتف عمرو وقال :

- ربنا يخليلك مراتك يابنى

نظر له عمرو نظر مبهمة وأتجه إلى مكتب إلهام ..طرق الباب ودخل فقالت :

- اقفل الباب يا بشمهندس

أغلق عمرو الباب ووقف مكانه قائلا :

- خير يا بشمهندسه

أشارت له بالجلوس أمامها فأقترب قائلا:

- انا اصلى لسه هستلم الشغل من استاذ صلاح

قالت ببطء وهى تتفحصه :

- مش هعطلك كتير اتفضل

جلس عمرو على المقعد أمام المكتب متحاشيا النظر إليها ..مالت للأمام وأسندت ذقنها إلى راحتها وهى تنظر إليه مبتسمة وقالت :

- تعرف أنك أحلويت فعلا بعد الجواز

نهض عمرو على الفور وقال بضيق:

- معلش أنا زم أمشى عندى شغل كتير

نهضت من مقعدها ودارت حول مكتبها ووقفت امامه ..مدت يدها إليه ولمست بأناملها أزرار قميصه وقالت هامسة:

- أنت ليه مش حاسس بيه يا عمرو

نظر ليدها وابتعد خطوة للخلف ونظر فى الاتجاه الاخر وهو يقول بجدية:

- يا بشمهندسه اللى بيحصل ده مينفعش خالص

أقتربت هى الخطوة التى أبتعدها ونظرت إليه برجاء وقالت بضعف:

- مينفعش أيه ..مينفعش أحبك

نظر إليها بدهشة وقال :

- يا مدام إلهام انا راجل متجوز وبحب مراتى وحضرتك كمان متجوزة و..

قاطعته بسرعه وهى تتلمس قميصه مرة أخرى وقالت بعينين ملتهبتين :

- وبحبك أنت ..

أشاح بوجهه وهو يبتعد عن يدها فقالت تستعطفه:

- يا عمرو أنا بحبك ومش عاوزه منك أى حاجه... أنت ليه مش قادر تحس بالى جوايا

شعر بالحرج والاضطراب وحاول أن ينتقى عبارات غير جارحه وهو يسمع نبرتها الواهنه التى ترجوه بها ..ألتفت إليها قائلا بهدوء:

- يا بشمهندسه أحنا كلنا هنا بنحترمك وبنقدرك لكن غير كده مش هينفع صدقينى أنا محبتش ومش هحب حد غير مراتى ...عن أذنك

وتركها وأنصرف وهى ترمقه وتراقب حركته العصبيه وهو يفتح الباب ويخرج ويغلقه خلفه مسرعاً ... فرت دمعة من عينيها فمسحتها بسرعة وهى تقول بأبتسامه :

- غلطان يا عمرو ..

توجه عمرو مباشرة إلى مكتبه وعانق زميله احمد بحرارة والتفت إلى زميله نادر متناسياً المشاحنه التى كانت بينهما وقال:

- أزيك يا بشمهندس نادر

نظر له نادر نظرة متعاليه وقال:

- كويس

ربت أحمد على كتفه وقال بمرح :

- واحشنى والله يا عمرو ووحشانى خفة دمك ..ايه خلاص هترجعلنا تانى ولا ايه

قال عمرو وهو يجلس خلف مكتبه بخفه :

- اه ان شاء الله ..هرجع أرخم عليكوا تانى

ضحك أحمد وهو يضع امامه بعض الرسومات الهندسية وبدأ عمرو فى العمل بينما كان نادر يراقبه عن كثب ويتتبعه وهو يعمل بنظرات محتقنة حاقدة ...

****

أنهى بلال جلسته العلاجية لاحد مرضاه الذى قال مرحاً :

- بجد يا دكتور بلال أنت ايدك مرهم ولا حسيت بحاجه

رفع بلال راسه إليه وقال مداعباً:

- أنت محسسنى أنك جاى تاخد حقنه فى الصيدليه وبعدين لو محستش بحاجه تبقى الجلسه فشلت يا كابتن

ضحك كابتن علاء وهو يقول :

- لا نجحت ان شاء الله ...بس حلو أوى حكاية التسبيح والتكبير والاستغفار اللى انت بتعملها دى يا دكتور بجد أنت ليك سبق فى الحكايه دى ...ده انا ما سمعت عنك وعن اللى بتعمله من زميلى فى الفرقه قلت لازم أجى أجرب بنفسى وسبت دكتور الفريق..

ابتسم بلال وهو ينهض من خلف مكتبه قائلا:

- الكلام كله عاجبنى الا الحته الاخيره ناقصلك شويه وتقولى اعملى خصم

ضحكا الاثنان بينما نهض بلال وهو يأخذ مفاتيحه من فوق المكتب وقال :

- يالا يا كابتن يدوب نلحق العصر

ساعده بلال على النهوض وهو يقول له مشجعاً:

- لا بقولك ايه بلاش دلع أنجز علشان عاوزين الكاس السنه دى

ابتسم علاء بإجهاد وهو يتحرك معتمدا على يديى بلال وقال :

- أنا معتمد على الله وعليك يا دكتور

رد بلال مبتسماً وقال معلماً:

- يا ابو الكباتن قول على الله ثم عليك

نظر له علاء مستفهماً وقال :

- وايه الفرق ؟؟

شرع بلال فى الشرح له وهما يتوجهان خارج المركز وقال :

- يعنى لما اقول خرجت من المركز انا وعلاء يعنى خرجنا احنا الاتنين سوا... زى زيك يعنى

لكن لما اقول أنت ثم أنا يعنى أنت الاول وبعدين أجى انا فى المرتبه التانيه ..كده أحنا مش متساويين مع بعض

هز علاء راسه بدهشة وقال :

- تصدق أول مرة أعرف ده احنا بنقولها كتير اوى

ما كاد ينتهى من كلمته حتى أصطدم بمُهرة التى كانت تهبط الدرج بسرعة مداعبة الطفل على يديها ..نظرت له مُهرة وقالت بإندفاع:

- مش تحاسب يا استاذ أنت ..ايه الناس دى

نظر بلال إلى عبير التى كانت تهبط السلم بهدوء وهو تساعد الأطفال على تعلم هبوط السلم بحذر ويبدو ان مُهرة قد سبقتها كما تفعل دائما وسمع علاء يقول لها وهو يتأملها ملياً:

- المفروض انتى اللى تعتذريلى على فكره أنا اللى تعبان وانتى اللى خبطى فيها

نظرة له مُهرة شذراً قائلة بحنق :

- وأنت مبتشوفش يعنى

بينما قال بلال بسرعه :

- خلاص يا كابتن حصل خير خلاص يا انسه مُهرة

قالت عبير بتلقائيه :

- خلاص بقى يا مُهرة محصلش حاجه

اقترب بلال من عبير وهمس فى اذنها :

- مش قلت محبش راجل غريب يسمع صوتك ..ماشى لما نطلع بيتنا بس

أبتسمت عبير بصمت فهى مازالت وستظل تحب غيرته عليها حتى من ان يستمع رجل غريب لصوتها فقط ...نظر علاء ل مُهرة وقال بإعجاب :

- وكمان اسمك مُهرة لا بصراحه اسم على مسمى

نهره بلال على الفور وهو يأخذ بيديه للاسفل قائلا:

- بقولك ايه يا كابتن أنت هتعاكسها قدامى كمان طب أحترمنى على الاقل يا أخى

همس علاء فى اذنه قائلا:

- هى تقربلك ولا ايه

قال بلال وهو يعبر به باب البناية قائلا:

- حاجه زى كده ..وبعدين وانت مالك

****

وفى أحد الليالى افترش فارس الارض بعيدا عن الفراش ووضع وسادته واستلقى بجسده المنهك وأغمض عينيه فى أنهاك شديد تحت عينيى دنيا المتابعة له وهى جالسة على الفراش ترقبه وقد عزمت على تنفيذ ما قررته وأن تستعيد مكانتها لديه ثانية ..نهضت من فراشها وتعطرت وارتدت ثياباً مكشوفة شفافه وجلست على الارض بجواره وأتكأت على طرف وسادته لينفذ عطرها لأنفه رغماً عنه وقالت بدلال :

- هتفضل تنام على الارض لحد أمتى ...هو احنا مش متجوزين ولا ايه

قال بجدية دون أن يفتح عينيه:

- أنا حذرتك قبل كده يا دنيا ...أرجعى على سريرك وابعدى عنى

غلفت صوتها بنبرة ناعمه وهى تتلمس خصلات شعره :

- ولو مبعدتش هتعمل ايه

فتح عينيه وألتفت إليها بعصبيه وقال بغضب :

- هتشوفى فارس اللى عمرك ما شوفتيه قبل كده ..ثم قال محذرا:

- والكام شهر اللى هتقعدي على ذمتى فيهم تتجنبينى خالص وتبطلى محاولاتك دى علشان أنا بحس بقرف لما بتقربى منى ...ألقى عليها نظرة أحتقار أخيرة وأغمض عينيه ثانية وولاها ظهره غير مباليا بها ...نظرت إليه بغضب وحقد شديد وهبت واقفة فى عصبية كبيرة وبدلت ملابسها ونامت وهى تعض على يديها من كثرة الغيظ والغل ...

****

جلس فارس بجوار والدته على مائدة الافطار وقبل يديها قائلا بابتسامه :

- تسلم ايدك يا ست الكل

ربتت على كتفه برضا وهى تقول :

- بالهنا والشفا يابنى ...ثم نظرت إلى دنيا وقالت بود:

- مبتاكليش ليه يابنتى

اشاحت دنيا بوجهها وقالت بغطرسة :

- ماليش نفسى ..هشرب الشاى بس

تناولت ام فارس أحد الاطباق ووضعته امامها وقالت بأهتمام:

- ملكيش نفس أزاى بصى بقى ده انا عملتلك بسطرمه بالبيض أنما هيعجبك اوى

نظرت دنيا إلى الطبق ساخره وقالت :

- بسطرمه ..لا ميرسى مش عاوزه

ثم نظرت للمائدة وقالت بترفع :

- أومال فين الشاى

شرعت أم فارس فى النهوض وهى تقول بطيبة:

- يوه نسيت أحطه على النار

أمسكها فارس من يدها وأجلسها مرة اخرى وقال ل دنيا بعصبيه:

- اللى عاوز حاجه يقوم يعملها لنفسه ...ثم التفتت إلى والدته وقال :

- متتعبيش نفسك يا ماما من فضلك كتر خيرك اصلا انك عملتى الفطار

رفعت حاجبيها وقالت بأستفزاز :

- الله هو انا عملت حاجه دلوقتى انت بتلكك ولا ايه

زفر فارس بضيق ولم يرد عليها فقالت متهكمه:

- هو أنت مش ناوى تحلق دقنك دى ولا ناوى تستشيخ زى صاحبك الدكتور

نظر إليها بحدة وقال :

- أه ناوى استشيخ زى صاحبى الدكتور عندك مانع

تبادلت معه النظرات الحاده ونهضت الى المطبخ لتعد الشاى وهى تتمتم بخفوت:

- ماهو ده اللى ناقص كمان

ظهرت سحابة حزن فى عينيى أم فارس ...فما يحدث الان هى ما كانت تتوقعه تماما ولكن مع الاسف سبق السيف العزل وانتهى كل شىء ..ولا بد من التعامل مع الواقع كما هو ..

****

بدأت مُهرة فى العام الجديد وبداية مرحلة جديده ..مرحلة الثانويه العامه وعكفت على المذاكره من بداية العام وحتى أنتصافه تحاول ان تمحى من أفكارها كل ماهو ليس له علاقة بمستقبلها ومذاكرتها وتتعايش مع الواقه بشكل أكثر حسماً وواقعية ..ولكن الواقع هو الذى لم يتركها لشأنها كثيرا..تزوج والدها بامرأة اخرى واصبح اكثر أهمالا لهم ماديا ومعنويا ولم يكن هذا هو العبء الوحيد عليها وأنما لحق به عبأً آخر .. بدأ العرسان يتوافدون عليها وبدأت هى الصراع فى الرفض دائما مماجعل والدها يزداد سخطاً عليها وعلى رفضها المستمر بدون اسباب حتى كانت الطامة الكبرى بالنسبة لها وتقدم للزواج منها احد الاشخاص الذين يصعب على والدها الانصياع إليها ولم يقتنع باسبابها ..ولكنها اصرت مما جعله يضربها لاول مرة ..ولكنها اصرت على الرفض بعناد ...وأخيرا أضطر والدها إلى الاستماع إلى راى زوجته أم يحيى واللجوء الى الشخص الوحيد الذى يظن الجميع انه يمكن له أن يقنعها بالموافقة ...

فتح فارس باب منزله ليجد امامه والد مُهرة ثائرا جدا و لكنه قال بحرج:

- معلش يا استاذ فارس عملنالك أزعاج بس كنت محتاجك عندى ضرورى لو سمحت

قال فارس بدهشة متسائلاً:

- طيب اتفضل شويه مينفعش من على الباب كده

- معلش يا استاذنا مش هينفع

أومأ فارس براسه وقد بدأ القلق يتسرب لنفسه وقال :

- حاضر ثوانى هغير واجى معاك

بدل ملابسه سريعاً وهو يشعر بقلق بالغ وتوجه الى والدته بالمطبخ قائلا:

- ماما انا هطلع مع عم ابو يحيى اشوفه عاوزنى فأيه

ألتفتت إليه متسائلة :

- طب مقالكش عاوك فايه

هز راسه نفيا وقال وهو يربت على ذراعها:

- متقلقيش ان شاء الله خير هروح اشوفه ولما ارجع هقولك

أخذه والد مُهرة وصعد به إلى شقته ..وجلس معه فى غرفة استقبال الضيوف وقال بحنق:

- بص بقى يا استاذ فارس البت دى غلبتنى وطلعت عينى وبصراحه كده امها شارت عليا ان مفيش حد غير هيقنعها ويخليها تغير رايها بما انك مربيها ومن صغرها وهى بتسمع كلامك ..

عقد فارس بين حاجبيه وقال بقلق :

- فى ايه طيب فهمنى

لوح الرجل بيديه وقال بعصبيه:

- عماله ترفض عريس ورا التانى وانا ساكت عليها ومش عاوز اغصبها لكن العريس ده بقى هتجوزه حتى ولو غصب عنها ..يا استاذ فارس ده لاعيب كورة معروف وغنى وهتتبسط اوى معاه وهتخرج من الحاره لمستوى تانى خالص هو حد يطول أنا مش عارف البت دى مالها كده

مال فارس للأمام وواستند بمرفقيه على قدمه وفرك كفيه فى توتر وعصبيه وقال :

- مُهرة لسه صغيره مش لما تخلص الثانويه العامه الاول

قال والدها بحنق:

- وايه المشكله هى يعنى هتجوز النهارده ..الراجل عاوز يكتب الكتاب بس ولما تدخل الجامعه تبقى تتنيل تروح بيته

حك فارس ذقنه بعصبيه وقال متهكما:

- ياه كمان عاوز يكتب الكتاب مش يخطب ده شكله مستعجل على كده

- اومال ايه يا استاذ فارس وبعدين ده هيخطب ليه ده جاهز من مجاميعه ومش عاوز مننا حاجه خالص ولا حتى شنطة هدومها

زاد اضطرابه وتوتره وتعرقت يديه بشدة وقال محاولا التحكم بعصبيته:

- اه علشان كده بقى

دخلت ام يحيى وقدمت له الشاى قائلة :

- والله يا استاذ فارس شاب يفرح ويشرح القلب ومن ساعة ما شفها عند الدكتور بلال وهو يتجنن عليها انا مش عارفه البت دى هتفضل دماغها ناشفه لحد امتى ده الراجل

ثم توجهت للخارج وهى تقول :

- انا هناديهالك وأنت بقى تحاول تاثر عليها انا عارفه انها بتسمع كلامك

دخلت أم مُهرة غرفتها وقالت لها بلهفة:

- قومى بسرعه أستاذ فارس عاوز بره

نهضت مُهرة من خلف مكتبها الصغير وهى تحدق بوالدتها وقالت بحزن:

- يعنى هو جاى يقنعنى انى اوافق على العريس

أومأت أمها براسها وقالت مؤكده:

- طبعا اومال معطل نفسه كتر خيره وطالع مع ابوكى ليه ...وبعدين يا مُهرة خلى بالك لو فضلتى رافضه ابوكى هيبهدلنا ويمكن يطلقنى يابنتى يرضيكى امك تطلق على كبر كده

زاغت نظراتها وهى تجلس على مقعدها مرة اخرى ترمى بثقل جسدها عليه دفعة واحدة بعد ان خذلتها قدميها وقد شعرت ان الالم يعتصر قلبها أعتصارا محاولا أن يتخلص من هذا الرجل الذى طالما أحبه وعشق كل سكناته وخلجاته وحروف كلماته وضحكاته بل وآلامه وأحزانه ،،خرجت كلماتها بصعوبه بعد أن بللت الدموع شفاهها وقالت :

- قوليلوا مفيش داعى يتعب نفسه يا ماما ..أنا خلاص موافقه

خرجت أم يحيى من غرفة ابتها وهى تطلق الزغاريد فنهض فاروس ووالدها متسائلين فقالت أم يحيى بسعادة كبيرة:

- بركاتك يا استاذ فارس أول ما خطيت بيتنا عنادها أتفك

ونظرت الى زوجها قائلة:

- كلم العريس وقوله البنت وافقت يا ابو العروسه

خفق قلبه بقوة وهو ينظر إليها مشدوها قائلا:

- هى قالتك انها موافقه يا ام يحيى

ضحكت ام يحيى وهى تقول:

- طبعا يا استاذ فارس موافقة ...

توجه والد مُهرة إلى الهاتف قائلا :

- انا هكلمه أقوله أنها وافقت علشان نحدد معاد كتب الكتاب قوام قوام قبل ما ترجع فى كلامها

شعر ان الدنيا تميد به وأنه يتنفس من ثقب ابرة لا تروى ظمأ رأتيه فاتجه إلى الباب خارجاً وهو يتمتم غاضباً:

- مبروك

****

عاد الفارس مهزوما الى شقته ولكنه غاضباً لاقصى حد ..فتح الباب بعنف واغلقه خلفه بقوة فرجت والدته من المطبخ فزعة ورأته غاضباً بشدة لا يرد عليها ودخل الى الحمام وضع رأسه تحت الصنبور لعله يطفأ النار التى نشبت برأسه وهو لا يدرى مصدر النار الحقيقيه ..وقفت والدته بجواره ترجوه ان يتحدث ويخبرها ما به وأخيرا أغلق الصنبور وأعتدل واقفا وهو يتكأ على الحائط أمامه بكلتا يديه ناظرا لوجه بالمرآة والمياه تقطر من كل مكان بوجهه وشعره لتغرق ملابسه قائلا بصوت يشبه أصوات الفراغ القاتل حول المقابر :

- هتتجوز ..

رفعت والدته حاجبيها دهشة وهى تقول :

- هى مين يابنى

وفجأة أنقلب الصمت الى زوبعة شديدة تتلوها الاعاصيرا تترا ..وأخذ يهدر فى غضب شديد:

- خلاص مبقاش ليا لازمه عندها ..انا بقيت ولا حاجه عند الهانم..رايحه تقرر وتوافق من غير ما ترجعلى ...خرج من الحمام متوجها الى المائدة وراح يركل المقاعد واحداً تلو الاخر فينقلب على عقبيه محدثا جلبة شديدة وهو يصيح :

- كانت بتاخد رأيى فى لون الفيونكه اللى فى شعرها كانت بتاخد رأيى فى القلم اللى بتكتب بيه

دلوقتى بتقرر تتجوز ...كده من نفسها ...خلاص كبرت وعاوزه تجوز خلاص مبقاليش قيمه عندها ...

حاولت والدته ان تهدىء من روعه وتتشبث به لتجلسه ولكنه كان كالعاصفه الهوجاء يطيح بكل ما يقابله امامه يمينا ويسارا ...لم تعد تعرف كيف وتعيده الى رشده ...

أخذت تمسح على ذراعيه تاره وعلى راسه تاره وهى تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم حتى هدأ أخيرا وجلس وقد أحتقن وجهه بشدة ودفن راسه بين كفيه محاولا السيطرة على غضبه يلتقط انفاسه بصعوبه كأنه كان يعدو بقوة ...

وقفت والدته بجواره تمسح راسه وتقرا المعوذتين والاخلاص بينما وهم كذلك صدح رنين هاتف المنزل ..تركته والدته يدأ وأجابت المتصل أمتقع وجهها وهى تنظر ل فارس الذى بدأ يهدأ قليلا وأنفاسه تنتظم ...وقالت:

- أمتى حصل ده يابنتى...

رفع راسه ونظر الى والدته متسائلا حينما سمعها تقول لمحدثتها:

- لاحوله ولا قوة الا بالله ..البقاء لله يابنتى ....

الفصل الثانى والعشرون

أغلق فارس باب شقة والدة دنيا خلف المعزيين وعاد ليجلس بجوارها منهكاً من شدة التعب ..نظر إليها فوجدها تدفن راسها بين كفيها وتنساب عبراتها المنهمرة على وجنتيها لتبلل كفيها ووجهها ...أقتربت والدته منهما ومسحت على ظهر دنيا بحنان قائلة:

- كفايه يا بنتى هتموتى نفسك من العياط أدعيلها بالرحمه

ثم نظرت لـ فارس وأردفت :

- قوم يابنى خد مراتك وأدخلوا أرتاحوا شويه انتوا منمتوش من أمبارح

نهض فارس بتثاقل فكم كان محتاجاً لقسط من الراحه لبعض الوقت بعد نهار طويل من اجراءات الدفن والوقوف لاستقبال المعزين ...أمسك يدها وساعدها على النهوض وهو يقول بإشفاق:

- تعالى ارتاحى شويه جوه يا دنيا قومى يالا

نهضت وهى تجفف دموعها وقد اطرقت راسها إلى الارض وكادت أن تسقط من فرط اجهادها وحالتها النفسية السيئة لولا أن أسندها بيديه ومضى بها إلى غرفتها ..ساعدها فى الجلوس على طرف فراشها قائلاً:

- يالا ناميلك شويه علشان أعصابك تهدى

رفعت رأسها إليه ببطء ونظرت له من بين دموعها وقالت بصوت مبحوح من كثرة البكاء:

- أقعد لو سمحت

جلس بجوارها على الفراش وألتفت إليها مشفقاً لحالها ..فأرتمت على صدره وأخذت تبكى وتشهق بقوة وهى ترجوه قائلةً:

- متسبنيش يا فارس أنا ماليش غيرك دلوقتى ...أرجوك متسبنيش لوحدى ...أنا بعتذرلك عن كل اللى عملته معاك وكل اللى غلطته فى حقك بس أنا عارفه أنك شهم ونبيل ومش هتتخلى عنى ..وشهقت بقوة أكبر وهى تقول بإنهيار:

- اخر حاجه ماما قالتهالى أقولك تفضل جنبى علشان ماليش غيرك علشان خاطرها يا فارس مش علشان خاطرى انا..أرجوك يا فارس أرجوك

رفع رأسه لأعلى وتنفس بقوة ثم ربت على كتفها مطمئناً وقال :

- متخافيش يا دنيا متخافيش ..ولمعت عينيه من التأثر وهو يردف قائلاً:

- أنا جنبك متقلقيش من حاجه ابدا

أعتدلت ونظرت إليه بلهفة قائلة:

- بجد يا فارس يعنى مش هتطلقنى

ربت على يدها وقال بهدوء :

- متفكريش فى الكلام ده دلوقتى انا عاوزك تنامى وترتاحى أنتى مش شايفه نفسك عامله ازاى

أستلقت فى فراشها مطمئنة وأغمضت عينيها ..ظل جالساً بجوارها حتى ذهبت فى سبات عميق .. ألقى عليها نظرة مشفقة ونهض بهدوء وخرج وأغلق الباب خلفه ..خرج فوجد والدته قد غفوت على الاريكة الخارجيه ..حاول ايقاظها ولكنها لم تستجب له من شدة الارهاق ... هوى بجسده على المقعد جانبها واستند الى ظهر المقعد وأغمض عينيه وهو يحاول استيعاب الامر من جديد ...

لقد أصبحت وحيدة الان وليس من الشهامة أن يتخلى عنها هكذا ويتركها بمفردها ..لقد أستنجدت به وتوسلت اليه ان لا يتركها فكيف يفعل تأبى رجولته ودينه أن يفعل ذلك ولكن كيف يحتفظ بها وهى من هى ...لن يستطيع أن يتخذها زوجة حقيقة ولن يستطيع ان يطلقها فى مثل هذه الظروف ..وضع كفيه على وجهه ملتجأً إلى الله عزوجل هاتفاً بقلبه :

- ما العمل ياربى ما العمل ......

****

لم يشعر أحد بغيابهم عن المنزل نظراً لاستعدادات عقد القران التى خيمت أجوائها على بنايتهم بل على شارعهم كله ..جلست مُهرة بجوار علاء بعد ان وقعت عقد زواجها منه وأنهمرت عليها القبلات المهنئة السعيده من الجارات والصديقات ودوت اصوات الزغاريد معلنةً أشهار زواجهما ..حضرت الحفلة جميع الجارات ماعدا والدة عمرو فقلد كانت غاضبة لغضب ولدها محمود فلم تذهب لتبارك الزواج ... بينما كان يحيى سعيدا جدا لان أخته تزوجت من لاعب كره شهير فجلس بجواره وأخذ يلتقط معه بعض الصور ... أما والدتها فقد فرت دموع الفرح من عينيها وهى ترى طفلتها وقد اصبحت عروساً جميله فمالت على زوجها قائلة :

- شايف يا ابو يحيى مُهرة زى القمر أزاى

- لازم تبقى قمر طبعا مش بنتى

نظرت له مستنكرة وتركته وذهبت لتقف بجوار عمرو متسائلة:

- متعرفش يا بشمهندس الاستاذ فارس ووالدته فين اصلى خبطت عليهم كتير اوى النهارده محدش رد

وضع عمرو قطعة من الكعك فى فمه وقال :

- عند مراته فى شقة أمها اصل حماته ماتت من يجى اسبوع كده

عقدت أم يحيى حاجبيها وقالت بأستغراب:

- لا حوله ولا قوة الا بالله ومحدش قالنا ليه

قال عمرو بلا مبالاة:

- تلاقيهم مرضيوش يبوظوا فرحتكوا يا ست أم يحيى ..ثم اردف وهو يمد طبقه اليها قائلا:

- اومال فين الجاتوه بتاعى يا ام العروسه

ابتسمت ام يحيى وهى تأخذ منه الطبق قائلة :

- من عنيه يا بشمهندس

مال علاء على مُهرة بشكل ملفت للنظر وهمس فى اذنيها قائلاً :

- مبروك يا حبيبتى

ألتفتت إليه بحرج وابتعدت قليلا وهى تقول :

- الله يبارك فيك بس من فضلك ابعد شويه مينفعش كده

أردف هامساً دون أن يبتعد :

- وابعد ليه هو انتى مش مراتى ولا ايه هو انا صممت اكتب الكتاب علشان تيجى تقوليلى ابعد شويه

همت بالنهوض بإنفعال من جانبه ولكنه امسك يديها قائلا :

- خلاص خلاص هبعد أهو خاليكى

سحبت يدها من يده بضيق وقالت :

- أنا هروح اصلى العشاء عن اذنك

أبتسم ساخرا وقال :

- سلامات يا شيخه مُهرة

ألقت عليه نظرة غاضبة ونهضت بضيق ودخلت غرفتها أرتدت ثياب الصلاة ووقفت تصلى وهى تبكى غير مصدقة ما فعلته بنفسها ..كيف تلقى جزيرتها فى مياه غريبة الشطئان كيف

لم يشغلها أن تبحث عن زورق للنجاة ..كانت تكفى الخطبه فلماذا وافقت على عقد القران لماذا سبحت فى بحر متلاطم الامواج ليس لديها بوصلة للطريق تنظر خلفها فلا طريق للعودة ولا سبيل للرجوع ولا فناراً تتقدم على ضوءه ...أين السبيل أذن وكيف النجاة

وبعد يومين عادت أم فارس إلى بيتها وتركتهم هناك بعد ألحت على فارس أن يبقى مع زوجته فى شقة والدتها ثم يعود بها بعد أن تتحسن حالتها قليلاً ..وتفاجأت بأن زواج مُهرة قد تم بالفعل

فقالت بضيق:

- كده برضوا هو أنا مش من حقى افرح بيها زيك ولا أيه يا أم يحيى

قالت أم يحيى بحرج:

- والله سألت عليكى يا ست أم فارس ملقتكيش وبعدها عرفت من عمرو ان حماة الاستاذ فارس تعيشى أنتى وأتلخمت فى كتب الكتاب ومعرفتش اوصلك

- مُهره فين علشان أباركلها

اشارت لها أم يحيى الى غرفتها قائلة:

- قاعده جوه بتذاكر ثوانى أندهالك

خرجت مُهرة من غرفتها وتلاقت عينيها بعينين ام فارس كل عينين بها ما بها وتنطق بالكثير ولكن مُهرة لم تستطع أن تنتظر أكثر ..جرت بسرعة وأرتمت بين أحضان أم فارس وأخذت تبكى وتبكى وأمه تمسح على راسها وقد لمعت عينيها بالدموع ولكنها تماسكت فقالت أم يحيى:

- ايه يا بت مالك بتعيطى ليه كده

رفعت أم فارس رأسها لأم يحيى قائلة:

- تلاقيها واخده على خاطرها منى علشان محضرتش فرحها

مطت ام يحيى شفتيها وهى تقول :

- انا عارفه ايه دلع البنات ده ..دى من ساعة كتب الكتاب وهى لويه بوزها كده حتى عريسها مبتديلوش ريق حلو ابدا

أزداد بكاء مُهرة ولكنها لم ترفع راسها من حضن أم فارس حتى بللت حجابها بدموعها فقالت ام فارس وقد رسمت ابتسامة مصطنعة على شفتيها :

- ايه يا ست انتى... انتى بقيتى بخيله ولا ايه فين الشربات بتاعى

ضحكت أم يحيى بسعادة وهى متوجهة الى المطبخ قائلة:

- من عنيا يا ست الكل

تبعتها أم فارس بعينيها حتى أختفت داخل المطبخ فربتت على راس مُهرة وقالت بخفوت:

- متقهريش نفسك يا بنتى كل شىء قسمة ونصيب

توقفت مُهرة عن البكاء ورفعت رأسها تنظر فى عينيها متعجبة بإستغراب :

- فابتسمت لها أم فارس وقالت بخفوت :

- انتى ناسيه انى انا كمان مربياكى واقدر أحس بيكى كويس ولا فاكرانى مش حاسه بيكى كل ده

..ثم امسكت وجهها بين يديها وقالت بحنان:

- ركزى فى مذاكرتك ومتفكريش فى حاجه وأرضى بقضاء ربنا علشان ربنا يرضى عنك ويرضيكى

****

دخلت مُهرة هى وأخيها يحيى النادى الرياضى تتطلع حولها منبهرة بما ترى بينما كان علاء الذى يسير بجوارها بزهو وهو يشاهد الانبهار فى عينيها هى وأخيها وهو يشعر بالسعاده فتلك المرة الاولى التى وافقت على أن تخرج بصحبته منذ أن عقد عليها ..مرت بجوارهما مجموعة من الفتيات أستوقفوه بلهفة وهن يصافحنه ويتضاحكن معه بجرأة وبجوارها يحيى يكاد أن يلتهمهن بعينيه.. ألتفت علاء الى مُهرة فوجدها موصوبة نظرها عليهم بملامح خاليه من أى تعبير ولكن يغلب عليها بعض الدهشة ...أنصرفت الفتيات وأقترب منها قائلا :

- أيه يا حبيبتى غيرانه ولا أيه... لا لازم تتعودى على كده دى ضريبة الشهرة ولا ايه يا يحيى

قال يحيى مؤكداً :

- طبعا يا نجم

نظرت إليهما مُهرة وكأنها لم تسمعهما ولم ترى حديثه مع الفتيات

وقالت :

- هو مين اللى بيصرف على كل الحاجات الفخمه اللى فى النادى دى

نظر لها متعجباً وقال بإستنكار:

- هو ده كل اللى لفت نظرك

أومأت برأسها وقالت بأهتمام:

- غريبة أوى أنا كنت بشوف الحاجات دى فى التلفزيون بس كنت فاكراهم بيضحكوا علينا طلع بحق وحقيق

عقد ذراعيه أمام صدره بضيق وقال وهو يسير بجوارهما ببطء:

- وأيه الغريب فى كده أذا كانت مكافأتنا لوحدها بتوصل للألفات وساعات الواحد فينا بياخد مليون لوحده مكفأة ..مستغربه ان النادى نفسه يبقى فخم

ثم أشار لهما على أحدى الطاولات لتجلس وجلس قبالتها فانحنت للامام مستندة إلى الطاولة الصغيرة

وقالت :

- ومين اللى بيدفع كل ده

رفع كتفيه قائلا بلا مبالاة :

- تبرعات رجال الاعمال مكافآت من الدولة وحاجات زى كده يعنى

اسندت ذقنها على راحة يدها وقالت بإستغراب:

- سبحان الله مصر ماليانه أحياء شعبيه محتاجه نص اللى بيتحط فى النادى ده والماتشات بتاعته هو وغيره ورجال الاعمال دول لو أتبرعوا للأحياء الشعبيه ولا لأطفال الشوارع ولا للمستشفيات اللى محتاجه أجهزة وأدويه كان هيبقى ثوابهم أكبر عند ربنا مش يجوا يحطوا فلوسهم فى حمام سباحه ولا ماتش ..

عقد حاجبيه وقال بحنق:

- أحنا بندى البلد دى جوايز ومسابقات عالميه ودورى وكاس

ضحكت وهى تقول :

- غريبه أوى أنتوا بيتصرف عليكوا ملايين علشان دورى وكاس لكن العلماء محدش بيسأل فيهم و بيضطروا بيهاجروا بره مصر علشان يلاقوا اللى يصرف على ابحاثهم اللى هتخدم البشريه كلها ...

قال يحيى بحماس معترضاً:

- والماتشات دى برضه حاجه كويسه يا مُهرة مش بتخرج الطاقه صح والناس بتحبها وبتتبسط منها يعنى كلنا بنستفاد والبلد كمان بتستفاد

نظرت إلى يحيى وقالت بتلقائية:

-يابنى ده انا أختك وبشوفك أنت وصحابك وأنتوا بتتخانقوا بعد كل ماتش ده غير الشتيمه اللى بتقعدوا تشتموها للعيبه وتاخدوا عليها ذنوب والقهوة اللى اول شارعنا اللى بيضربوا بعض بالكراسى وفى الاخر بعد الماتش ما يخلص هما ياخدوا المكافات وانتوا تتخانقوا وتخسروا بعض

وبلد ايه اللى بتستفاد دى الفريق بيسافر والبلد تصرف عليهم فى البلد التانيه وفى الاخر لو كسبوا يقولوا مصر فازت ولو خسروا مصر خسرت طب مصر كسب ايه وخسرت ايه واحنا مش مهتمين بالعلم والعلماء وبنقولهم فوت علينا بكره ..كسبت كاس بيتحط على رف النادى مكتوب عليه تاريخ الانتصار وفلوس تتوزع على اللعيبه زى الرز وفى ناس أحق بالفلوس دى بيباتوا من غير اكل ولا دوا وبيموتوا من كتر الاهمال فى المستشفيات الحكوميه...الكلام ده لو فى عدل لو كل واحد بياخد حقه

نسى علاء أنه فى مكان عام وهتف غاضباً:

- سيبك من كل ده تنكرى أن الرياضه شىء مهم جدا وسيدنا عمر بن الخطاب حث عليها وقال علموا أولادكم السباحه والرمايه وركوب الخيل

رفعت حاجبيها متهكمة وقالت :

- بيتهيألى سيدنا عمر لو عرف أن الكوره بيتصرف عليها ملايين وفى ناس جعانه مش لاقيه تاكل وناس تعبانه وبتموت ومش لاقيه دوا كان زمانه منع حاجه اسمها كوره

...ضحكت عندما وصلت لاخر كلمة قالتها

بينما هب هو اقفا وقال بضيق :

- وحضرتك بقى وافقتى تتجوزينى ليه طالما شايفه أن شغلى تافه أوى كده

حملت حقيبة يدها وقالت بتلقائية :

- منا قلتلك كنت فاكراهم بيضحكوا علينا فى التلفزيون وبيبلغوا بس كلامك ده واللى أنا شايفاه أكدلى ..وبعدين مالك زعلان أوى كده ليه أخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية وأنا بقول رأيى

نظر لها يحيى مندهشاً وه يقول :

- سبحان الله كأنى سامع الاستاذ فارس هو اللى بيتكلم

نظرت له مُهرة بتأثر ولمعت عينيها حنيناً بينما قال علاء متسائلاً:

- مين الاستاذ فارس ده

ضحك يحيى وهو يقول :

- ده بقى يا سيدى الاب الروحى لمراتك هو اللى مربيها ومحفظها الكلام ده

ظن علاء أن الشخص الذى يتحدث عنه يحيى رجل طاعن فى السن مثلاً فلم يبالى بالامر وقال بأستهزاء :

- وأنا أقول برضه اتعلمتى منين التخاريف دى

هتفت مُهرة وهى تنظر له بغضب :

- أتكلم باسلوب أحس من كده

تدخل يحيى بسرعة وقال مهدئاً للموقف :

-صلوا على النبى يا جماعه دى مجرد مناقشة

تأملها علاء لبعض الوقت ثم قال حانقاً :

- يالا نمشى

سارت بجواره وهو يمشى بخطوات واسعة وهى تحاول اللحاق به جاهدة ويحيى يلقى النظرات الاخيرة على النادى الذى حلم دائما بدخوله ..حتى وجدته يقف فجأه وتتغير ملامحه الغاضبة إلى الابتهاج عندما صافح أحد الرجال الذى كان يبدو عليه أنه فى أوائل العقد الخامس من عمره يرتدى حلة وقبعة رياضية ثم استدار إليها يعرفها إلى الرجل قائلا :

- دى مُهرة مراتى يا كوتش وده يحيى أخوها

نظر إليها الرجل مبتسماً ومد يده يصافحها قائلا :

- أهلا وسهلا نورتى النادى

عقد ذراعيها وقالت بجمود:

- أهلا بحضرتك بس معلش مش بسلم ...

مد يحيى يده وصافح الرجل بحرارة بينما نظر لها علاء نظرة نارية وضغط اسنانه حتى خُيل إليها أنها استمعت الى صوت صكيكها وقال آمراً :

- سلمي يا مُهرة ده الكوتش بتاعى انتى متعرفيهوش ولا أيه

نظرت إليه وظلت عاقدة ذراعها ولم ترد فقال الرجل بسرعة وهو يربط على كتف علاء :

- خلاص يا كابتن مش مشكله يالا اشوفك فى التدريب سلام

جذبها من ذراعها بقوة وهو يقول :

- انا غلطان أنى جبتك هنا..أمسكه يحيى وهو يحاول تخليص ذراعها منه هاتفاً :

- مش كده يا كابتن التفاهم بالراحه

دفعت يده بعيدا بضيق وأسرعت الخطى وقد لمعت عيناها بالدموع ظلت جالسه فى المقعد الخلفى فى السياره وعلاء يقودها حانقاً فى طريقة الى المنزلها وهى تنظر من النافذة بجوارها وكلما فرت دمعة من عينيها رغماً عنها مسحتها بسرعة حتى لا يراها فى المرآة ..أما هو فكان يصيح طول الطريق بغضب قائلاً:

- بتحرجينى مع الكوتش بتاعى يا مُهرة يعنى لو كنت قابلت حد من الرجال الاعمال اللى بيرعانى كنتى برضه هتحرجينى قدامه كده مش كفايه مش عاجبك شغلى ومستخسرة فيا الفلوس اللى باخدها ..

كانت تستمع الى يحيى وهو يحاول تهدئته أما هى فقد ظلت صامتة ولم ترد عليه وتركته يخرج ما فى صدره من حنق وغضب عليها كانت تشعر أنها وحيدة لا تشعر بالامان معه تريد ان تصل لمنزلها سريعا لتحتمى بجدرانه بعد ان فقدت النصير الذى غاب عنها وتاه فى دنياه ...

****

وضع فارس حقيبة دنيا فى غرفتها وخرج منها وأغلق الباب خلفه قائلا لوالدته فى عجلة من أمرة :

- لازم أمشى حالا أتأخرت اوى على المكتب

همست له والدته بخفوت:

- مش تستنى مع مراتك شويه يا فارس وبعدين تنزل

ربت على كتفها برقه وقال وهو يضع الهاتف فى جيبه ويأخذ مفاتيحه :

- هستنى أعمل أيه يا ماما هى خلاص بقت كويسه معلش عندى شغل متأخر يالا مع السلامة

ترجل يحيى فى بداية المنعطف المؤدى الى شارعهم عندما ألتقت عيناه بعينيى محمود الذى قاطعه منذ زواج مُهرة وهو يقول :

- معلش يا كابتن واحد صاحبى زعلان منى عاوز ألحقه يالا سلام

تابع علاء طريقة بتثاقل ووضع السيارة بجوار المنزل هبطت مُهرة بسرعه دون أن تنتظره .. لحق بها على الدرج وأمسكه من ذراعها وجذبها اليه بحدة وهو يقول :

- كمان مش معبرانى ده بدل ما تعتذريلى يا هانم

ألتفتت إليه وقد أغرورقت عيناها بالدموع وقالت :

- لو سمحت سيب أيدى مش كفايه الكلام الجارح اللى عمال تقوله طول الطريق جاى تكمل هنا كمان

حاولت أن تتملص منه ولكنه جذبها مرة أخرى وقال بعصبية :

- مُهرة انتى متعرفنيش كويس أنا عصبى متخلنيش أمد ايدى عليكى ..أعتذرى حالاً

بدأت تبكى بصوت مرتفع وهى تحاول التملص منه عندما سمع وقع اقدام تهبط الدرج بسرعة ..وما أن اقتربت حتى زادت من سرعتها على صوت بكائها واخيرا ظهر فارس وهو ينزل سريعاص ينقل بصره بينهم ولكنه قال وهو ينظر اليها والى دموعها التى أنسابت على خديها وقال بلوعه :

- مالك بتعيطى ليه

قبض علاء على يدها أكثر حتى تالمت ثم قال :

- وأنت مالك أنت خاليك فى حالك ..لم يكد علاء أن يتم عبارته حتى وجد فارس قد قبض بعنف على يده الممسكة بذراعها وضغط رسغه بقوة تألم لها علاء وأضطر أن يترك ذراع مُهرة التى بمجرد ان تحررت من يد علاء حتى صعدت أربع درجات خلف فارس ..نظر له علاء بغضب وصاح هائجاً:

- وانت مالك أنت دى مراتى

ألتفت فارس أليها فوجدها تنظر إليهو تمسح دموعها بكلتا يديها وقد أطلت من عينيها نظرت أستغاثة ملهوفة مخلوطة بالألم ..ألتفت إليه وقال محذرا والشرر يتطاير من عينيه :

- هى الرجوله أنك تفرد عضلاتك على بنت وتقول مراتى أنت كده مفكر نفسك راجل

حاول علاء أن يتخطاه إليها ولكن فارس وضع يده على سور السلم ففصل بينهما بجسده فقال علاء غاضبا:

- بقولك وأنت مالك أنت مين انت علشان تدخل أضربها ولاحتى اكسر دماغها مدام عاوزه تتربى

لم يكد أن يتم كلمته حتى وجد لكمة شديدة توجهت ألى أنفه ارتد على آثارها الى الخلف ولكن لحسن قدره أن يحيى كان فى طريقة الى الصعود فارتطم بجسده مما منعه من السقوط وربما ما هو أكثر من ذلك

بكت مُهرة بشدة وصعدت تعدو الى شقتها بينما وضع علاء يده على أنفه فوجد الدماء تسيل منها نظر الى راحته برعب وهو ينظر الى الدماء التى لوثتها ..دفعهما فارس الاثنان معا وغادر البناية على الفور وهو فى قمة غضبه

أخذه يحيى وصعد به الى شقتهم ..جلس والد مُهرة بجوار علاء يعطيه بعض المناديل الورقيه ليمسح دمائه التى لوثت وجهه ..بينما كان يحيى وأمه يؤنبانها فى الداخل وهى ملقاة على الفراش وتبكى بحرارة ..ولم يكتفوا بذلك وأنما أجبروها هم ووالدها على الخرج والاعتذار منه ..وعادت لغرفتها مكسورة مهزومة ورغم أحساسها بالدونية والضياع والمهانه الا أنها شعرت انها لم تفقد المظلة التى كانت وظلت وستظل تحميها من عوادى الدنيا وزخات السُحب ...

****

ألتفت بلال الى فارس ورفع حاجبيه بإستغراب شديد وقال متعجباً :

- ضربته !!!

أشاح فارس بوجهه وضرب بيده على قدمه وقال وهو غاضب :

- تصدق بالله انا لو مكنتش مسكت أعصابى مكنش هيبقى ضرب بس أنا كان ممكن اقتله

أستند بلال بمرفيه الى مكتبه فى المركز ونظر اليه متفحصاً وقال بهدوء :

- أنت لو بتتخانق مع مراتك تحب حد يدخل بينكوا بالطريقه دى

هتف فارس حانقاً :

- يعنى كنت اسيبه يعمل فيها كده قدامى واقول سلام عليكم وأنزل عادى كده

هز بلال راسه نفيا وقال :

- لا يا سيدى محدش قالك كده بس برضه فى حاجه اسمها بالمعروف بالنصيحه تسمع عنهم ولا لاء

- دمى غلى فى عروقى يا بلال مفكرتش ومقدرتش استحمل سفالته

شبك بلال بين اصباعه وقال بثقة :

- طبعا مش هقولك أنك غلطان علشان أنت عارف انك غلطان

أومأ فارس براسه وهو ينظر أمامه بشرود قائلا :

- معاك حق انا غلطان...غلطان انى ضربته بس كان المفروض أكسرله عضمه علشان بعد كده ايده متلمسهاش تانى

صمت بلال لبعض الوقت وهو يفكر هل من الحكمة أن يتكلم معه بصراحه ويكشف له عن ما يراه ويشعربه أم يصمت مادام فارس يفسر افعاله على انها شهامة منه تجاهها ...ولو صارحه فما جدوى ذلك وهو متزوج وهى متزوجة ..الامر يحتاج لتفكير أكثر من هذا قبل المصارحه ...

أخرجه فارس من تفكيرة العميق على صوته الهادر وهو ينهض واقفاً ويقول :

شوف يا بلال أنا جيتلك علشان عرفت أنه عرفها عن طريقك يعنى انت تعرفه كويس ..عاوزك تبلغه أنى لو عرفت أنه مد ايده عليها بحلو ولا بوحش هتبقى اخر مره يستعمل فيها ايده دى سلام

نهض بلال وحاول ايقافه ولكنه لم يفلح فى ذلك فلقد كان غاضبا جدا عاد الى مكتبه وجلس خلفه فى وجوم وهو يشعر ان المصارحه بعد ما راه وسمعه الان منه ستكون تبعتها أكبر

من الكتمان بكثير فلابد من التمهل ...فهذه النبرة وهذا الزئير وهذه التصرفات ليست لرجل يغار فقط أو يحب فقط وأنما هو يراها كنزه الثمين ومهرته الاصيلة الذى لابد ان يحافظ عليه دائما وابدا من ان تمتد اليه يداً غريبة ويرى نفسه حاميها وحارسها وفارسها النبيل الذى يبذل الغالى والرخيص فداءا لها فهى مازالت وستظل طفلته التى تحتاجه ومن الجائز ان نعشق أطفالنا أحيانا ..

****

بمجرد أن دخل فارس مكتبه وقد هدأت ملامحه قليلاً حتى لحقت به نورا على الفور قائلة بسعادة:

- دكتور فارس اتأخرت ليه

جلسه خلف مكتبه واسند ظهره للخلف وهو يشعر بإرهاق زهنى رهيب وأغمض عينيه قائلاً :

- خير يا استاذه نورا فى حاجه ؟

قالت بسرعة وهى مبتسمة ببهجه :

- فى زبون معايا فى المكتب وجاى لحضرتك ومصمم أنك انت اللى تمسكله القضيه بتاعته بنفسك مش حد تانى

فتح عينيه ببطء وقال مستفهماً :

- أشمعنى يعنى

قالت بحماس :

- القضية اللى حضرتك اشتغلتها من سهر وجبت فيها براءة للقاتل سمعت أوى والرجل جاى ملهوف وعنده استعداد يدفع اى مبلغ تطلبه ..ده ملياردير يا دكتور فارس ملياديييييير ..

ابتسم فارس لحماسها المفرط وقد تسلل حماسها إليه وقال :

- خليه يدخل

فرقعت نورا اصابعها بحماس وفرحة وخرجت مسرعة وسمحت للرجل بالدخول إليه ... نهض فارس وصافحه بإدب وتواضع قائلا وهو يشير اليه بالجلوس :

- أتفضل يا فندم

جلس الرجل وهو ينظر الى فارس مندهشا وقال بدون مقدمات :

- الحقيقة انا كنت فاكر حضرتك اكبر من كده يا دكتور فارس

ابتسم فارس وقال بلباقه :

- ده مدح ولا ذم

أستدرك الرجل بسرعة وقال بإحترام :

- مدح طبعا يا دكتور يعنى حضرتك سمعتك مسمعى كده وانت فى السن ده ..يعنى اكيد حضرتك نبغه فى مهنتك ..دى خبرتى كراجل فى السوق من زمان وعلشان كده انا جيتلك مصمم انك أنت اللى ترافع عن ابنى

قال عبارته الاخيره ووضع الملف الذى بيده امامه على المكتب ..فتحه فارس وبدا يقلب اوراقه

بينما قال الرجل بحزن :

- ابنى يا دكتور شاب فى عز شبابه ومتربى واخلاقه عاليه ..يتهموه ظلم فى قضية زى دى ..أنا ابنى مش ممكن يقتل يا دكتور مش ممكن ابدا انا متأكد أن تقرير التحريات اللى اتقدم ده افترى وظلم علشان أعدائى فى السوق عايزين ينتقموا منى بأى شكل ويشوهوا سمعتى بأى طريقة ...

هز فارس رأسه وقال متفهماً :

- طيب حضرتك سبلى القضة ادرسها واقلبها فى دماغى من كل النواحى وهرد عليك بكره أن شاء الله بس حضرتك أعملى توكيل عليان أعرف أطلع أزوره وأتكلم معاه شويه قبل ما اقول رايى فى القضيه

قال الرجل على الفور :

- انا يا دكتور مستعد ادفع اللى حضرتك تطلبه ملاين الدنيا كلها فدى ابنى

قال فارس بإشفاق :

- متقلقش أن شاء الله لو بريء فعلا ربنا مش هيتخلى عنه وانا هبذل كل جهدى علشان اطلعه منها

حياه الرجل وغادر المكتب وقبل أن يبدأ فى فتح الملف لقراءته بتمعن قفزت مُهرة الى ذهنه مرة اخرى وصورتها التى رآها عليها اليوم وهى تنظر لها تستنجده أن لا يتخلى عنها ولكن الذى حيره فعلا هى النظرة الاخرى التى رآها فى لمحة لم تتعدى ثانية من الوقت لقد كانت نظرة عتاب ..

وجد نفسه يخرج هاتفه النقال ويكتب رساله من كلمتين :

- بتعاتبينى ليه ؟!

أعلن هاتفها على وصول رسالة نصية فتحتها وهى تجلس على طرف فراشها دون أن تنظر لاسم الراسل ..استعت عيناها دهشة وخفق قلبها بقوة وهى تقرأ حروفه التى ارسلها دون وعى فوجدت دمعتين قد فرا من مقلتيها وابتلعت ريقها بصعوبه وكتمت انفاسها وهى تكتب بشرود :

- السؤال ده لوحده محتاج عتاب ..

قرا رسالتها ووضع الهاتف على مكتبه ودفن وجهه بين يديه وقد ازدادت حيرته واشعلت التساؤلات فى قلبه من جديد ...زفر بقوة وتناول القهوة التى وضعت امامه بتمهل وبدا فى فتح ملف القضيه ...وهو لا يعلم أنه فتح عليه باب من أبواب جهنم ..

الفصل الثالث والعشرون

قرأ رسالتها ووضع الهاتف على مكتبه ودفن وجهه بين يديه وقد ازدادت حيرته واشعلت التساؤلات فى قلبه من جديد ...زفر بقوة ثم تناول القهوة التى وضعت امامه بتمهل وبدا فى فتح ملف القضية ... وهو لا يعلم أنه فتح عليه باب من أبواب جهنم ...

قلب أوارقها بهدوء وتركيز وعيناه تجرى بين السطور حتى شعر بألم فى رأسه وصداع شديد من كثرة التفكير وقد شُتت أفكاره تماماً لم يعد قادراً على قراءة المزيد ..طرقت نورا باب مكتبه ودخلت بعد ما سمعت الاذن بالدخول ...دخلت وقد تغيرت ملامحا تماماً وبدا عليها القلق وقالت فى عجلة كبيرة :

- من فضلك يا دكتور ممكن أستئذن دلوقتى ..جوزى كلمنى وشكله تعبان أوى

قال فارس وهو يضغط جبينه بيده من شدة الألم :

- طيب مستنيه أيه يالا روحى بسرعه ولو محتاجه أجازه مفيش مشكله

قالت بإمتنان وهى تغادر :

- متشكره أوى يا دكتور فارس

غادرت نورا على الفور بينما بحث هو عن دواء لألم الرأس ولكنه لم يجد فنهض فى تعب وأخذ الملف معه وقرر أن يكمله فى المنزل ...

كانت دنيا تجلس أمام التلفاز تتنقل بين قنواته فى ملل وقد تركتها أم فارس ودخلت غرفتها لتنام فهى لم تعتاد السهر الطويل .. أغلقت دنيا جهاز التلفاز وأتجهت لغرفتها وتناولت هاتفها من فوق الطاوله ودخلت غرفتها وآوت الى فراشها ..أستلقت على الفراش وهى تفكر فى حالها وكيف سينتهى زواجها وهل سيطلقها فعلا أم ستتغير الامور أنتبهت على صوت رنين هاتفها النقال ..تناولته ونظرت فيه فزفرت بملل وردت بتثاقل قائلة :

- أيوا

رد المتصل بلهفة قائلاً:

- ايوا يا أستاذه دنيا أنا وائل

قالت بضيق :

- منا عارفه يا وائل خير فى حاجه ولا أيه

قال بشغف :

- قضية يا استاذه أنما أيه هتنقلنا نقله كبيرة أوى

قالت بأزدراء:

- أفندم ؟

أستدرك متوتراً:

- قصدى يعنى هتنقل الدكتور فارس والمكتب نقله جامدة أوى

بدأ الاهتمام يتسرب إلى صوتها وهى تقول :

- نظامها أيه القضية دى

قال على الفور:

- أبن راجل مليادير متهم فى قضية قتل والراجل جاى مخصوص للدكتور فارس وعاوزه يشتغلها بنفسه ومستعد يدفع بدل المليون تلاته

سال لعابها عندما سمعت الرقم وقالت بخفوت :

- وأنت عرفت منين

قال وائل متهكماً:

- يا استاذه انا مفيش حاجه تخفى عليا فى المكتب أومال حضرتك أخترتينى أنا ليه علشان ابقى ايدك اليمين فى غيابك

- طيب متشكره أوى يا وائل

أردف وائل قائلاً بلهفة:

- استنى يا استاذه مش ده كل اللى عندى

أرهفت سمعها له وهو يتابع قائلاً:

- القضية دى أتنشرت فى الجرايد من يومين بس وأنا قريت تفاصيلها كلها ولما شمشمت حواليها عرفت أن فى محضر تحريات وشهود بيدينوا الواد المتهم فى القضية علشان كده انا قلقان أن الدكتور فارس يرفضها ..

سكت ثانية من الوقت وأستدرك قائلا:

- لاء ده انا متأكد كمان انه هيرفضها ولو أتعرضت على الدكتور حمدى هو كمان هيرفضها الواد المتهم شكله مش مظلوم وده اللى مخلينى متأكد ان فارس باشا هيرفض يشتغلها وهيضيع علينا المبلغ المهول ده

تسرب القلق اليها فهى تعرف طريقة تفكير فارس جيدا وتعلم أنه لو وجد المتهم غير مفترى عليه وبأنه قاتل فعلا سيرفض الدفاع عنه مهما كانت الاتعاب مغريه ..فقالت فى توتر:

- طب وانت ايه رأيك يا وائل

لاحت أبتسامة نصر على شفتيه وهو يقول :

- بسيطة يا استاذه ..حضرتك ممكن تاخدى وتدى معاه فى القضية لو لقتيه قبلها خلاص بركه يا جامع لو لقتيه رافض يبقى مفيش غير حل واحد..

- ايه هو ؟!!

- حضرتك تشتغلى القضيه بنفسك

ضحكت وهى تقول :

- أنت بتهزر مش كده ؟..أشتغلها ازاى يعنى وأبو المتهم هيرضى يخلينى أخدها أزاى يا فالح

قال بسرعة:

- يا استاذه القضيه مش محتاجه شغل كتير زى ما أنتى فاهمه ..لو أعتمدنا على شغل المحاماه يبقى الواد هياخد أعدام القضيه دى عاوزه شغل من نوع تانى

قالت بترقب :

- مش فاهمه ...

- شوفى يا استاذه القضية كلها مربط الفرس يها التحريات والشهود ولو تقرير التحريات اتسحب من الملف بصنعة لطافه والشهود غيروا اقوالهم يبقى مفيش دليل والواد هيطلع براءه

قال بحنق :

- وأنت فاكر بقى انى أعرف أوصل للورقه دى و حتى لو عملت كده فارس مش هيسكت ده غير أنه لو رفض القضيه الراجل اصلا مش هيرضى حد مش معروف زى يشتغلها مهما قلناله

نظر وائل للجالس بجواره مبتسماً بأنتصار وقال لها :

- المشكلتين دول محدش هيقدر عليهم غير واحد بس...الاستاذ باسم

أعتدلت على الفراش وكأن حية قد لدغتها وهتفت متسائلة:

- باسم مين ؟..اللى كان معانا فى المكتب ؟

قال وائل مؤكدا:

- ايوا هو ...هو الوحيد اللى فى كان فى مكتبنا ليه معارف كتير فى النيابه ويقدر يخلصلنا موضوع الورقة والشهود وهو برضه اللى هيقدر يلاقى حل لمشكلة الدكتور فارس

صمتت دنيا لتفكر بالامر كادت أن ترفض وتنهى المكالمه على الفور رافضة للعرض والاقتراح ولكن المبلغ المعروض أدار رأسها ..ليس بهين على الاطلاق انه كافى أن يذيب الصخور بينها وبين باسم وينسيها ما فعله بها وما تلاقيه الان بسببه وان يلتقيا من أجله مرة أخرى ..قالت فى تردد :

- طب أدينى فرصه افكر

أنهى وائل المكالمة معها ووضع الهاتف فى جيبه وهو ينظر لباسم الذى كان يقف بجواره ويلقنه بعض الكلمات ..ربت باسم على كتف وائل وهو ينظر امامه بتفكير قائلا:

- برافوا عليك

قال وائل لاهثاً :

- متأكد يا استاذ باسم أنها هترضى

ابتسم باسم وهو يجلس خلف مكتبه ويشبك كفيه فى بعضهما وقال بثقة :

- زى ما أنا متأكد أنك واقف قدامى دلوقتى .... ثم همهم بخفوت

وقال :

- دى تبيع ابوها علشان افلوس

****

أنهت دنيا المكالمة وهى شاردة تماماً وقد ومض فى عقلها صور متتابعه وكأنه شريط سينمائى لليوم الذى هربت من بيتها وذهبت إليه فى مكتبه وما حدث بينهما ...شعرت بغصة فى قلبها وهى تتذكر وحشيته معها ..كيف تعاود العلاقات معه من جديد بعد ما كان ..كيف تحدثه وبأى وجه تنظر اليه وينظر اليها ثانية ..دار راسها أكثر وقد أختلط كل شى أمامها بشكل متناقض لم يخرجها منها الا أن سمعت صوت باب الشقة وهو يغلق بهدوء فعلمت انه حضر..أغلق فارس الباب بهدوء وهو ينظر للمنزل الهادىء حوله فى سكون...فهذا ما كان يحتاجه فى تلك اللحظه .السكون ..جلس على اقرب مقعد ووضع الملف بجواره وأرتمى بظهره على ظهر المقعد وفرك جبينه فى قوة فمازال يعانى من الصداع الشديد ...فى تلك اللحظة خرجت دنيا من غرفتها ونظرت إلى وجهه المتعب فأقتربت منه ومسحت على شعره وهى تقول بخفوت:

- مالك ..مصدع

أدار راسه إليها أومأ ه بدون كلام ...توجهت الى غرفتها وأحضرت له حبة مسكنة ..أعطتها له مع كوب المياه وقالت :

- هروح أعملك كوباية شاى تظبطلك دماغك

وضع كوب المياه بجواره وأغمض عينيه بسترخاء يتلمس قليلاً من الراحة والسكينة محاولا ان يبتعد بذهنه عن الافكار التى أدت به الى هذه الحاله ...وضعت أمامه كوب الشاى وظلت تنظر اليه وهو يرتشف منه ببطء وفى صمت حتى أنتهى منه أن يدور بينهم حديث من اى نوع ... وضع الكوب ونهض واقفاً متوجهاً لغرفته ..دخلت خلفه ونظر غليها مندهشاً وهى تأخذ سترته من يده وتعلقها فى الخزانة فهى لم تفعل ذلك منذ زواجهما وها هى تفعله دون أن يطلب منها مساعدته ... ألتفتت له وقالت مبتسمة :

- تحب أحضرلك العشاء

زادت دهشته ولكنه قال :

- لا مليش نفس يدوب هاخد دش وأقعد اشتغل شويه

أنتظرت حتى أخذ ملابسه ودخل الحمام م أنطلقت الى المقعد الذى وضع عليه الملف ...أخذته بين ايديها وفتحت وتجولت فيه بنظرها بسرعة فتأكدت انه الملف المطلوب وتأكدت من المعلومات التى سربها إليها وائل .. ومن الواضح أن فارس لم يدرس القضية كاملة حتى الان ...تركت الملف ووضعته كما هو وأنتظرته حتى خرج من الحمام وتوجه الى الاريكة وأستلقى عليها ...

وقفت بجواره وقالت بخفوت ورقة:

- أنت شكلك مرهق اوى يا فارس تعالى نام على السرير علشان جسمك يرتاح ..وأستدركت فى حزن :

- ولو كان عليا يا سيدى انا مش هنام دلوقتى

هز راسه نفيا وقال بصوت نائماً :

- لا متشكر روحى نامى أنتى أنا هغفل ساعه واحده بس وهقوم أكمل شغلى

دخلت غرفتها ولكنها لم تستطع ان تنام كانت تريد ان تخلق معه اى حوار بخصوص القضية ولكنه غير مستعد للحديث على الاطلاق واى حديث الان سوف يؤدى الى عواقب وخيمة .. تقلبت فى فراشها كثرا وهى تحاول أن تجد مخرجاً ما .. لابد أن تتودد اليه بالحكة حتى يأمنها ويتحدث معها بما يجول فى خاطره وبدون قيود ... لم تستطع النوم ابدا ظلت هكذا حتى شعرت بحركته فى الخارج فعلمت أنه استيقظ أنتظرته حتى توضأ ووقف يصلى ركعتين خفيفتين قبل أن يبدأ فى العمل ... بع أن أنتهى أخذ الملف ووضعه على الطاوله وجلس امامه وكأنه أمام لغم يوشك ان ينفجر عند أول لمسة له ..خرجت دنيا من غرفتها وتوجهت للمطبخ مباشرة وأعدت له فنجان القهوة التى يحبها ووضعتها أمامه بابتسامة رقيقة وهى تقول :

- أتفضل

نظر إليها وهو يشعر أن هذا اليوم هو يوم المفاجات فلا داعى للتعجب من شىء بعد ذلك ... لست أمامه واستندت على راحتيها وظلت تتابعه وهو يقرأ ويتأمل فيقف على معلومه طويلا ثم يتجاوزها الى غيرها يتاملها برفق وكأنه يخشى فقدانها ... رفع راسه إليها فوجدها تتامله مبتسمة فقال :

- منمتيش ولا أيه

قالت بعذوبة :

- لاء نمت بس صحيت على صوتك وأنت بتقرأ القرآن وأنت بتصلى حقيقى صوتك حلو أوى فى القرآن يا فارس

كان قد عاهد نفسه على عدم الدهشة ولكنه لم يستطع ..رفع حاجبية ومط شفتيه بقوة ثم أعاد راسه الى الملف وأكمل ما كان بدا ..كانت هى تبحث عن كلمات مناسبة لا تستفزه بها وهى تسأله عن القضية حتى لا تشعره أنها تعلم شىء عنها ...تنحنحت فى خفوت ثم قالت :

- شكلها قضية مهمه اللى مسهراك كده

أومأ برأسه ببطء دون أن ينظر إليها وقال :

- فعلاً قضية مهمة

قالت بنرة أنثوية ضعيفة:

- طب ما تشرحهالى يا فارس حقيقى انت خبره كبيرة اوى ونفسى اتعلم منك

نظر اليها ولسان حاله يقول ..

- أى نوع من الاعاجيب يحدث فى هذا اليوم .. ما هذه الهدوء والسكينة والتعاون والتواضع هذه ليست دنيا ابدا

قال باقتضاب :

- دى قضية متهم فيها شاب صغير بقتل واحدة بالعربية بتاعته والشهود بيقولوا انه كان قاصد وانها كانت واقفه على الرصيف اصلا وكمان التحريات بتقول انه كان يعرفها يعنى مش الحادثه مش صدفه

تيقنت دنيا من كلام وائل أكثر عندما وجدت فارس يتكلم عن القضية وكأنه قد عزم رفضها قالت بحنكه:

- طب والمتهم أعترف ولا قال ايه

هز راسه نفيا وهو يقول :

- بالعكس ده صمم انه برىء وان الشهود متلفقين والتحريات متلفقة ابوه كمان لما قابلنى قال انه ليه اعداء فى السوق وجايز يكونوا ملبسين ابنه القضيه

نظرت فى عينينه تكاد أن تخترقهما وتتسلل الى عقله لتعرف فيما يفكر وماذا سيقرر وقالت وبلا مبالاة:

- مش جايز فعلا كده

مط شفتيه وهو يقول :

- كل هيتحدد لما اروح اقابل المتهم ثم لمعت عينيه وهو ينظر امامه قائلا :

- انا هقدر اعرف منه هو عمل كده فعلا ولا لاء

قالت بشك :

- وهو يعنى هيعترفلك

أعاد راسه الى الاوراق مرة اخرى وهو ينهى الحديث قائلا :

- سيبيها على الله

****

كانت عزة تحضر الطعام بسرعة وتضعه فى الاطباق وتنقلها على الطاولة ضاحكةً وهى ترى عمرو يلكم الوسادة بقوة مرات متتالية فتسقط الوسادة على الارض فيأخذها ويلكمها مرات أخرى ثم يخنقها بيديه بعنف وقد تصبب عرقاً فقالت وهى تجلس حول الطاولة بجواره :

- نفسى أعرف بتعمل ايه

ألتفت إليها وهو يمسح العرق عن جبينه وقال وهو يلهث :

- بتمرن عندى ماتش ملاكمة

ضحكت مرة أخرى وقالت :

- أول مرة اعرف انهم بيخنقوا بعض فى الملاكمة

هز رأسه نفياً وهو يتناول الملعقة قائلا :

- لا ده مش علشان الملاكمه ده علشان لو واحد ضايقنى أخنقه وأخلص منه

وضعت كوب المياه أمامه ووهى تقول :

- وهتلاعب مين بقى تايسون

نظر لها بطرف عينيه مازحاً وهو يقول :

- بتقولى فيها انا فعلا هلاعب بلال تايسون

نظرت إليه بدهشة وقالت :

- أيه ده بجد والله ..هى دى مسابقه ولا ايه

وضع الطعام فى فمه وقال :

- لا يا بنتى مسابقة ايه اصلا بلال هو اللى بيمرنى انا وفارس فى مركز الشباب اللى جانبينا

اسنتدت ذقنها على يدها وهى تقول :

- أنا نفسى الاقى حاجه واحده الدكتور بلال مبيعرفش يعملها حتى الملاكمه هو اللى بيمرنكوا

ضربها على كتفها بخفة وهو يقول بحنق :

- ايه يا ماما مالك معجبة بيه كده ليه طب بكره هتشوفى هكسرهم هما الاتنين على حلبة المصارعه

نظرت له بدهشة وقالت :

- هى مصارعه ولا ملاكمة

وضع قطعة من اللحم فى فمها وهو يقول :

- كلى وانتى ساكته يا ذكيه هانم

صمتت قليلاً وهى تنظر له باضطراب ثم تشجعت وقالت :

- عمرو أنا لازم اروح لدكتوره علشان موضوع الحمل

وضع الملعقة فى طبقة ونظر لها معاتباً وقال :

- احنا مش أتكلمنا فى الموضوع ده قبل كده وقلنا نسيبه على ربنا

أسندت وجنتها على راحة يدها وقالت :

- أحنا متفقناش أنت اللى قررت وانا اضطريت اوافق انا مش عارفه انت ليه مش مهتم

أخذ كفها من تحت وجنتها ووضعه بين راحتيه وقال بهدوء :

- بصراحه مش عاوز حاجه تشغلك عنى وعن اهتمامك بيا لوحدى ومدام التاخير جاى من عند ربنا لوحده يبقى خلاص ...حاولت ان تعترض ولكنه وضعه أصبعه على شفتاها وقال :

- انتى مش عارفه يا حبيبتى انا محتاج أهتمامك بيا قد ايه

ومش عارفه أن تفرغك ليا بيحمينى من حاجات شكلها ايه

قالت بقل :

- تقصد ايه ؟

قبل يدها وقال مبتسماً:

- مش قصدى حاجه كل الحكايه انى عاوزك تفضيلى أنا وبس ..وأنا ممنعتكيش من الخلفه ..

ووقت ما ربنا يأذن هتحملى ..بلاش نستعجل ..

****

دخل فارس مكتبه مساءاً فوجد الرجل صاحب القضية فى أنتظاره..صافحه معتذراً عن التأخير واشار إليه بالجلوس ..جلس الرجل ثم نهض مرة أخرى ووضع أمام فارس الاوراق التى طلبها ووضع فوقهم شيك يالاتعاب ..نظر فارس الى الملبلغ المدون امامه ثم رفع راسه للرجل وقال :

- أنا قلت لحضرتك انى مش هقبل أى حاجه الا لما اقابل المتهم بعد كده هقرر وبعدين المبلغ ده كبير أوى

قال الرجل بسرعة وبصوت يشبه البكاء :

- فلوس الدنيا كلها فدى ابنى وبعدين انا متفائل ان شاء الله ولما تقابله هتتاكد أنه برىء أنا متأكد

نظر إليه فارس بإشفاق ومد يده بالشيك قائلاً بحسم :

- معلش حضرتك خده ولو وافقت نبقى نتكلم فى حكاية الاتعاب دى بعدين ...أنا هروحله بكره على طول ان شاء الله يعنى الموضوع مش هيتاخر كتير

خرج الرجل من حجرة فارس وقبل أن يخرج من المكتب الخارجى تفاجأ بدنيا التى أقتربت منه بتمهل وقالت :

- متقلقش يا فندم ان شاء الله خير

رفع الرجل يده الى السماء وهو يقول بضعف :

- ربنا يسمع منك يابنتى

اقترب وائل منهما وقال للرجل مقدماً له دنيا قائلاً:

- دى الاستاذه دنيا مرات الدكتور فارس ومحامية معانا هنا

قالت دنيا بأهتمام :

- أمبارح الدكتور فارس سهر على القضيه للفجر وتقريبا شبه موافق عليها يعنى حكاية المقابله دى مساله شكليه مش أكتر

نظر لها الرجل بتأثر وقال بأمتنان:

- حقيقى يا استاذة ... مش عارف اقولك ايه طمنتينى ربنا يطمن قلبك

قالت مؤكدة :

- أن شاء الله لما يرجع من الزيارة انا اللى هكلم حضرتك وأحدد مع حضرتك الاتعاب والمعاد اللى حضرتك هتجيلوا فيه

غادر الرجل بعد أن تأكد أن قضيته قد قُبلت بالفعل فها هى زوجته تؤكد له أنه بدا العمل بها فعلاً ...دخلت دنيا حجرتها بعصبية وقلق وألتفتت الى وائل الذى تبعها وقالت :

- وبعدين يا وائل أنا قلقانه أوى أنا كل ده ولسه مش عارفه ايه اللى هيحصل نفرض رفضها فعلا

قال وائل بثقة :

- الاستاذ باسم مستنى منك مكالمه بعد ما تعرفى قرار الدكتور فارس وساعتها هيقولك هيعمل ايه بالظبط.......

الحلقة الرابعة والعشرون

أطل بلال برأسة داخل مصلاها الصغير الذى أتخذته منذ زواجها مصلى خاص بها فى أحد أركان المنزل الصغيرة فوجدها تسبح بعد أنتهاءها لتوها من صلاة الفجر ..أزاح الستار الذى وضعته عليه ليعطى الركن شىء من الخصوصيه فلا يدخله أحداً سواها ولا يعبث أحد بمكتبتها الصغيرة فيه ..أقترب منها وجلس بجوارها ألتفتت إليه بابتسامة عذبة فأخذ كفها فى يده وقبل راحتها ثم أكمل تسبيحه على أصابعها هى ..نظرت له بحب جارف وهو يسبح على أصابعها وفى كل تسبيحة يزداد حبه بقلبها وتتعلق ب أكثر وأكثر ..رفعت يدها الاخرى ومررت أناملها على لحيته وخللت اصابعها برفق داخلها فنظر لها وابتسم ثم أقترب منها أكثر وأخذها بين ذراعه وهما جالسان على الارض ثم تناول يدها الاخرى وأكمل التسبيح عليها ..ظلت هى تمرر أصابعها على يده التى تتلمس راحتها برقة حتى أنتهى ورفع راحتها لفمه ليقبلها مرة أخرى بإشتياق ولفها إليه برفق لتكون فى مواجهته وقال بخفوت :

- لسه صاحيه لغاية دلوقتى ليه مش قلتى هصلى وأنام

بادلته همساً بهمس وهى تقول بسكينة :

- كل مرة بقول أذكار الصباح فى السرير بتروح عليا نومه قبل ما أخلصها فقلت اقولها هنا علشان كمان أبقى مركزة فيها ...ثم أردفت متسائلة :

- مش قلت هتدى درس بعد الصلاة

ظهر الحزن على وجهه وهو يقول :

- درس الفجر أتمنع هو كمان مع الاسف ثم أردف متهكماً بسخرية حزينة:

- الرقاصه فى الكباريهات محدش بيقدر يمنعها من اللى بتعمله لكن أحنا لما نيجى نتكلم عن الله يمنعونا ويقفلوا المساجد بعد الصلاة على طول

ربتت على وجنته وقالت بهدوء :

- متزعلش نفسك كده يا حبيبى أنت ناسى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام لما قال :

0 بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ

نظر لها وأطل الاسى من عينيه قائلا:

- أحنا بقينا غُرب فى بلدنا يا عبير أول ما الواحد يربى لحيته يبتدى الاضطهاد ويبتدوا يحاصروه فى كل مكان فى المسجد وفى الشغل وفى كل حته تبتدى المضايقات ... كأن التأسى بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام بقت تهمة المفروض الواحد يتعاقب عليها

حاولت أن تضفى بعض من المرح عليه فغيرت مجرى الحديث وقالت مداعبة :

- قولى بقى ناوى تعمل ايه النهاردة فى فارس وعمرو

أستجاب لمداعبتها وأبتسم بمرح وقال :

- ناوى أدشدشهم طبعاً

تحسست ذراعيه بإعجاب وهى تقول ضاحكة :

- أنا متأكده أنك هدشدهم بضمير

خلل أصابعه بين خصلات شعرها و همس فى أذنها قائلاً:

- فكرتينى بالضمير ..الولاد لسه نايمين مش كده ...!

****

- طيب هسيبكوا أنا شوية يا متر علشان تعرفوا تتكلموا

قال الضابط هذه العبارة وهو ينهض من خلف مكتبة ويأخذ هاتفه وقبعته العسكرية وأتجه خارج مكتبة ..أنتظر فارس حتى خرج الضابط وأغلق الباب خلفه فألتفت إلى الشاب الذى وقف أمامه مُطرقاً برأسه فى حزن وقال وهو يشير له بالجلوس:

- أقعد يا هانى

جلس هانى ببطء وبدون أن يرفع رأسة أو ينطق ببنت شفة ..تفرس فيه فارس ملياً وقرأ بسهولة تعبيرات الحزن والوجوم فى ملامحة الشاحبة المترقبة ..لايبدو عليه الإجرام أبداً على العكس تماماً وجهة فيه البراءة ما فيه ..حاول فارس أن يقرأ لغة جسده فلكل جسد لغة من الممكن ان تكشف عن مكنونات مشاعرة أثناء الحديث ..صمت فارس برهة من الوقت لكى يجعلة يتوتر أكثر ويسهل أستدراجة وقاطعاً عنه أى اسلوب للمراوغة من الممكن أن يلجأ إليه ثم قال فجأة :

- أنا عارف أنك مكنش قدامك حل تانى ..!!!

رفع هانى رأسه بحذر ناظراً إلى فارس الذى مال للأمام مقتحماً عينيه و تكلم وكأنه رآه يوم الحادث رأى العين وأردف قائلاً بثقة :

- كانت بتهددك كنت هتعمل ايه يعنى غير كده ..

حدق هانى فيه مندهشاً وقال متعجباً :

- عرفت أزاى أنها كانت بتهددنى !!!!

قال فارس بهدوء وتركيز :

- أحكيلى كل حاجه وأنا هقولك عرفت أزاى

نظر له هانى وهو يفرك كفيه فى أضطراب وتوتر كبيرين وقال متلعثماً :

- زى ما أنت قلت مكنش فى أيدى حل تانى كانت عماله تهددنى أنها تفضحنى فى كل حته وتقول لابويا وأنا خلاص كنت هتعين فى السلك الدبلوماسى وأى قلق كان هيحصل حواليا كان هيطير منى الشغلانه اللى كنت بحلم بيها طول عمرى...ثم بدأ فى البكاء وهو يرتعش قائلاً :

- صدقنى أنا عمرى ما كنت أحلم أنى أعمل فيها كده بس هى اللى اضطرتنى ..دفن وجهه بين كفيه وهو يرتعش بقوة ويقول:

- أنا مكنش قصدى أموتها أنا كنت عاوزها تسقط بس وخلاص مكنتش أعرف أنها هتموت

سايره فارس فى الحديث وهو يربط على ساقه مهدئاً وقال :

- اهدى بس يا هانى أهدى أنا فاهمك طبعاً بس أنت ايه اللى خلاك من الاول تعرف الاشكال دى يا أخى

جفف هانى دموعه ولكنه مازال يتلعثم وهو يتحدث من فرط الاضطراب فهذه اول مرة يعترف بها بما فعل وقال :

- كانت زميلتى فى الكليه وأعجبنا ببعض لحد ما صارحنا بعض بالحب وكنا متفقين أن محدش يعرف بعلاقتنا دلقتى وكانت علاقتنا علاقة حب بريئة ..وبعد شويه صرحتنى أنها حكت لاختها الكبيرة وأختها كانت متفاهمه معاها حتى ساعات ..ساعات كانت بتخرج معانا وكانت متصوره كده أن علاقتنا بقت شبه رسمية وبقت مطمنه أكتر معايا ...

فى الاول كانت بتحاسب أوى على كل لمسه بينى وبينها وبترفض لكن بعد ما اختها الكبيرة عرفت ورحبت وهى من ساعتها وهى معتبره علاقتنا رسميه .. وابتدت التنازلات بينا لحد ما حصل اللى حصل ..وجات قالتلى أنها حامل ..وفضلت شهر بحاله أحاول أتهرب منها ..

ألتقط أنفاسه بصعوبة وهو يتابع قائلاً :

- لحد ما هددتنى وقالتلى انها هتفضحنى فى كل حته وتبلغ ابويا ..

أجهش فى البكاء عندما وصل لهذه النقطة وهو يقول:

- مفكرتش معرفتش أفكر فى حاجه غير انى اخلص من تهديدها بس مكنتش اقصد صدقنى يا أستاذ فارس

أغمض فارس عينيه بألم وقد تيقن من أدانتة ..ها هو يتجسد أمامه مثالاً لعقد الحرام عندما يُقطع فتنفرط حباتة حبة تلو الاخرى بسرعة كبيرة لا نستطيع اللحاق بها أو جمعها.. لقد بدؤا بشىء يظنونه تافهاً الزمالة و الاعجاب .. ثم الزنا ثم حمل سفاحاً ثم قتل ...وها هو نموذجاً جديداً لتساهل الاهل فى تربية أبنائهن وبناتهن وتركهن بدون مراقبة بل وترحيب بعضهم بأقامة علاقات الصداقه والحب بين الشاب والفتاة ....

تركه فارس يبكى ويعضه الندم على ما فعل حتى بدأ يهدأ ويسكن جسده المنتفض ثم قال :

- علشان كده أنكرت أنك تعرفها مش كده

رفع هانى كتفيه بحركة عصبية وهو يقول بأنفاس لاهثة :

- اومال كنت هعمل ايه كان لازم أنكر وكدبت الشهود اللى شافوا الحادثة وكدبت أختها لما قالت انها تعرفنى ...خفت يا استاذ فارس خفت اقول الحقيقة خفت يعدمونى

أخذ فارس كفه وقبض عليه بقوة وهو ينظر له بصرامة قائلاً:

- ومخفتش من ربنا ؟! .. إنت ممكن تاخد براءة وبعدين تموت عادى فى بيتك وتروح لربنا كده ..ثم وضع أصبعه على صدره وضغطه وهو يقول :

- هتروحله أزاى بقلبك ده ..هتروحله أزاى وأنت هاتك عرض واحده ومش هى عايشه وبس لاء وهى ميته كمان

حدق فيه هانى فزعاً وهو يقول منتفضاً :

- وهى ميته يعنى أيه

- يعنى أهلها وصاحبها وجيرانها وكل اللى يعرفوها عرفه دلوقتى أنها ماتت وهى حامل وهى مش متجوزه .. يعنى عرضها أتلوث والناس بتنهش فيه حتى وهى ميته .. و بسببك أنت

بدأت دموع هانى تنهمر بشدة وهتف صائحاً :

- أنا تبت لربنا تبت وندمت وربنا هيقبل توبتى انا متأكد

وضع فارس يده على كتفه وهزه بقوة وهو يقول :

- ممكن ربنا يقبل توبتك اه لما تغلط فى حق نفسك وبس ..لكن أنت غلط فى حق أنسانه متعلقه فى رقبتك عمرها اللى راح هى واللى كان فى بطنها وشرفها اللى أتنهش .. يعنى لازم تردلها حقها على الاقل خالص أنك تعترف بغلطك وتتقبل العقوبه بشجاعه مش تنكر وتقول تبت

دفع هانى يد فارس حانقاً وقال :

- أنت عايز منى أيه ..أنت جاى تدافع عنى ولا جاى تلف حبل المشنقة حوالين رقبتى

هز فارس رأسه أسفاً وهو يقول :

- يابنى أنا بنصحك لوجه الله علشان لما عمرك اللى متعرفش هيخلص أمتى ينتهى ..تروح لربك نضيف

قال عبارته الاخيرة وتركه وأتجه لباب الحجرة لينصرف ..ولكنه توقف فجأة عندما سمعه يقول بأنهيار

- أنا لسه شباب هخرج وهعيش حياتى ياما ناس عملت اللى عملته وخرجت وعاشت حياتها

وأستدار إليه متمهلاً وقال :

- (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) ......

ساعتها هتلاقيها واقفة قدامك عند ميزان أعمالك بتطالب بحقها وتسمع بودنك كلام الله عزوجل وهو يقول :

(اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم) ...وفتح الباب وخرج وتركه وحيداً يشعر بظلام قلبه وروحه الاثمة الملوثة والمُعذبة ..

****

بينما كانت أم فارس منشغلة فى المطبخ تعد طعام الغذاء سمعت طرقاً خفيفاً على باب الشقة فتركت ما فى يدها وأتجهت لتفتح الباب ..أبتسمت وهى تنظر الى مُهرة التى وقفت على أستحياء مطرقة برأسها وقالت :

- أهلا يا مُهرة يا حبيبتى أتفضلى

قالت مُهرة بخفوت وقد بلغ الخجل منها مبلغة :

- معلش يا طنط مش هقدر أدخل ..

ثم تردد قبل أن تقول :

- انا بس كنت عاوزه أسأل على حاجه وهمشى على طول

جذبتها أم فارس من يدها وهى تقول :

- تعالى مفيش حد هنا غيرى

دخلت مُهرة وهى تحتضن حقيبة المدرسة بين ذراعيها وأغلقت أم فارس الباب خلفها فوقفت خلفه ولم تتحرك خطوة واحده وقالت بخجل :

- معلش يا طنط بجد مش هقدر أقعد ..

قالت أم فارس وهى تمسكها من يدها وتتجه للمطبخ :

- طب تعالى معايا فى المطبخ قوليلى اللى أنتى عايزاه لحسن الاكل هيتحرق

وضعت مُهرة حقيبتها جانباً ودخلت وتبعتها للمطبخ ..وقفت مُهرة بجوارها تنظر اليها وهى تقلب الطعام فى الإنائين أشفقت عليها من المجهود اليومى التى تقوم به وحدها وبحركة تلقائية تناولت ملعقة خشبية كبيرة ووقفت تقلب الارز مساعدة لها ثم قال :

- فى حاجه يا طنط عاوزه أسألك عليها بس خايفه تقلقى

ألتفتت إليها أم فارس بأهتمام وقالت :

- خير يا بنتى فى أيه

ظهرعلى وجهها الاضطراب والتوتر وهى تقول :

- بقالى كام يوم بحلم بكوابيس تخص الدكتور فارس وبقوم من النوم مفزوعه

عقد أم فارس بين حاجبيها وهى تضيف صلصة الطماطم الى اللإناء وقد تسرب القلق لقلبها وقالت :

- يتشوفى أيه فى الكوابيس دى

أضافت مُهرة مرقة اللحم الى الارز وقلبته مرة أخرى ثم وضعت غطاءه جيداً وألتفتت إليها قائلة :

- مش هينفع أحكيه يا طنط علشان مره ..مره الدكتور فارس قالى أن اللى يحلم بحلم وحش ميحكيهوش لحد خالص ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وهو مش هيضره

قالت كلمتها وتوجهت للمكان المخصص للأكواب بحثت بعينيها قليلاً وما لبتث أن وجدت ضالتها ..كوبها المخصص منذ زمن طويل لا يشرب منه أحد غيرها لونه مميز وعليه رسومات كرتونية كثيرة مختلفة أبتسمت وهى تتناوله وقالت :

- مكنتش متخيله أنى هلاقيه

أطلت نظرات الاشفاق فى عينيى أم فارس وقالت بحنان :

- حاجاتك اللى هنا فى الحفظ والصون مهما غبتى هترجعى تلاقيها

لمعت عينيى مُهرة بدمعة قاتلت لاخفائها وهى تتجه للثلاجة ووضعت فى الكوب بعض المياه البارده وما أن أنتهت حتى قالت لها أم فارس :

- كنتى عاوزه تسألينى على أيه يا مُهرة

وضعت مُهرة الكوب على رخامة المطبخ أمامها وقالت :

- الكوابيس دى مش مريحانى يا طنط هو الدكتور فارس عنده مشكله ولا حاجه ..توترت وهى تردف :

- انا والله مش بدخل فى خصوصياته بس أنا بخاف من أحلامى دايما وبصدقها علشان كده بسأل

هزت ام فارس رأسها نفياً وهى تقول مطمئنة :

- محكاش ليا حاجه خالص لو فى مشكله كان أكيد حكالى أطمنى

قالت مُهرة وهى ترمىء براسها قلقةً :

- يارب يكون كده فعلا .. معلش يا طنط عطلتك أمشى أنا بقى علشان عندى مذاكره كتير الامتحانات قربت

كادت أن تخرج من المطبخ الا أن أم فارس ذكرت أنها لم تسألها عن أحوالها مع زوجها وخصيصا بعد المشادة التى حدثت بينه وبين فارس فوضعت يدها على كتفها من الخلف وهى تقول :

- استنى صحيح عامله أيه مع جوزك يا بنتى ياترى لسه زعلان ولا خلاص

شعرت مُهرة بالحنق لمجرد ذكر أسمه وقالت بضيق :

- تفتكرى يا طنط أنا ممكن أفكر فى زعله بعد ما كان هيمد أيده عليا بعد أسبوع واحد من كتب كتابنا

عندما وصلت لهذه النقطة سمعت المفتاح يدور فى الباب ويُفتح لتفاجأ بفارس يدخل ويغلق الباب خلفه وقد بدا عليه الارهاق والهم الشديد بعد جلسته مع هانى منذ قليل ..ألتفت بتلقائية لينادى والدته فوجدها تهم بالخروج من المطبخ وقد أحمرت وجنتاها خجلا للقائة فى بيته ...نسى همه وأرهاقه وهو مازال واقفاً مكانه خلف الباب المغلق وتسللت النشوة الى قلبه ... تناول حقيبتها بجوار الباب بارتباك شديد ووقفت تقول بخفوت :

- أزيك يا دكتور

لم يتنحى جانباً لتخرج إنما ظل واقفاً مكانه .. لا يعلم لماذا تسمرت قدماه وأبت أن تتحرك وقد ارتسمت النشوة والبهجة على ملامحة وقال :

- أزيك أنتى يا مُهرة عامله أيه

تحشرج صوتها وهى تتمتم :

- الحمد لله

كانت تتوقع أن يتحرك جانباً ولكنه لم يفعل ..أقتربت منه والدته وربتت على ذراعه وكأنها توقظة من غفوته وقالت :

- عديها يا فارس علشان متتأخرش على مامتها

ألتفت الى والدته محدقاً بها وكأنه لم يراها الا الان فقط أغمض عينيه وفتحهما ثم تنحى جانباً لتمر من امامه وتحت ناظرى قلبه الذى يقاتل ليزيل الغمامة التى تعصب عينيه فتحجب عن الرؤية الصحيحة لحقيقة مشاعره ... خرجت وأغلقت الباب خلفها بسرعة وصعدت الدرج فراراً ولكن من منا يستطيع الفرار من قلبه ...

تركته والدته وعادت للمطبخ ثانية لتمم على الطعام فدخل خلفها ووقف مستنداً بذراعيه على باب المطبخ قائلاً :

- مالها يا ماما فى حد ضايقها تانى

هزت راسها نفياً وقالت :

- لا مفيش دى كانت بتسلم عليا بس

وقع بصره على الكوب الموضوع فوق رخامة المطبخ فأرتسمت ابتسامة واسعة على شفتيه .. تقدم نحوها وأخذها ونظر إليها جيدا وهو يقول :

- طول عمرها مبتحبش تشرب غير من الكوبايه دى

نظرت له والدته بدهشة وهو يتوجه الى الثلاجه ويصب فيها بعض الماء البارد ويشرب بشكل تلقائى ولكن بحماس شديد

أنتهى ووضعها مكانها كما هى وخرج ليبدل ملابسه تحت ناظرى والدته التى كانت تدعو الله بقلبها أن يرزقة راحة البال والقلب ...

بمجرد أن جلسا حول مائدة الطعام قالت والدته :

- أومال مراتك مجاتش ليه يابنى لحد دلوقتى

عقد بين حاجبيه بضيق وقال :

- عاوزه تقعد فى بيت امها يومين

وكأنهما استدعاها حينما تحدثا عنها فلم يكد ينتهى من كلمته حتى سمع رنين هاتفه النقال أخذ الهتف واجابها فقالت على الفور:

- أيه يا فارس قافل تليفونك ليه

ظهرت الدهشة على وجهه وقال :

- أنا مقفلتش التليفون النهارده خالص

تصنعت الدهشة وهى تقول :

- معقوله أومال كان بيدينى مغلق ليه ثم استدركت وهى تقول :

- أومال أنت كنت فين من ساعتين كده لما كان بيدينى مغلق

- كنت مع المتهم بتاع قضية القتل

أدعت المرح وهى تقول :

- شكلك كده وافقت على القضية

هز رأسه نفياً وهو يقول :

- لاء رفضتها

أبتلعت ريقها بصعوبة فهذا ما كانت تتوقعه الا أنها كان لديها بصيص من الامل فى ان يقبلها ويريحها مما هى مقدمة عليه .. قالت بتماسك :

- بلغت والده بالرفض ولا لسه

- لا لسه لما أروح المكتب بالليل هخلى السكرتاريه تبلغه علشان يجى كمان ياخد الاوراق بتاعة القضيه

شعرت بالوهن يدب فى أوصالها فهاهى ستضطر ان تلجأ الى أكثر شخص تبغضه على وجه الارض وسمعته ينهى المكالمه قائلا:

- طب معلش يا دنيا هقفل دلوقتى علشان ألحق أخلص غدا وأنزل

قالت بلهفه :

- رايح المكتب بدرى كده

- لالا أنا عندى ماتش كده مع الدكتور بلال وعمرو ويمكن اروح المكتب متأخر شويه ..يلا سلام

أنهى مكالمته بينما قالت والدته بأهتمام:

- ليه يا فارس هتسيبها تقعد لوحدها يابنى فى حاجه مزعلاها ولا ايه ..طب شوف ايه اللى مزعلها مينفعش تقعد لوحدها كده دى دلوقتى بقت يتيمه يا فارس

نظر لها فارس وهو يشعر بالاشفاق تجاه والدته لطيبتها الزائدة حتى مع من يُسيئون معاملتها وقال :

- مفيش حاجه يا ماما هى طلعت فى دماغها النهارده الصبح أنها تروح هناك شويه وصممت .. خلاص براحتها

نظرت له والدته بريبة ثم تذوقت الارز وهى تتمتم بإعجاب :

- والله شاطره

رفع فارس رأسه ناظراً اليها بتسائل وقال :

- مين دى اللى شاطره

قالت والدته وهى تتناول طبقها :

- ولا حاجه مُهرة أصلها نفسها حلو فى الرز

رفع حاجبيه وقال :

- هى اللى عملته ؟!

أومأت برأسها وهى تكمل طعامها دون أن تنظر إليه فقال :

- فين طبق الرز بتاعى يا ست الكل

رفعت رأسها بدهشة وقالت :

- أنت مش قلت بتحب السبانخ مع العيش

مط شفتيه قائلا:

- هجربها مع الرز

نظرت له والدته وهو يأكل الارز بإعجاب شديد وكأنه لم يأكله من قبل فلاحت ابتسامة صغيرة على جانبى شفتيها رغماً عنها ... وبعد أن أنتها من طعامهما ..اعد فارس الشاى كما يفعل دائماً ...وضع واحدة امام والدته التى

قالت :

- أنت هتقابل عمرو والدكتور بلال النهارده

ارتشف رشفة منه وأومأ برأسه قائلاً :

- أيوا عندنا ماتش النهارده بعد صلاة العصر على طول يدوبك أخلص وأرجع أغير هدومى وأنزل على المكتب على طول ..... أنهى فارس أغتساله وبدل ملابسه وأرتدى حلته الرياضية استعداداً لماتش الملاكمة ..

****

نظر باسم لرقم الدنيا الذى تتضىء به شاشة هاتفه النقال بإنتصار وخبث فقد كان متأكداً من أتصالها ولجوئها اليه من أجل المال فلقد صدق ظنه به بل ثقته فى طمعها ... أجابها بترحاب شديد فقالت بإقتضاب وهى تشعر بالتقزز منه وقالت :

- خلصنى وقولى هتعمل ايه فارس هيبلغ الراجل رفضة النهارده

أصابه التوتر والقلق وقال بسرعة وهو يعتدل فى جلسته ..:

- لاء لازم تعطليه النهارده بأى شكل .. مش لازم يكلم الراجل النهارده خالص أنتى فاهمه والا كل حاجه هتبوظ

قالت بتأفف :

- أمنعه ازاى يعنى أنا اصلا فى بيت ماما مش معاه وبعدين انت ناوى تعمل ايه انا لسه معرفش لحد دلوقتى ..

هتف بغضب :

- انتى غبية ولا ايه سبتى البيت ليه دلوقتى

صرخت به :

أنت أيه يا اخى مبتحسش ..انا مش عارفه أنت ناويله على ايه مش قادره أحط عينى فى عينه

أطلت من عينيه نظرات بغض شديده وهو يقول :

- هعدى عليكى بالعربيه دلوقتى هنروح مشوار مهم وهناك هقولك أنا ناويله على ايه بالظبط

ضحكت ضحكة عصبية وهى تهتف :

- أنت عاوزنى أقابلك أنت فى حد يروح يقابل التعبان مرتين

ضغط حروف كلماته بغل واضح وهو يقول :

- أسمعى بقى ..أنتى وافقتى تتعاملى معايا بمزاجك مره تانيه يعنى لازم تكملى للآخر ومتخافيش يا أموره أنا مش عاوز منك حاجه المقابله هتبقى فى الشارع .. ولو خايفه اوى كده من مقابلتى هقولك هنتقابل فين علشان تطمنى

قالت بسرعه :

- فين ؟

نظر أمامه بحقد دفين وهو يقول :

- مباحث أمن الدولة

أتسعت عيناها رعباً وهى تردد لفه :

- مباحث أمن الدولة !!!

غير نبرة صوته وهو يقول :

- متخافيش أوى كده .. أنا ليا واحد صاحبى هناك هيظبطنا فى الحكايه دى كل اللى عليكى أنك تقدمى بلاغ صغير وملكيش دعوه بالباقى

هتفت ساخطه :

- وهقول ايه فى البلاغ ده واشمعنى انا اللى أقدمه

- أنتى مراته يعنى بلاغك هيبقى أهم من عشرين بلاغ تانى متنسيش أحنا عاوزينهم يتحركوا بسرعه قبل ما يتصل بالراجل ويبلغه بالرفض ومتخافيش عليه يا ستى محدش هيلمسه هما بس هيضايفوه عندهم لحد ما القضيه تخلص والفلوس تبقى بتاعتنا

قالت وكأنها منومة وقد أنتزعت ارادتها :

- وهقول ايه فى البلاغ ده

أبتسم وهو يقول :

- هتقولى أنك شاكه أنه منضم لخلية أرهابيه وأنه بيجتمع بناس معينه فى البيت عندكوا وبيتكلموا فى السياسه وحطى أسم اى حد من صحابه ويا سلام لو مربى دقنه

تقطعت أنفاسها وأنقبض صدرها وهى تقول :

- بس أنا معرفش حد من صحابه غير أتنين بس وواحد فيهم مربى دقنه

- ممتاز أوى حطى أساميهم الاتنين

صمتت وقد شعرت أن السماء والارض تلعنها وضاقت بها جدران بيتها وأنقبض عليها فلم تسمح لها بالتنفس فشعرت بأضلاعها تتمزق صارخةً ببغضها تود الهروب ببعضها من بعضها ... لم ينتظرها حتى تستيقظ مما هى فيه وقال بسرعة :

- أنا مش عارف أنتى قلقانه من أيه قلتلك محدش هيلمسه بأى أذى صاحبى اللى هناك أكدلى كده ..كل الحكايه أننا هنكسب وقت لصالحنا مش أكتر من كده ومحدش هيعرف أن أنتى اللى بلغتى ولا حتى فارس نفسه ها قلتى أيه

أبتلعت ريقها وقت أمتقع وجهها بشدة وتحجرت مقلتيها وقالت بصوت مسحوق بأقدام الطمع:

- موافقة

****

وقف بلال على الحلبة وحيداً وهو يلوح لهما بذراعيه تاره ويضرب يديه بعضهما فى بعض تارة أخرى فتصدر قفازات الملاكمة التى يرتديها صوتاً عاليا وهو يهتف بهم :

- ايه محدش قادر يواجهنى ولا أيه

دفع عمرو فارس للحلبة وهو يقول لبلال :

- لالا اوعى يغرك جسمك أنت باين عليك متعرفش فارس ده أيده طارشه

دفع فارس يد عمرو بعيدا عنه ثم صعد الى الحلبة وقال ل عمرو :

- طول عمرى بقول عليك ندل ياض

بدا بلال يلاعبه بمرح شديد ويعلمه بعض الفنون التى تجعله يتفادى الضربات بحرفيه شديدة ولقد كان فارس تلميذ بارع ..تعلم سريعاً وبدا يناوش بلال ببعض الضربات الخاطفة ولكنه لم يفلح فى اصابته الا مرة واحدة ..ألتفت بلال الى عمرو وهو يلوح له بالصعود هاتفاً :

- يالا يا عمرو دورك جه

صعد عمرو على مضض وهو يقول :

- انا لله وانا اليه راجعون الله يرحمك يا عمرو كنت أمور ومسمسم الله يرحمك يا غالى

ضحكا كل من فارس وبلال عليه وتنحى فارس جانباً ليصبح عمرو فى مواجهة بلال ..شعر بلال بالنشوة وهو يداعب عمرو بضربات لا تصل اليه ما جرء عمرو على التقدم وصد تلك الضربات ...بعد قليل وقف بلال بينهما يلعب دور الحكم وبدء عمرو وفارس فى مناوشة بعضهما البعض طالت المناوشات ولكن فارس كان متقدم على عمرو كثيرا فاستطاع أن يوجه له ضربات عدة مما جعل عمرو يشعر باليأس فوجه الى فارس ضربة غير مدروسة لم يراعى فيها المسافة بينهما رغماً عنه فاصابته فى فكه مباشرة وأندفعت الدماء من فم فارس بغزارة

أمتقع وجه عمرو واقترب منه بلال بسرعة يحاول أسعافه حتى توقفت الدماء تماماً جلس عمرو يساعده وهو يعتذر لفارس قائلا :

- انا اسف والله ما اقصد يا فارس معلش أنا غشيم

أعتدل فارس فى جلسته بمساعدة بلال وعمرو وضربه فارس على كتفه بقوة وهو يهتف به :

- يخربيت العمى الحيسى اللى أنت فيه يا أخى هروح شغلى أزاى دلوقتى

ساعده بلال على النهوض وهو يقول :

- لا شغل ايه بقى ده أنت بؤك وارم خالص أرتاح النهارده

****

هبطت دنيا على سلم مبنى مباحث أمن الدولة بعد أن قدمت بلاغها وقالت ما حفظته سابقاً بالاتفاق مع باسم ..ألتفت اليه وهو يهبط بجوارها ونظرت اليه بأشمئزاز وهى تقول :

- المفروض ايه الخطوه اللى جايه

قال باسم وهو ينظر أمامه بتفكير:

- هتروحى البيت دلوقتى وتحاولى تعطليه علشان ميروحش المكتب النهارده والنهارده قبل الفجر هيعملولوا زياره ليلية

وضعت يدها على صدرها بخوف وقالت:

- بسرعه كده

وقف امام سيارته والتفت اليها قائلا:

- الناس دى مش محتاجه تحريات وجوزك سهل علينا الامر وربى دقنه وده دليل اتهام كافى علشان يبقى ارهابى يا مدام ..هو انتى مش عايشه فى البلد دى ولا أيه

****

عاد فارس للمنزل فى آخر اليوم بعد أن ودعه عمرو وبلال عند باب المنزل وتركاه وأنصرفا ... ضربت والدته على صدرها وهى تنظر لفكه المصاب وقالت بلوعة:

- ايه اللى عمل فيك كده يا فارس

لف ذراعه حول كتفها وهو يقول مداعباً:

- متقلقيش كده يا ماما دى أصابة ملاعب

حاولت أن تتحسس مكان الاصابه قائلة :

- أنا بكلم جد مين اللى عمل فيك كده

حاول أن يضحك ولكنه تالم وقال :

- الواد عمرو الله يخربيته ده مش بيلعب ده بيطبش صحيح على رأى المثل ألعب مع اللئيم ومتلعبش مع العبيط

دخلت دنيا المنزل خلفه تماماً وأغلقت الباب خلفها وتبادلا نظرات الدهشه بين بعضهما البعض فقال :

- أنتى مش قلتى هتباتى يومين هناك

قالت :

- رجعت فى كلامى بس أنت مين عمل فيك كده

تركها وأستدار ليجلس على المقعد وقال :

- مفيش دى حاجه بسيطه بكره هبقى كويس ان شاء الله

خفق قلبها هى تقول :

- يعنى مش هتروح المكتب النهارده

أومأ براسه دون أن يتكلم فقالت بسرعه :

- طب خلاص أرتاح أنت وأنا هلبس وأروح دلوقتى وهبلغه باللى أنت عايزه ...

بدلت ملابسها فى غرفتها وهى شادرت الذهن يكاد قلبها أن يقفز من حنجرتها من شدة الخوف من المستقبل نظرت لنفسها فى المرآة فوجدت علامات الريبة تحتل ملامحها وصدق من قال ..يكاد المُريب أن يقول خذونى ...حاولت ان تتماسك وتجمدت ملامحها وخرجت من الغرفه ووقفت امامه تنظر اليه كأنها تودعه وقالت :

- انا ماشيه عاوز حاجه

أشار اليها قائلا:

- متنسيش تبلغى السكرتاريه يتصلوا بالراجل صاحب القضية ويبلغوا رفضى علشان يجى ياخد ورق القضيه ويلحق يشوف محامى تانى

أومأت براسها وأتجهت للباب فاستوقفها منادياً :

- دنيا

وقع قلبها أخمص قدميها وهى تلتفت اليه بعينين زاهلتين فقال :

- ساعتين بالظبط وارجعى متتأخريش علشان مترجعيش بالليل متاخر لوحدك

أبتلعت ريقها وهى تسمع كلماته وأومأت برأسها وقالت :

- حاضر

****

ذهبت دنيا للمكتب وحضر اليها وائل وأتفقا على تنفيذ الخطوات الاحقة .. ستتصدر هى القضية وسيتولى هو وباسم أمر الشهود وأمر ورقة التحريات التى ستُنزع من ملف القضيه لتصبح منعدمة الادله ....

خافت دنيا أن تعود للبيت وهى تعلم ما سيحدث قبل الفجر بدقائق أتصلت بوالدة فارس وابلغتها أنها ستضطر الى شقة والدتها لانها قد نسيت هاتفها وبعض اشياءها الخاصه هناك وربما ستضطر للمبيت هناك ... لم تُقظه والدته لتُخبره بامرها وعزمت أن تخبره فى الصباح خوفاً من ردة فعله وهو منهك ومصاب هكذا ...

دقت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل وقبل الفجر بقليل ولكنها لم تدق وحدها لقد تبعتها دقات عنيفة على باب المنزل ..أستيقظ فارس فزعاً وكذلك والدته ولكن الدقات لم تنتظرهما كُسر البابب عنوة ليدخل زوار الفجر الى المنزل بإندفاع محطمين ما فيه يبحثون عن أى شىء يدينه ظل يصرخ بهم وهو يحمى والدته بذراعيه :

- أنتوا مين وبتفتشوا على أيه وفين أذن النيابه

خرج أحد الرجال من المطبخ وهو يرفع سكينة كبيرة قائلا :

- لقيت سكينة دبح كبيرة يا فندم وورق ألمونيوم

هتفت والدته :

- وفيها ايه دى حاجات المطبخ

خرج رجل آخر من الشرفه وهو يقول لنفس الرجل :

- لقينا تراب فيه حبات زلت صغيره يا فندم

تناول الرجل الذى كان يلقى الاوامر للجميع الاشياء الثلاث وقال موجهاً كلامه لفارس :

- رمل وزلت وورق المونيوم ..أنت بتصنع قنبله يديويه فى بيتك ولا ايه

أدرك فارس أنه مأخوذ لا محاله وأن دفاعه عن نفسه لن يجدى فقال بهدوء :

- ده مش رمل ده تراب بنزرع بيه فى البلكون قصارى الزرع بس أنا عارف أنه هيتكتب رمل

أومأ الرجل برأسه ساخرا وقال :

- شاطر ثم صرخ فى الموجودين جميعاً ...خدوووه

****

وقف بلال يسد باب غرفة نومه بعد أن هتف بزوجته آمرا بارتداء ملابسها فورا وباقصى سرعة ارتدت عبير ملابسها وهى تصرخ به :

- مش معقوله هيدخلوا عليا الاوضه وانا كده

صرخ بها :

- البسى بقولك بسرعه دول معندهمش دين ولا نخوه

وبسرعة البرق وقبل أن يتكاثر عليه الرجال ويدفعوه بقوة ليدخلوا غرفته كانت قد وضعت نقابها على وجهها ..دفعهم وهو يمر من بينهم ليحميها منهم وهم ينقضون على فراش السرير ليمزقونه بالمطواة ويخرجون ما به ويقلبون الخزانات والملابس التى بداخلها فيمزقونها عنوة واذا وجدوا ذهبا أو مالا وضعوه فى جيوبهم كأنهم لصوص ..لصوص الفجر ..أحاطها بذراعيه هى ووالدته وابناءه ..لقد كان كل همه أن لا تنكشف زوجته ولا أمه على أحد منهم ..

وعبير تردد بجسد مرتجف وهى متشبثة به :

- اللهم أكفيناهم بما شئت وكيف شئت ...

وبعد أن أنتهوا تكاثروا عليه مرة أخرى ليأخذوه معهم ....لم يكن بلال بالشخص الهين ابدا ولكن الكثرة تغلب الشجاعه حاولت والدته أن تتشبث به تمنعهم ولكنهم لم يراعوا حرمة ولا أمرأة عجوز ... دفعوها بمنتهى العنف وهم يقذفونها باقذع الالفاظ لتسقط على راسها مغشيا عليها فى الحال وخرجوا وتركوا البيت فى حالة دمار ..أمرأة مغشياً عليها واخرى ترتعتش وتنتفض وتنتحب زوجها وحبيبها وأطفال يصرخون ابيهم ... أما عند عمرو فلم يكن الامر بأقل منهما شئنا دمارا فى كل مكان وأثاثاً مبعثر وممزق فى كل مكان ومحطم وأمرأة خلفها زوجها صارخة باكية جزعة تنادى على زوجها فلا تجد من يرد النداء ..

الفصل الخامس والعشرون

كيف تنام العيون وقد فقدت كل الاحبة فى ليلة واحدة ...كيف ترتاح القلوب بين الصدور اللآهجة...
ألتف الجميع حول النساء الثكالى فى بيت أم فارس محاولين أن يخففوا عنهم ولكن كيف السبيل لذلك...
دفنت مُهرة وجهها فى صدر أم فارس تبكى وهى تستمع لكلام عزة وعبير عن ما حدث معهم هم ايضا فى بيوتهم قبل الفجر
كل منهم تبكى دماً بعد أن جف نبع دموعهن الناظر اليهن لا يعلم من يواسى من ومن يطمئن من ومن يربت على كتف من..
الجميع مكلومين فى أحبائهم كل منهن تحتاج الى صدر حنون يضمها ويطمئنها على رفيق دربها
ولقد كانت مُهرة هى ملهمتهم فى ذلك عندما ألقت نفسها بين أحضان أم فارس تبكيه وتخفف عنها فى نفس الوقت..
كذلك فعلت عبير عندما ألقت نفسها فى حضن أم بلال وكذلك فعلت عزة وهى بين ذراعى أم عمرو وكأنهم بهذه الاحضان
يتساندون ويشدوا أزر بعضهم البعض فالمفقود واحد .. ألتف حولهن بعض الجارات يستمعون لماساتهم محاولين التخفيف عنهم ومواساتهم ببعض كلمات الصبر ...بينما ذهب الرجال يبحثون عنهم فى كل الاقسام وبنايات أمن الدولة المبعثرة فى كل مكان فى بلدنا وفى النهايه عادوا بخفى حنين..
لاشىء غير موجودين فى أى مكان بشكل رسمى
وقف والده عمرو على باب شقة أم فارس من الخارج هو وبعض الرجال وقال بغضب وهو يكاد يمنع نفسه من البكاء بصعوبه
هاتفاً:

-لفينا الاقسام كلها وروحنا كل مبنى بيقولوا عليه بتاع أمن الدوله وبرضه مفيش حس ولا خبر عنهم هما التلاته
هيكونوا ودوهم فين يعنى
رد والد عزة بحنق:
-للدرجادى أى حد يتاخد من بيته بسهوله كده ويختفى ومالوش اثر أحنا فى مصر ولا فى شيكاغو
تدخل محمود أخو عمرو قائلا:
-أنا عارف كل ده ليه علشان اصحابه مربين دقنهم

أجابه يحيى:
-طب وأيه المشكله يعنى
قال محمود:
-المشكله ان اى واحد مربى دقنه يبقى أرهابى وش
هتف مينا أبن العم عامر جارهم قائلا:
-يا سلام طب ما أحنا عندنا القس مربى دقنه هو الموضوع بالدقن يعنى
تمتم محمود حانقاً:
-يا عم انتوا مسيحين أحنا بنتكلم على المسلمين دلوقتى
قال عامر بحزن:
-يابنى انتوا جرانا من زمان وعمرنا ما شوفنا منكم حاجه وحشه فارس وعمرو وصاحبه بلال
اللى زى المرهم ده يتعمل فيهم كده ليه أرهاب ايه وبتاع ايه الارهاب ده مبنشفهوش غير فى الافلام والمسلسلات
ربت الحج عبد الله على كتف عامر وهو يقول مؤكدا:
-معاك حق والله يا عامر متزعلش من محمود ميقصدش

نظر له عامر وقال متفهماً:
-بالعكس يا حج عبد الله كلام محمود خلانى أفهم حاجه كانت غايبه عنى ويمكن غايبه عن ناس كتير زينا ..
لما يقبضوا على مسلم مربى دقنه ويقولوا عليه ارهابى وفى نفس الوقت المسيحى اللى عاوز يربى دقنه ويترهبن

يبقى براحته ومحدش يقدر يكلمه يبقى هما قاصدين يكرهونا فى بعض هما اللى بيزرعوا بذرة الفتنه الطائفيه فى البلد
وبيروها بافعالهم دى اللى ميرضهاش اى دين ....
قال والد عمرو مقاطعاً:
-طب دلوقتى هنعمل ايه هندور فين ولا هنلاقيهم ازاى بس يا ناس
أنتبه يحيى فجأة وقال:
-الله هى مش مرات الاستاذ فارس محاميه أكيد هى ممكن تعرف تتصرف هى والمحامين اللى فى مكتبه
تقدم والد عمرو بسرعة وطرق باب الشقة المفتوح وهو يقول:
-يا ست أم فارس أومال مرات الاستاذ فارس فين أكيد هى محاميه وهتعرف تتصرف
رفعت عزة راسه من صدر أم عمرو وقالت بلهفة:
-ايوا يا طنط الله يخليكى هى فين يمكن تعرف تلاقيهم
صوب الجميع نظره اليها حتى مُهرة رفعت راسها تنتظر جوابها فقالت وهى تمسح دموعها بكلتا يديها:
-مردتش أتصل بيها وهى لوحدها وابلغها أتلهيت فى اللى حصل وخفت اقولها وهى لوحدها يحصلها حاجه
كلمتها بس وقولتلها تيجى ضرورى ومش عارفه اتاخرت ليه لحد دلوقتى ؟!
أستندت عبير الى ظهر أريكتها وأغمضت عينيها المتورمتين من البكاء فى حسرة وقد لاحت صورته فى عقلها وومض به قلبها
وهى تستمع اليه وهو يقول لها بمرح:
-أوعى تاخرى الصلاة مره تانيه فاهمه ولا افهمك بطريقتى

وجدت الابتسامة المتألمة طريقها الى شفتيها وهى ترى ملامحه المداعبة لها وهى تتذكره وهو يداعب أطفاله بشغف طفولى
ويجرى بينهم وهم يحاولون أمساكه ولا يستطيعون فيقفز ليعبر واحدا ويلتف حول الاخر بخفه ويجرى من الطفلان الاخران بسرعه
ليدور حول المائدة
وهم يدورون خلفه وهم يتضاحكون ويسقطون من فرط ضحكاتهم المجلجلة قبل أن ينجحوا فى الامساك به اخيرا فيتكاثروا عليه
ويتصنع هو السقوط فيتكالبون فوقه وهو يصرخ بمرح مستنجداً بها أن تنقذه من بين

براثنهم...
فرت دمعة من عينيها وأعتصر قلبها من الألم...
دخلت دنيا شارعهم وهى ترتدى نظارة سوداء تخفى بها عينيها وجزء كبير من وجهها ومرت بين نظرات الناس حولها المشفقة عليها
ومما حدث لزوجها فجراً .. صعدت الدرج فى أضطراب وهى ترى الترى الرجال مجتمعين أعلى الدرج أمام شقة زوجها ...
تنحوا جانباً عندما رأوها وهو يقولون:
-قلبنا معاكى يا بنتى
عبرت من بينهم ودخلت الشقة لترى هذا الجمع الغفير من النساء وترى مُهرة بين ذراعى أم فارس
وعيناها تكاد تختفى من كثرة البكاء ودموعها التى لا تجف ابدا ..كان الوضع اشبه بمأتم أجتمعت فيه النساء فقالت فى تلعثم:
-خير فى ايه يا طنط ايه اللى حصل
نظر لها الجميع بإشفاق حتى مُهرة نظرت لها برحمة وشفقة وهى تتوقع رد الفعل بعد علمها بما حدث...
وقفت ام فارس واقتربت منها وهى تبكى وقالت:
-فارس خدوه يا دنيا دخلوا علينا قبل الفجر وخدوه من وسطينا
قالت باضطراب وهى متوترة:
-هما مين دول

نظر لها الجميع بدهشة كبيرة فرد فعلها لا يتواكب مع ما تسمع من والدته بينما قالت ام فارس:
-بيقولوا مباحث امن الدولة يابنتى ومش هو وبس لا كمان خدوا عمرو وبلال معاه
كان لابد أن تظهر بعض رد الفعل والا شك بها الجميع فتصنعت البكاء ولكنها لم تخلع عنها نظارتها السوداء
حتى لا يعلم الجميع بخداعها ..استندت الى الحائط وأخذت تشهق بقوة وهى تضع يدها على فمها..
ربتت أ فارس على كتفيها وهى تقول:
-امسكى نفسك يابنتى ده انتى اللى المفروض تقوليلنا نعمل ايه أحنا مش لاقينه فى اى حته
تماسكت دنيا سريعاً وتناولت منديلاً لتجفف دموعها التى لم تنزل أصلاً وهى تقول:

-معاكى حق يا طنط أنا هدور عليه فى كل حته لحد ما الاقيه عن اذنكم وخرجت سريعاً وهى تشعر ان بكائهم قد اصبح لعنة
تطاردها اينما ذهبت .. نظرت النساء الى بعضها البعض متعجبةً من رد فعلها ولكن عادوا الى ما كانوا عليه منذ قليل..
كلَ يبكى على ليلاه......

****

عادت دنيا إلى بيت والدتها وأول ما فعلت أجرت أتصالاً هاتفيا بباسم الذى اجابها فى سئم شديد:
-أيوا يا دنيا خير ؟
قالت فى سرعة:
-عاوزه أطمن عليه وأطمن أمه
زفر فى ضيق وقال حانقاَ:
-هو طلع رحلة يا دنيا وعاوزة تطمنى عليه ..أنتى عارفه كويس هو فين ولا ناسيه
هتفت بغضب:
-أمه هتموت نفسها عليه حرام عليك
صاح غاضباً:
-هتعمليلى فيها حنينه ياختى ولا أيه ولا تكونى ناسيه أنك أنتى اللى بلغتى عنه يالم قلب حنين
تحشرج صوتها وقالت ببكاء:
-عارفه أنى أنا اللى أتزفت وبلغت بس عاوزه أطمن أمه وأطمن أنا كمان أنت وعدتنى محدش هيأذيه
رفع حاجبيه مندهشاً من كلامها الذى هو عكس تصرفاتها تماماً وقال ساخراً:
-والله أنتى لُغز يا دنيا طب لما أنتى قلبك عليه كده وافقتى ليه من الاول
هتفت باكية:
-علشان هو اللى اضطرنى لكده بغباءه ومثاليته الزايدة فاكر نفسه عايش فى الجنه

صمت باسم قليلاً ثم قال بهدوء حاسم:

-بصى يا دنيا أنا هتكلم فى الموضوع ده لاخر مرة علشان زهقت منه ومش عاوز وجع دماغ تانى...
فارس هيفضل فى المعتقل لحد ما القضيه تتقفل وتخلص خالص يعنى اربع خمس شهور بالكتير
وصلى الكلام ده لاهله بطريقتك المهم متوجعليش دماغى تانى فاهمه
أبتلعت ريقها بصعوبه وهى تحاول تنظيم أنفاسها وهى تمسح دموعها بتوتر وقالت:
-طب وهنعمل ايه فى القضية
رفع حاجبية متهكماً وقال:
-ايوا هو ده المهم دلوقتى كده أنتى دنيا اللى أنا أعرفها ...ركزى معايا كده وفتحى مخك...
أستمعت إليه بإهتمام وتركيز وهو يقول:
-أولا مفيش مخلوق فى المكتب عندكوا هيعرف بحكاية الاعتقال دى ولا حتى الدكتور حمدى وكويس أن نورا اجازه
علشان هى اللى هتعمل قلق ومكنتش هتسكت دلوقتى انتى المسؤله عن كل حاجه فى المكتب وده فى صالحنا
علشان كده عاوزك اول حاجه تعمليها أول ما تروحى المكتب النهارده ... تكلمى الراجل صاحب القضيه وتبلغيه ان فارس طالب نص الاتعاب
على الاقل دلوقتى وبعد ما توصلك الفلوس هقولك الخطوه اللى بعدها
قالت معترضة:
-لاء لازم أعرف كل حاجه دلوقتى

زفر بقوة قم قال بملل:
-هقولك ..أنا خلاص وصلت لسكرتير النيابة اللى هيسحبلنا الورقه المطلوبه من ملف القضية قبل ما تروح على المحكمة وهتفاوض معاه النهارده على المبلغ اللى هياخده ...
ومش كده وبس ..أنا كمان وصلت لشهود الاثبات وبرضه هتفاوض معاهم على المبلغ ..
والفلوس اللى هتاخديها من الراجل فى اقرب وقت هنكيشهم منها .. وكده لا هيبقى فيه دليل ولا شهود والحادثة هتبقى قضاء وقدر
ومش مقصودة والواد يطلع من عقوبة القتل العمد وبعد كده ممكن نفاوض أهل القتيله لما يبقوا فى موقف الضعيف
وممكن ساعتها يتنازلوا بقرشين وتبقى القضيه بخ.. فهمتى
قالت بشك:

-طب ماهو محامى البنت اللى ماتت ممكن يقدم فى المحكمة صورة من الورقه اللى هتتاخد دى وساعتها يتهمونا بالتزوير
قال بثقة مخلوطه بالسخرية:
-وأنتى يعنى فاكره أن حكايه زى دى تعدى عليا..
المحامى بتاعهم أطلع على القضيه بس ومصورش منها نسخه يعنى مفيش فى ايده ورقة ضد يتكلم بيها ..فهمتى يا فالحه

أعتدل فى جلسته ولمعت عينيه بخبث وهو يقول:
-ومذكرة المرافعة انا اللى هكتبهالك وهتحفظيها زى ما هى كده علشان تجلجلى بيها المحكمة
ولما الحكم يتغير شوفى بقى ساعتها أسمك هيلمع أزاى..
لمعت الفكرة فى راسها فلقد عرف باسم كيف يقضى على النبضة الاخيرة من نبضات ضميرها ..
تخيلت حكم البراءة وكيف سيلع اسمها بعد ذلك فى سماء المحاماه لتتهافت عليها القضايا كما حدث مع فارس
ويقصدها الناس ولكنها لن تفعل مثله لن تعيش بمثاليته التى دمرته وستدمره سيكون الحكم الوحيد فى قبول اى قضية هو الاتعاب
فقط ليس إلا..
وستخطو فى نفس طريق باسم فى حل القضايا الشائكة ... وضعت الهاتف بجانبها وقد نسيت تماماً أمر فارس
ولم تعد تذكر الا مستقبلها فقط ..والذى ستجنيه من خلفه

****

حل المساء على النساء وحالهن هو البكاء .. لا يزلن مجتمعين فى بيت أم فارس ما بين متضرعة وباكيه ومنهارة.
.مُصابهن واحد بتلمسن أى خبر ولو غير مؤكد أى شىء يطمئنهن على الازواج والاحبة ورفقاء الدرب ولكن لاشىء..
كأنهم أختفوا وذهبوا جميعاً ..خلف قرص الشمس الشمس ..ولم يعثروا على أجابة شافية من أى جهة..

الاجابة الوحيدة التى وجدوها كانت عن طريق دنيا
بعد أن ابلغتهم بها فى الهاتف وقالت:
-عرفت أنهم فى المعتقل بس لسه مش قادرة أحدد مكانهم بالظبط ولا حتى قدرت أعرف تهمتهم ايه..
ثم أردفت وكأن أمرهم لا يعنيها:
-انا هفضل بقى فى بيت ماما لحد ما نعرف طريقهم هناك بتحرك اسرع ..سلام

وقبل منتصف الليل بقليل نهضت أم عبير وهى تمسك بيد أم بلال قائلة:
-يالا يا حجه أحنا هنروح تعالى معانا
قالت أم بلال وقد بلغ منها التعب والحزن مبلغهم:
-مينفعش يا أم عبير أن هروح البيت

قالت أم عبير بتصميم:
-لاء هتروحى لوحدك فى البهدله اللى حصلت دى أزاى طب على الاقل باتى معانا النهارده
تدخلت عبير وقالت لوالدتها:
-معلش يا ماما انا كمان هروح بيتى ..ثم نظرت امامها فى شرود وهى تقول:
-بيت بلال ميتقفلش أبدا مهما حصل
ذهب الجميع وتركوا أم فارس وحدها على وعد اللقاء فى اليوم التالى لبداية رحلة بحث جديدة...
ذهب الجميع وبقيت مُهرة بجوارها بعد أن قالت أم فارس لوالدتها وهى تتشبث بها فى حضنها:
-سيبيها معايا النهارده يا أم يحيى

أغلق باب الشقة عليهما وحدهما ..ظلت مُهرة بحضنها تتلمس فيها رائحتة بينما ظلت أمه متشبثة بها تتلمس فيها حبيبة قلبة...
رفعت مُهرة راسها قائلة:
-يالا يا طنط قومى أرتاحى فى أوضتك شويه أنتى شكلك تعبانه أوى
نهضت أم فارس بمساعدتها ولكنها قالت:
-لا انا عاوزه انام فى أوضة أبنى ثم عادت للبكاء مرة أخرى وهى تقول:
-وحشنى أوى يا قلب أمه

أنهمرت الدموع من عينيى مُهرة وهى تحاول تهدئتها وتقول بصوت متقطع:
-كفايه بقى أنتى كده هتتعبى بزيادة وكمان مخدتيش الدوا النهارده..

.أخذتها مُهرة الى غرفته كانت مبعثرة أشيائها واثاثها نتيجة الاقتحام الغاشم المباغت..
عدلت مُهرة من وضع الفراش وساعدتها على الاستلقاء فيه
وجلست بجوارها وهى تعلم أن تداوى جرح أمه ام تداوى جرحها الغائر ..

تناولت أمه الدواء من يدها وأغمضت عينيها بعد أن شعرت ان سقف الغرفة يدور حول نفسه وراحت فى سبات عميق..
ظلت مُهرة تنظر حولها تتلمس أشيائه المبعثرة فى تأثر ودموع صامته حتى غابت عن الوعى
وهى تجلس على مقعده خلف مكتبة الصغير ..ابت أن تنام على فراشه التى تقاسمه فيه أمرأة أخرى
خافت أن تشتم رائحتهما معاً ممزوجة فى بعضهما البعض..
كانت تعلم أنه لايسمح لاحد غيره بأن يعبث بمكتبة لذلك فضلت أن تنام خلفه وهى متأكدة أنه لم يلمسه بعده سواها...

****

لا يستطيع أن يتكلم أحد عن الظلم الا من ذاق مرارتة ولا يقدر أحداً على وصف الظلام الا من عاش فيه...
كانت غرفة اقل ما يقال عنها نتنة الرائحة تفوح منها رائحة النجاسة لا يوجد ولا حتى نافذة صغيرة لا يوجد
الا بصيص نور صغير يأتى من اسفل عقب الباب الحديدى لا يصدر عنها سوى صدى صوت الانين الهامس
والتأوهات الخافتة التى تخشى من الظهور رغم عِظم اللآلم ...
والصمت هو سيد الموقف ... لا يقطعه سوى تمتمت بلال لبعض آيات القرآن الكريم ...
همس عمرو فى أذن فارس
قائلا:
-أحنا هنا من أمبارح ومحدش قالنا تهمتنا ايه ولا حد عبرنا

مال فارس على أذنه وقال همساً:
-شكلنا كده مش جايين هنا رسمى والا كانوا حققوا معانا
شق الصمت صرير المزلاج الحديدى وهو يدور ليفتح من الخارج ويُرمى على الارض شخصاً آخر لا يعرفونه.. شهق الجميع
وأنتفضوا عندما دققوا النظر به ..لقد كان عارياً تماماً كما ولدته أمه ومؤخرته تنزف دماً...
كان الرجل يأن أنات متواصلة دون أنقطاع وهو مازال مكانه لم يتحرك..
تردد بلال قليلا ثم اقترب ببطء وهو يتفحص وجهه فوجده متورماً تماماً حتى أنه لا يستطيع لاحد ان يتعرف على ملامحه أو يميزة...
حاول بلال مساعده ولكن الرجل أنتفض للمسته لذراعه ثم زحف الى ركن من اركان الزنزانة بعيدا عنهم وظل يبكى
ويأن ويبكى عرضه المنتهك حتى أنقطع صوته تماماً فظنوه قد نام من التعب من شدة التعذيب ...

أنتفض عمرو وقد أدرك أنها النهاية ..حاول بلال أن يسرى عنهم
وقال:
-متخافش كده يا عمرو أحنا مش متهمين فى حاجه
نظر اليه فارس
وقال بحدة:
-يعنى المسكين ده كان متهم فى ايه يعنى يا بلال هى وصلت للدرجادى
شق الصمت الغرفة صوت آخر ولكنه آتى من الخارج ... صوت صياح رهيب وأصوات تصرخ وتستغيث شق سمعهم
وأنتفض له قلوبهم وخصيصاً أنهم استطاعوا تميز أصوات نساء تصرخ صرخات غير منقطعة وتستغيث ... هب عمرو واقفاً بحركة لا ارادية
وهو يقول:
-ده صوت ستات فى هنا ستات كمان بتتعذب ..أنتفض قلب كل واحداً منهم وقد حل فى عقولهم صور زوجاتهم..
كان هذا هو العذاب الحقيقى كل رجل منهم يتصور أن زوجته من بين النساء التى تصرخ فى الخارج وهو مكبل
لا يستطيع الفكاك للذب عنها لا يستطيع أن يحمى شرفها
من الانتهاك ..

أنتفضت قلوبهم مرة أخرى عندما دار المزلاج ثانية ودُفع داخل الحجرة رجلين آخرين سقطا على الارض فور دخولهما
من شدة العذاب ... حاولوا مساعدتهما على الجلوس وتفقد جراحاتهما وكل رجل منهم يبكى من شدة التعذيب كالنساء..
الا رجل واحداً كان صامدا رغم انه كان أشدهم عذاباً ولم يكن لسانه يفتر ابدا عن قول لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ...
هدأت الاصوات فى الخارج ولم يعودوا يسمعون شيئاً فهدأت نفوسهم قليلاً..
نظر أحد الرجلين رجل الى الرجل المعرى فى ركن الزنزانه وبكى
وهو يقول:
-لا حول ولا قوة الا بالله أغتصبوا زوجته قدامه وأغتصبوه قدامها وهما بيضحكوا وبيهزروا مع بعض

أنتفض عمرو وفارس وبلال مرة اخرى وأهتزت أجسادهم بعنف وهم يسمعون عن اغتصاب النساء أمام أزواجهن
نكاية بهم وفرطاً فى تعذيبهم ... نظر ثلاثتهم الى الرجلين وقال لهما فارس:
-أنتوا تهمتكوا أيه
قال رجل الاول بخفوت:
-أنا أصلا مش من القاهره أنا من سينا عندى محل تصليح غسالات من يومين لقيتهم هجموا عليا وقلبوا المحل
وغمونى وخدونى فى عربية ولقيت نفسى هنا قدام الظابط وواحد تانى بيقولوا عليه وكيل نيابه هتف فارس فجأة عذبوك قدام وكيل النيابه
اومال مين اللى بيطبق القانون
أجابه الرجل:
-قانون مين يا استاذ وكيل النيابه هنا زيه زى الظابط اللى بيعذب بالظبط ثم اردف قائلا:
-وكل اللى طالع عليهم مين اللى اشترى منك التايمر من يومين ..اقولهم انا بصلح غسالات وطبيعى اى حد يشترى تايمر غساله
من عندى ..يقولولى أنت كداب يابن ال ــــــــــ وفجأة لقيت الظابط ولع سيجارة وقالى لو السيجاره دى خلصت من غير ما تعترف
هتكره اليوم اللى اتولدت فيه .. فضلت احلفله مفيش فايدة لحد ما قام من ور ا مكتبه وقالى أنا هعرفك مين هاروون باشا

وبعدين ندى على المخبر وقالوا حضرلى التونيك
قال عمرو:
-ايه التونيك ده
أجابه الرجل:
-ده الجهاز اللى بيصعقونا بيه بالكهربا
وفضلوا يعذبوا فيا بالكهربا وانا عريان وفى الاخر ... ثم اشار للرجل الاخر وقال لقيت الراجل ده جايبينه
برضه متغمى وبيقولولى هو ده اللى اشترى التايمر منك ؟..بصتله كده وقلت لاء نظر لهم الرجل الاخر وقال:
-انا اصلا من القاهرة اللى هيودينى سينا علشان اشترى تابمر غساله

خدونى من بيتى من وسط ولادى وشوا النقاب من على وش مراتى وكانوا عاوزين يعتدوا عليها قدامى
لولا ستر ربنا وكل اللى طالع عليهم أنت بتصلى الفجر فين وسايب دقنك ليه زى ما تكون صلاة الفجر تهمه ودقنى جريمه ...
فضلوا يعذبوا فيا اربع ساعات كهرباء ولما عرفت أنطق قلتلهم عاوز اصلى وقف الظابط قدامى وقالى انا القبلة صليلى ...
قول سبحان هارون وبحمده سبحان هارون العظيم ....فضلت ابكى واقوله خاف ربنا ..يقولى ربنا مين مسمعتش الاسم ده قبل كده ..
تابع الرجل الاول حديثه قائلا:
-كان حلقى بيتقطع من كتر التعذيب قلتلهم عاوز اشرب رد عليا واحد منهم قالى مينفعش يا حبيبى أحنا خايفين عليك
أنت متوصلك كهربا فشر السد العالى لو شربت هتموت..أول مرة أحس ان روحى بتطلع وترجع تانى مكانها وهما معلقنى على العروسه بتاعتهم

أردف الرجل الاخر:
-أنا لقيوا عندى سيديهات عن الويندوز وتصليحه والبرامج ولقيت وكيل النيابه وهو بيقرا عناوين السيديهات بيقول للى بيكتب جنبه ..
انهم لقيوا سيديهات عن ازاى تركب قنبله وتفجرها عن بعد ومرسومات لكنسية ازاى تتسلق وتدخل تحط قنابل

فى اماكن محدش يكتشفها ..وفضلوا يكهربونى لحد ما أغمى عليا خمس مرات ور بعض
أنتفضت أجسادهم مرة اخرى عندما سمعوا صوت الباب يفتح من جديد وكانوا يظنون أن هناك المزيد من المعذبين
سيدخلوا عليهم ولكن هذه المره سمعوا صوت ينادى اسمائهم الثلاث ...بلال ..فارس ...عمرو

نظروا الى بعضهم بعضا وكأنهم يودعون بعضهم ويشيعونهم ونظرا اليهم الرجلن نظرات شفقة وخوف زادت من فزعهم..
نهض ثلاثتهم ولكن بلال أمسكهم من أكتافهم ونظر اليهم قائلا:
-حافظوا على دعاء اللهم أكفنيهم بما شئت وكيف شئت...

تقدم الثلاث وهم يرددون الدعاء فى خفوت ولقد كان قلب فارس يُعتصر اعتصارا منذ أن علم ان التعذيب
يتم بمعرفة وكيل نيابة مباحث امن الدوله وتحت نظرة ..سار الثلاثة فى رواق ضيق طويل وصدورهم تلهج وتأجر الى الله سبحانه وتعالى
وبلال يتمتم اللهم انهم لا يعجزونك اللهم عليك بهم..

دخل ثلاثتهم غرفة صغيرة أخرى ولكن هذه المره يتوسطها مكتب يجلس خلفه رجل عرفه فارس من اول وهله..
حدق فارس به لبرهة فنهض الرجل قائلا:
-تعالوا
وجد فارس نفسه يقول دون وعى..
-أنت ازاى تشوف التعذيب ده وتسكت عليه
قال وكيل النيابه الذى كان زميلاً له فى الكلية:
-مفيش وقت للكلام ده يا فارس كويس أنى عرفت أنك هنا بالصدفه ربنا وحده

هو اللى خلانى اشوف اسمك بالصدفه فى اللى جم أمبارح .....اسمع أنت هتترحل دلوقتى على طره أهو أحسن من هنا على اى حال..
أعاد فارس سؤاله مرة اخرى هاتفاً به ان يجيبه:
فقال وكيل النيابه صديقة:

-يا فارس انا كنت زيك بحلم ابقى وكيل نيابه وربنا حققى حلمى مكنتش اعرف أنى هشتغل فى أمن الدوله
ولما شفت المهازل اللى بتحصل هنا عملت فيها شجيع وقلت اروح اقدم بلاغ للنائب العام وقبل ما ادخله
قابلت ولاد الحلال اللى يعرفونى وقالولى هو أنت مكنتش تعرف أنه كان بيتشغل فى مباحث أمن الدوله عشر سنين
وكان راضى عن اللى بيحصل هتدخل تقوله ايه...

حافظ على نفسك وعيالك وحاول تتنقل لاى جهة تانيه من غير ما تقول حاجه ولا تفتح بؤك ...
وانا يا فارس قدمت طلب نقلى وهنفذه قريب والحمد لله انك جيت قبل ما انا أمشى ولا مكنتش هتخرج من هنا على رجلك
زى ما دخلت ولا أنت ولا اصحابك أنت متوصى عليك جامد يا فارس
نظر عمرو الى بلال بزهول بينما حدق به فارس قائلا:
-مين اللى موصى علينا وليه

قال صديقة:
-معرفش كل اللى عرفته أنك متوصى عليك أنت بالذات ومكنوش هيخرجوك سليم من هنا ...
أنا أدخلت وهرحلك أنت وصحابك على طره لحد ما تشوف هتخرج منها ازاى وأوعدك انى اساعدك على قد ما اقدر
ضغط أحد الازرار امامه فدخل على فور أمين شرطه يرتدى زى ملكى وقال له بلهجة صارمه:
-خد دول يابنى على عربية الترحيلات اللى طالعه طره دلوقتى اوراقهم اهى
أستقل ثلاثتهم سيارة الترحيلات وهم يعتذرون فى داخلهم للوحوش والحيوانات التى يقال عنهم انهم مفترسين
وبلا رحمة فربما نجد فى هؤلاء السباع والحيوانات قلب ينبض بالرحمه أما هؤلاء الزبانية لا رحمة فى قلوبهم لانهم ليس لديهم قلوب..
لقد أنتزعوها ووضعوا اماكنها حجارة قاسية بل هم اشد قسوة من الحجارة...

****

نهضت مُهرة من نومها فزعة وهى تصيح الدكتور حمدى ..وأخذت توقظ أم فارس وتهزها بقوة جعلتها تستيقظ فزعة
ونهضت جالسة وهى تهتف بها:
-مالك يا مُهرة فيكى ايه
صاحت مُهرة وكأنها غريق قد وجد قطعة خشب فى قلب المحيط يتعلق بها لعلها تنجيه من الغرق وقالت:
-الدكتور حمدى يا طنط مفيش غيره هو اللى هيعرف طريق فارس ..فارس كان بيقول عليه بيحبه وبيعتبره زى ابنه

تلقت دنيا أتصالا هاتفياً وهى غارقة فى نومها على فراشها الوثير فى بيت والدتها..
تململت فى الفراش وهى تنظر للرقم أتسعت حدقتاها وخفق قلبها خوفاً واجبت بتردد:
-الو
قالت ام فارس لهفة:
-معلش يا بنتى صحناكى من النوم ...انا عاوزه رقم الدكتور حمدى صاحب المكتب يا دنيا هو الوحيد اللى هيعرف طريق فارس ليه معارف كتير

ابتلعت دنيا ريقها وقد غارت عيناها وقالت:
-بس الرقم مش معايا هنا دلوقتى بكره اروح المكتب اجيبه
قالت ام فارس برجاء:
-ارجوكى يا بنتى مش هقدر استنى للمغرب مينفعش تروحى المكتب بالنهار

توترت دنيا أكثر وقالت بتلعثم:
-اه اه هحاول اشوف ينفع ولا لاء وهرد عليكى فى اقرب وقت وبعدين مفيش داعى تتعبى نفسك
انا لما اروح المكتب هكلمه واطلب مساعدته متخافيش
أغلقت دنيا الهاتف وهى تلعن اليوم الذى جعلها توافق على اقتراح باسم وقالت بعصبية:
-هعمل ايه دلوقتى لو الدكتور حمدى عرف كل حاجه هتبوظ أعمل ايه بس ياربى
ظلت تفكر منذ طلوع الفجر وحتى قرب وقت الظهر وهى ترتشف القهوة كوباً تلو الاخر حتى هداها شيطانها لفكرة لمعت فى راسها
على الفور وبلورها لها عقلها ...أنتظرت حتى بعد الظهر بقليل ثم اعادت الاتصال بام فارس

مرة اخرى وقالت لها باسى:
-انا اسفه يا طنط الدكتور حمدى تعبان اوى وسافر بره يتعالج مش موجود فى مصر ومش عارفه اوصله

****

أجرت مُهرة أتصالا هاتفياً تقوم به لاول مرة منذ زواجها وقالت بارتباك:
-علاء من فضلك محتاجه منك حاجه مهمه اوى
قال بتثاقل وهو ينهض من فراشه:
-طب مش تقولى صباح الخير يا حبيبى الاول

قالت بصوت مرتجف:
-ارجوك يا علاء مش وقته انا محتجالك
أنتبه وهو يجلس على فراشة وقال:
-خير يا مُهرة عاوزه ايه محتاجه فلوس ولا حاجه
قالت بصوت باكى:
-فارس جارنا أمن الدولة خدوه ومش عارفين نلاقيه بيقولوا معتقل بس فين مش عارفين وأنت أكيد ليك اصحاب كتير معروفين ورجال أعمال ممكن يعرفولنا طريقة

هتف بها حانقاً:
-مش فارس ده اللى ضربنى ؟
بكت بشدة وأخذت تشهق وترجوه بمرارة أن يصفح عنه ولكنه قال بتشفى:
-أحسن خاليه يتبهدل ولا يقتلوه ويرحونا منه ربنا خادلى حقى

شهقت بشدة واخذ صدرها يعلو ويهبط وهى تبكى وتقول:
-ارجوك يا علاء علشان خاطر ربنا أعمل كده لوجه الله طيب ..طيب علشان خاطر امه المسكينة
صاح بها وهو ينهى المكالمة:
-بقولك ايه يا مُهرة بلا امه بلا ابوه أنا راجل نجم عاوزه حد يعرف انى اعرف واحد معتقل

عاوزه تضيعى مستقبلى ...واغلق الهاتف بقوة وهو يزفر بقوة بينما سقط منها الهاتف وسقطت على الارض من شدة البكاء ثم سجدت وهى تقول بنحيب:
-يارب مالناش غيرك يارب نجيه يارب نجيهم يارب ده غلبان وعمره ما اذى حد يارب

****

طرق الاستاذ صلاح باب حجرة مكتب إليها ودخل وقد بدا القلق على محياه فاعتدلت وقالت بسرعة:
-ها يا صلاح وصلتوا لحاجه عرفتوا عمرو مبيجيش ليه
أومأ براسه وقد ارتسم الحزن على قسمات وجهه وقال:
-أتصلت كتير محدش رد عليا خدت عنوانه وروحتله وعرفت اللى حصل
هتفت بقلق:
-اتكلم بسرعه يا صلاح فى ايه
قال بحزن:
-أتقبض عليه من يومين ... خدوه الفجر من بيته
هبت واقفة وقالت بفزع:
-مين دول اللى خدوه وليه
رفع كتفيه باسى وقال بحيرة:
-مش عارف يا بشمهندسة بس طريقة القبض عليه دى بتقول انهم مش مباحث عاديه شكلهم كده أمن دولة
هوت الى مقعدها وارتجف قلبها بين اضلعها واتسعت عيناها وهى تفكر وفجاة تناولت سماعة الهاتف وضغطت عدة ارقام ثم قالت بسرعة لمديرة المكتب:
-وصلينى بالباشا حالاً...

الفصل السادس والعشرون

عالم السجون ... إنه فى عالم إختلفت فيه المعايير وتغيرت المقاييس .. لم يعد السجن هو مصير المجرمين والسفاحين فقط
بل أصبح السجن مصير المتدينين وأصحاب الرأى أيضا وكل حر شريف يأبى أن يضع راسه فى التراب ويدفنها بين حبات الرمل
ويصدح بالحق لا يخشى فى الله لومة لائم ..
دُفع ثلاثتهم بقوة داخل العنبر وأغلق الباب الحديدى خلفهم ليصدر صريراً مزعج أيقظ على أثره النيام داخل العنبر...

وقف ثلاثتهم ينظرون الى بعضهم البعض وأعينهم تفيض بسؤال واحد فقط ..وماذا بعد ...
وقعت أعينهم على رجل ملتحف ببطانية سوداء
فى أحد الاركان على أرض العنبر فقال عمرو:
- وده نايم على الارض ليه ده مش كل واحد هنا ليه سرير
أقترب بلال منه بقلب مقبوض وكأنه يشعر لماذا هذا الجسد قد سُجى هكذا وقبل أن يلمسه هتف أحد الرجال الاخرين من زملاء العنبر:
- سيبوا ده ميت
أصابتهم غصة فى حلوقهم وهم يتبادلون النظرات ..أنحنى بلال لينظر فى وجهه فوجد ما كان يعتقده..
أخ صغير فى السن له لحية صغيرة واضح عليه اثار التعذيب بشدة أغمض بلال عينيه بألم وهو يقول:
- إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم اجرنا فى مصيبتنا واخلف علينا خيرا منها
غادر أربعة مسجونين سرائرهم واقتربوا منهم متسائلين:
- أنتوا جايين فى ايه مفيش مظاهرات الايام دى شكلكوا كده كنتوا بتحضروا درس فى المساجد وبتكلموا فى السياسه صح
قال الرجل الاخر:
- بس أنتوا حظكوا حلو والله أنكوا جايين فى الوقت ده اصلكوا لو كنتوا جيتوا الصبح كنتوا

حضرتوا حفلة الاستقبال
عقد فارس بين حاجبيه وقال:
- حفلة استقبال أيه
قال الرجل:
- حفلة الاستقبال دى يا سيدى بيستقبلوا بيها كل عربية ترحيلات بتوصل السجن..
الاول بينزلوا المساجين من العربية بالكلاب البوليسيه وأنت وحظك ..
وبعد ما تنزل وانت بتجرى من الكلاب قبل ما تتعض يستقبلوك العساكر بالعصاية الكهربا والكرابيج ساعه ساعتين
لحد ما كله يقع على الارض ويستسلم للضرب بعدها بقى يوزعوهم على العنابر ده غير الشتيمه وقلة الادب وسب الدين .. دى بقى حفلة الاستقبال

أومأ بلال برأسه وهو يربط على كتفهم مطمئناً ونظر لهم نظرات مطمئنة أنهم قد عبروا تلك المرحلة بأمان
فمن الواضح أن وكيل النيابة صديق فارس كان يعلم هذا ايضا لذلك أمر بترحيلهم فى هذا الوقت من الليل..
شعر فارس بغصة فى قلبة وهو يرى بلاده لاول مرة بصورة حقيقية غير التى كان يراها فى الخارج..
فى خارج ذلك العالم .. عالم السجون والمعتقلات .. أخذهم زملاء العنبر الى أفرشتهم كل واحد منهم على سرير صغير
عليه بطانية خشنة ..

جلس عمرو على طرف فراشة مشدوهاً لما رأى فى تلك الايام أولا فى أمن الدوله وثانيا هنا فى السجن ..
وقال بغضب وعصبية موجهاً كلامه لفارس:
- وبعدين يا فارس هنفضل كده لحد أمتى حتى منعرفش تهمتنا ايه
جلس أحد الرجال على السرير بجواره قائلا:
- لا لازم تهدى وطى صوتك اللى بيعلى صوته هنا بيتسحب على عنبر التأديب
ألتفت عمرو إليه وحدق به قائلا:
- ايه عنبر التأديب ده كمان

أبتسم الرجل وقال:
- اه معلش كان المفروض أشرحلكم من الاول .. النظام هنا ... السجن متقسم كذا عنبر ..عنبر التأديب وده متقسم زنازين صغيره مترين فى مترين وده بيبقى أنفرادى..
وعنبر الجنائى ودول بقى تجار المخدرات وقتالين القتله وغيرهم وعنبر التخابر وده بقى مخصص للجواسيس وده بقى أنضف عنبر هو وعنبر القضاة وافراد الشرطه اللى بيجى هنا متهم فى قضية رشوة ولا فساد والمعامله فيهم معامله خمس نجوم ..
وهنا بقى العنبر السياسى وده كل اللى بيقول رايه فى البلد دى ومعظمه مشايخ زى ما أنت شايف ..ابتسم بلال وهو يومىء براسه
وقال:
- ونسيت عنبر الاخوان
ضحك الرجل بصوت خفيض وقال ل بلال:
- اظاهر انك جيت هنا قبل كده يا شيخ
قال بلال بجمود:
- جيت مره واحده بس عرفت كتير
كتم عمرو غضبه وقال:
- برضه محدش جاوبنى هنفضل كتير ومن غير ما نعرف تهمتنا ايه ؟
ربت الرجل على كتفه قائلا:
- طالما محدش حقق معاكوا يبقى مفيش تهمه وبما أنكوا جايين دلوقتى يبقى انتوا مش معتقلين رسميين
قال فارس بإقتضاب:
- يعنى أيه مش رسميين
تكفل بلال بالرد عليه قائلا:
- يعنى زي ما صاحبك قالك .. متوصى علينا
أقترب عمرو من فراش بلال وجلس على طرفه قائلا:
- مين اللى هيوصى علينا يتعمل فينا كده مين
قال بلال وهو ينظر أمامه بشرود:
- مش عارف يا عمرو بس الموضوع ده شكله هيطول ولازم نحاول نهدى علشان نعرف نفكر..
قال كلمته الاخيره ثم نهض قائلا:
- تعالوا نصلى على الأخ اللى مات ده

قال الرجل الذى يحدثهم:
- هيجوا يخدوا جثته الفجر مع انهم عارفين ان فى واحد ميت هنا من بعد العشاء

****

- ميرسى يا فندم ..

نطقت دنيا بهذه العبارة وهى تتناول الشيك من والد هانى المتهم فى قضية القتل وبرقت عينيها وهى تنظر للمبلغ المدون فيه وقالت بابتسامة:
- حضرتك أطمن خالص أبنك هيبقى فى حضنك قريب جدا
قال الرجل بلهفة:
- يارب يا استاذه ربنا يسمع منك ... ثم قال بتسائل:
- هو الدكتور فارس مجاش النهارده ولا ايه
قالت بتمساك:
- الدكتور فارس مش بيجى كل يوم ولما بيكون مش موجود انا ببقى مكانه

أومأ الرجل برأسه متفهماً وقال:
- المهم عندى أنه هو اللى يشتغل القضية بنفسه
رفعت حاجبيها بدهشة مصطنعة وهى تقول:
- طبعاً يا فندم القضايا اللى زى دى الدكتور فارس هو اللى بيكتب فيها المذكرات وهو اللى بيترافع
واحنا بس بنعمل الشغل الادارى والمالى بتاعها يعنى حضرتك هتشوفوا فى المحكمه ان شاء الله..
بعد قليل أنصرف الرجل ودخل خلفه وائل مسرعا ً وقال بعينين لامعتين:
- أداكى الشيك

ابتسمت بثقة وهى ترفع الشيك امام عينيه ثم وضعته فى حقيبتها قائلة بقلق:
- أهى الفلوس بقت معانا أهى والراجل جاب الاتعاب كلها مش نصها زى ما كنا فاكرين عاوز ابنه بأى طريقة
يارب بقى باسم يخلصنا من القضية دى بسرعة بقى انا قلقانه اوى

قال وائل مشجعاً:

- متقلقيش يا استاذه انتى قدها وقدود والاستاذ باسم خلاص ظبط الناس مش ناقص غير الفلوس علشان ينفذوا

ربتت على حقيبتها وهى تقول:

- وأهى الفلوس أهى يلا بقى كلمه وخليه يخلصنا

تحدث وائل هاتفياً مع باسم وأخبره أن المال قد اصبح بحوزت دنيا .. مد وائل يده بالهاتف الى دنيا قائلا:

- الاستاذ عاوز يكلمك

تناولت الهاتف وقالت بتعالى:

- أيوا

ابتسم باسم عندما لاحظ نبرة صوتها المتعاليه وقال بسخرية:

- طب حتى استنى لما تصرفى الشيك وبعدين ابقى اتغرى براحتك

مطت شفتيها بضيق وقالت:

- خير يا أستاذ باسم

- بكرة هنروح نصرف الشيك سوا ونطلع على طول على سكرتير النيابة نكيشه ونخلص معاه

وبعدين نقعد مع بعض ونقسم الاتعاب علينا زى ما أتفقنا ماشى..

قالت بإقتضاب:

- بس هنقعد فى مكان عام مش عندك فى المكتب

أطلق ضحكة عاليه اشعرتها بالاشمئزاز وقال بخبث:

- ايه موحشتكيش ولا ايه

أتسعت عينيها وشعرت انها ستتقيأ عندما ذكرها بما حدث سابقاً..

أغلقت الهاتف فى وجهه وهى تتمتم:

- حيوان

****

وقف صلاح ينظر الى إلهام التى كانت تتحدث فى الهاتف بلهفة وهى تقول لمحدثها:

- طبعاً يا باشا من رجالتنا ومينفعش نسيبه كده دى حتى تبقى وحشه فى حقنا وبعدين اللى موصى عليه ده مش أكبر من معاليك
صمتت بعض الوقت تستمع إليه ثم قالت بثقة:
- يافندم ارهاب ايه عمرو ده راجل روش سينيمات ومسارح يافندم دى رنة التليفون بتاعة عشره بلدى
صمتت قليلا مرة ثم قالت وهى تنقر على سطح مكتبها بأطراف أصابعها بعصبية..
- ماشى يا فندم اللى تشوفه ساعتك المهم بس ميطولش كتير..
أغلقت الهاتف وزادت عصبية نقرها على المكتب فقال صلاح متلهفاً:
- ها يابشمهندسة ايه الاخبار

ضربت المكتب بقبضتها وهى تقول بضيق:
- لو كان لوحده كان طلعه بسهوله المشكله فى الاتنين اللى معاه علشان كده بيقولى الموضوع هياخد وقت
قال صلاح بحزن:
- يعنى الولد المسكين ده هيفضل مرمى كده من غير ذنب
قالت بعصبية:
- مش قادره اعمل اكتر من كده يا صلاح انا وصلت لاعلى المستويات كل اللى وعدونى بيه أن محدش هيقربله
وهيفضل هناك معزز مكرم لحد ما يطلع .. خبطت سطح مكتبها مرة أخرى حتى آلمتها قبضتها ففركتها بغيظ وضيق وهى
تقول:
- لو كان لوحده كنت عرفت اطلعه النهارده المشكله فى الاتنين اللى مربين دقنهم اللى معاه دول.. انا عارفه ايه الاشكال اللى بيعرفها دى!!!..

****

فُتح باب العنبر مرة أخرى فتعلقت ابصار الجميع به .. دخل الشاويش المسئول عن العنبر وتقدم بأتجاه عمرو وفارس وبلال
واشار إليهم بحزم وقسوة قائلا:
- تعالوا معايا أنتوا التلاته

نظر ثلاثتهم الى بعضهم البعض بتسائل فصرخ بهم بصوت كرية مرة اخرى:
- بقول قوم انت وهو
نهض ثلاثتهم وهم ينظرون إليه بحنق وتعلقت به ابصار شركائهم فى العنبر وهم ينظرون إليهم بشفقة..
سار ثلاثتهم خلفه وبعد أن أغلق العنبر أمرهم ان يسيروا خلفة ..ساروا قليلاً حتى توقف بهم أمام أحد الزنازين
وشرع فى فتح بابها وهو يقول متبرماً:
- حظكوا من السما ...

فتح الزنزانة ثم دفعهم داخلها بقسوة مرة أخرى وأغلقها خلفهم
كانت الزنزانة اقل عددا من العنبر الاخر بكثير فلا يوجد فيها الا خمسون رجلاً فقط..
أما العنبر فكان به حوالى ثلاثمائة رجل .. ولقلة العدد فيها كانت تبدو أكثر آدمية من التى قبلها ..
والفُرش والاغطية كانت تبدو أكثر راحه من العنبرالاول نوعاً ما ...نظر زملائهم إليهم متسائلين كما يُفعل مع كل مُعتقل جديد
فالقى بلال السلام ..أجابة الجميع بنفس واحد خافت:
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
ألقى ثلاثتهم أجسادهم على فُرُشِهم بإنهاك الشديد ولاول مرة تذوق عيونهم طعم النوم منذ أعتقالهم...
بعد ساعة استيقظ بلال على هزات خفيفة ..أنتبة من نومه دفعة واحدة بإنفعال فربت الرجل الذى كان يوقظه على صدره يهدئة
وهو يقول:
- أهدى يا اخى أنا بصحيك علشان تلحق الصلاة متخافش
نهض بلال وهو يشعر أن عظامه مختلطه ببعضها البعض فى ألم شديد ..توجه الى فارس وعمرو وأوقظهم بنفس الهزات الخفيفة
فأستيقظوا بنفس الانتباه المفاجىء واتساع حدقاتهم بإنفعال شديد فطمئنهم وهو يقول:
- يلا قوموا علشان نلحق الصلاه

زفر عمرو بقوة وو يقول:
- يا اخى حرام عليك ده انا مصدقت يغمضلى جفن
توجه فارس أليه وهو يمسك بيده لينهضه رغماً عنه قائلا:

- قوم صلى يا عمرو الله اعلم احنا أعمارنا هتخلص أمتى
وقف بلال بعد ان توضأ ليصلى بهم ولكن الرجل الذى ايقظه اقترب منه وقال محذرا:
- كل واحد يصلى لوحده يا دكتور .. صلاة الجماعه ممنوعه هنا

أومأ بلال برأسه وقد تذكر بخبرته السابقة أن صلاة الجماعه ممنوعه داخل السجن..
فألتف إليه فارس قائلاً:
- ويمنعوا صلاة الجماعه ليه
قال الرجل:
- هى الاوامر كده ممنوع صلاة الجماعه وممنوع صلاة الجمعه واللى بيظبطوا بيصلوا جماعه بيتحولوا للتأديب

ضرب عمرو كفاً بكف وهو يقول :
- هو أحنا فى غوانتانمو ولا ايه

أنتهى الثلاثه من صلاتهم تباعاً واحداً تلو الاخر.. مر يومان والحال هكذا لم يتغير..
كانت بوابة الزنزانة تغلق عليهم فى تمام الخامسة والنص مساءا وكذا يكون أنتهى اليوم داخل السجن
فيبدأ بلال فى أعطائهم بعض التمرينات الرياضيه التى تقوى عظامهم لتستطيع تحمل خشن العيش داخل السجن
وليستطيع مقاومة الرطوبة المنتشرة فى كل مكان فيه ... كان الجميع يستجيب له الا واحداً لاحظ بلال أنه يرمقهم بنظرات غاضبة
وكارهة لهم يظهر ذلك فى عينيه جلياً كلما التفت إليهم على مدار يومين كاملين
ولاول مرة يتدخل هذا الرجل بالحديث عندما راى فارس ينهض من فراشه ويجلس على طرف فراش بلال وهو يقول
بقلق:
- مفيش أى وسيلة هنا نطمن الناس اللى برا علينا .. زمانهم دايخين علينا فى كل حته دلوقتى ومش لاقين لنا أثر..
فقال هذا الرجل هاتفاً:
- والله أهلكوا زمانهم مستريحين منكوا ومن التشدد بتاعكوا
ألتفت إليه فارس بغضب بينما ربت بلال على ذراعه حتى لا يرد عليه بغضب فصمت فارس

وترك المجال لـ بلال بالرد

فقال له بابتسامة:
- هو فى اهل فى الدنيا يبقى مستريحين وولادهم فى السجن
ترك زملائهم فى الزنزانة ما كانوا منشغلين به وبدأوا فى متابعة الحوار ظنا منهم أنه سينتهى بمعركة تكون نهايتها زنزانة تأديب منفردة لكل منهما...
نظر له الرجل بحنق قائلاً:
- لا طبعا بس اللى زيكوا أنتوا اهلهم هيستريحوا منهم تلاقى كل واحد فيكم عنده أخت بيجرجرها من شعرها وينزل فيها ضرب لو شافها بتسمع أغانى ولا بتتفرج على فيلم
آخر عبارة نطقها جعلت فارس وبلال ينظران الى بعضهما البعض ويبتسمان رغماً عنهما..
مال فارس للامام وهو يقول له:
- حضرتك العنوان غلط اللى بيعملوا كده الممثلين اللى بيطلعوا فى التلفزيون مش أحنا
نظر له الرجل بتهكم وقال:
- الممثلين دول بيمثلوا حياتكم واللى بتعملوه فى أهلكوا بسبب تشددكوا فى الدين

تدخل بلال قائلا:
- ممكن اسأل حضرتك سؤال ..مش زمان كنا بنسمع أن الممثل علشان يندمج فى الدور بتاعه لازم يروح يعيش فى وسط الناس اللى هيمثل دورهم فى المسلسل
يعنى مثلا كنا زمان نسمع ان واحد راح دخل السجن علشان يعرف يمثل حال المساجين صح ولا لاء
أومأ الرجل براسه قائلا:
-أه طبعا سمعنا كده كتير
ابتسم بلال ثم قال:
- طيب هل الممثل اللى بيمثل دور الملتزم ده بيروح يعيش مع الملتزمين فى بيوتهم وبيشوفهم بيعاملوا أهاليهم أزاى واخوتهم وزوجاتهم
قال الرجل ساخرا:
- هيروح ازاى يا شيخ يعيش معاهم فى بيوتهم هو طبعا بيتصور حياتكوا مع اهاليكوا
رفع بلال حاجبيه وقال بهدوء:
- طيب مش يبقى ده ظلم أنه يحكم علينا اننا بنضرب اخواتنا وزوجاتنا وهو عمره ما عاش وسطنا ونجرجرهم من شعرهم كمان علشان بيسمعوا أغانى ويطلع يمثل كده فى التلفزيون

ويخلى الناس تصدق عننا كده وتخاف مننا وأحنا مش بنعمل كده أصلا
تدخل زميلاً آخر لهم وقال:
- والله أنت معاك حق يا شيخ ده أنا ليا جار زيك كده لما مراته بتقعد مع مراتى يرغوا مع بعض شوية بترجع مراتى تقولى أنت مش رومانسى ليه زى جارنا الشيخ

قال الرجل الاول معترضاً والله بقى أحنا خدنا عنكوا الفكره دى بسبب التشدد اللى أنتوا فيه وكل حاجه حرام حرام حرام حرمتوا علينا عيشيتنا
أتكأ بلال على أحدى جانبيه وقال:
- طب ممكن اسألك سؤال كمان ومعلش تعالى على نفسك وجاوبنى
قال الرجل بملل:
- أتفضل

قال بلال بجدية:
- حضرتك عندك سخان غاز ولا كهربا؟
نظر له الرجل بدهشة وقال متهكماً:
- سخان غاز يا سيدى ليه
ابتسم بلال قائلاً:
- ممتاز ... فاكر حضرتك أول مرة ركبته فيها
- فاكر
أعتدل بلال فى جلسته وقال باهتمام:
- يا ترى شغلته لوحدك
زاد الرجل مللاً وهو يجيب قائلاً:
- لاء طبعاً صاحب المحل قالى معاه كتالوج ولازم أمشى على الخطوات اللى فيه بلظبط
قصد بلال ان يقول ببرود:
- وسمعت كلامه ليه

هتف الرجل بعصبية:
- يعنى ايه سمعت كلامه ليه مش هما اللى عاملينه وأدرى بيه
عقد بلال بين حاجبيه وقال:
- صاحب المحل اللى اشتريت منه السخان متشدد زينا

صوب الجميع نظرة لبلال الذى كان يتحدث باريحيه وسلاسه فى الحديث والغلاف الذى كان يميز حديثه هو المنطق والهدوء ...
وخصيصاً عندما ظهرت علامات الدهشة على وجه الرجل وقال بحيرة:
- مش فاهم
عقد بلال ذراعيه بهدوء وهو يقول:
- يعنى ربنا سبحانه وتعالى هو اللى خلقنا وهو اللى قالنا عن طريق رسولنا محمد صل الله عليه وسلم أن ده حرام وده حلال سواء فى القرآن أو فى السُنة ..
يعنى القرآن والسُنة دول ومن بعديهم اقوال السلف الصالح هما الكتالوج بتاعنا
علشان كده لما أنا أقرا فى الكتالوج ده وأعرف أن ده حرام واقولك عليه مينفعش حضرتك تقول عليا متشدد لانى كل اللى عليا أنى بنقل لحضرتك كلام ربنا وأوامره ونواهيه مش أكتر من كده يبقى انا متشدد ليه بقى

أطرق الرجل مفكراً وسادت همهمه بسيطه خافته بين شركائهم فى الزنزانة معجبين بحديث بلال
بينما ابتسم فارس وهو ينظر لبلال بإعجاب شديد ..ولكن الرجل تمتم بإعتراض:
- اه بس فى حاجات بتقولوا عليها حرام مش موجوده فى القرآن ولا فى السنه ..
يعنى مفيش آيه ولا حديث بيقولوا المسلسلات حرام والافلام حرام..
أجابة بلال بهدوء:
- أزاى بقى يا راجل .. يعنى أنت مثلا عمرك ما عديت على الايه اللى بتقول:
)قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ(
ثم تابع قائلا:
قولى بقى حضرتك هتسمع كلام ربنا وتغض بصرك أزاى وأنت قاعد تتفرج على الممثلات المتبرجات وأزاى زوجتك أو أختك هتسمع كلام ربنا وتغض بصرها عن الرجاله وهى قاعده تتفرج على ممثل ومعجبه بشكله شويه وبطريقة كلامه شويه ورومانسيته شويتين ..
يبقى أنا لما اجى اقولك ان الحاجات دى حرام ليه تقولى انت متشدد وانا كل اللى بعمله انى بوضحلك ربنا قايل ايه فيها يعنى من الاخر بشرحلك من الكتالوج...
وأردف قائلاً:
وزى ما حضرتك متأكد ان المصنع اللى صنع السخان وعمل الكتالوج وحط فيه ضوابط

للتشغيل هو أدرى بالسخان وباللى ينفعله واللى مينفعلوش
واللى يبوظه واللى ميبوظوش يبقى برضه لازم حضرتك تبقى متأكد أن الحرام والحلال دول مش علشان يضايقوا حضرتك،، لاء،، ده علشان ربنا سبحانه وتعالى هو اللى خلقنا وهو أدرى بينا وبقلوبنا وايه اللى يخلينا عباد الله المؤمنين وايه اللى يخلى قلوبنا فاسدة والعياذ بالله .

****

فتحت عبير باب شقتها لعزة التى دخلت مسرعة وقالت بلهفة:
-عبير عرفنا مكانهم يا عبير
أتسعت عيناها وتشبثت بملابسها وهى تقول بلهفة أكبر:
- بالله عليكى يا عزة عرفتوا مكانهم طب هما فين وعاملين ايه وعرفتوا ازاى ؟
جائت أم بلال على صوت عبير الملهوف وتعلق بصرها بعزة وهى تنقل ابصارها بينهما وتقول:
- الاستاذ صلاح اللى عمرو كان شغال عندهم فى الشركة كان جه سأل على عمرو من يومين كده
ولما عرف اللى حصل قالى أنهم هيحاولوا يعرفوا طريقهم وكتر خيره أتصل بيا النهارده من شويه
وبلغنى أنهم عرفوا أنهم موجودين فى سجن طره وأنهم كويسين اوى وبيتعاملوا كويس أوى ومفيش تهمه معينه متوجهالهم وهيخرجوا قريب ان شاء الله
وضعت أم بلال يدها على صدرها وهى تقول:
- الحمد لله

ولكن عبير هوت الى الارض ساجدة تبكى وتدعوا وهى تشعر أن قلبها لم يعد ينبض منذ أن غادرها فى ذلك اليوم المشئوم ولكنها بدأت تطمئن شيئا قليلاً بعد هذه الاخبار وأخذت تدعوا الله أن يرده اليها رداً جميلاً وأن يحفظه لها ولأمه ولأبنائه.......

عانقت أم فارس مُهرة وهما يبكيان من الفرحة لمجرد أن علموا أنه بخير ولم يصبه مكروه مما كانوا يسمعوا عما يحدث للمعتقلين من قبل...

أبتعدت مُهرة قليلاً وهى ممسكة بيد أم فارس وقالت بهيستيرية:
- لازم نعمل المستحيل ونروح نشوفه يا ماما

أبتسمت أم فارس وهى تستمع لتلك الكلمة من فمها لاول مرة
وقالت:
- يابنتى الحمد لله اننا عرفنا مكانه وأنه بخير هو وصحابه الحمد لله مش عارفه بقى حكاية الزياره دى هتنفع ولا لاء وهنعملها ازاى ... صمتت قليلاً
ثم قالت:
- انا كده كده هتصل بـدنيا علشان ابلغها الاخبار الحلوه دى وأكيد هى مش هتسكت وهتحاول تروحله وساعتها تبقى تاخدنا معاها ...

هرولت مُهرة الى الهاتف وهى تقول بلهفة:
- طب يا ماما كلميها دلوقتى مش لازم نضيع وقت

أخذت أم فارس الهاتف وقصت عليها ماحدث مما جعل دنيا تبتلع ريقها بصعوبة وأستشعرت الخوف من أحتمالية خروج فارس بهذه السرعه فالقضيه ما زال امامها شهرين على الاقل قبل النطق بالحكم
سمعت ام فارس وهى تقطع عليها افكارها فقالت:
- ايوا معاكى ..
طيب انا هشوف الحكايه دى وابلغك بالتطورات قريب أوى ان شاء الله انا هقفل دلوقتى علشان معايا شغل مهم..
أغلقت أم فارس الهاتف وهى تنظر له مندهشة وتقول متعجبة:
-غريبة اوى كنت فكراها هتطير من الفرحه مش عارفه كلمتنى كده ليه أنا قلبى مش مطمن
قالت مُهرة بسرعة:
- خلاص يا ماما متزعليش نفسك انا هحاول مع علاء تانى

نظرت لها أم فارس غير راضية وقالت بإستنكار:
- لاء مش عاوزين منه حاجه مش كفايه اللى عملوا فيكى قبل كده هترجعى تتذليلوا تانى
نظرت امامها بشرود وهى تقول بخفوت:
- زى بعضه تانى وتالت كله فداهم

****

وضعت أم يحيى أكواب الشاى أمام علاء ومُهرة وهى تقول برجاء:

- معلش يا علاء علشان خاطرى انا حاول

هز علاء رأسه نفياً وهو ينظر الى عينيى مُهرة الراجية ويقول:

- كله الا سمعتى ،، مقدرش ،، أنا نجم ولو سُمعتى حصلها خدش واحد موهبتى مش هتنفعنى

نظر له يحيى بإزدراء لاول مرة يراه على حقيقتة زال الابهار الذى كان يشعر به تجاهه وقال بنفور:

- كل ده ميجيش حاجه قدام حياة تلاته كنا بنعتبرهم مثلنا الاعلى

نظر له علاء متهكماً وقال بسخرية:

- مثلك الاعلى أنت مش أنا

شعرت مُهرة ببغض شديد تجاهه وهى تتبادل النظرات المعاتبة مع والدتها وهى تقول موجهةً الحديث إليه:

- والدكتور بلال ميخصكش هو كمان مش ده كان ليه فضل عليك بعد ربنا

وضع علاء كوب الشاى بعصبية وقال:

- أنا أول مره اعرف أن لما راجل يروح يزور مراته تقعد تكلمه على رجاله تانين أنا لو كنت اعرف كده مكنتش جيت من اساسه..

هب واقفاً وأنصرف بعصبية ..كان يشعر بوخز الضمير تجاه بلال ولكن كرهه لفارس جعله يتناسى امرهم جميعاً ..

أقترب يحيى من أخته وهو يقول باسى:

- معلش يا مُهرة متزعليش نفسك

نظرت لوالدتها مرة أخرى وهى تقوله:

- انا مش زعلانه منه أنا زعلانه عليه اللى زى ده بيفضل طول عمره عايش لنفسه وبس علشان كده لما عمره هيخلص محدش حتى هيفتكر يترحم عليه..

****

مر شهراً كاملاً ثلاثون يوماً حتى تكونت صداقه بين أبطالنا الثلاث وزملائهم فى الزنزانة حتى جاء ذلك اليوم الذى فُتحت فيه بوابة زنزانتهم الحديدية معلنةً عن قدوم احد ما ...
دخل الشويش المسؤل عنهم و بصوته الغليظ أشار ل عمرو قائلاً:
- يالا علشان هتخرج يا عمرو
هب عمرو واقفاً غير مصدق لما سمع ونظر الى بلال وفارس وقال:
- طب وهما
صرخ الشاويش فيه بنبرة قاسيه:
- يالا ياخويا هى رحله ،، أنت بس اللى هتخرج

نهض فارس وبلال عانقاه بحرارة وقد دمعت عينيه وهو يقول:
- مش هسيبكوا وأمشى
أبتسم فارس وهو يدفعه فى كتفه قائلا:
- يالا يابنى هتعملى فيها بطل ولا ايه ده أحنا مصدقنا حد يطلع يطمنهم علينا يالا..
أمسكه بلال من كتفه قائلاً بعينين دامعتين:
- خلى مراتك تروح لمراتى وتطمنها عليا ثم ابتسم وهو يردف قائلا:
- وعلشان تصدق أنى أنا اللى باعتلها الرساله الشفويه دى خاليها تقولها..
بلال بيقولك أنتى وحشتينى أوى وبضمير.. أومأ عمرو وقد حفظ رسالة بلال ونظر لفارس الذى أحتار ماذا يقول
ماهى الرساله التى يرسلها لاهله فقال:
- وانا كمان روح البيت عندنا وطمنهم كلهم عليا وقولهم ان شاء الله أننا هنخرج أحنا كمان
تقدم الشاويش وجذب عمرو من ذراعه بقسوة وهو يصيح به:
- يالا ياخويا بدل ما خاليك تكمل معاهم هنا

خرج عمرو ينظر إلى الطريق غير مصدق أنه مازال على قيد الحياة حتى هذه اللحظة نظر خلفه وكأنه يرى اصدقاء محنته قابعون فى زنزانتهم يودعونه بنظراتهم الدامعة..
أخذ شهيقاً كبيرا ليملىء صدره بالهواء النقى خارج حدود اسوار السجون المظلمة بما فيها من رائحة الرطوبة العفنة واصوات المعذبين وأتجه الى أول سيارة أجرة قابلته..
لم يسال عن وجهتها كل ما كان يريده هو الابتعاد ....
الابتعاد وفقط ...

غادر عمرو سريعاً وهو يتذكر تلك الليلة المظلمة التى دخل عليهم فيها ذلك الاخ الملتحى متقطعة أنفاسه من كثرة التعذيب ..تفوح منه رائحة شواء جلده من كثرة الكهرباء التى تعرض لها وكل هذا ليس لذنب اقترفه ولا ذنب ألم به
سوى أنه قال لظابط أمن دولة كان يقبض على صديقة دون حق قال له اتقى الله ..
لم يلبث الفتى الصغير بينهم سوى دقائق ثم نطق بالشهادة
سالت دموعهم عليه تروى جرحه كما تروى السحب بامطارها حشاش الارض

ثم أخذ ينشد بصوت مدبوح

غرباء و لغير الله لا نحني الجباه
غرباء و ارتضيناها شعارا في الحياة

ان تسال عنا فإنا لا نبالي بالطغاة
نحن جند الله دوما دربنا درب الاباة

غرباء غرباء غرباء غرباء

لا نبالي بالقيود بل سنمضي للخلود
فلنجاهد و نناضل و نقاتل من جديد
غرباء هكذا الاحرار في دنيا العبيد

غرباء غرباء غرباء غرباء

كم تذاكرنا زمانا يوم كنا سعداء
بكتاب الله نتلوه صباحا و مساء

غرباء غرباء غرباء غرباء

غرباء و لغير الله لا نحني الجباه
غرباء و ارتضيناها شعارا للحياة

وفاضت روحه إلى بارئها

الفصل السابع والعشرون

عاد الى شارعهم يطوى الارض طياً .. يهرول تارة فينهكة التعب فيمشى تارة أخرى ... وقف عند بداية المنعطف ينظر الى بداية شارعهم الى البيوت المتلاصقة والقهوة البعيدة وهو يشعر أنه أفتقد دفئهم وحمايتهم ورعايتهم لمن حولهم وهو يتسائل فى نفسه لماذا لا تكون الدنيا كلها شارعهم بقلوب اهله الطيبة ما هؤلاء البشر الذى تعامل معهم وكيف ينتمون الى فئة البشر ...أليسوا أقرب الى مصاصين الدماء الذين رآهم كثيرا فى الافلام لا بل مصاصين الدماء لايقتلون بهذه البشاعة التى رآها أنما هى عضة نتيجة لاحتياجهم للدماء.. أما هؤلاء فهم يشوهون ويقتلون ويعذبون لا لشىء الا للمتعه الا للضحك على صرخات وأنين المُعذبين لا لشىء الا للقتل.. لا لشىء الا لكره الدين وبمن يمثلونه.. لالشىء الا لكره الكرامه ومن ينادون بها.. أى بلد هذه التى لا نحيا بها كراماً..

قطعت أم فارس قرائتها للقرآن ووضعت المصحف بجوارها وهى تنادى على مُهرة ... خرجت مُهرة مسرعة من المطبخ فقالت لها أم فارس بوهن:

- شوفى يا مُهرة فى ايه فى الشارع أيه الزيطه دى

تناولت مُهرة اسدال الصلاة وارتدته بسرعة وخرجت الى الشرفة.. أتسعت عيناها وهى تنظر الى عمرو وأهل شارعهم مجتمعين حواليه مهنئين له فى جلبة شديدة فرحين به وبعودته سالماً.. بحثت بعينيها سريعاً بين الوجوه وقد خفق قلبها بشدة تبحث بين العيون والوجوه لاشىء.. لم يعد .. أنهمر دمعها رغماً عنها ومسحته بيديها وهى تجيب نداء أم فارس وتقول بصوت متقطع:

- عمرو رجع يا ماما.. انهمرت دموعها مرة أخرى وهى تتمتم:

- رجع لوحده

هرولت أم فارس الى الشرفة بلهفة بحثت هى ايضا عن ولدها بين الناس فلم تجده خرجت من الشرفه متوجهة الى باب الشقه مسرعةً .. لحقتها مُهرة وهى تتشبث بذراعها هاتفةً:

- استنى يا ماما هتنزلى كده ازاى أنتى بهدوم البيت وشعرك باين

نظرت ام فارس لملابسها وهى تضع يدها على شعرها لاتعلم ماذا تفعل وكأنها مسلوبة الاردة ..لم تنتظر مُهرة كثيرا أندفعت للداخل وأحضرت لها عبائة الخروج وحجاب .. ارتدتهم بسرعة وهى واقفة على باب الشقة

ولسانها يلهج بفزع:

- يا حبيبى يابنى ياترى انت فين يابنى

ألبستها مُهرة حذائها سريعاً والتقطت مفتاح الشقة ونزلا سويا يهرولا الى حيث عمرو

..لم تستطع عزة أن تنتظر كثيرا وهى تراه من النافذه أندفعت تفتح باب الشقة لمقابلته لا تعلم كيف كانت تقفز درجات السلم ... كان قد سبقها وصعد السلم بقفزات اسرع وأوسع منها .. وأخيرا ألتقيا ... تعانقا .. تعانقا بقوة وأندفاع ,,كل منهما رمى بجسده باتجاه الاخر .. البكاء هو سيد الموقف .. كانت تشهق وهى بين ذراعيه وتضمه بقوة وهى تهتف باسمه بقلبها قبل شفتاها ... اما هو فقد ضمها الى صدره واغمض عينيه وهو لا يصدق انه رآها مرة اخرى ... أسرعت أم عزة تتصل بعبير وتخبرها بالامر .. صعد بها للأعلى وهى مازالت متعلقةً به ..دخلا شقتها بين والدها ووالدتها التى هتفت

- حمد لله على سلامتك يابنى

جلس على الاريكة وهو يلف كتفها بذراعه وتنفس بقوة وهو ينظر اليهم بشوق قائلا:

- الله يسلمكم..

كان الباب مفتوحاً ولم هناك مجالا لطرقه أندفع والده ووالدته وأخيه محمود نحوه يقبلانه ويعانقانه من بين دموعهما ثم تركوا المجال لاخيه ليعانقه بلهفة وشوق لصدر اخيه الاكبر الذى طالما استمع اليه وارشده فى حياته .. دخلت أم فارس بعدهم مباشرة وفى اعاقبها مُهرة ..أطمئنت أم فارس عليه ونظرت له متسائلة وهى تخشى السؤال عن ابنها حتى لا يأتيها خبر مفجع ... ولكن مُهرة لم تنتظر كثيراً فهى على يقين أنه بخير لو كان حدث له شىء كانت قد شعرت بذلك .. فقالت بلهفة:

- فين دكتور فارس ودكتور بلال يا بشمهندس

ابتسم عمرو والجميع محيط به وهو يقول:

- الحمد لله كويسين اوى وبيطمنوكوا عليهم

قالت أم فارس بلهفة بعد أن أطمئن قلبها:

- مخرجوش معاك ليه

هز رأسه نفياً وهو يقول:

- مش عارف مقدرتش أعرف حاجه خالص بس أطمنوا طالما أنا خرجت يبقى هما كان هيخرجوا قريب ان شاء الله.. بس هما كويسين والله وباعتين السلام ليكوا كلكوا وبيطمنوكوا

قالت أم فارس بجزع:

- ازاى يابنى بس ده الظابط اللى جه خده قعد يقول بتعمل قنبله فى بيتك

طمئنها عمرو قائلا:

- صدقينى يا طنط والله كويسين ومفيش تهمه متوجه لحد خالص وكل اللى عرفناه ان فى حد هو اللى شكنا بلاغ ووصى علينا بس مين هو ده منعرفوش لحد دلوقتى.. بس متقلقوش أنا هفضل ورا الموضوع ده مش هسيبوا غير لما أعرف

قال كلمته والتفت الى زوجته الجالسة بجواره ومستندة براسها على ذراعه وقال:

- أتصلى بأختك وطمنيها على جوزها

خرجت أم فارس ومُهرة من بيت والد عزة مُطرقين روؤسهما بحزن واسى لا يعلمان ماذا ينتظرهما فى المستقبل..

****

أستندت عبير الى ظهر سريرها وعينيها تلمع بالدموع ألتفتت الى الوسادة الخالية بجانبها والى الفراغ الذى كان يحتله جسده بجوارها وأرتسمت على جانبى شفتاها أبتسامة حزينة وهى تتذكر الرسالة الشفوية التى ارسلها مع عمرو .. وحشتينى أوى وبضمير ... تناولت وسادته وهى تستلقى على جانبها الايمن وأحتضنتها بقوة وهى ترويها بدموعها هامسة :

- وأنت كمان وحشتنى أوى يا بلال

طرقت والدته باب غرفتها فوضعت الوسادة مكانها ومسحت دموعها وأتجهت للباب وفتحته وعيونها المُعذبة تفضح حزنها ..أخذتها والدته من ذراعها وخرجت بها خارج غرفتها الى الاريكة التى يعتادون الجلوس عليها أجلستها كالاطفال وألتفتت اليها قائلة :

- عارفه يا عبير أول مرة أخدوا بلال فيها .. كنت هموت من الرعب والخوف عليه وكانت دماغى كل ثانيه تودى وتجيب مش عارفه عايش ولا لاء .. لما قعد هناك كام شهر وطلع بعدها .. حسيت أن بلال أتغير أوى ..أتغير للأحسن .. وساعتها قالى كلمة عاجبتنى أوى قالى الدهب لازم يتعرض للنار علشان يبقى نقى .. علشان كده مش عاوزاكى تخافى من المحن دى ... المحن دى اللى بتنقينا وتنضف قلوبنا وتشيل منها أى حاجه غير ربنا ...

أومأت عبير براسها وهى تنظر لها قائلة :

- معاكى حق يا ماما ... ثم قبلت كفها وقالت:

- ربنا يخاليكى لينا ..

ربتت أم بلال على راسها بابتسامه حنونه فقالت عبير :

- بعد اذنك يا ماما المركز مش هينفع يفضل مقفول كل ده ..أنا هتصل بالممرض اللى كان مسؤل عن المركز وأخاليه يرجع تانى وكل الناس اللى جلساتها اتلغت من غير سبب يتصل بيهم يقولهم ان المواعيد كلها أتأجلت علشان بلال مايفقدش المرضى اللى كانوا بيتابعوا معاه واهو يفضل فى المركز يعمل اللى يقدر عليه أكيد بلال كان بيعلمه شغله يعنى ممكن يمشى المركز شويه لحد ما بلال يرجع بإذن الله ..المهم المركز مايتقفلش ابدا

****

وقف عمرو أمام حجرة مكتب إلهام وتنفس بقوة ثم طرق الباب .. أتسعت ابتسامتها وهى تنهض من خلف مكتبها مسرعة نحوه بلهفة وقالت وهى تمسك بذراعيه :

- حمدلله على سلامتك يا حبيبى

أنزل عمرو يدها بهدوء ثم مد يده أمامها بورقة قائلا :

- ياريت حضرتك تقبلى استقالتى

نظرت الى الورقة ثم رفعت راسها إليه ثانية وهى تقول بإستنكار :

- أستقالتك !! .. ليه يا عمرو ليه كل ما أقرب منك تبعد عنى

أتجه نحو مكتبها ووضع الاستقالة عليه بهدوء والتفت لها عاقدا ذراعيه امام صدره قائلا :

- هكلمك بصراحه .. انا الاول كنت متردد فعلا وكنت بقول مفيهاش حاجه طالما مش بعمل حاجه غلط وبينى وبينك كنت معجب بكلامك ليا ..ابتسم ساخراً وهو يقول :

- راجل بقى وفرحان بشبابى وان فى واحده بتحبنى وعايزانى وبتعمل المستحيل علشان تقربلى

تجهم وجهه وهو يردف بصوت خرج من بين جدران السجون قائلا:

- لكن اللى شوفته يخلينى ابيع الدنيا دى كلها واعرف ان الدنيا دى متسواش حاجه ... ألتفت الى مكتبها وهو يستند عليه قائلا:

- فى عز الوقت اللى كنت فرحان بيه بنفسى وبوسامتى شوفت شباب صغير قد أخويا محمود بيتعذب ويتجلد ويتكهرب وفى الاخر يموت لمجرد أنه بيحافظ على صلاة الفجر لمجرد انه قال لظابط أتقى الله ... ألتفت اليها مرة أخرى وهو يقول :

- فاكره افلام زمان لما كانوا بيدفنوا المسلمين ويعطشوهم ويعلقوهم فى قريش علشان أمنوا بالله وبالرسول .. اهم الكفار دول كانوا بيتعاملوا بآدميه أكتر من الناس اللى كنا معاهم على الاقل محدش كان بيغتصب ست قدام جوزها ولا راجل قدام مراته ...

كل ده وانا كنت عايش مع نفسى ولا أعرف اى حاجه عايش علشان اكل واشرب والبس واشتغل وبس .. معرفش حاجه عن اللى بيحصل فى بلدى معرفش الظلم وصل لحد كده ازاى معرفش حاجه عن الناس اللى بتموت كل يوم من غير حس ولا خبر ولا كأنهم حيوانات ..

هتفت الهام مقاطعه :

- عمرو أنت شكلك اعصابك تعبانه خد أجازة ارتاح شويه

هز رأسه نفيا وقال بتصميم :

- اسف يا مدام أنا مصمم على الاستقاله ..

لمعت عينيها بالدموع وهى تحاول الوصول لنقطة أتفاق قائلة :

- طب اسمع بس يا عمرو خاليك فى الشركه وانا اوعدك انى مش هتكلم معاك تانى كلام يضايقك او يحسسك أنك بتعمل حاجه غلط

نظر لها بترقب وهو يقول :

- مقدرش .. مينفعش أحط نفسى فى الفتنه وأقول انا جدع وقدها وقدود

ابتلعت ريقها وقالت بتماسك :

- طب يا عمرو لو فى شغل بعيد عنى تقبله ؟

قال بشك :

- شغل ايه

ابتسمت بتوتر وهى تقول :

- شركتنا داخله شراكه مع شركة سياحة هنبنى فندق سياحى فى مكان جديد اسمه وادى الريان هنبقى أول فندق فى المكان ده ..المشروع ده ضخم ياعمرو وهيطلعلك منه مكفأة حلوه اوى ممكن تبدء بيها حياتك العمليه وتفتح شركة هندسة صغيره كده على قدك ... ها قلت ايه

صمت قليلاً يفكر فى الامر فقالت :

- متقلقش مش هتبعد عن بيتك كتير هتنزل أجازه يومين فى الاسبوع تلات شهور والمشروع يخلص مش كتير يعنى بالنسبة لشغلك

نظر إليها بتسائل وقال :

- وأشمعنى أنا اللى عاوزانى اشتغل المشروع ده .. ليه مدتيهوش لنادر ولا حد تانى غيرى

عقدت ذراعيها وقالت بخفوت :

- مش هينفع اجاوبك علشان وعدتك انى مش هقولك كلام يحسسك انك بتعمل حاجه غلط ها فهمت ولا اقول بصراحه ؟

صمت قليلاً يفكر ..وجدها فرصة من الممكن يبدء بها حياته بعيدا عنها وعن فتنتها وستضمن له مستقبل جيد بالحلال وأخيرا خرج عن صمته قائلا :

- موافق ... بس محتاج شوية وقت علشان عاوز اتابع موضوع صحابى اللى حضرتك مهتمتيش بأمرهم

ابتسمت وقالت بثقة :

- متقلقش هيخرجوا قريب .. اللى خرجوك هيخرجوهم ..هما بس معرفوش يطلعوهم معاك بسرعه علشان واحد فيهم متوصى عليه جامد والتانى أعتقل قبل كده ..استدار عمرو بإنفعال قائلا :

- معرفتيش مين اللى وصى عليه بالطريقة دى

تناولت خصلة من شعرها تلفها حول اصبعها وقالت بإستغراب :

- الحقيقة عرفت بس مستغربه اوى

قالت كلمتها الاخيرة ثم توجهت لمكتبها وجلست خلفه وهى تنظر اليه بتأمل وهو يقول متلهفاً :

- مين .. مين اللى عمل كده

مطت شفتاها وهى تقول ببطء :

- مراته

توجه نحوها وأتكأ على المكتب بقبضتيه وهو يقول منفعلاً :

- مرات مين

رفعت حاجبيها وقالت :

- مرات صاحبك المحامى ده

أتسعت عينيه وهو يردد بذهول :

- دنيا

رفعت كتفيها بحيرة وهى تقول :

- مش عارفه ..كل اللى عرفته ان مراته هى اللى بلغت عنه وحطت اساميكم معاه

هتف صائحاً بغضب :

- انتى متأكده من الكلام ده

مالت للأمام وقالت بثقة :

- طبعا يا عمرو المعلومه دى من فوق اوى

تركها وخرج مهرولا للخارج والغضب يعتمل فى صدره والغريب أنه لا يدرى لماذا تفعل زوجة بزوجها هذا مهما كانت بينهما خلافات ومشاحنات كيف تستطيع أن تفعل به ذلك ما الداعى إذن.. ما الداعى...!!!؟؟

****

هبت أم فارس واقفة وهى تهتف به مستنكرة :

- بتقول ايه يا عمرو انت اتجننت ولا ايه

وضعت مُهرة يدها على فمها فزعاً وهى تحدق به وهو يقول :

- زى ما بقولك كده يا خالتى اللى جابلى المعلومه هو اللى خرجنى من هناك قبلهم .. دلوقتى بقى انا عاوز أعرف ايه اللى يخلى زوجه تبلغ عن جوزها وعن صحابه كمان

جلست ام فارس هاوية وهى تقول بشرود :

- والله يابنى ما اعرف ..فارس مكنش بيحكيلى على حاجه خالص تخص حياته معاها

تدخلت عزة وهى تقول بحدة وغضب :

- علشان كده مكنش باين عليها الزعل ولا الخضه الحقيرة ...

كتمت مُهرة بكائها وهى تنظر اليهم غير مصدقة ما تسمع من هذه التى تعاشرة وتتعامل معه ثم تسىء عشرتها له بهذا الشكل الفج حتى وان ضاع الحب أين الانسانية أين الضمير كيف تجرؤ ...شعرت انها أنفصلت عنهم وجدانيا فى دوامة اخرى لا تسمع ولا ترى سوى أنفعالتهم امامها وكأنهم فى غرفة عازلت للصوت ... ظلت هكذا وأخيرا استطاعت أن تسمع هتاف عمرو وهو يقول :

- أنا هعمل المستحيل علشان أطلع تصريح بالزياره لازم اقابله واقوله على كل حاجه

لم تشعر بنفسها الا وهى تهتف برجاء قائلة :

- لا لاء حرام عليك مش كفايه عليه عذاب السجن كمان يعرف كده وهو مش عارف يتحرك ولا يعمل حاجه ولا قادر يعرف هى عملت كده ليه أنت كده هتزود عذابه

نظرت لها عزة نظرة متفحصة بينما قالت أم فارس :

- صح مُهرة معاها حق .. بس الله يخاليك يا عمرو تحاول تخالينا نزوره ..أحنا مش هنقوله على حاجه بس نزوره ونطمن عليه وحشنى أوى

هدأ عمرو قليلاً وجلس بجوار عزة قائلا :

- محدش يجيبلها سيرة اننا عرفنا حاجه ولو اتصلت كلموها عادى ... وأنا هروح للدكتور حمدى وهو ان شاء الله هيقدر يخالينا نشوفهم ونطمن عليهم

قالت أم فارس لوعة :

- ماهى قالتلنا انه تعبان وسافر يتعالج

نظر عمرو امامه بأشمئزاز وهو يقول :

- مش لازم نصدقها فى اى كلمه قالتها ..أنا هدور عليه بنفسى لحد ما الاقيه وبعدين ده اخو صاحبة الشركة اللى انا شغال فيها يعنى سهل أوصله ....

****

عاوزه أيه يا نورا أنا مش فايقالك ...

قالت دنيا عبارتها تلك وهى تستند الى ظهر مقعدها فى تأفف شديد بينما نظرت لها نورا بإستنكار وهى تقول :

- أنتى بتكلمينى كده ليه يا دنيا هو انا جايه اشحت منك وبعدين متنسيش أنى مديرة المكتب يعنى اسلوبك لازم يكون أحسن من كده معايا

ضربت دنيا سطح المكتب بعصبية وقالت بعصبية :

- مديرة على نفسك ..أنا يا ماما أبقى مرات فارس ودراعه اليمين هنا فى غيابه عارفه كده ولا لاء

عقد نورا ذراعيها بتحدى قائلة :

- الدكتور فارس مدانيش تعليمات بكده ولو حضرتك عاوزه تقعدى فى المكتب ده مكانه يبقى لازم هو اللى يقولى كده فى الاول

زفرت دنيا بقوة وقالت بتعالى :

- قولتلك مسافر مسافر أنتى ايه مبتفهميش

خرجت نورا مباشرة و صفقت الباب خلفها بقوة ودخلت مكتبها ..جلست خلفه بإنفعال وهى تضرب بأناملها بسرعه وتوتر وهى تمتم:

- أنا مش مستريحه ابدا للموضوع ده ..لازم الدكتور حمدى ياخد خبر

****

بعد خروج نورا مباشرة من حجرة فارس التى أحتلتها دنيا زفرت بضيق وغضب ولملمت أوراقها الخاصه لتنصرف ولكن رنين هاتفها أستوقفها وجعلها تنظر الى الرقم الغير مسجل لديها بتفكير ولكنها قررت أن تجيب المتصل وقالت :

- مين

أجابها المتصل ببرود :

- أنا حسن يا أستاذه دنيا

عقد ما بين حاجبيها وهى تقول :

- حسن مين

أجابها بنفس البرود :

- انا حسن اللى كنت شغال فى مكتب الدكتور حمدى معاكوا وبعدين روحت اشتغلت مع الاستاذ باسم

أومأت براسها وقد تذكرته وقالت :

- خير يا حسن فى حاجه

- خير يا استاذه كل الحكايه أنى عاوز سلفيه صغير منك حوالى نص مليون جنيه بس

أتسعت عينيها وهتفت ساخره :

- أنت بتكلمنى علشان تهزر معايا ولا أيه

- أنا مبهزرش معاكى ولا حاجه انا بتكلم جد ودخلت فى الموضوع دوغرى

عقد حاجبيها بشدة وقد شعرت بالخوف وقالت :

- أتكلم على طول

- زى ما قلتلك كده نص مليون

قالت بجمود :

- مقابل أيه

- مقابل اللى سمعته بيحصل بينك وبين الاستاذ باسم يوم ما جيتيله المكتب بالليل لوحدك وخرجتى متبهدله من عنده ومقابل أنك أتفقتى معاه انك تودى جوزك فى داهيه علشان تقسموا انتوا الاتعاب سوا وتهبروا الملايين لوحدكوا.. ها كده كفايه ؟

أتسعت عيناها وصاحت يه بغضب وسبته بشدة رافضة أبتزازة لها ثم قالت:

- وشوف بقى هيحصلك أيه من باسم لما يعرف انك كنت بتجسس عليه

ضحك حسن متهكما وهو يقول :

- بمنتهى البساطه لو قولتى لباسم هفضح حكاية التزوير اللى عملتوها فى القضيه

صاحت متهكمةً :

- شوف يا بابا أنت ..انا مش هجيب سيرة لباسم علشان بس أنا مبحبش أذى حد لكن تنسى حكاية الفلوس دى خالص واللى انت بتهددنى بيه مرمى فى المعتقل ولو ضايقتنى تانى هتحصله .. قالت كلمتها وأغلقت الهاتف بشدة وعنف

نظر حسن الى الهاتف وقال بغضب :

- ماشى يا استاذه لما نشوف .....

****

ضحك باسم ضحكات رنانة فى ذلك المكان العام المُطل على كورنيش النيل ثم قال :

- بقى فى حد فى الدنيا يقعد يتكلم فى قضيه على البحر كده معقول لسه بتخافى مني ده أنتى قلبك اسود أوى يا شيخه

مالت للامام وقالت بإنفعال :

- وطى صوتك شويه يا أخى الناس بتبص علينا

هدأت ضحكاته أخيراً وتحولت ملامحه للجدية مباشرة ثم قال :

- خلاص خالينا فى المهم ... الجلسة اللى فاتت كانت جلسة أجراءات شكليه بس زى ما أنتى شوفتى كده مجرد تسجيل أوراق وحضور المتهم وكلام من ده

الجلسة بتاعة بكره هى اللى لازم تبدعى فيها لازم تترافعى وأنتى واثقه من نفسك وعارفه بتقولى ايه ،، فاهمانى

أومأت برأسها بأنصياع وهى تقول :

- فاهمه ..هاخد المذكره اللى كتبتهالى دى أحفظها صم من النهارده لبكره

أخذ رشفة من القهوة التى وضعت أمامه وقال :

- برافوا عليكى ..عاوزك تصميها صم

نظرت اليه نظرة خاطفة ثم قالت :

- طب ممكن تدينى فكرة صغيره بس علشان تسهل عليا حفظها

تناول أخر رشفة قهوة من الفنجان ثم أزاحه جانباً وقال شارحاً:

- شوفى يا ستى دلوقتى المتهم أنكر معرفته بيها اصلا وقال أنها هى اللى ظهرت قدامه فجأة وملف القضية مفيهوش أقوال الشهود ولا محضر أثبات الواقعة الاصلى اللى عمله ظابط الشرطة .. اللى موجود دلوقتى قدام القاضى محضر الشرطة اللى أحنا مظبطينه واللى بيقول نفس كلام المتهم وده اللى بيثبت خطأ المجنى عليها وأنها هى اللى أندفعت فجأة قدام السيارة و المتهم مقدرش يتفاداها ... وده كان السبب فى موتها .. ومحامى المجنى عليها معهوش الورقة الاصليه اللى بثبت ان الحادثة كانت مقصوده ولا حتى صوره منها

ثم ظهرت نظرت خبيثه على جانبى شفتيه محاها سريعاً وهو يقول :

- وفى الحاله دى المحكمة مش هيبقى قدامها حاجه غير أنها تحكم بالبراءة ..

****

نهض الدكتور حمدى من مقعده وهو يتناول مفاتيح سيارته ويقول ل عمرو مسرعاً :

- تعالى معايا يا بشمهندس

توجها الى المكتب مباشرة بعد ان علم من عمرو ماذا حدث لفارس وماذا فعلت دنيا والبلاغ الذى قدمته ضده فى مباحث أمن الدولة وأكدت له أخته ألهام ماحدث وما عرفته من معلومات ...

تفاجأ جميع المحامين بدخول الدكتور حمدى بصحبة عمرو ..أبتسم البعض وغضب الاخر وهم ينظرون اليه وهو متجه لمكتبه فى عجلة من أمره ..فتحه بقوة متوقعا وجودها ولكنه لم يجدها ...

حضرت نورا فورا ونقلت بصرها بينهما بقلق بينما قال الدكتور حمدى بغضب :

- ليه يا نورا مكلمتنيش لما فارس أختفى فجأة كده

حدقت به بقلق وهى تقول :

- أختفى أزاى يا دكتور دى مراته قالتلى أنه مسافر

قال عمرو بحنق :

- مسافر .. اه يا بنت ال .. ولا بلاش ابوها كان راجل غلبان

هز الدكتور حمدى رأسه بقوة غير مصدق ما حدث فى غيابه وقال لها :

- لا يا نورا فارس مش مسافر ..فارس فى المعتقل ومراته هى اللى بلغت عنه وقدمت شكوى بالكذب ضده

عقد حاجبيه بغضب ثم قال لها محذرا:

- البت دى لو دخلت المكتب تانى تطردوها فورا فاهمانى ولا لاء

أومأت براسها موافقة وقد لمعت الدموع فى عينيها وقالت :

- طب ليه تعمل فى جوزها كده

نظر عمرو للدكتور حمدى وقال :

- طب وموضوع فارس والدكتور بلال هنعمل فيه أيه

شبك الدكتور حمدى يديه وهو يستند الى المكتب قائلا :

- الاول نعمل تصريح لوالدته تطمن عليه وتشوفه وبعدين نشوف هنعمل ايه علشان نطلعه منها هو وصاحبه

****

بكت مُهرة بقوة وأنسابت الدموع فى عينيها وهى بين ذراعى أم فارس التى قالت:

- خلاص بقى هدى نفسك شويه ..والله يا بنتى كان على عينى كان نفسى تيجى معايا بس عمرو بيقول مينفعش غير للقرايب بس

أنسابت دموعها أكثر وهى تقول :

- كان نفسى اشوفه حتى من بعيد من غير ما أكلمه

مسحت أم فارس على راسها وتمسح دمعها بيدها وتقول :

- أنا هقوله أنك بتسلمى عليه وانك كنتى عاوزه تيجى

هتف عمرو فى عجلة منه :

- يالا بقى يا جماعه لازم نتحرك دلوقتى الدكتور حمدى مستنينا بالعربيه تحت

تشبثت مُهرة بها وهى تقول برجاء :

- طب مش هدخل هستنى بره

نظرت لها أم فارس بإشفاق وقالت لعمرو :

- مينفعش يا عمرو يابنى تيجى معانا وتستنى بره

مطت عمرو شفتيه وهو يقول :

- ماهو انا كمان هستنى بره ..طيب يالا تعالى معانا ..قولتى لوالدتك

أومأت براسها وهى تقول :

- ايوا قلتلها... ثم أندفعت للداخل وهى تقول :

- ثوانى هجيب حاجه وأطلع على طول

دخلت مُهرة فتحت مكتبه وأحضرت أحد الصور لهما معاً وهى طفلة صغيرة ... ينظران الى بعضهما البعض ويخرج كل منهما لسانه للآخر بشغف طفولى ... وأخذت قلما وضعتهما فى حقيبتها وخرجت على الفور هاتفه :

- أنا جاهزة يالا بينا

نزلت خلفهم تهبط الدرج بسرعة ...أتصطدم عمرو بعلاء الذى كان صاعدا إليها .. وقال :

- معلش يا كابتن مخدتش بالى أصلى مستعجل

نظر له علاء بريبة وقال :

- هو مش أنت كان مقبوض عليك برضه طلعت أمتى

تغيرت نظرت عمرو له وقال بلهجة عدوانية :

- متكلم كويس يا اخى طب قول حتى حمدلله على السلامه

نظر له علاء نظرة متعاليه ثم نظر لمُهرة قائلا :

- أنتى رايحه فين مش أنتى عارفه أنى جاى دلوقتى خارجه كده على فين

نظر له عمرو بغضب ثم نظر الى مُهرة قائلا :

- خلاص يا مُهرة خاليكى أنتى يالا سلام

هتفت مُهرة وهى تستوقف أم فارس وتمسك بذراعها قائلة :

- لاء .. أنا جايه معاكوا

اشار لها علاء بالصعود قائلا :

- تروحى معاهم فين أتفضلى على فوق

تدخلت أم فارس قائلة له برجاء :

- معلش يابنى علشان خاطرى سبها تيجى معانا دلوقتى وابقوا أتكلموا بعدين ..

هبطت مُهرة درجة من السلم فتقدم نحوها يحذرها قائلا:

- بتكسرى كلامى يا مُهرة أنا اقولك أطلعى وانتى تنزلى معاهم عادى كده

نظرت له بتحدى وقالت :

- ايوا بسمع كلامهم اصل انا مش زيك عايشه علشان نفسى وبس مرضتش تتوسطلهم وتدخل اهو ربنا وجدلهم اللى يدخل ومن غير احنا منعرف اصلا

نظر لها نظرة ناريه وقال :

- لو كسرتى كلامى ونزلتى معاهم وسبتينى هطلقك ومش هسأل فيكى تانى فاهمانى

تدخلت أم فارس وقالت لها :

- خلاص يابنتى أطلعى مفيش داعى للمشاكل

هزت مُهرة راسها بعنف ونظرت له بتحدى وهبطت درجات السلم بثقة

وهى تقول لأم فارس :

- يالا بينا يا ماما هنتأخر

مرت بجواره وهو مصدوم من رد فعلها كان متوقع أن تهديده سيأتى ثماره معها وسترجع معه رغماً عنها ..شعر بالغضب الشديد واستدار اليها وهى تهبط درجات السلم امام نظرات عمرو وأم فارس المصدومه فناداها بغضب شديد ..ألتفتت إليه ببرود فقال بجمود :

- أنتى طـالـق

أبتسمت وكأنها لم تسمع شيئاً نظرت لعمرو وأم فارس قائلة :

- يالا يا جماعه هنتأخر

تحركت السيارة فى أتجاه حلوان نحو سجن طرة ... جلست مُهرة فى السيارة فى الخلف بجوار أم فارس وأم بلال وعمرو فى المقدمة بجوار الدكتور حمدى الذى كان يجلس خلف عجلة القياده وهو عاقد جبينه فى تركيز محاولا التفكير فى مخرج ما لتلميذه النجيب الذى طالما أعتبر نفسه اباه واستاذه وموجهه ...

ساد الصمت على الجميع داخل السيارة .. حتى قال الدكتور حمدى .. خلاص يا جماعه كلها ربع ساعه ونوصل .. قال كلمته ونظر لعمرو الذى كان ينظر الى الطريق قلقا لا يعرف لماذا راوده هذا الشعور كلما اقتربت المسافه كلما أضطربت نبضات قلبه وكأنه يقترب من الموت كلما اقتربت المسافه كلما راى وسمع ما حدث داخل السجون ورآه بعينيه وسمعه باذنه ونجاه الله تعالى منه بقدرته ...

بينما فى الخلف أخرجت مُهرة الصورة الصغيرة من حقيبتها وقلبتها على الوجه الاخر الابيض وأخرجت قلمها وهى تنظر الى أم بلال وأم فارس وهما منهمكتان فى الحديث ... أخذت نفساً عميقاً وكتبت بخط صغير منمق يعرفه جيداً ..

- الحب الحقيقى هو الذى يرسم لك طريقاً تتلمس فيه ..أجمل الذكريات ..أفضل العطاء .. حُسن الاخذ .. سكن البُعد ...مودة القرب ... فإن لم تجد فيه غير الشقاء فاعلم أنه ألم متنكر .. أنزع عنه قناع الحب وأتركه وارحل ...بلا اسف ...

أمضاء

الفارس الصغير

****

الفصل الثامن والعشرون

عانق كل منهما والدته فى لهفة وشوق كبيرين وقبلا راسيهما وأيديهما بدموع العيون ..كانت كل منهما تنظر إلى ولدها غير مصدقة أن الله سبحانه وتعالى قد مد فى عمرها حتى رأت ولدها حى يرزق من جديد .. كان العناق بالقلب والعيون أكبر شوقاً من عناق الاجساد .. جلسوا بجوار بعضهما البعض غير مصدقين هذه اللحظة التى جائتهم منحة من الله

عزوجل فى عز أزمتهم المظلمة بين جدران السجون ... صافح الدكتور حمدى ، بلال ، وهو ينظر إليه بإعجاب شديد بينما ربت على كتف فارس مشجعاً وهو يقول بتاثر :

- أنا عارف أنك راجل يا فارس وهتتحمل الازمة اللى بتمر بيها وهتخرج ان شاء الله انت وصاحبك قريب أوى

أومأ فارس برأسه ممتناً وهو يقول :

- متشكر أوى يا دكتور على اللى عملته معانا

ربت حمدى على يديه وهو يشد عليها قائلا:

- هو أنا لسه عملت حاجه يا راجل ...أجل الكلام ده لما تطلعوا ان شاء الله من هنا

مال بلال على والدته قائلاً :

- عبير والولاد عاملين ايه يا ماما ... كويسين ؟

عانقت يدها يده وهى تقول بإشفاق :

- كويسين يابنى وزى الفل متقلقش عليهم أبداً .. وبيسلموا عليك أوى وعبير بتقولك رسالتك وصلتها وأنت كمان وحشتها أوى ومستنياك على نار

شرد قليلاً وهو ينظر امامه بوجوم قائلاً :

- وحشونى اوى ..... ثم أعاد النظر اليها قائلاً :

- كلكوا وحشتونى أوى يا أمى

لمعت الدموع فى عينيها وهى تقول :

- عبير كانت عاوزه تيجى معانا بس أنا مرضتش أجيبها معايا علشان عارفه رايك فى الحكايه دى كويس

قبل يدها وقال بحنان:

- كويس يا أمى أنك عملتى كده أنا محبش مراتى وولادى يجوا مكان زى ده ولا حد من اللى هنا عينه تقع عليها

نظر الدكتور حمدى لفارس وقال بأهتمام:

- فى حد حقق معاكوا يا فارس

هز فارس رأسه نفياً وهو يقول :

- لا يا دكتور مشوفتش أى محقق خالص من ساعة ما روحت أمن الدوله لحد دلوقتى ..

ثم مال عليه قليلاً وقال :

- مفيش غير واحد صاحبى ربنا بعته لينا هناك وهو اللى جابنا هنا من كتر خوفه علينا من اللى كان هيحصلنا هناك

نقل الدكتور حمدى بصره بين فارس ووالدته وقال موجهاً حديثه لفارس :

- هو أنت فى عداوة بينك وبين حد معين يا فارس

أعتدل فارس وهو يفكر بتركيز شديد ثم قال :

- أنت عارف شغلنا يا دكتور ممكن يبقالك أعداء مش راضين عن طريقة شغلك لكن حتى لو فى عداوة معتقدش حد يفكر يبهدلنا بالشكل ده

نظر الدكتور حمدى لوالدته نظرة ذات معنى ثم قال :

- غريبة

حاولت أم فارس تغير مجرى الحديث قائلة :

- على فكره عمرو ومُهرة بره وبيسلموا عليكوا أوى

نظر بلال إلى أم فارس قائلاً :

- أيه ده بجد وعمرو جاله قلب يرجع هنا تانى

نظر له فارس وأبتسما سويا فى وقت واحد ولكن فارس تغيرت ملامحه وأنتبه فجأة وهو يلتفت لوالدته متفاجأً

وقال :

- وأيه اللى جاب مُهرة هنا يا ماما إزاى تجيبيها معاكى يا ماما بس

تابع بلال الحديث بأهتمام عندما قالت أم فارس :

- والله يابنى أنا وعمرو غلبنا فيها وأتحايلنا عليها كتير تستنى فى البيت بس هى اللى كانت مصممه تيجى تشوفك وتطمن عليك حتى لما عرفت أنها مش هينفع تدخل علشان مش من قرايبك برضه صممت تيجى وقالت هستناكوا بره ..

ثم نظرت إليه نظرة ذات معنى وهى تقول :

- حتى علاء معرفش يمنعها

ألتفت بلال الى فارس الذى ظهر الضيق على وجهه وهو يقول :

- مكنش ينفع تيجى يا ماما كان لازم انتى اللى تمنعيها مش الواد اللى اسمه بتاع ده

أبتسمت والدته وهى تقول قاصدة :

- اذا كانت مخافتش من تهديده بالطلاق وصممت تيجى معانا حتى لما طلقها ولا همها حاجه ونزلت وسابته واقف يرن

عقد فارس ما بين حاجبيه وهو ينظر فى عينيها التى كانت تحمل معانى كثييرة وقال ببطء :

- طلقها .... ؟!!

نظرت الى عينيه وهى تقول :

- ايوا طلقها ... ثم قالت مؤكدة :

- كل ده علشان تجيلك

ألقى بلال نظرة سريعة على فارس ثم أعاد راسه الى والدته وأكمل حديثه الخاص معها تاركاً فارس فى حيرته ...أمسكت والدته يده بشكل تلقائى حتى لا يلاحظ أحد ووضعت الصورة المطوية فى راحت يده ثم همست له وهو ينظر ليده بدهشة :

- وباعتالك الصورة دى

قبض فارس على الصورة المطوية داخل قبضته ثم تابع حديثه مع الدكتور حمدى بشكل طبيعى ولكن عقله كان يعمل فى أتجاه آخر ...

****

أنتهت الزيارة وتفرق الاحرار فمنهم من خرج لعالمه ومنهم من عاد لجدران سجنه الكئيبة ... جلس فارس على فراشه وأخرج الصورة من راحته وفتح طياتها بهدوء ...نظر الى الصورة وأبتسم ..كانت ملامحهما المشاكسة فى الصورة كفيلة بجلاء صدرة من أى هم وحزن يعتمل به... طفلة وصبى يتشاكسان بطريقتهما الخاصة ... أتسعت ابتسامته وهو يتأمل فى الصورة ..

جلس بلال بجواره وهو ينظر لأبتسامته الواسعة التى أحتلت شفتيه ثم مال عليه وقال بخفوت :

- مش هتقرى الرساله اللى ورا الصورة دى

قلب فارس الصورة على الجانب الابيض منها ومرر عينيه بين سطور كلماتها وهو يتمتم هامساً بما خطت يدها الصغير ...قرأها مرة ثانية وثالثة فى صمت ما إن تصل عينيه إلى آخر كلمة فيها حتى تعود إلى أولها من جديد محاولاً فهم ما بين سطورها بصعوبة شديدة

وضع بلال يده على ذراع فارس وهو يقول بخفوت :

- ها يا فارس

رفع رأسه إليه وقال بعينين حائرتين :

- نعم

أقترب بلال منه أكثر وقال هامساً:

- أنت قولتلى من كام يوم أنك هتنفصل عن مراتك بس مقولتش أيه السبب ساعتها

حاول فارس أستجماع شتات نفسه الحائرة وهو يقول:

- مشاكل يا بلال ... مشاكل مالهاش دوا ومش هينفع يبقى ليها حل غير الانفصال وعموما أحنا متفقين على كده من زمان وهى موافقة ومرحبه كمان .. الموضوع منتهى خلاص

نظر بلال الى عينيه بعمق وقال بجدية :

- مُهرة ليها علاقة بالمشاكل دى ؟

رفع فارس حاجبيه متعجباً من سؤاله وهو يقول :

- وأيه علاقة مُهرة بالموضوع ده

حرك بلال راسه بلامبالاة وهو يقول :

- يعنى ممكن تكون مراتك أصلاً مضايقة من أهتمامك بمُهرة وأهتمام مُهرة بيك

تبسم فارس ساخراً ثم قال :

- لالا الموضوع مش كده خالص الحكاية أكبر من كده بكتير

ثم نفض رأسه وهو يقول بثقة :

- وبعدين يعنى أهتمامى بمُهرة شيء عادى ده انا اللى مربيها وهى بتعتبرنى مثلها الاعلى فى الحياة

نظر الى التوقيع واشار إليه بأصبعه وهو يقول له :

- شايف موقعه أيه تحت ... الفارس الصغير

أبتسم بشرود وهو يقول بإعجاب :

- طول عمرها بتحب تقلدنى من وهى عندها سنتين

وأردف ضاحكاً وهو يكمل حديثه :

- عارف يا بلال لما بقى عندها تلات سنين كانت بتشد التيشرت بتاعى من دولابى وتقعد تلبس فيه ساعه لحد ما تنجح تلبسه فى الاخر ويبقى طويل عليها وتقعد تتكعبل بيه وهى ماشيه ..وتبسم ضاحكاً وهو يقول :

- أصلها طول عمرها أوزعه ... وبرضه مكنتش بتحرم أبدا ترجع تاني تلبس قمصانى وهدومى

أبتسم بلال رغماً عنه بتأثر وهو يخفى ضحكاته الخافته ويستمع الى نبع ذكرياته المتدفق قائلا:

- مفيش يوم كنت برجع فيه من بره الا وألاقيها واقفالى على السلم مستنية العسليه والحلويات بتاعتى

ألتفت الى بلال وهو يقول مؤكداً:

- ولعلمك هى رغم حبها للحلويات والعسلية لكن عمرها ماخدتها من حد غيرى ابداً

ثم شرد مرة أخرى ناظراً للفراغ وقال :

- هى كده على طول فى كل حاجه .. مبتسمعش كلام حد غيرى مبتستناش هدايا غير مني عمرها ما فرحت بهدية قد ما تكون هدية انا اللى جايبهالها علشان كده لما كانت تعبانه بعد ما أتجوزت دنيا كل اللى فكرت فيه ساعتها أنى أجيبلها هدية علشان افرحها بيها ... ساعتها مجاش فى بالى خالص أنى مينفعش أجيبلها هدية دلوقتى كل اللى كان فى بالى أنى أدخل السعادة على قلبها وبس ...

ظهر الضيق على ملامحة فجأة وقال حانقاً :

- المره الوحيدة اللى مخدتش رأيى فيها فى حاجه تخصها هى المره اللى وافقت فيها على الواد اللى اسمه علاء ده .. ومش عارف ليه عملت كده .. يمكن بقى أتكسفت مش عارف

حرك بلال رأسة بتعجب شديد ومال للأمام وهو يضع يده على الصورة بين يدى فارس قائلاً:

- أنا مش عارف أزاى راجل ناضج زيك عنده 28 سنة ومش قادر يحكم على مشاعره ويفهمها صح ..

ونظر إلى عينيه بثقة واردف قائلاً :

- شوف يا فارس أنا واخد بالى من الحكاية دى من ساعة ما مُهرة تعبت يوم جوازك وأنت مكنتش عاوزنى أدخل أشوفها ولا أنا ولا الدكتور اللى كان معايا ومن ساعة ما كانت واقف قدام قاعة المناسبات وعروستك قاعدة فى العربية مستنياك وأنت مش عاوز تسافر وتسيبها تعبانه لوحدها .. وحكاية ضربك لعلاء على السلم مكنش علشان شوفته بيتعامل معاها وحش وبس لاء ..قال كلمته الاخيرة ونظر بعمق داخل عينيه وهو يقول :

- أنت كنت غيران منه ومستنى أى فرصة علشان تعمل فيه كده وتفش غلك فيه ..

أتسعت عينيى فارس وهو يستمع الى بلال الذى تابع قائلاً :

- وأنا من وقت ده ما حصل وأنا كنت بفكر أقولك بس كنت متردد أنى أفتح معاك الموضوع ده .. أولا لانى مكنتش أعرف حكاية الطلاق اللى أنت ومراتك كنتوا متفقين عليها دى وخصوصا كمان أنها مجاتش النهارده مع والدتك وأنت مسألتش عليها كمان .. ثانياً أنها كانت وقتها متجوزه هى كمان ومكنش ينفع بأى حال من الاحوال نجيب سيرة واحدة متجوزة فى كلام زى ده ... رغم أنى كنت متأكد من مشاعرها ناحيتك ...

هتف فارس قائلاً بحيرة ممزوجة بلهفة واضحة :

- يعنى أيه عرفت مشاعرها ناحيتى وعرفت أزاى ومن مين

أبتسم بلال وهو يرفع حاجبيه قائلاً :

- هقولك يا سيدى .. يوم فرحك لما كانت تعبانه وسخنه وانا دخلت أشوفها هى حمى ولا سخونيه عاديه ..كانت بتهلوس باسمك وبتقول متسبنيش يا فارس بس صوتها مكنش باين وأمها من كتر العياط اللى كانت بتعيطه مكنتش واخده بالها لكن اللى أنا متأكد منه أن والدتك خدت بالها هى كمان زيى بالظبط ...

أخذ بلال نفساً عميقاً يملىء به رأتيه وقد شعر أنه بلغ جهداً مضنياً وهو يحاول أن ينتقى كلماته وفى نفس الوقت يقرأ ملامح فارس وردود فعله السريعة الواضحة التى كانت تظهر عليه على اثر كلماته ثم زفر ببطء وقال :

- وأظن بقى بعد ما كل اللى حصل ده وبعد ما هى أطلقت وأنت كمان هتسيب مراتك زى ما قولتلى يبقى مينفعش بعد كده غير الحلال ..

شد على يده وهو يقول بجدية :

- عجل بالحلال يا فارس أول ما تخرج من هنا إن شاء الله ...أنا لولا أنى عارفك وعارف أخلاقك أنا مكنتش قلتلك كل ده وكنت خفت عليك من تصرفاتك ومشاعرك معاها.. لكن انا علشان عارفك كويس وعارف أنت هتعمل أيه لما اصارحك بمشاعرك دى ..قولتلك ونبهتك وعارف أنك هتاخد الخطوة الصح

نظر فارس لبلال بدهشة وهو يتابعة بعينيه وبلال ينهض واقفاً ويقول مداعباً :

- أصلاً أنتوا بصراحه حالتكوا صعبه أوى أنتوا الأتنين مينفعش فيها غير الحلال

تركة بلال وأتجة إلى فراشة وفارس مازال يتبعه بعينيه فى حالة ذهول شديدة يقاومة عقلة بشدة وهو يتردد داخلة كلمات بلال ..

خفض رأسة إلى الصورة مجدداً ومرر عينية على حروفها ثانيةً لتتسلل إلى عقلة وتفتح أبوابة المغلقة ليهرع قلبة إلى أجراس عقلة يدقها فى صخب عنيف منادياً مستصرخاً ثائراً قائلاً:

أيا عقلى فصدقه حبيساً بين قضبانى ... أنا المسجون لو تعلم وأنت الآن سجانى

ضممتُ حبيبتى دوماً سنيناً بين جدرانى .. فكيف الآن تأمرنى بكبح جماح وجدانى

فدعنى أنطلق شوقاً إلى سكنى وعنوانى ... ودعنى أرتوى عطشاً وأسكن نهر بستانى

فلا تعجب على قلبٍ كنتُ أظنه ينسانى ... فرسم اليوم لى نبضاً فأصبح كل ألحانى

و خط اليوم لى شعراً فأطربنى وأشجانى ...وأرسل لى بصورتة فأيقظنى وأحيانى

****

صُفعت صفعة قويةً أردتها إلى صدر أمها وهى تبكى بشدة ووالدها يصرخ بها مهدداً :

- أطلقتى يا مُهرة ..أتطلقتى .. وعلشان أيه علشان عاوزة تمشى كلامك على جوزك علشان دماغك ناشفة وعاوزة تتكسر ستين حته ..أنا بقى هكسرلك دماغك دى وهرجعك لعلاء غصب عنك

هتفت أمها باكيةً وهى ترجوه قائلةً :

- مش كده يا ابو يحيى حرام عليك البت هتموت فى أيدك

صرخت مُهرة وهى تشهق بقوة وتلتقط أنفاسها بصعوبة:

- مش هرجعله حتى لو قطعتنى مش هرجعله حرام عليك يا بابا أنا بكرهه بكرهه حرام عليك

جذبها من شعرها إليه بقوة جعلتها تصرخ بشدة من الالم ونظر الى عينيها بتحدى هاتفاً بغضب :

- ماهو يا ترجعيلة يا هحسبك هنا فى البيت ..مش انتى أمتحاناتك بعد كام يوم .. مفيش دروس ولا مراجعات ولا خروج ولا أمتحانات كمان ولا مدارس تانى وأبقى شوفى بقى دماغك الناشفه دى هتوديكى لفين ..لم يكتفى بألقاء توعده لها فقط وأنما ألقاها هى الاخرى بعنف وقوة جعلتها ترتطم بالجدار لتسقط مغشياً عليها فى الحال ...

****

كانت الساعة الثامنة صباحاً وبدت قاعة محكمة الجنايات خاوية إلا من بعض المنتظرين لقضاياهم التى سوف تُنظر اليوم .. وكان من بين هؤلاء الأستاذ أسامة محامى المجنى عليها الذى جلس فى الصف الأمامى وقد شرد بعقلة قليلاً وهو يتذكر اليوم الذى دخل فيه على سكرتير المحكمة وأطلع على أوراق القضية وقام بتصويرها وقد أكتشف أن محضر الشرطة تم تزويرة ومن بينهم اقوال الشهود حول الحادثة وقد تأكد لدية دون شك أنه تم تزويرة عمداً ولكنه تأكد ايضاً أن لكل مجرم لابد أن يترك خلفه أثراً ما يدل على جرمه وأبتسم ابتسامة أنتصار وقد وقعت عينيه على مقدمة محضر تحقيقات النيابة أو صدر محضر تحقيقات النيابة كما يقولون والذى كانت هناك فيه جملة تشير إلى الأقوال الحقيقة للشهود ولكن المزور لم يلتفت إليها ...

أستفاق من شروده على صوت والد المتهم وهو يحادث دنيا بنبرة قلقة مضطربة وهو يقول لها :

- أومال فين الاستاذ فارس يا استاذة مش قلتى انه هو اللى هيحضر ويترافع

قالت دنيا بفتور وهى تجلس أمامه وبجوارها وائل وتقول :

- الأستاذ فارس تعب جدا أمبارح بالليل ومكنش ينفع خالص أنه ينزل النهاردة وبعدين مالك حضرتك خايف كده ليه هو أنا هترافع من دماغى هو اللى كاتب المذكرة وأنا هقول اللى فيها وخلاص يعنى مش هجيب حاجه من عندى متخافش ...

قالت كلمتها وهى تنظر إلى الاستاذ اسامة محامى المجنى عليها وإلى لحيته نظرات ساخرة فظهرت على شفتيه ابتسامة متهكمة وهو يهز رأسه سخرية منها وهو يتمتم بخفوت :

- متآمر وأهبل ..الأتنين !!!!!

حضر القاضى وهيئته القضائية وبدأت وقائع الجلسة بأثبات حضور المتهم ودفاعة واثبات حضور المحامى الموكل عن المجنى عليها وسمحت المحكمة لمحامية المتهم بالحديث وبدأت دنيا فى سرد ما حفظته عن ظهر قلب من المذكرة التى اعطاها اياها باسم . حتى وصلت إلى نقطة أقوال الشهود وأكدت على أن اقوال الشهود أثبتت خطأ المجنى عليها وأنها هى المتسببة فى الحادث وعندما أنتهت من مرافعتها سمحت المحكمة بدفاع محامى المجنى عليها

وبدأ الأستاذ اسامة بمرافعته وقال بأن أوراق المحضر قد تم تزويرها وإخفاء أقوال شهود الإثبات وانه قد حدث تزوير متعمد فى أقوال الشهود .. ثم قدم الدليل الدامغ على صدق إدعائه بأن فجر قنبلته فوق رأس دنيا مباشرة حينما ذكر للمحكمة بأنه قد ورد في صدر محضر تحقيقات النيابة إشارة إلى أقوال الشهود الحقيقية المخالفة لأقوالهم الذي حواها المحضر المزور ...

وأثبت وقوع تناقض بين ما ورد في صدر محضر تحقيقات النيابة بخصوص أقوال الشهود التى تدين المتهم وبين المحضر المزور الذى بين يدى عدالة المحكمة الآن بخصوص أقوال الشهود التى تدين المجنى عليها بأنها هى المتسببة فى الحادث ...

وأكد على أنه قد تم أستبدال المحضر الحقيقى بآخر مزيف وطلب فى نهاية المرافعة إستدعاء ضابط الشرطة محرر محضر إثبات الواقعة وشاهدي الإثبات للإدلاء بأقوالهم وإستجوابهم بشأن الحادث ...

كما أكد على أننا أمام جريمة أخرى إنبثقت من داخل الجريمة الأصلية ألا وهي جريمة تزوير في أوراق رسمية

إستجابت المحكمة لطلباته وأجلت القضية أسبوعين لإستدعاء الضابط والشهود ...

وقعت المفاجأة مدوية على دنيا وزلزلت أركان خطتها كاملة وتبادلت النظرات الحائرة مع وائل وخرجت مهرولة من القاعة وهى تجرى إتصالا هاتفياً بباسم تستنجد به مما حدث .. أجابها باسم ببرود :

- ومالك قلقانه كده ليه مفيش مشكله ...أنا هجيبلك أرار الظابط ده هو والشهود وهبعت وائل يتفاوض معاهم زى ما حصل قبل كده ...

هتفت به وهى تتلفت حولها قلقاً :

- ونفرض بقى الظابط ولا حد من الشهود مرديش يغير كلامه ... أنت شكلك كده حاطط إيدك فى الميه البارده علشان اسمك بعيد عن كل حاجه

قال بثقة :

- اللى ميرضاش بالذوق هيرضى بالعافيه ..أنتى باين عليكى لسه متعرفنيش كويس .. بكره هبعتلهم وائل يخلص معاهم هما التلاته علشان نعرف مين معانا ومين ضدنا ونتصرف على الأساس ده

شعرت بالتوتر الشديد والخوف وهى تقول بإضطراب :

- يعنى أيه اللى ميرضاش بالذوق يرضا بالعافيه دى فهمهالى

صمت قليلا ثم قال بجمود أرعبها :

- هو بالظبط اللى أنتى فهمتيه ده مالهاش معنى تانى .. يا أما يحضروا ويقولوا اللى أحنا عايزينه يا اما تتقدم شهادات وفاتهم للقاضى ...

****

وضعت عزة رأسها على صدر زوجها وقالت بحزن :

- يا عمرو أنا مصدقت أنك رجتعلى بالسلامة تقوم تسيبنى وتسافر تانى

مسح على شعرها بحب وقال :

- مش سفر زى ما أنتى فاكرة يا حبيبتى ده أنا هاجى يومين فى الاسبوع وبعدين كلها كام شهر والفندق يخلص ونطلع بمبلغ كويس نبدأ بيه حياتنا

رفعت رأسها من على صدره ونظرت إليه وقالت بغيرة واضحه :

- طب وأشمعنى بقى صاحبة الشركة مهتمية بيك أنت بالذات بالشكل ده

نظر إليها وقال بحذر :

- تقصدى أيه

رفعت كتفيها وهى تقول بتبرم :

- قصدى أنها سألت عليك ولما عرفت اللى حصلك فضلت ورا الموضوع لحد ما طلعتك وطلعتك لوحدك كمان وبعدين قالتلك أن دنيا هى اللى بلغت عنكم وبعدين تديك شغل مهم وفيه فلوس كتيرة كده ..كل ده ليه ؟ !

مسح على وجنتها بظهر يده وهو يقول بمرح :

- أنت بتغير ولا أيه يا جميل

أمسكت بيده بين راحتيها وقالت بخفوت :

- أه طبعاً بغير مالها مهتمية بيك كده

ضحك ضحكة هادئة ونظر الى عينيها وقال :

- أنتى عارفه اللى بتغيرى منها دى عندها كام سنه ؟! وبعدين أنتى عارفه كويس أوى أن محدش بيملى عينى غيرك ..صح ولا لاء

نظرت إليه بشك وهى تقول:

- مش عارفه يا عمرو هدوئك ده مش مطمنى خالص

ضحك مرة أخرى وظهر عليه الاستمتاع بالحديث وهو يقول :

- ليه بس يا حبيبى

أستندت الى ظهر الاريكة وعقدت ذراعيها أمام صدرها ثم قالت :

- أصل أنت من عوايدك يعنى أنى لما بقولك حاجه غلط بيبان عليك أنك مضايق وبتقعد تدافع عن نفسك لكن دلوقتى هادى كده زى ما تكون بتأكدلى أحساسى

ضرب كفاً بكف وهو يحرك راسه متعجباً منها وقال :

- والله أنتى مجنونة يا حبيبتى

نظرت إليه بدهشة فأومأ براسه مؤكداً وهو يقول بمرح :

- اه والله مجنونة صدقينى .. يعنى أنا أتعصب تقوليلى أنت عصبى وبتتخانق أبقى هادى وارد بهدوء تقوليلى هدوئك مش مريحنى ..اعمل فيكى أيه دلوقتى

نظرت إليه وقالت بجدية :

- شفت بقى أنت بتوهنى ازاى وبتهرب من الكلام

لف ذراعه حول كتفها وجذبها إليه وقال :

- طيب أنا هريحك .. أولا الست دى أكبر منى بكتير جدا ومتجوزة راجل أعمال و ملياردير ومديها الشركه دى تديرها بما أنها مهندسة يعنى وانا واحد من مئات المهندسين اللى شغالين عندها زيى زى غيرى ..كل اللى يميزنى أنها عارفه أنى أهم الدكتور حمدى أخوها علشان كده لما الاستاذ صلاح سأل عنى لما غبت وده طبيعى طبعا أى موظف يغيب لازم يعرفوا غايب ليه ... وعرف منك اللى حصلى قالها وهى علشان عارفه انى أهم الدكتور حمدى أدخلت فى الموضوع بمعارفها الكتير وطبعا كده ولا كده كانت هتعرف بموضوع دنيا والست كتر خيرها قالتلنا علشان ناخد بالنا منها ...أما بقى موضوع الشغل فترشيحها ليا للسفر فدى حاجه تشكر عليها هى عارفه انى فى بداية حياتى وعاوزه تخدمنى علشان خاطر أخوها برضه .. ها اقتنعتى ولا لسه ..؟

نظرت إليه بعيون غير مطمئنة ولكنها لم تجد ما تقوله .. أستطاع أن يسكتها ولكنه لم يستطع أن يقنع نفسه بما قال دارت الشكوك براسه مرة أخرى ولكنه نفضها جميعا عندما سمعها تقول :

- عمرو أنا بجد متشكرة اوى

التفت إليها متعجبا وهو يقول :

- متشكره على ايه

قالت بابتسامة رقيقة :

- علشان وافقت انى اروح لدكتورة واشوف موضوع الحمل ده اللى اتأخر ..

نظر أمامه بشرود ثم قال :

- أنا كنت غلطان يا عزة أنا كنت بفكر فى نفسى وراحتى وبس مفكرتش فى مشاعرك أنتى ورغبتك فى انك تبقى أم زيك زى أختك تمام ،، نفسك يبقى عندك ولاد كده زيها تربيهم وتهتمى بيهم وتشبعى غريزة الامومه فيهم ...لكن الحمد لله انى أنتبهت لخطأى ده بدرى

..اللى شوفته فى المعتقل ده خلانى اراجع أمورى فحاجات كتير أوى فى حياتى واحس انى تافه واانى ومبفكرش غير فى نفسى

لاحظت عزة الوجوم الذى ظهر على قسمات وجهه وأحتلها بضراوة مما غير ملامحه كثيراً .. شعر باناملها تعبث بوجنته وهى تقول هامسة:

- أنا بحبك فى كل حالاتك

أبتسم وهو يلتفت إليها وقد عادت إليه روحه المرحه وقال :

- وبعدين الحمل متأخرش ولا حاجه أنا اللى مكنتش هنا

ضحكت بدلال وهى تقول :

- عمرك ما هتتغير أبدااااااا ......

****

جلست أم فارس بجوار مُهرة على طرف فراشها وأخذتها بين أحضانها ومسحت على شعرها بحنان ثم نظرت الى والدها وقالت بغضب شديد :

- أنت أزاى تعمل كده فى بنتك يا ابو يحيى مش حرام عليك

لوح والدها بيده وهو يقول بعصبية :

- معلش بقى يا ست أم فارس دى بنتى وأنا حر فيها اضربها أموتها محدش له عندى حاجه

أطلت من عينيها نظرات غاضبة ولاول مرة تخرج عن شعورها وتتكلم بعصبية شديده وأخذت تهتف به قائلة :

- بنتك؟! .. تعرف ايه أنت عن بنتك .. بنتك دى أنا اللى مربياها كانت بتقعد عندى أكتر ما كانت بتقعد فى بيتك كانت بتلجألى وتحكيلى مشاكلها أكتر من أمها نفسها لما كانت بتتعب ونوديها للدكتور ويكشف عليها ويسألنا عن أسامى الادويه بتاعتها ولا تعبت أمتى أمها مكانتش بتعرف أنا اللى كنت برد مفيش دكتور روحناله الا لما افتكر أن أنا اللى أمها مش مراتك يا ابو يحيى .. ابنى كان بيعلمها ويوجهها ويذاكرلها وأنت حتى متعرفش هى فى سنه كام ... أنت كنت بتخرج الفجر ترجع بعد نص الليل وأمها كانت بتخرج بتشتغل علشان تكفى

طلباتها هى ويحيى وكنتوا بتسيبوها لوحدها فى البيت وهى عيله لسه صغيرة أتربت فى حضنى وكبرت فى حضنى .. بكت أم يحيى كثيرا وهى تستمع لكلمات أم فارس ولقد كانت تعلم أنها محقة ..

تابعت أم فارس وهى تشير إلى مُهرة وتقول :

- بصلها كده بعد ما كبرت وبقت عروسه وشوف لبسها وأخلاقها وطريقة تعاملها مع الناس علشان تعرف أنى عرفت اربى صح وشوف كده لو كانت فضلت قاعده لوحدها وأنتوا سابينها مع اخوها وصحابه والمدرسين الرجاله اللى كانوا داخلين خارجين لما كان يحيى فى الثانويه العامه وشوف كانت ممكن يحصلها ايه ..

وكل ده وأنت بعيد متعرفش عنها حاجه ... ضمت مُهرة أكثر الى حضنها وهى تصرخ بهما ... حد فيكوا عمره سألها مالك .. حد فيكوا عمره عرف حتى أسامى اصحابها ايه واصحابها شكلهم أيه .. حد فيكوا عارف قلبها فى ايه بتحب ايه وبتكره ايه ... محدش فيكوا يعرف عنها زيى أنا ...

جاى دلوقتى وتقولى بنتى وأنا حر فيها أموتها واضربها أنا حر ..

وهبت واقفة بصرامة وجذبت مُهرة من يدها وأخذتها تحت ذراعها وقالت لهما بقوة لا تعرف كيف واتتها حينها :

- البت دى بنتى انا وهاخدها عندى ومحدش فيكوا هيقربلها والواد اللى اسمه علاء ده لو هوب ناحيتها هخلى عيال الشارع يطلعوه من هنا بفضيحة ..

جذبتها خلفها وهى تقول بحسم :

- يالا يا مُهرة

أنصرفت بها أم فارس أمام أنظارهم المبهوتة ينظران لبعضهما البعض وكل منهما يحاول أن يحمل الاخر مسؤلية أهماله وسوء تصرفه ...

****

أستطاع باسم الحصول على رقم هاتف الضابط محرر محضر القضية وأتصل بـوائل وأعطاه رقم هاتفه وطلب منه أن يقابله فى مكان عام ولا يذهب إليه فى قسم الشرطة ... بالفعل قام وائل بالاتصال بالضابط وأتفق معه على مقابلة سريعة فى مكان عام ...

ذهب الضابط لمقابلة وائل وجلس أمامه وهو ينظر إليه نظرات جامدة خاليه من أى تعبير وقال :

- خير يا استاذ وائل ايه الحاجه المهمه أوى اللى كنت عاوزنى فيها

نظر له وائل بخبث وحاول أن يتكلم بمرح قائلا :

- طب مش تقول حضرتك تشرب ايه الاول

أعاد الضابط كلامه مرة أخرى بنفس الملامح الجامدة وقال :

- خير يا استاذ وائل أنا سامعك

بحث وائل عن كلمات مناسبة وهو يشعر بالاضطراب الشديد برغم أنه له خبرة فى المساومة ولكنه يشعر برهبة غريبة أمام هذا الرجل وأخيرا قال :

- تخيل يا فندم عاوزين يضيعوا مستقبل شاب فى عز شبابه ويتهموه أنه كان يقصد يخبط البنت اللى عدت الشارع قدامه فجاة فى القضية اللى حضرتك كنت متابعها من شهر ونص تقريبا ..

عقد الضابط حاجبيه وهو ينظر الى وائل الذى قال بنبرة خبيثة :

- ده ابوه والله هيموت علشان يطلعه منها اصله متأكد من أخلاقه ومربية كويس أوى ومتأكد أن القضيه متلفقة للواد ... تخيل يا فندم عنده استعداد يدفع أى مبلغ للى يطلعه منها

شبك الضابط اصابعه امامه وهو يستند بمرفقيه على الطاولة وقال بهدوء :

- مش فاهم أنت عاوز ايه بالظبط

قال وائل مرواغاً :

- ولا حاجه يا فندم أنا قلت بس أنت أولى من غيرك فى المبلغ اللى ابو الواد المتهم ناوى يدفعه ده أصل حضرتك طيب وابن حلال

أستند الضابط بذقنه الى راحته ونقر بانامله على الطاولة وهو ينظر الى عينيى وائل وهو يقول ببرود :

- أنت مين يابنى اللى قالك عليا أنى بشهد زور

رجع وائل بظهره الى الوراء وابتلع ريقه وهو يقول :

- مين اللى قال زور يا فندم منا لسه بقول لحضرتك أن التهمه متلقفة للواد الغلبان ده

خبط الضابط على الطاوله بجديه فزعت لها نظرات وائل وارتعشت اوصاله وهو ينظر الى عينيه الصارمه وقال :

- على آخر الزمن عاوزنى اشهد زور ..أنت ايه يابنى مبتخافش من ربنا ولا ايه متعرفش عقوبة الشهادة الزور عند اللى خلقك ...

ابتسم وائل بصعوبة وهو يقول :

- تصدق أن حضرتك مش ناقصك غير الدقن وأنت بتكلم الكلام ده

هب الضابط واقفاً ومال للأمام وجذب وائل من ملابسه وقال وهو ينظر لعينيه بقوة قائلا :

- تعرف انى ماسك أعصابى عنك بالعافيه يابنى آدم أنت وهو اللى يخاف من ربنا لازم يبقى شيخ يا متخلف

ثم اشار الى ذقنه وهو يعتدل واقفاً ويقول :

- واذا كان على الدقن هتتربى ان شاء الله ..بس مش دلوقتى

تركه الضابط وأنصرف بحدة ووائل يتابعه بنظراته القلقة الخائفة وأخرج الهاتف على الفور وهاتف باسم وأخبره بما حدث ..فقال باسم :

- خلاص سيبك منه هو اللى عاوز يروح لقبره برجليه ... دلوقتى بقى تروح تقابل الشهود وتشوف مايتهم هما كمان وبعدين تبلغنى باللى حصل بينكوا بالظبط ..

قال وائل بارتباك :

- بس دلوقتى يا استاذ باسم نص الفلوس معاك هندفعلهم منين

قال باسم بابتسامه متهكمة :

- ملكش دعوه روحلهم بس واتفق معاهم وسيب الباقى عليا

****

حاول وائل اقناع الشهود بالاستجابه لطلبه واغرائهم بالمال ولكنهما كانا مذبذبين بشدة وقال واحدا منهما :

- يا استاذ وائل بقولك الراجل اللى اسمه اسامه المحامى بتاع البنت القتيله لسه نازل من عندنا قبل أنت ما تيجى على طول وهددنا أننا لو غيرنا اقوالنا ومقولناش الحقيقة هيفضحنا قدام المحكمة ويحبسنا بتهمة التزوير ....

مال وائل للأمام وقال بثقة :

- ولا يقدر يعملكوا حاجه أنتوا هتقولوا اللى شفتوه وضيق عينيه وهو يقول مؤكدا:

- مش كده ولا ايه

نظرا الرجلين الى بعضهما البعض بقلق وخوف وقال الاخر :

- طيب يا استاذ وائل سبنا نفكر فى الموضوع ده مع نفسنا

نهض وائل وهو يضع امامهم ارقام هاتفه وقال :

- كده نبقى متفقين .. تكلمونى بعد يومين علشان نقعد مع بعض ونتفق على كل حاجه

غادرهم وائل سريعاً وهو يبتسم بثقة وأغلق الباب خلفه ... نظر احداهما للآخر وقال :

- هنعمل ايه دلوقتى الراجل ده شكله شرانى أوى وفى نفس الوقت المحامى التانى هددنا بالحبس بتهمة التزوير ..

قال الاخر :

- طب وبعدين ...

وقبل أن يجيبه سمعا طرقاً على باب الشقة فنهض أحدهم وهو ينظر للآخر مترقباً وفتح الباب ونظر إلى القادم بتسائل ورهبة وهو ينظر الى حلته العسكرية وهو عاقداً ذراعيه امام صدره ويقول بهدوء

ولكن بلهجة صارمة :

- ها اتفقتوا على المبلغ ولا لسه ....

****

وبعد أسبوعين مرتقبين كانت تجلس فى قاعة المحكمة وهى تنظر إلى أسامة محامى المجنى عليها يحمل وجهها قسمات أنتصار واثقة بعد أن أكد لها باسم أن الشهود سيغيرون أقوالهم و عدم حضور الضابط الذى يستند إليه محامى المجنى عليها فى أثبات جناية التزوير ..

بدأت الجلسة وأمر القاضى حاجب المحكمة بالنداء على الشهود الثلاث .... نظرت دنيا الى الاوراق امامها وهى تشعر بأن كل شى قد أنتهى فبمجرد أن يشهد الشهود بنفس الشهاده التى امام القاضى فى المحضر فسوف يحكم بالبراءة كما قال لها باسم ..وأخذت ترسم أحلام وردية فى دنياها الخاصة وترى اسمها يسطع فى سماء الشهرة كنجمة متلألأة بين النجوم ..ولكن شعرت بزلزال شديد يفتت أحلامها وينثرها لتسقط من السماء الى الارض فى خسف شديد وهو تستمع الى صوت الضابط الذى وقف امام المحكمة بهئيتة وقد القى عليها هى ووائل نظرة استخفاف ثم التفت الى القاضى قائلا:

- حاضر ..يا فندم

بدأ القاضى بسؤاله عن أقواله وبدا هو فى سرد الوقائع الحقيقة التى حدثت بالفعل وعندما ناقشة القاضى فى الاقوال التى بين يديه فى التقرير المزيف أجاب الضابط بالنفى وأنه لم يكتب هذا المحضر وأن اقوال الشهود فيه مزيفه عن الاقوال التى أدلوا بها من قبل ...

أنهى القاضى مناقشة الضابط ثم استدعى الشاهدين اللذان أكدا اقوال الضابط و أنكروا بشدة الاقوال الموجودة فى المحضر المزيف ... شعرا كل من دنيا ووائل بأن الارض قد ضاقت عليهما وأن السماء قد سقطت كسفاً على رأسها ودرات بها الدنيا وهى تهمس لوائل أن يقوم ويناقش الشهود ويحاول تضليل المحكمة

ولكن الصدمات تاتى تباعاً دائماً،، فجأة سمع الجميع هتاف هانى من خلف القضبان فى أنهيار شديد وبكاء حار وهو يعترف بجريمتة ويشهق كالنساء ويرتجف خلف قضبانه بعد ان أدلى باعتراف مفصل وظل يهتف صارخاً :

- مكنش قصدى اقتلها مكنش قصدى كل ده يحصل مكنش قصدى

سقطت دنيا مغشياً عليها عندما سمعت القاضى ينطق بالحكم قائلا:

- حضرت المحكمة حضورياً بالاتى :

أولاً : أحالة أوراق المتهم هانى عبد القادر سعيد الى فضيلة مفتى الديار المصرية

ثانياً : أمرت المحكمة بنسخ اوراق القضية وأرسالها إلى النيابة العامة لتحقيق فيها بتهمة تزوير فى أوراق رسمية وتقديم المتهم الفعلى فيها ......

رُفعت الجلسة ...

****

الفصل التاسع والعشرون

صرخت دنيا فى وجه وائل وصاحت بعصبية شديدة :

- أنت بتستهبل يعنى أيه مش لاقيه هيكون راح فين أختفى يعنى

تبادل معها الصراخ وأخذ يصيح بأنهيار :

- وأنا هستهبل ليه هو انا مش رايح معاكى فى نفس الداهية ولا أيه بقولك أختفى أختفى لا تليفون ولا مكتب ومعرفش بيته عاوزانى أعمل أيه اضرب الودع ولا افتح الكوتشينه

جلست ودفنت راسها بين كفيها وهى تنوح وتبكى ثم تنهض وتدور حول نفسها فى المكان هائمةً على وجهها وهى تقول بهيستيرية :

- يعنى ايه .. وقعنا فى المصيبة دى وسابنا وخلع ..ده أحنا قدامنا أقل من شهر والتحقيقات تبدأ معانا وساعتها هنتحبس على ذمة التحقيق وياعالم هنطلع تانى ولا لاء ..

ألتفتت إليه صارخه بجنون :

- ما ترد عليا يا بنى آدم هنعمل ايه

أتجه نحوها ودفعها من كتفها وهو يصيح :

- معرفش معرفش .. ياريتنى ما كنت سمعت كلامه ياريتنى ماكنت بصيت لفلوس القضيه دى أدينى هتحبس معاكى ومستقبلى هيضيع

نظرت له بذهول وهى تقول غاضبة :

- طب ليه عمل كده ليه .. كان قصده أيه من كده ياخد الفلوس ويحبس فارس ويضيع مستقبلى ويحبسنى وخلاص طب ليه

ضرب وائل قبضته فى الجدار وهو يقول بخزى :

- هو أنتى لوحدك .. منا كمان ضيعلى مستقبلى وهيحبسنى بسببه ..قالى مكلش دعوه أنا هوقف الظابط عند حده ومش هيروح المحكمه وطلع بيضحك علينا .. زى ما يكون كان قاصد يعمل فينا كده من الاول وكان بيلاعبنا بصوابعه زى عرايس الخشب ..يخلينا نروح نتفق مع سكرتير النيابه وندفعله الفلوس وهو بعيد ويخالينى اروح للظابط اساومه هو الشهود وهو بعيد

ضرب الجدار بقبضته مرة تلو مرة وهو يهتف حانقاً :

- غبى أنا غبى كان لازم أخد بالى

لمعت فكرة فجأة فى رأسها وهى تقول :

- لاء أنا مش هسمح بكده .. أنا هجدد جواز سفرى وهخرج بره مصر باقصى سرعة مفيش وقت

ألتفت إليها وقد واتته نفس الفكرة ولكنه قال :

- وأنا بقى لو سافرت وهربت .. أسيب مراتى وعيالى لمين هنا

تقدمت نحو الباب وفتحته بعنف وهى تصرخ فيه :

- أطلع بره يا وش النحس أنت أطلع بره

خرج وهو ينظر إليها نظرات محتقرة بإزدراء فصفعت الباب خلفه بقوة وأخذت تتنفس بصعوبة وهى تفرك يديها بتوتر وخوف وتدور حول نفسها ذهاباً وأياباً وهى تفكر فى كيفية أنجاز جواز السفر سريعاً لتستطيع الهرب وفى خضم أفكارها المتلاطمة المتناثرة غفلت شىء مهم جدا وهو أنها لاتستطيع السفر دون أذن الزوج ...

****

أجتازت مُهرة أمتحانات الثانوية بصعوبة بعد كل تلك الظروف التى كانت تحيط بها قرب وقت أختباراتها لم تكن النتيجة مرضيه بالنسبة لها بشكل كبير ولكنها كانت كافية لتدخلها عالمه الكبير الذى كانت تنظر إليه من بعيد منذ صغرها ...

فتحت أم فارس الباب لتجد مُهرة واقفة أمامها والابتسامة الواسعة على شفتيها ورفعت أمام عينيها خطاب كبير نوعا ما وقالت بشغف كبير :

- كلية الحقوق جامعة القاهرة

ضحكت أم فارس وهى تجذبها للداخل وتقول :

- والله أنتى مجنونة حقوق أيه يابنتى هو أنتى تنفعى فى الحقوق

رفعت كتفيها وهى تقول بطفولة مخلوطة بالخجل :

- مش مهم المهم أنى دخلتها أخيرا

حركت أم فارس رأسها بدهشة يمنة ويسره وهى تقول :

- طب وأنتى فين أحلامك لنفسك

ألقت مُهرة بجسدها على الاريكة وهى تقول بتلقائية :

- هو ده حلمى وأدينى حققته خلاص

كادت أم فارس أن تتابع حديثها لولا أن سمعت طرقات أخرى على باب الشقة .. عدلت مُهرة من جلستها بينما أتجهت أم فارس لتنظر من الطارق .. فتحت الباب فوجدت شاب لم تره من قبل ولكنه أبتسم وقال بأحترام :

- السلام عليكم يا حجه

نظرت إليه بتسائل وهى تقول :

- وعليكم السلام يابنى

قال بأهتمام :

- مش دى شقة الدكتور فارس سيف الدين

قالت وهى تومىء برأسها :

- أيوا يابنى هيا

مد يده لها بخطاب قائلاً :

- الجواب ده للأستاذ فارس

وقبل أن تتكلم قال بسرعة :

- أنا عارف أنه مش موجود دلوقتى بس لو سمحتى الجواب ده مهم جدا من فضلك تحاولى توصليه ليه بأى طريقه عن أذنك

حاولت أن توقفه ولكنه لم يعطيها الفرصة وهبط درجات السلم سريعاً

أغلقت الباب وهى تقلب الخطاب بين يديها بدهشة متسائلة :

- ياترى من مين الجواب ده

نهضت مُهرة وتوجهت إليها وهى تنظر الى الخطاب بين يدها وقالت :

- من مين الجواب ده يا ماما

- معرفش يا بنتى بس بيقولى أنى لازم أوصله لفارس ضرورى

قالت كلمتها وهى تفتحه وتقول :

- لما نشوف فى أيه ده كمان

حاولت أن تدقق النظر فيه ولكن الخط كان صغيرا فلم تستطع أن تقرأه بوضوح فدفعته لمُهرة وهى تقول :

- خدى أقريهولى يا مُهرة لحسن الخط صغير أوى

أخذته مُهرة من يدها ونظرت فيه وبدأت فى القراءة بصوت مسموع ... عزيزى دكتور فارس مش مهم تعرف أنا مين المهم انى عندى معلومات مهمه جدا ليك .. أنا مش عارف أنت أتخدعت بسهوله كده أزاى لكن أنا أحب أنى اشيل الغمامه دى من على عينك وأقولك أن مراتك بعد أبوها ما مات على طول راحت لباسم مكتبه بعد ما حطت لامها منوم و........ لم تستطع مُهرة القراءة شهقت وهى تضع يدها على فمها .. حثتها أم فارس على المتابعه وهى تمسكها من ذراعها وتقول بجديه :

- كملى يا مُهرة سكتى ليه

تلعثمت مُهرة وهى لا تعرف ماذا تفعل فقالت :

- ماما الجواب ده مش لازم يوصل فارس أبدا

شدت أم فارس على ذراعها وقالت بتصميم :

- هتكملى ولا أنده حد تانى يكملهولى

أعادت مُهرة قراءة الخطاب فى تردد وبصوت مضطرب ... بينما أخذ وجه أم فارس يمتقع وهى تحدق فى الفراغ حتى أنهت مُهرة قراءته فرفعت وجهها إلى أم فارس وربتت على كتفها قائلة :

- ماما الله يخاليكى أهدى شويه أنتى الضغط بيعلى عندك بسرعة

لمعت الدموع فى عينيها وهى تقول :

- يا حبيبى يابنى وكنت كاتم فى نفسك كل ده وساكت طب ليه يا فارس سكت ليه

نظرت لها مُهرة بعدم فهم وقالت متسائلة :

- يعنى أيه الكلام ده هو فارس كان عارف

عقدت حاجبيها وهى تقول غير مصدقة :

- مش عارفه اذا كان عارف ولا لاء بس كل تصرفاته بعد رجعوا من اسكندرية كانت بتقول أنهم مش كويسين مع بعض .. مع أنهم مكانش لسه بقالهم اسبوع متجوزين جديد .. وهو شكله كان كأنه شايل هم كبير أوى ومش عارف يا حبيب أمه يتكلم مع حد ..

دمعت عينيها وهى تقول بتاثر :

- أتاريه مكنش عاوز يفضحها .. تقوم فى الاخر تعمل فيه كده .. بقى يسترها ويخبى سرها وفى الاخر تبهدله البهدله دى وكل ده علشان كانت طمعانه فى القضيه وفلوسها ..

وضعت مُهرة الخطاب بجوارها ولفت ذراعيها حول ذراع أم فارس واسندت راسها على كتفها وقد أنزلقت دمعتين من عينيها فى صمت .. ثم قالت :

- مش لازم يشوف الجواب ده يا ماما أحنا لازم نقطعه ده ممكن يتهور ويعمل فيها حاجه

قالت كلمتها ومدت يدها للخطاب وقبضت عليه فى راحتها بقوة ونهضت لتلقى به فى القمامه ولكن أم فارس أوقفتها وجذبت الخطاب منها وقالت بتصميم :

- مش هنسترها تانى لا انا ولا أبنى خلاص .. لازم يشوف الجواب ولازم تاخد جزائها علشان نارى تبرد شويه وأنا عارفه انه مش هيأذى نفسه بس كفايه انه يبرد ناره شويه ويعرف اللى حواليه عملوا فيه كد ليه ...

مسحت مُهرة دموعها براحتيها عندما سمعت رنين هاتف المنزل وتوجهت لتجيب المتصل وهى تقول :

- السلام عليكم

أتاها صوتاً محملاً بالفرحة واللهفة .. صوتاً كان ولا يزال محملاً بالحنان الجارف دائماً ..سقطت السماعة من يدها المرتعشة على اثر المفاجأة الغير متوقعة عندما سمعته يقول بشوق :

- مُهرة؟ ...

ألتقطت السماعة سريعاً ووضعتها على أذنها غير مصدقة وأم فارس تنظر إليها متعجبة منها ولكن دهشتها زالت وقفزت فرحاً من مكانها عندما سمعتها تقول بأنفاس متقطعة :

- فارس ؟...

أخذت أم فارس سماعة الهاتف من يدها ووضعتها على أذنها تمسكها بيدها الاثنتين فى شوق ولهفة وهى تقول :

- فارس أبنى أنت بتتكلم منين

وضعت مُهرة يدها على صدرها وهى تشعر أن قلبها سيقفز من مكانه فرحاً وأحتقن وجهها بشدة وهى تستمع لأم فارس تقول من بين دموعها :

- يعنى أنت طلعت يا فارس ؟..بجد يابنى طلعت طب أنت فين

ثم أخذت تقبل السماعة وهى تبكى قائلة :

- تعالى بسرعة يا فارس تعالى بسرعة نفسى أخدك فى حضنى يابنى وحشتنى أوى

أنهى فارس المكالمه وهو يمسح دموعه ويد الدكتور حمدى تربط على كتفه قائلا بمرح :

- أيه ده هو أنت لسه شوفت حاجه أومال لما تروح بقى هتعمل أيه

ثم مد يده بالهاتف الى بلال قائلاً :

- يالا خد أنت كمان التليفون وكلم والدتك وبلغها أنت خرجت

ابتسم بلال وأستنشق الهواء النقى خارج جدران المعتقل حتى أمتلى ء صدره به ثم زفر بهدوء وقال :

- لا يا دكتور معلش أنا عاوز أعملهم مفاجأة

ضحك الدكتور حمدى وهو يقول :

- حرام عليك يلاقوك قدامهم كده فجأة

ضحك فارس ثم قال :

- طول عمره بتاع مقالب يا دكتور هو كده من زمان

ضحك ثلاثتهم وهم يستقلون سيارة الدكتور حمدى فى طريقهم الى منازلهم ...

كان الدكتور حمدى يقود السيارة وهو ينظر الى فارس الجالس بجواره نظرات خاطفة ورأسه يدور لا يعلم ماذا يفعل .. لابد أن يخبره بأمر زوجته التى قدمت ضده بلاغ وزجت به فى معتقلات الاهوال تلك ظلماً ولكن هل يخبره الان أم ماذا ؟... قطع فارس عليه تفكيره وقال متسائلا :

- معرفتش يا دكتور مين اللى عمل فينا كده ؟

ألتفت اليه الدكتور حمدى ثم أعاد النظر للطريق وقد حسم أمره ثم قال :

- فارس .. لازم تعرف الدنيا دى كلها فيها الكويس وفيها الوحش فيها اللى بيعمل خير لوجه الله من غير سبب وفيها برضه اللى بيأذى الناس من غير سبب ولو الاذيه جاتلك من اقرب الناس ليك أوعى تزعل نفسك ابدا واعرف ان ربنا بيكشفلك اللى حواليك علشان متفضلش عايش موهوم ومخدوع فيهم ..

أستدار فارس بجسده إليه ونظر للخلف الى حيث بلال ألتقت نظراتهما فى تسائل صامت قطعه فارس وهو يلتفت الى الدكتور حمدى قائلا :

- الكلام ده معناه ان حضرتك عرفت مين

أومأ الدكتور حمدى برأسه وهو يقول :

- أيوا عرفت ... بس كنت محتار اقولك دلوقتى ولا لما تروح بيتك وترتاح شويه من اللى شفته

أعتدل بلال فى جلسته وقد شعر أن الدكتور حمدى يقصد شخصاً قريب جدا من فارس بينما قال فارس سريعاً :

- مين يا دكتور قولى مين

أضطرب صوت الدكتور حمدى وهو يقول ببطء :

- مراتك دنيا

أتسعت عين فارس هلعاً ونظر إلى بلال الذى لم تكن الصدمة عليه اقل من فارس .. حدقا فى بعضهما البعض بينما هتف فارس :

- دنيا مراتى .. أزاى وليه .. حضرتك متأكد يا دكتور متأكد أنها مراتى اللى عملت فيا كده

ظهر الاسف على وجة الدكتور حمدى وهو يقول بإشفاق :

- هو ده اللى أنا عرفته ولعلمك محدش هيقدر يجاوب على سؤالك .. الا أنت بس .. أنت بس اللى ممكن تقولنا ليه هى عملت كده

أعتدل فارس فى جلسته مصدوماً واستند بظهره الى مقعده وقد أحتق وجهه غضباً وحنقاً وضرب باب السيارة بقبضة بقوة وهو يهتف :

- سؤال ايه اللى اجاوب عليه .. هو فى حاجه بين راجل ومراته مهما كانت تخاليها تعمل كده فيه .. ليه يا دنيا تعملى فيا كده ليه ده أنا .. بتر كلمته وابتلعها قبل أن يكملها .. كان سيقول

- ده انا سترتك ومرضتش افضحك .. ولكن فروسيته المعهودة أبت ذلك ... ربت بلال على كتفه من الخلف ثم قال :

- أستنى يا فارس لما تقابلها وتتكلم معاها بهدوء شويه أحنا لسه مش عارفين حاجه أستنى لما تسمعلها الاول

ألتفت إليه فارس غاضباً وهو يقول :

- هتقولى ايه يا بلال هتقولى بلغت عنى وعن صحابى ليه .. ليه

ربت على كتفه مرة أخرى وهو يدعوه للهدوء مرة أخرى وأن ينتظر حتى يسمع منها حتى هدأ فارس بعض الشىء وصمت غضبه خارجياً ولكن قلبه كان مشتعلاً .. كيف تفعل فيه ذلك بعد كل ما فعله من أجلها ...

****

أقتربت سيارة الدكتور حمدى من منزل بلال الذى شعر بنشوة وأنتشاء حينما لاح جانب المنزل من بعيد فقال سريعاً :

- كفايه هنا يا دكتور معلش تعبناك معانا

أبتسم الدكتور حمدى بوقارحيث قال :

- تعب أيه بس هو أنا اللى أتعلقت ...

قال كلمته وضحك بينما أنفجر بلال ضاحكاً ثم قال :

- بعد اللى شوفته فى المعتقل ده بيتهيألى مفيش مصرى متعلقش

ضحكا هما الاثنان بينما كان فارس واجماً شارداً فى عالمه الخاص ... ترجل بلال من السياره وأنحنى بأتجاه فارس وضع يده على كتفه قائلا :

- الهدوء هو اللى هيعرفك السبب مش الغضب أهدى وتوكل على الله

أومأ له فارس برأسه بينما شرع الدكتور حمدى فى الانطلاق بالسيارة الى حيث منزل فارس

صعد بلال درج منزله بهدوء ومر بجوار باب المركز الخاص به ونظر نظرةً فى الخفاء متعجباً .. المركز خاوى ولكنه مفتوح وكأنه يعمل وكأنه لم يُغلق يوماً وفى هذه اللحظة شعر بمن يضع يده على كتفه من الخلف قائلا بخشونه :

- مين حضرتك

ألتفت إليه بلال وأبتسم فى وجه الممرض المساعد له فى المركز والذى ما أن رآه حتى كاد أن يهتف متفاجأً بأسمه لولا أن وضع بلال يده على فمه وكممه حتى هدأ ثم رفع يده عنه وهو يشير له بالصمت .. هتف المساعد بسعادة:

- دكتور بلال أنت رجعت من السفر أمتى وأيه المفجأة الحلوه دى

أبتسم بلال وهو يجيبه بصوت خفيض :

- الله يسلمك ها أخبار المركز أيه

رفع المساعد كتفيه وهو يقول :

- حضرتك مشيت من غير ما تقولى وطبعا الناس ابتدت تضايق من سفرك المفاجىء.. قفلنا شويه بس زوجة حضرتك فتحته تانى ورجعنا كلمنا الناس وبلغناهم ان سبب سفرك كان ضرورى ومسألة حياة أو موت والناس تفهمت الوضع وبلغناهم أننا هنتصل بيهم تانى لما المركز يرجع يشتغل

ظهرت البشاشة على وجه بلال مقدراً لمجهود زوجته فى الحفاظ على سمعته كطبيب فلم تكن عبير تطمح فى أن ينتظره المرضى فالمرض لا يمكن الصبر عليه ولكن كل طموحها كان فى الحفاظ على سمعته كطبيب حتى لا تتأثر بهذا الاختفاء المفاجىء وأنتقطاعه عن متابعة المرضى ... ألتفت إلى مساعده وقال متسائلا:

- وأنت كنت فاتح ليه دلوقتى

قال المساعد :

- مش أنا دى زوجة حضرتك وأنا كنت نازل أشترى شوية أدوات نظافة للمركز

رفع بلال حاجبيه قائلا:

- يعنى هى جوه دلوقتى ؟

أومأ المساعد برأسه ثم قال :

- قالتلى اجيب الحاجات دى ولما أنا أرجع هى هتمشى على طول

أخذ بلال الادوات من يد المساعد وقال :

- خلاص أمشى أنت النهارده أجازة بمناسبة رجوعى

كانت عبير تجلس على مقعده خلف مكتبة وهى تقلب أوراقه وتحاول فهم ما بها برغم صعوبتها ولكنها شعرت بمقبض الباب يفتح فعقدت جبينها وأنزلت النقاب على وجهها ونهضت واقفة بتوتر .. عقدت جبينها بقوة وهى لا تعلم أنها سترى أحب الوجوه إليها على الاطلاق .. فُتح الباب ولكن أحداً لم يدخل ولكنها سمعت صوته يقول :

- خايف أدخل فجأة تتخضى

صرخت عبير ووضعت يدها على فمها وجرت بأتجاه الباب وفتحته بلهفة لتنظر إليه والى أبتسامتة التى زينة وجهه وابتلعت ريقها وهى تحدق به غير مصدقة أنه يقف امامها .. لم تمضى عليها ثوانى حتى دارت رأسها وسقطت مكانها ولكنها لم تفقد الوعى ... حملها بلال وأغلق الباب خلفه بقدمه وتوجه بها الى مقعد الكشف الكبير ووضعها برفق ورفع النقاب من على وجهها وهو يقول بلوعة :

- عبير أنتى كويسه ؟

نظرت إليه بعيون دامعة وهى تقول بوهن :

- أنت بجد ولا حلم؟

أبتسم وهو يمسح على وجنتها ويمرر أنامله على وجهها وهو يقول هامساً :

- بجد يا حبيبتى ..أنا طلعت النهارده وقلت أعملكم مفجأة بس أظاهر انى غلط

وضعت يدها على وجهه تتحسسه بإضطراب وهى مازالت غير مصدقة وتقول :

- يعنى أنا مش بحلم .. قالت كلمتها وبدأت فى بكاء مرير ولفت ذراعيها حول رقبته وعانقته بقوة وهى تتشممه وتبكى وتنتفض وتقول هاتفة :

- يارب مكنش بحلم يارب تكون حقيقى يا بلال يارب تكون رجعتلى يا حبيبى

عانقها بلال وضمها إليه بقوة وهو يمسح على ظهرها برقه وقد أغرورقت عيناه بالدموع من فرط تأثرة بكلماتها وهو يقول مطمئناً :

- أطمنى يا حبيبتى أنا هنا والله أنا بجد أطمنى ... وحشتينى وحشتينى أوى

رفعت راسها من صدره ونظرت إليه مرة أخرى وهى تمسك بوجهه بين راحتيها وقالت :

- شفت الولاد وماما ولا لسه

هز راسه نفياً وهو يقول مبتسماً :

- لاء أنا لما عرفت أنك هنا مقدرتش أروح فى حته تانيه دخلتلك على طول

أنتبهت عبير وهى تقول :

- هو الممرض بره ؟

هز راسه نفياً مرة أخرى وتلمس وجنتها وهو يتأملها قائلاً بشوق :

- متقلقيش أنا مشيته وقفلت باب المركز من جوه .. يعنى أحنا لوحدنا دلوقتى

نظرت له وابتسمت بحب فقال بمرح :

- فاكرة الكرسى ده لما قعدتى عليه أول مرة وكنتى خايفه أحسن أكشف عليكى

ضحكت وهى تحيط عنقه بيدها قائلة :

- فاكره

نهض من على مقعده وجلس جوارها قائلا بخفوت :

- ألا هى رجلك عامله ايه دلوقتى !!!!

ضحكت عبير برقة وحب وشوق كبير .. ها قد استعادت الزهرة عبيرها وشذاها الخلاب وكأنها عادت للحياة من جديد بلمسة من بستانيها الخبير لتتفتح وتزدهر على ألحان قلبه وهو يسقيها بعذب كلماته التى ينتقيها دائما لها كما ينتقى البستانى زهوره بحب وأهتمام ورقة ... وضمير .

****

هتفت أم فارس وهى توجه كلامها لأم يحيى قائلة :

- يالا بسرعه يا أم يحيى زمانهم على وصول

وضعت أم يحيى القدر على النار وهى تقول :

- مش كانوا بلغونا من بدرى كنا عاملنا اصناف كتير

مسحت مُهرة العرق من جبينها بظهر يدها وهى تقول :

- كده خلاص الرز كمان خلص .. يعنى قربنا نخلص الاكل بس يستوى وخلاص كده

قالت أم يحيى لمُهرة :

- تصدقى يا بت يا مُهرة أول مرة أعرف أنك بتعرفى تطبخى

قالت أم فارس بسرعه معاتبة :

- وهتعرفى منين متخاليناش نتكلم بقى

ضحكت مُهرة وهى تضع قبله صغيرة على وجنة أم فارس قائلة :

- خلاص بقى المسامح كريم

غيرت أم يحيى مجرى الحديث قائلة :

- طب ايه رأيكوا أنزل أجيب شويه ملوخيه بالمره اصلى حاسه أن الاكل ده قليل

قالت مُهرة مبتسمة وهى تقطع خضروات السلطة بحماس :

- اصلاً الدكتور فارس لما بيكون مبسوط مش بياكل كتير علشان كده متتعبيش نفسك المهم بس السلطه جنب الاكل علشان بيحبها أوى كده

توجهت أم يحيى خارج المطبخ وهى تقول :

- أنا سامعه دوشه تحت هروح أشوف خناقه دى ولا أيه

خرجت أم يحيى بينما أنتفض قلب مُهرة وهى تقول بخفوت :

- شكلهم وصلوا

نظرت لها أم فارس متسائله بينما خرجت مُهرة تهرول متوجهة الى غرفة أم فارس وبدلت ملابسها التى كانت ترتديها فى المنزل وارتدت ملابسها المحتشمة ووضعت الحجاب على راسها وخرجت مسرعة الى المطبخ فلم تجد أم فارس وسمعت صوتها وصوت والدتها آتى من الشرفة فخرجت إليهم سريعاً وهى تلتقط انفاسها بصعوبة والابتسامة الواسعة مرتسمة على شفتيها وقد ايقنت أنه قد جاء .. وقفت بجوارهما فى الشرفة لتنظر الى جيرانهم وأهل

شارعهم البسيط وهم ملتفون حوله والدكتور حمدى يقف بجواره مبتسماً وسعيداً بهذا الحب الذى يحظى به فارس من الجميع ... شعرت أن قلبها سيخرج من صدرها ويقفز من الشرفة إليه وضعت يدها على صدرها تمنعه وتصده عن الجنون وأحمر وجهها بشدة وتسللت الدموع من مقلتيها رغماً عنها مختلطة بابتسامتها التى ملئت وجهها ...

رفع فارس وجهه للشرفة وهو يحاول تخطى الجميع بصعوبة ليستطيع أن يرى والدته التى كانت تهتف باسمه وتدعوه للصعود بسرعة .. كانت تلك النظرة كفيلة أن يراها ولو لثوانى ويرى تعابير وجهها ودموعها .. تراجعت مُهرة خطوة للوراء وهى تلتقط أنفاسها بصعوبة وشعرت أنها لن تستطيع أن تحتمل هذا اللقاء ..

خرجت من الشرفة تجرى الى باب الشقة فتحته وصعدت بسرعة وهى تسمع وقع اقدامه على السلم يصعد بسرعة أكبر من التى تصعد هى بها ولكن خوفها من لقاءه جعلها تسرع أكثر حتى وصلت لباب شقتها .. أختفت بعيدة عن السلم واستمعت لوقع اقدامه وهو يقترب من شقته ويتبعه الدكتور حمدى .. وسمعت والدته وهى تبكى وتهتف باسمه ...

عانقته والدته بلهفة وحنان وضمته الى صدرها بقوة وهى تبكى .. جعل يمسح على رأسها وظهرها وهو يقول :

- وحشتينى أوى يا أمى .

دخل شقته وهو يلف ذراعه حول كتفها وهو يقول للدكتور حمدى :

- أتفضل يا دكتور أتفضل

ثم نظر الى أم يحيى التى كانت تقول بفرحة :

- ألف حمدلله على سلامتك يا دكتور

أبتسم فارس وهو يومىء براسه قائلا:

- الله يسلمك يا ست أم يحيى

تجولت عيناه فى المكان سريعاً ... كان يتوقع أن يراها ولكنها غير موجوده .. تحول بنظرة الى المطبخ فربما تكون هناك

وهنا قالت والدته وهى تضيق عينيها بمكر :

- بتدور على حد ؟

ألتفت برأسه إليها وقال متلعثماً :

- ها لالا مفيش ..أنا بس هموت من الجوع وحشنى أكلك اوى يا ماما

قالت وهى تشير لعينيها :

- من عنيا يا حبيبى

سمع أم يحيى وهى تقول موجهة كلامها لأم فارس :

- هى البت مُهرة مش كانت واقفة معانا فى البلكونه أختفت فين البت دى فجأة

قالت أم فارس مبتسمة :

- شكلها طلعت فوق

ظلت مُهرة واقفة أعلى الدرج أمام باب شقتها لا تعرف ماذا تفعل تخاف من مواجهته وان ينظر إليها بعد الخاطرة التى كتبتها على ظهر الصورة وأرسلتها إليه قاصدة أن تخفف عنه وتلهمه الحل وهدوء النفس فى حالة معرفته بما فعلت زوجته به ..

وضعت أم فارس الطعام على المائدة بمساعدة أم يحيى التى قالت :

- معلش بقى يا دكتور لو لقيت الاكل فيه حاجه متعيبش عليا أصل مُهرة هى اللى عامله معظمه تقريبا .. جلس الى المائدة هو والدكتور حمدى وهو يقول لها :

- تسلم ايدها وايدك يا أم يحيى .. تنتحنح ثم قال :

- هى عامله ايه صحيح .. فى الامتحانات يعنى

قالت أم يحيى بتلقائية:

- الحمد لله يا دكتور نجحت بالعافيه بس معذورة والله دى بتذاكر جامد أوى وشاطره بس ابوها لما ضربها ومنعها من الدروس والخروج نفسيتها تعبت

أعتدل فارس وقطب جبينه وقال بضيق :

- وابوها يضربها ليه يعنى

وضعت أم فارس يدها على كتف أم يحيى وقالت :

- خلاص بقى يا أم يحيى سيبيهم ياكلوا

كرر فارس جملته مرة أخرى بتصميم فقالت أم يحيى :

- أصله كان عاوز يرجعها للواد اللى اسمه علاء ده وهى رفضت ونشفت دماغها قام ابوها أتغاظ منها شويه كده ومد ايده عليها وكان هيمنعها من الامتحانات كمان لولا الست أم فارس جات خدتها بالعافيه من فوق وقعدتها معاها هنا لحد ما خلصت امتحانات

نظر فارس لوالدته التى قالت على الفور للدكتور حمدى :

- معلش يا دكتور وجعنالك دماغك .. ونظرت الى فارس وقالت :

- يالا بقى أتغدوا أنتوا على ما نعملكوا الشاى

لم يأكل الدكتور حمدى الا القليل ثم نظر الى فارس الذى كان شارداً فلم يأكل الا القليل هو أيضا ثم قال :

- بقولك ايه يا فارس لما تقرر تروح لمراتك قولى علشان اجى معاك مش هينفع اسيبك لوحدك لتتهور عليها ولا حاجه

هز فارس رأسه وهو واجم وقال بامتنان :

- متخافش عليا يا دكتور أنا همسك أعصابى على الاخر معاها

رفع فارس وجهه بعد أن أنتهى من قرأت الخطاب الذى قدمته اليه والدته بعد أنصراف الدكتور حمدى وأم يحيى وكان وجهه محتقناً بشدة وصدره يعلو ويهبط بجنون ثم هب واقفاً وأتجه نحو الباب بغضب شديد حاولت والدته منعه ولكنها لم تستطع ...

أتجه الى بيتها فى غضب شديد وبمجرد أن اقترب أخرج سلسلة مفاتيحه الخاصه لسوء حظ دنيا كان مازال محتفظ بمفتاح شقتها منذ ان كان معها هناك بعد وفاة والدتها .. وبدون مقدمات فتح الباب ودخل فلم يجد الا الهدوء والسكون .. دار فى الشقة سريعاً وقسمات وجهه تنطق ضيقا وغضبا فلم يجدها دخل غرفتها مرة أخرى وأخرج ملابسها من الخزانة بعصبية وقذف بها فى كل مكان باحثا عن أى شىء آخر يدينها ،، أمتلئت أركان غرفتها بملابسها وأنقلبت الغرفة رأساً على عقب .. وأخذ مقعد وجلس ينتظرها والشرر يتطاير من عينيه .. مرت ساعة من الوقت وأذا به يسمع المفتاح يدور فى الباب من الخارج فعلم أنها قد حضرت أخيراً ..

فتحت دنيا الباب بارهاق واضح ووضعت بعض الاطعمه التى أحضرتها على الطاولة ثم توجهت الى غرفة نومها لتبدل ملابسها ولكنها تسمرت مكانها بمجرد أن فتحت الباب لتجد ملابسها مبعثرة فى كل مكان حدقت فى الغرفة لبرهة قبل أن تشعر بيد تمتد إليها من خلف

الباب لتجذبها من شعرها بقوة وتطرحها ارضاً ... سقطت دنيا على الارض وهى تصرخ ولكن صرختها تحاشت فى حلقها عندما نظرت الى وجه مهاجمها .. وقالت بفزع :

- فارس !!!!

تقدم نحوها وعينيه ينبعث منها الشرر والغضب تراجعت للخلف وكأن لسعات غضبه تطولها فتحرقها .. نظر لها بأحتقار ورفع يده وصفعها بقوة على وجهها وهو يهتف بها :

- حقيييرة

وقعت على المقعد الصغير وقبل أن تنهض تقدم منها بسرعة وقبض على شعرها بقوة وهو ينظر إليها بتقزز واشمئزاز قائلا بصوت مُخيف :

- قبلتى تتجوزينى ليه لما انتى مش عاوزانى من الاول ،،روحتى لباسم علشان يخلصك منى ها ..

صرخت من قبضتة التى تمزق شعرها وهو يهزها منه بعنف متابعاً :

- وتضحكى عليا وتقوليلى سواق تاكسى خطفنى وأغتصبنى .. وكمان عملتى عملية علشان تخدعينى أكتر لولا أن ربنا كشفك وعمليتك باظت ... وبعد ما سترت عليكى ومفضحتكيش تسجنينى أنا واصحابى علشان القضيه يا حقيرة ...

دفعها بقوة الى الفراش وهى تصرخ وتنظر اليه بفزع ،،حاولت أن تتشبث بالفراش لتنهض ولكنه جذبها إليه ووضع يده حول رقبتها وهو يحدق بها بنظرات لم تراها منه و من غيره طيلة حياتها .. نظرات مُميتة ...

وسمعت صوته التى كان يأتى من بئر سحيق وهو يقول بصوت أرعبها :

- كنتى عاوزاهم يقتلونى فى أمن الدوله وتخلصى منى .. كنتى مستعجله على الفلوس أوى كده .. بتحبى الدنيا اوى كده يا دنيا ..

طالما بتحبيها كده أنا بقى هحرمك منها ودلوقتى .. حالا .. وبدا يقبض على رقبتها بقبضته بقوة وهى تنتفض بين يديه وتحدق به مذعورة وقد أحتنق وجهها وبدأت دماء الحياه تفارقه .. وشعرت انها ستموت فى هذه اللحظه وتنتهى ..

ولكن فجاة شعرت أن الدماء بدأت تعود إليها من جديد والهواء يعانق رئتيها وشعرت بأرتخاء اصابعه حول رقبتها ونظرت إليه وهو يقول لها :

- أنتى خسارة فيكى الواحد يضيع نفسه علشانك .. وأرتطمت وجنتها بصفعة أخرى وصرخ فيها قائلا:

- بس مش هطلقك واريحك خاليكى مرميه هنا علشان وقت ما يجيلى مزاجى وأعوز اقتلك ابقى عارف طريقك

بصق عليها ونظر إليها بإحتقار وغادر المكان وهو يشعر بالتقزز والنفور وأغلق الباب خلفه بقوة ارعبتها وأنتفضت لها جسدها الذى لم يعد يستطع أن يتحمل كل هذا الرعب والخوف والفزع فأغمضت عينيها وابتلعت ريقها وهى ترتعش وبدات فى بكاء هيستيرى .. كانت تريد كل شىء ففقدت كل شىء حتى حياتها كادت أن تفقدها ...فى لحظة غضب

****

عاد الى منزلة مساءا وهو يشعر أنه قد فقد جميع قواه وبذل مجهوداً نفسياً مضنياً .. هبت والدته منتفضةً وأتجهت إليه متلهفةً وقالت :

- كده يا فارس تعمل كده فيا انا كنت هموت من الخوف عليك

تنفس بعمق ثم ربط على كتفها مطمئناً وهو يقول بإرهاق:

- معلش يا أمى أنا آسف كان جوايا شحنه وعاوز أطلعها فى مكانها اللى يستهالها

نظرت إليه متفحصة بقلق وهى تتسائل :

- روحتلها مش كده ؟ عملت فيها حاجه ؟

هز رأسه نفياً وهو يقول بأبتسامة واهنة :

- متخافيش عليا انا فشيت غلى فيها وخلاص.. هو أنا مجنون أضيع نفسى فى واحده زى دى

أخذته من يده كالاطفال وذهبت به الى غرفته وأجلسته الى فراشة قائله :

- نام شويه طيب ..شكلك تعبان أوى ده أنت حتى مستريحتش من ساعة ما رجعت

خرجت وتركته يهوى بجسده المنهك فوق فراشه وهو يفكر فى زوجته وما فعلته به منذ أول يوم زواجهما وحتى هذه اللحظة ويتسائل عن سبب واحد فعله معها جعلها تنكر كل شىء

وتقذف به خلف ظهرها وتخطوا فى طريقها على جثتة بهذا الشكل القبيح .. فلم يجد شىء الا دنائتها .. نعم فالشخص الدنىء لا يؤثر فيه معروف ولا يستقبح مُنكراً ..

لقد اخطاء منذ اللحظه الاولى عندما قبل الارتباط بفتاة بعيدة كل البُعد عن دينها ومنهجها ،،لم يعطى بالا وهو يقرر الارتباط بها لحديث النبى صل الله عليه وسلم أظفر بذات الدين تربت يداك...

وكانت هذه هى النتيجة غطى الطمع عينيها ولم تجد ديناً يُردعها فما كان منها الا الخيانة ... أغمض عينيه فى سكون وهو يشعر فيهما بألم شديد وكأن نغزات شوك شديده تنغزة من كثرة الارهاق والتعب والجهد ورغم انها الليلة الاولى التى سينامها على فراشه بعد كا ما مر به الا أنه لم يرتاح ابدا وظلت راسه تدور حتى سقط فى نوم عميق فجأة وكأن النوم بئر قد أسقط فيه رغما عنه على حين غرة...

****

فى الصباح أستيقظ على صوت رنين الهاتف فنهض وهو يشعر بألم فى عظامه شديد .. نهض بتاكسل وتثاقل وعندما فتح الباب سمع والدته تتحدث فى الهاتف قائلة :

- لاء لسه مصحيش .. يابنتى أطمنى ليه القلق اللى انتى فيه ده قلتلك امبارح أنه جه كويس ودخل نام .. لاء متخافيش لو كان حصل حاجه كان هيبان عليه يعنى ..... طيب ماشى خلاص مع السلامه

أنهت المكالمه واستدارت لتجده يقف بجوار باب غرفته عاقداً ذراعيه أمام صدرة والابتسامة على وجهه وهو يقول :

- كانت بتطمن عليا مش كده ؟

أبتسمت والدته بمكر وهى تقول بلامبالاة :

- هى مين دى قصدك مين

اقترب منها وقبل وجنتها وهو يقول بمرح :

- مش عارفه مين يا ست أم فارس

ضحكت وهى تتجه للمطبخ فدخل خلفها وهو يقول بأصرار :

- ممكن بقى تحكيلى كل حاجه مكنتش واخد بالى منها

ألقت عليه نظرة وهى تعد الافطار ثم قالت :

- وأنا مالى اسأل صاحبة الشأن

تنهد بقوة وهو يقول :

- اسألها ازاى بس مش هينفع أكلمها اصلا

وضعت والدته طبقين فى يديه ثم أخذت بقية الاطباق وخرجت من المطبخ وهو يتبعها وقالت :

- والله لو دخلت البيت من بابه هينفع تكلمها ونص كمان

جلس على المقعد خلف المائدة وهو يقول بلؤم:

- أنتى شايفه كده يعنى

نظرت له نظرة جانبية وضربته على كتفه وهى تقول :

- يا واد بطل تتلائم عليا .. ده أنت عاوزها النهارده قبل بكره

ضحك وهو يمسك يدها التى ضربته بها وقبلها ثم قال :

- هو أنا معرفش أهزر معاكى شويه يا حجه علطول فقسانى كده

ابتسمت فى سعادة وقالت :

- تحب احددلك معاد أمتى

أخرج هاتفه من جيبه ووضعه امامه على المائدة قائلا:

- دلوقتى

نظرت الى الهاتف ثم نظرت إليه بدهشة وقالت :

- أنت بتكلم جد يا واد

أخذ الهاتف وضغط رقم منزلها وأعطاها الهاتف وهو يومىء براسه :

أخذت الهاتف مبتسمة بدهشة من تصرفاته الصبيانية وكأنها ترى ولدها لاول مرة ....

نظرت أم يحيى الى مُهرة التى كانت تفرك يديها بتوتر بالغ وقد أحمرت وجنتيها بشدة بعد أن أخبرتها بطلب فارس وقالت لها :

- يعنى مردتيش عليا يا مُهرة ولا أوعى تكونى مستغربة زيى انا وابوكى

لم تستطع أن ترفع وجهها كان الخبر كفيل بان يفقدها وعيها ويلجم لسانها .. ها هو حبيب العمر يتقدم طالباً الزواج منها ثانى يوم تحرره من الاسر وكأنه لم يكن فى اسر السجون فقط .. هزتها أمها من كتفها وهى تقول :

- يابنتى ردى على أبوكى

رفعت مُهرة راسها الى والدها الذى قال :

- هتعملى فيها مكسوفه ما تردى على طول ها اقوله ايه موافقه ولا رافضه

همهمت فى خفوت فلم يسمعها أحد منهما ...هتف والدها بصوت عالى أنتفضت له وهو يقول :

- متعلى صوتك

جلست والدتها بجوارها وهى تقول :

- حبيبتى المرادى مش هنجبرك على حاجه أنتى حره متخافيش أنا عارفه أنه أكبر منك بعشر سنين وأنتى بتعتبريه زى أخوكى الكبير و........

قاطعتها مُهرة فجأة وهى تقول بسرعة :

- موافقة

****

- فارس أنت بتهزر ولا بتكلم جد؟!!

ضحك فارس وهو يجيب عمرو عبر الهاتف النقال :

- هى الحاجات دى فيها هزار يا عبيط أخواتك أنت ..طبعا بتكلم جد

قال عمرو بمرح :

- أصل مش معقول .. أنت عارف أنت أكبر منها بكام سنه ولا ناسى ...

طب وهى وافقت ازاى

تنحنح فارس وهو يقول :

- ايوا عارف انا أكبر منها بعشر سنين وايه المشكله يعنى شوف الرسول كان أكبر من السيدة عائشة بكام سنه ورغم كده كانت أحب زوجاته لقلبه وهى كمان كانت بتحبه جدا عليه الصلاة والسلام .. ده الرسول عليه الصلاة والسلام كان بيأخذ منها الاناء بعد ما تشرب ويدور على مكان موضع شفتيها ويشرب من نفس المكان شفت انت حب أكتر من كده

تنهد عمرو وقال :

- طب وهى قالتلك ايه وافقت على اساس ايه يعنى

أبتسم فارس ابتسامة واسعة وهو يقول :

- بينى وبينك أنا كنت هموت وأشوفها واتكلم معاها لما طلعت عندهم فى البيت لما كنت بتفق مع والدها على التفاصيل بس هى بقى مرضيتش تخرج وأمها قالتلى أنها لو خرجت دلوقتى هيغمى عليها من الكسوف ..

ضحك مرة أخرى وهو يقول :

- حتى لما اتلككت وقلتلهم طيب لو هى عاوزه تسألنى على حاجه هتعمل ايه ولا انا لو عاوز اسالها على حاجه هعمل ايه ... مامتها دخلت كلمتها وخرجت تقولى .. بتقولك لو عاوز تسألها على حاجه قول لماما وماما هتقولى وأنا هرد عليك عن طريقها ..وانا مش عاوزه اسأله على حاجه علشان أنا عارفه كل حاجه

ضحك عمرو ضحكات رنانه قال :

- يا سلام للدرجادى مكسوفه منك سبحان مُغير الاحوال ... قولى بقى الخطوبة امتى كده

رفع فارس حاجبيه وقال :

- خطوبة ايه يا عم الحج هو انا بتاع خطوبه ..تفتكر يعنى لسه هخطب بقى وأغض البصر وكده وبعدين هى كمان بقت تكسف منى أوى وأنا عاوز اخاليها تاخد عليا شويه .. أحنا أتفقنا على كتب الكتاب على طول

عمرو:

- طب قولى أمتى بقى علشان أجى احضر

فارس :

- كنا هنخاليها الخميس بس علشان سيادتك بقى هنخاليها الجمعه

قال عمرو مداعباً :

- تصدق يا فارس انا عمرى ما شوفتك كده ابداً حتى فى جوازتك الاولى مكنتش فرحان اوى كده،، للدرجادى بتحبها

زفر فارس بقوة محاولا أخراج جميع انفعالاته وقال :

- بحبها ايه يا أخى أنا مش لاقى كلمة توصف أحساسى بيها .. انا لما بلال كلمنى فى السجن ونبهنى حسيت بعدها أنى عاوز أكسر حيطان الزنزانة وأخرج اشوفها كان نفسى اشوفها أوى يا عمرو ساعتها حسيت بالسجن فعلا كان هو ده سجنى الحقيقى .. انا مش عارف أنا ازاى مخدتش بالى العمر ده كله

****

الفصل الثلاثون

فى مساء اليوم التالى دخل فارس مكتب الدكتور حمدى بعد أن هاتفة وطلب منه الحضور على الفور لأن والد هانى الذى قد حكم عليه بالاعدام قد جاء الى المكتب وينتظره هناك ... طرق فارس باب حجرة مكتب الدكتور حمدى ودلف إليه وهو ينقل بصره بين الدكتور حمدى ووالد هانى الذى كان يقبع أمام حمدى وقد ظهر حول عينيه السواد من شدة الارهاق والأكتئاب الذى يعانيه منذ ان حُكم على ولده بالاعدام ..

بمجرد أن رأى فارس هب واقفاً وهتف فيه بحدة :

- حرام عليك أنت ومراتك تعملوا فى ابنى كده حرام عليك ضيعتوا مستقبله وضيعتونى معاه

نظر فارس للدكتور حمدى الذى وضع يده على كتفه قائلا :

- يا استاذ عبد القادر هو مش أنا فهمت حضرتك ان فارس مالوش ذنب وأنه كان عنده ظروف منعته من متابعة القضيه

صاح عبد القادر ببكاء :

- ولما عنده ظروف معتذرش عن القضيه ليه ضحكوا عليا ليه

ثم نظر الى فارس ورفع يده بأتجاه لحيته قائلا بحدة :

- أنا عارف اللى مربين دقنهم دول كلهم نصابين وبيتاجروا بيها

أمسك فارس يده الممتدة الى لحيته ونظر له بحدة وقال :

- أقعد وأفهم اللى حصل الاول قبل ما تتهمنى بالنصب

نظر له الدكتور حمدى نظرة ذات معنى وقال :

- مش وقته يا فارس

هز فارس رأسه نفياً وقال بأصرار :

- لاء لازم يعرف كل حاجه

جلس عبد القادر يستمع الى فارس وهو يقص عليه ما حدث معه منذ أن دخل مكتبه اول مرة وطلب منه الدفاع عن ابنة هانى فى قضية القتل ولقد كان يستمع إليه وهو محدق به تتسع عينيه شيئاً فشيئاً غير مصدق ما تسمعه أذنه حتى أنتهى فارس قائلا:

- يعنى مش ابنك لوحده اللى أترمى فى السجن بسبب القضيه دى .. انا كمان اترميت ظلم وده الفرق بينى وبين ابنك

ضاقت عينيى عبد القادر وهو يقول بذهول :

- يعنى مراتك هى اللى عملت كل ده لوحدها بعد ما رميتك فى السجن هى و وائل

أومأ فارس براسه وقال باسى :

- أيوا مراتى ووائل

وفجأة صاح عبد القادر مرة أخرى :

- يعنى مراتك تتمتع بالفلوس وأنا ابنى يتعدم وأخسره

رفع فارس رأسه إليه وقال بجدية :

- ومين قالك أنها هتتمتع بالفلوس .. دى زورت أوراق رسميه يعنى هتتحبس هى واللى ساعدها فكده

دفن عبد القادر وجهه بين كفيه وهو يبكى هتفاً :

- وابنى يا ناس أبنى هيروح مني ظُلم

مال فارس للأمام وقال بهدوء:

- أهدى يا استاذ عبد القادر .. أولا الحكم ده مش نهائى يعنى أى محامى يقدر يعمل استئناف والحكم يتخفف وينزل للمؤبد والمحكمة هتراعى أنه أعترف على نفسه وهتراعى سنهُ الصغير .. والمؤبد احسن من الاعدام

رفع عبد القادر رأسه ونظر إليه وهو يضرب كفيه بحسرة :

- يعنى كل التعب اللى تعبت فيه ده كله وأنا بربيه وبكبره وبصرف عليه وبعمله اللى هو عايزة وفى الاخر ياخد مؤبد .. ليه كده يا هانى انا قصرت معاك فى ايه يابنى

تبادل فارس مع الدكتور حمدى النظرات المشفقة على الرجل وأنحنى فارس بأتجاهه وربت على كتفه قائلا:

- التربية يا استاذ عبد القادر مش معناها أنك تديله فلوس وتخليه مش عاوز حاجه .. أنت كنت بتشوفه بيخرج مع بنات وكنت بتشوف بنات فى عربيته وكنت مخصصله شقه بتاعته يروحها وقت ماهو عاوز مع اللى هو عاوزه من غير رقيب ولا حسيب على تصرفاته .. أنت اديته فى أيده الاداه اللى دمر بيها نفسه وأنت فاكر أنك بتسعده ومش مخليه عايز حاجه

مسح الرجل دموعه وهو يقول بحزن:

- أنا كنت بقول ده راجل مش بنت علشان أخاف عليه

ربت فارس على كتفه وقال :

- الحلال والحرام مفيهوش راجل وست .. وأنت لو كنت ربيته على الحلال والحرام كنت كسبت راجل فى ضهرك دلوقتى يقف جنبك ويساندك.. لكنت أنت سبته للبنات والعربيات والخروجات والفسح ونسيت حديث الرسول عليه الصلاة والسلام :

(ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده، وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع مسئول عن رعيته)

أعتدل فارس فى جلستة وقال:

- يعنى حضرتك أنت وأمه هتتسئلوا عن تربيتكوا ليه وعن الحال اللى وصله علشان معلمتهوش دينه وأنه حرام اصلا أنه يبص لبنت مش كمان يعمل معاها علاقة وتركب عربيته ويقعدوا يحبوا فى بعض وكل ده حرام فى حرام

نهض الرجل بتثاقل وقد شعر أن جبلاً قد وُضع على ظهره فلم يعد يحتمله وقال بوهن :

- متشكر يا دكتور فارس بس أنا فوقت متأخر أوى بعد ما ابنى ضاع مني وماليش حيلة خلاص

ياريت كل اب وأم ينتبهوا على ولادهم وبناتهم قبل ما يضيعوا من أيديهم وساعتها مفيش رجوع

وقبل أن يخرج من حجرة المكتب تبعة الدكتور حمدى مربتاً على كتفه مطمئناً له وقال :

- متقلقش حكم الاعدام هيتخفف ان شاء الله

أومأ الرجل برأسه حزناً وهو يشعر بالضياع .. لم تنفعه امواله فى أن ينشىء رجلا حقيقياً يعتمد عليه فى مراحل عمره المتقدمة ومرضه الذى بدا يزحف إليه رويداً رويدا ...

بعد خروج الرجل من مكتبة أخرج فارس جواب استدعاء من النيابه وقدمة للدكتور حمدى قائلا:

- الآستدعاء ده جالى النهارده الصبح علشان قضية التزوير

قرأ الدكتور حمدى جواب الاستدعاء وهو يومىء براسه ثم قال :

- ده كان متوقع يا فارس طبعا .. متنساش أن اسمك فى التوكيل أول اسم ..

مط شفتيه قائلا:

- عموما متقلقش فى أكتر من اثبات أنك مكنتش شغال القضية دى

تنهد فارس بعمق وقال :

- أنا مش قلقان يا دكتور أنا عارف انى هطلع منها بسهوله ان شاء الله .. أنا هروح بكره وأحط أقوالى وربنا ييسر الامر والموضوع يخلص على كده

نظر له الدكتور حمدى بإشفاق قائلا:

- معلش يا فارس أنا عارف أن اللى حصل مش سهل عليك وصدمتك فى مراتك مش قليلة بس أنت قدها ان شاء الله وهتتجاوز الازمة دى بسرعه زى عادتك دايما .. ثم ابتسم قائلا :

- وبعدين عندى ليك خبر حلو هينسيك كل ده

نظر فارس إليه بفضول فقال حمدى على الفور بمرح :

- هو أنت يابنى مش معاك الدكتوراه ولا ايه

أومأ فارس براسه وهو ينظر إليه بفضول كبير فأردف الدكتور حمدى قائلا:

- طب استعد بقى علشان تستلم شغلك فى الجامعه يا دكتور

حدق فارس به غير مصدق وعلى وجهه ابتسامة وقال بسرعة:

- بجد يا دكتور

ابتسم الدكتور حمدى وقال بخشوع:

- قال الله عزوجل (إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً)

****

كانت عبير تضع الأطباق على المائدة وقد ارتسمت ابتسامة رضى على شفتيها ثم ضحكت ضحكة صغيرة وهى ترى بلال يمرح مع الاولاد ويداعبهم ويقوم بتعليمهم الملاكمة وهم يتدربون فيه ،،فمنهم من يلكمة فى معدته ومنهم يلكمة فى وجهه ومنهم من يقفزون على ظهره ويلكمونه فى ساعديه وهو يصرخ بمرح ويصيح :

- ألحقينى يا عبير ولادك هيموتونى

ضحكت وهى تقول :

- أحسن ..أنت اللى علمتهم

ثم صفقت بيدها وهى تقول للاولاد:

- يالا يا ولاد أدخلوا صحوا تيتة علشان نتغدى سوا

ولكنهم لم يعبأوا ظلوا يلكمونه ويضربونه ولكنه استطاع أن يفلت منهم جميعاً ويهرول بأتجاه عبير وهو يصيح بمرح ألحقونى هيموتونى وهم يجرون خلفه ويضحكون بشدة .. جرى بلال حتى وصل عند عبير ولف خلفها وأحاط خصرها من الخلف وهو يحتمى بجسدها منهم وكلما جاؤه عن يمينه أدارها ناحية اليمين واذا جاؤه عن شماله أدارها بأتجاههم وكأنها دمية يلعب بها وهى تضحك ولا تستطيع الفكاك من ذراعيه المحيطة بها من الخلف .. خرجت أم بلال من غرفتها على اصوات الضحك ونظرت إلي بلال محدقة به وهو يحيط عبير من الخلف ويضمها الى صدره والاولاد يضحكون وهى تضحك ..

نظر بلال الى والدته وقال :

- لا ارجوكى يا أمى متفهمنيش غلط

حاولت عبير فكاك يده من حولها وهى تشعر بالخجل وهو مازال مطبقاً عليها بقوة لا يريد تركها فصاحت فى والدته :

- ألحقينى يا ماما خاليه يسيبنى

جلست والدته على الاريكة وهى تهتف به :

- سبها وبطل استعباط

نظر الاولاد الى بعضهم البعض وكأنهم يقررون خطةً ما لفك اسر والدتهم ... أندفعوا بقوة نحوهما وسقط الستة أرضا وسط ضحكات عالية .. استطاعت عبير أن تتحرر وتنهض مسرعةً تجرى باتجاه المطبخ وهى تصيح :

- حرام عليكوا الاكل هيتحرق

دخل بلال خلفها بعد أن أعطى والدته دوائها ووقف خلفها ينظر إليها وهى تُعد الطعام والعرق ينبت على جبينها من الأبخرة المتصاعدة فى وجهها وهى تزيل غطاء القدر وتقلب فيه بهمة وتتذوقه لتشعر بالرضا تجاهه .. وضعت الغطاء مرة أخرى وألتفتت لتجده واقفاً يشاهدها قالت وهى تضيق عينيها :

- نعم يا فندم جاى تكمل هزار هنا ولا أيه

ضحك وهو يقول :

- لا والله مش قصدى

ثم تقدم منها ومسح حبات العرق التى تجمعت على جبينها وقال :

- أنتى بتتعبى اوى يا عبير ربنا يخاليكى لينا يارب أنا مش عارف من غيرك كنت هعيش أزاى

نظرت له بحب وقد تناست تعبها تماماً على اثر كلماته العذبة المُقدرة لمجهودها وقالت :

- ما أنت كمان بتتعب فى شغلك بره البيت

هز راسه نفياً وقال :

- لا أنا لازم اساعدك قوليلى اعمل ايه وأنا هتلاقينى فوريره على طول

قالت بخجل :

- ممكن تحضر الاكل معايا بس

رفع حاجبيه قائلا بدهشة :

- بس كده

أومأت براسها فأنحنى بخفة أمامها وهو يقول بأحترام :

- تحت أمرك يا مولاتى

ضحكت وضربته بخفة على كتفه ثم أعطته أحد الاطباق فى يده قائلة :

- أتفضل بقى للخلف دور

ألتفوا جميعاً حول المائدة وشرعوا فى تناول الطعام ولكنه فجأة ترك الملعقة من يده لتصدر صوتاً عاليا وهى ترتطم بالطبق امامه وعقد جبينه هاتفاً :

- ايه ده يا عبير ايه الاكل ده

نظر الجميع إلي وقالت عبير بتوتر :

- ايه ماله

عقد جبينه أكثر وقال بصرامه:

- طبيخ ده ولا بسبوسة

تذوقت والدته الطعام وقالت :

- ماهو كويس أهو يابنى

بينما قالت عبير بإضطراب :

- بسبوسة ازاى يعنى

ألتفت إليها بنفس الصرامة وقال :

- المعلقه يا هانم اللى دوقتى بيها الاكل ولمست بؤقك حطتيها فى الحلة تانى علشان كده الطبيخ بقى مسكر

رفعت عبير حاجبيها بينما نظرت له والدته ثم ضحكت وقالت :

- والله أنت عاوز علقة

ثم نظرت لعبير وقالت :

- الله يعينك عليه يا بنتى أنتى مستحمله رخامته دى أزاى

زفرت عبير وهى ترى ضحكاته وقالت :

- الله يسامحك يا بلال خضتنى انا قلت حطيت سكر بدل الملح

ضحك وهو يمسك بيدها ويقبلها وهو يقول :

- مش انا قلتلك قبل كده اى حاجه بتمسكيها بتبقى مسكره

قاطعه أحد الاولاد قائلا:

- أبى أنا عاوز حته من الفرخه دى

نظر له بلال وقال لعبير :

- الواد ده طالعلى بياكل بضمير أوى

بعدما هدأت الضحكات قالت عبير وقد تبادلت النظرات مع أم بلال :

- بقولك ايه يا بلال أنا عندى فكره كده يارب توافق عليها

ابتلع الطعام وقال :

- خير يا حبيبتى

- ايه رايك تعلمنى الحجامه زى ماما كده ونعمل جزء فى المركز للستات .. الحجامه ابتدت تنتشر والستات مش لاقيه واحده ست تعمل عندها ..

فكر بلال قليلا ثم قال :

- طب والبيت والولاد

تدخلت والدته قائلة :

- انا هساعدها وهنتبادل الشغل وبعدين يعنى مش هتبقى زحمة ... الناس لسه لحد دلوقتى ميعرفوش فوايدها ومش هيبقى فيه اقبال كتير وخصوصا فى الاول كده ..

اردفت عبير قائلة :

- حتى لو بقت زحمة ممكن نجيب ممرضة تساعدنا

نظر بلال اليهما وقال :

- شكلكوا متفقين وانا اخر من يعلم

تبادلت مع أم بلال النظرات القلقه فقال بهدوء :

- بصى يا عبير أنا مش ضد شغل الستات بالعكس الست ممكن تفيد الست اللى زيها واللى مش عاوزه تعرى نفسها قدام دكتور راجل .. علشان كده أنا نفسى الدكاتره الستات يبقوا اكتر من كده ويبقوا فى كل التخصصات

قالت بفرحه :

- يعنى موافق

اشار بيده قائلا:

- موافق بشرط أن ده ميأثرش على بيتك وولادك

أومأت براسها بفرحة وهى تنظر الى والدته التى ابتسمت بسعادة وهى تنظر الى عبير بأمتنان فلقد كانت هذه رغبتها هى ولكنها خشيت من رفض بلال للفكرة خوفا على صحتها وسنها المتقدم ولكنها كانت تشعر أنها لابد أن تفعل شىء يخدم دينها لن تظل هكذا حبيسة الجدران تهتم باحفادها وفقط لابد أن يكون لها دور فى المجتمع مفيد ويخدم دينها بدون أختلاط وهى وسط النساء بجوار زوجة ولدها التى تعتبرها أبنتها منذ أن رأتها فى بيت والدها ... فهناك أناس يموتون فنشعر بعد موتهم بفقد الكثير والكثير وهناك أناس يموتون فنتفاجىء بأنهم كانوا لايزالون أحياء

****

وقف فارس ماثلاً أمام النيابة يدلى باقواله فى القضية وهو يذكر كل تفصيلة مرت به فى هذه الاثناء وقدم الدكتور حمدى ما يفيد بأنه كان معتقلاً فى هذا التوقيت وبعد أدلاء سكرتير النيابة بأعترافاته وأنه فعل ذلك بعد تحريض من وائل وأنه استلم المال من دنيا يداً بيد بشكل مباشر وأنه لم يتقابل مع فارس ولم يراه من قبل .. خرج فارس من هناك دون أن توجه له تهمة واحدة ..

وهو فى طريقة فى الرواق أمام مكتب النيابة تقابل مع دنيا ووائل وهم فى حالة مذرية ومن الواضح أنهم قد تم حبسهم على ذمة التحقيق .. نظر لها فارس بأزدراء وأطرقت هى براسها ارضاً تخشى من مواجهته وحثة الدكتور حمدى على عدم التوقف والحديث معها ولكنه لم يفعل ..

وقف امامها قائلا :

- أنا عمرى ما عملت فيكى حاجه وحشة ومغصبتكيش علشان تتجوزينى ليه وافقتى على كتب الكتاب وانتى رافضانى بدل ما كنتى تهربى من أمك كنتى كلمينى وقوليلى مش عاوزاك صدقينى كنت هحترم ده وأنسحب من حياتك بهدوء كنتى وفرتى علينا سنين ضاعت فى لاشىء ..

صمتت وأطرقت الى الارض تريد أن تبتلعها الارض فى أحشائها ولا تقف أمامه مثل هذا الموقف .. سمعت صوتا من الخلف يقول :

- حمدلله على سلامتك يا دكتور

ألتفت فارس ودنيا ليجدا حسن الذى اقترب منها وقال :

- مش كنتى وفرتى على نفسك البهدله دى

حدقت به وقالت صارخه :

- يعنى انت اللى قلتله مش كده يا ندل

ابتسم حسن وقال لها :

- مش انتى اللى مسمعتيش الكلام وكنتى عاوزه تاخدى نص الفلوس لوحدك أديكى هتصرفيها على المحامين

ثم نظر الى فارس وقال بزهو :

- انا اللى بعتلك الجواب يا دكتور فارس علشان أعرفك الحقيقة

أحتقن وجه فارس وهو يسمتع الحديث الذى يدور بين حسن ودنيا وشعر أنه سيتقيأ ما فى معدته من فرط التقزز الذى يشعر به تجاهمها وتجاه ما يقولون ..

دفعها أمين الشرطة تجاه مكتب وكيل النيابة لتدخل اليه تستكمل التحقيقات بينما ألتفت إليها فارس وناداها قائلا :

- دنيا

ألتفتت إليه بنظرات متسائله وعيون باكيه .. فقال بهدوء :

- أنتى طالق

وأستدار بجسده الى حسن الذى كان ينظر إليها بشماته .. فأمسك بتلابيبة ودفعه بالاتجاه الاخر وهو يصيح به :

- أمشى من هنا يا ديل الكلب أنت

نظر الدكتور حمدى إليه متسائلا وهو يقول :

- ايه علاقة حسن باللى بيحصل يا فارس

أطرق فارس برأسه وهو يحركها يمينا ويسارا قائلا بأسف:

- معلش يا دكتور أنا تعبان ومحتاج أروح دلوقتى

وضع حمدى يده على كتف فارس وقال متفهماً :

- روح أنت أرتاح ... ثم أبتسم وهو يقول :

- بس أعمل حسابك بعد كتب كتابك على طول هتنزل الشغل ..ماشى

- ماشى يا دكتور

****

وقبل عقد القران بيوم واحد كانت عزة وعبير فى زيارة مُهرة التى كانت كانت تظن ان شمس اليوم التالى ستشرق من أجلها وأن القمر سينطصف السماء من أجلها لا لينير الارض كما يفعل كالعادة ولكن سيحذو حذو الشمس وسيفعل ذلك لها وحدها ...

قبلتهم مُهرة وهى ترحب بهم فى منزلها بسعادة وجلست أمامه وهى تلاعب الاطفال وعزة تنظر اليها بدهشة بينما قالت عبير بمرح :

- علشان تعرفى بس أن قلبى كان حاسس ها

ضحكت مُهرة بخجل وهى تدفن وجهها بين الاطفال حياءا منها وقالت عزة متسائلة :

- بصراحه يا مُهرة انا مستغربة أوى محدش كان يفكر ابدا ان العلاقه بينك وبين فارس تبقى أكتر من علاقة بنت باخوها الكبير

نظرت لها عبير معاتبه بينما قالت مُهرة بخفوت :

- مش عارفه يا عزة بس أنا عمرى ما شوفت فارس أخويا الكبير كنت دايما بشوفه قدوتى وأنى نفسى ابقى زيه حتى ساعات كنت بتمنى ابقى شبهه فى الشكل من كتر منا كنت بحب اقلده فى كل حاجه ..عارفة العلامات اللى بتبقى مرسومة على الطريق علشان ترشد الناس أهو كان بالنسبالى كده ،،لاء ده أنا كنت بحس انه هو الطريق نفسه اللى من غيره اضيع وأتوه ...

تبادلت عزة مع عبير النظرات وهما ينظران إلى مُهرة وهى تتحدث بعيون حالمة وهائمة فقالت عبير على الفور :

- بصى يا مُهرة أنا بكره إن شاء الله هبقى عندك من أول اليوم وهجيبلك الكوافيرة هنا فى البيت وهجيبلك الاخوات اللى هيعملولك فرح أسلامى محصلش زى فرحى بالظبط مش أنتى فاكراه ولا نسيتى ..

كانت عبير تحدثها وهى مازالت حالمة ومحلقة فى عالمها ولكنها عادت فجأة إلى ارض الواقع وهى تقول بمرح مفاجى وكأنها تذكرت شيئا لا يحتمل التأجيل وقالت :

- شفتى يا ابله عبير فارس بعد ما بقى عنده لحيه بقى أمور أزاى

ضحكت عبير وأستجابت لدعابتها وقالت :

- من غير ما أشوف انا متأكده من كده أصل يابنتى اللحيه دى بتدى الراجل وسامة كده ورجولة

نظرت عزة إليهما وقالت بحيرة:

- تصدقوا بالله أنا عمرى ما تخيلت عمرو باللحيه ومش عارفه هيبقى أمور فيها ولا لاء

قاطعتها عبير قائلة بشغف:

- تعالى ياختى شوفى لما بنخرج أنا وبلال نتشمى ونتفسح فى حته البنات بتبقى هتاكله بعنيها أكل .. بيبقى هاين عليا أجيبهم من شعرهم وأخرملهم عنيهم دى

ضحكت مُهرة وهى تضع كفيها على وجهها فتابعت عبير بحماس وهى تتحدث الى عزة :

- وبعدين يا عبيطة اللحية بتزود قدرة الراجل ال ..... بترت كلمتها وأحمر وجهها وهى تنظر الى عزة التى كانت تحدق بها ..تنحنحت عبير بينما قالت مُهرة ببراءة :

- ال   أيه ؟

ضحكت عزة وهى تنظر لمُهرة التى تسألها ببراءة وقالت لها :

- ابقى اسألى فارس ياختى

قالتها وتبادلت الضحكات العاليه مع عبير ومُهرة تنظر إليها بغيظ وحيرة ثم عقدت ذراعيها أمام صدرها وقالت متبرمة :

- بتضحكوا عليا طب ايه رايكوا هسألوا

زادت ضحكات عبير وعزة وكل منهما تضع يدها على معدتها من كثرة الضحك وهما ينظران الى مُهرة التى زادت غضبا وتبرما كلما أزدادوا ضحكاً ....

****

نظر إلى سترته فى المرآة متمماً عليها بقلق ثم خرج إلى والدته التى كانت تنتظرة بالخارج ودار حول نفسه ببطء مستعرضاً حلته أمامها وقال متسائلاً:

- ها أيه رأيك يا ست الكل

أبتسمت والدته وأقبلت عليه وقبلته بعينين دامعتين وقالت :

- زى القمر يا حبيبى

قال على الفور :

- تفتكرى هعجبها كده

ضحكت وهى ترفع كتفيها وتنزلهما قائلة :

- أنت ياخويا عاجبها من زمان من ساعة ما كانت فى اللفة

قبل يد والدته ولف ذراعه حولها قائلا:

- تصدقى يا أمى مشوفتهاش من ساعة ما رجعت غير مرة واحده لما كانت فى البلكونه ومن ساعتها مش عارف اشوفها ولا حتى صدفة مش عارف مكسوف منى كده ليه كأنى غريب عنها كأنها متعرفنيش مش عارف أخاليها تاخد على الوضع الجديد ده أزاى

أجلستة والدته على الاريكة وجلست بجواره وقالت بجدية :

- أنا عاوزة اقولك كلمتين يا فارس تحطهم حلقة فى ودنك ..

أعتدل وبدا عليه الاهتمام وهو يستمع لها وهى تقول :

- مُهرة يابنى بالنسبالك مش هتبقى مراتك وبس .. دى كمان هتبقى بنتك ولازم تاخد بالك من كده وأنت بتتعامل معاها ... أنا عارفه أن فارق السن بينكوا مش كبير ولا حاجه ،،أنا بينى وبين ابوك الله يرحمه 15 سنه وطول عمره وأحنا متفقين الحمد لله لحد آخر لحظه .. عارف ليه يا فارس ،، علشان ابوك طول عمره كان حنين ومكنتش بحس أنه جوزى وبس كنت بحس أنى بنته بيدينى حنان الاب زى ما بيدينى حب الزوج ،، فاهمنى يا فارس

أومأ برأسه وهو يحاول استيعاب نصائحها فقالت متابعة:

- لو عملت كده مراتك هتحبك أكتر وأكتر وهتبقى أغلى حاجه فى حياتها ومش هتقدر تزعلك ابداً

أبتسم ونهض يقبل رأسها قائلا:

- ربنا يخليكى ليا يا أمى ممكن بقى نطلع أحسن من ساعة ما قولتليلى كلمة مراتك دى وأنا عاوز أطلع مش عارف ليه

ضحكت والدته بشدة وهى تضع يدها على قلبها وتقول :

- سبحان الله كأنى أول مرة اشوفك بتتجوز فيها كأنك واحد تانى خالص

أخذ بيديها يساعدها على النهوض وأتجه بها نحو الباب وقد ملئت نظرات الحب عينيه وهو يقول :

- صدقينى يا ماما أنا كمان حاسس أنى أول مرة بتجوز وأول مرة بحب

****

تزينت مًهرة حتى أصبحت تبدو أكبر من عمرها الحقيقى ووقفت تنظر لزينتها بالمرآة وهى تستغرب شكلها الجديد وهيئتها شردت بعقلها بعيداً وتذكرت يوم عقد قرانها على علاء ذلك اليوم الذى لم تنظر لنفسها فيه فى مرآتها أبداً ولا تعرف كيف كان يبدو شكلها وقتها ..

لم ترى الا فستانها وهى تنظر اليه وهى مطرقة براسها حتى لا تراه وهى تجلس بجواره مطرقةً براسها حزناً...... تذكرت كيف ابدت موافقتها على الزواج منه بدون عقل واعى رغم النفور الذى شعرت به تجاهه عندما تقدم لخطبتها ..

نطق لسانها بالموافقة رفض عقلها وقلبها .. حدقت بوجهها فى المرآة أكثر وقد تذكرت الطريقة التى كانت تتعامل بها مع علاء لم تعتبره يوما زوجها حتى أنها لم تظهر أمامه الا بالملابس المحشمة وبالحجاب ..

لم يرى شعرها رغم الحاحه الدائم كانت ترفض دائما لشعورها انه غريب عليها لا تعرفه ولا تطيقه .. كانت تعتبر رفض قلبها له دليل على عدم صحة زواجهما لذلك هو ليس زوج ولا حتى خطيب ...كان طلاقها تحصيل حاصل سيحدث فى أى وقت ولكن فى اى حال من الاحوال ما كانت ستكمل معه مشوار حياتها أبدا ..

كانت تراه مُختطف قد أختطفها من بيئتها التى نشأت بها يريد أن يقذف بها فى مجتمع آخر غريب عليها خالى من دفء المشاعر التى أعتادت عليه فى مجتمعها الصغير مجمتعها التى تربت ونشأت فيه وأحبته بكل ذرة فيها .....

أنتفض جسدها فجأة عندما هزتها أمها بقوة هاتفة بها :

- مالك يا مُهرة سرحانه فإيه كل ده

أنتبهت الى والدتها بعيون شاردة ولكنها عادت الى ارض الواقع سريعاً وهى ترى عبير وعزة ووالدة فارس يدخلون غرفتها وقد ملاءت الضحكات عيونهم وعبير تقول :

- الفرقه داخله يا مُهرة أجهزى ببدلة الرقص

ضحك الجميع وبدأت البنات فى الدخول إليها وجلست هى كالملكة بين الجميع تنظر إليهم وتضحك ببراءة وهم ينشدون وعبير وعزة يرقصان ويرتطمان فى بعضهما البعض ويضحكان فى سعادة وبعد قليل أخذوا بيد والدة فارس لترقص معهم ولكنها خجلت وأحتضنتهم وخرجت من حلبة الرقص وجلست بجوار مُهرة وهى تربط على قدمها بسعادة وحب ضحكت مُهرة اكثر بخجل عندما أخذت عبير الدُف من احدى الاخوات وبدأت تنشد وهم يرددون ورائها

فارس حلم بتتمنيه
واللى حلمتى فى يوم تلاقيه
بيكون وصفه يا مسلمة ايييه
يلا قوليلنا ..يلا قوليلنا ..ياالا قوليلنا واحكى عليه

***ما تشوف عينه الا حلاله**
ولا غير ربه بيشغل باله
ويطاطى ويراضى الوالد
والوالدة بتبات داعياله
ومصلى والمولى هاديه
آدى اللى حلمت انى الاقيه

قولى كمان يا صبيه عليه
فارس حلم بتتمنيه
بيكون وصفه يا مسلمة ايه
يلا قوليلنا ..يلا قوليلنا ..ياالا قوليلنا واحكى عليه

***يتعب جسده ويعرق اكتر**
ليرتاح قلبه الاخضر
وبيرجعلى بايده نضيفة
نفسه عفيفة وزى السكر
وطيابته بتبان فى عينه
آدى اللى حلمت انى الاقيه

قولى كمان يا صبيه عليه
فارس حلم بتتمنيه
بيكون وصفه يا مسلمة ايه
يلا قوليلنا ..يلا قوليلنا ..ياالا قوليلنا واحكى عليه

*بتمناه انه يقدرنى
يبقى ولى القلب وأمرى
والليل لو بتطول اوقاته
يبقى ونيسى ونجمى وقمرى
وانا عمرى عمرى ما اعصيه
آدى اللى حلمت انى الاقيه

قمر العاطى انك تلاقيه
زى ما كنتى بتحلمى بيه
واهو جالك دلوقتى الفارس
يسعد قلبك ويهنيه
يسعد قلبك ويهنيه

قمر العاطى انك تلاقيه
زى ما كنتى بتحلمى بيه
واهو جالك دلوقتى الفارس
يسعد قلبك ويهنيه
يسعد قلبك ويهنيه

أما فى الخارج وعند الرجال جلس فارس أمام والد مُهرة وبدا المأذون فى أجراءات عقد القرآن .. نظر فارس حوله نظرة سريعة فلم يجد أثر ل عمرو رغم وجود والده ووالدته وزوجته بالداخل ولكنه لم يأتى حتى الان ..

كان يريد أن يكون عمرو أحد الشهود على الزواج ولكنه تأخر جدا عن الموعد المتفق عليه ... لاحظ بلال نظرات فارس فنهض من مكانه وذهب الى فارس وأنحنى يحدثه فى اذنه قائلا :

- يتدور على ايه عاوز حاجه

همس له فارس :

- عمرو أتاخر أوى

أخرج بلال هاتفه وأتصل به ولكن الهاتف مغلق .. أنحنى مرة أخرى وقال لفارس:

- التليفون مقفول .. بس متقلقش يمكن الشبكه واقعه ولا حاجه وبعدين ده جاى من سفر يعنى يمكن السوبر جيت أتأخر على ما طلع ولا حاجه

أومأ فارس براسه بقلق وأنشغل مع المأذون فى الاجراءات حتى أنتهى العقد وبدات رحلة الامضاءات الطويله أنهى فارس آخر توقيع له وارتسمت على وجهه علامات السعادة والفرحة والشوق والحب قد عبرت تسللت وأنطلقت مرتحلة أخيرا من بين قضبانها بداخل قلبه ولتنطق بها قسمات وجهه معلنةً عن شوقها البالغ لزوجة العمر وشريكة الطفولة والصبى ..

خرجت والدة فارس وأخذت الدفتر الكبير ودخلت الى مُهرة لتوقع هى الاخرى موافقةً على أهداء عمرها وقلبها وكيانها له بدون منازع ولا شريك كما كان دائما ولكن هذه المره يرتبطان برباط مقدس لا ينفك بينهما أبدا ..

كانت توقع على العقد ويديها ترتعش وجسدها ينتفض لا تستطيع تفسير هذه الحالة ولن نستطيع نحن ايضا تفسيرها ولكن من الجائز ان نقول عنها .. حالة حب

أغلق المأذون دفتره وهو يدعوا لهما بالبركة والرزق وبدأ الجميع فى ترديد الدعاء لهم خلف بلال الذى كان يردد .. بارك الله لهما وبارك عليهما وجميع بينهما فى خير...

غادر المأذون وبعد قليل وقف بلال فى المنتصف بين الجميع وقال بصوت عالى .. ودلوقتى جه وقت الامتحان وده للكل ها

نظر له الجميع بتسائل فقال :

- انا هسأل سؤال واحد ولازم الكل يجاوب عليه

بدأت الابتسامات تعلو الوجوه وبلال يقول :

- هو سؤال واحد ... كل واحد فيكوا أتجوز ليييييه؟

نظر له الجميع وبدأوا بالضحك فاشار لهم أن يصمتوا وقال :

- مبهزرش انا عاوز أجابه

بدأ الجميع فى الهتاف بمرح :

- ايه يا عم ده بنتجوز علشان نتجوز

- بنتجوز علشان نخلف ويبقى عندنا عيال

- بنتجوز علشان أهالينا يرتاحوا

- بنتجوز علشان أمهاتنا دعوا علينا فى ساعة عصارى

ضحك الجميع من اجابات بعضهم البعض فتوجه بلال الى فارس وأخذ بيده يوقفه وقال :

- وأنت بقى يا عريس بتتجوز ليه

أبتسم بلال وقال :

- علشان أفتح بيت مسلم وأخلف عيال أربيهم تربية اسلاميه أنفع بيهم الدنيا والدين من الانسانه اللى أخترها قلبى

صفق بلال بيديه فاستجاب له الجميع وصفقوا وهم يضحكون

بينما قال بلال :

- هى دى الاجابه النموذجيه يا جماعه ... ثم نظر الى أبو مُهرة وقال متعجبا:

- ينفع بقى البنت اللى أخترها قلبه تبقى قاعده جوا وهو قاعد مع الشنابات دى

ضحك الجميع مرة أخرى ونهض والد مُهرة مبتسماً وهو يقول :

- طب استنى لما أدخل أشوف الطريق

دخل والد مُهرة وطرق على الباب فخرجت له أم يحيى فقال لها :

- خلى البنات تلبس علشان العريس عاوز يقعد مع عروسته شويه

ابتسمت ودخلت على الفور وقالت بصوت عالى :

- يالا البسوا يا بنات العريس عاوز يدخل

أحتقن وجه مُهرة وهى تبحث عن ملابس او حجاب أو اى شىء

فضحكت عزة وهى تقول لها :

- يابنتى ده خلاص بقى جوزك أنتى أتهبلتى ولا ايه

أرتدت النساء ملابسها ووضعت عبير نقابها على وجهها وقبلت مُهرة وأنصرفت ..

بدأت النساء فى الانصراف ونـهض فارس ليدخل لحبيبة قلبة ليراها لاول مرة دون محاذر أو قيود او خجل ولكن تأتى الرياح دائما بما لا تشتـهى السفن .. دخل والد عمرو وأخيه محمود وهو يهتف موجها حديثه لفارس :

- أحلقنا يا فارس يابنى عمرو أتقبض عليه وهو جاى فى السكة

حدق به فارس وابتلع ريقة وهو يصيح به :

- أتقبض عليه يعنى ايه وليه

صاح والد عمرو وهو يلتقط انفاسه بصعوبه

_ وهو جاى فى السكة طلعت حمله تفتش السوبر جيت ولقوا فى شنطته حتة آثار فرعونى

تمتم فارس بذهول :

- آثــار فرعـونـى !!!!!

****

الفصل الحادى والثلاثون

عانق فارس عمرو وربت على ظهره مطمئناً وأجلسه وجلس بجانبه ممسكاً بذراعة وهو يقول :

- متخافش يا عمرو أن شاء الله هتطلع منها بس أحكيلى كل حاجه حصلت معاك وأزاى حتة الاثار دى دخلت شنطتك ؟!

أستند عمرو برأسه بين كفيه وهو يهزها نفياً قائلاً بإنهيار:

- مش عارف يا فارس مش عارف

ثم رفع راسه إليه وقد بدا فى عينيه الرجاء وهو يقول :

- أنت مصدقنى يا فارس مش كده أنت مصدق أنى ماليش دعوه بالحاجات دى ولا أعرفها

أمسك فارس ذراعه وهو يشد عليه مطمئناً ويقول :

- مصدقك طبعاً يا عمرو أنت صاحبى وأخويا وأنا عارفك كويس .. بس براحه كده علشان نفهم أزاى ده حصل .. أحكيلى كل حاجه .. فى حد فى شغلك مضايق منك ولا بيكرهك ؟

ضرب عمرو كفيه فى بعضهما البعض وهو يقول :

- انا دماغى متشتته يا فارس مش عارف أجمع أى حاجه ..أنا علاقتى بزمايلى فى الشغل علاقة كويسه اوى ..

ثم تنبه فجأة وهو يقول بإضطراب :

- يمكن بس واحد هو اللى كان بيكرهنى فى الاول بس من فتره كده بقى كويس معايا خالص وبقينا اصحاب

عقد فارس بين حاجبيه وقال مكرراً :

- مين ده وكان بيكرهك ليه وبقى كويس معاك من أمتى بالظبط ؟؟؟

مسح عمرو وجهه بيديه بقوة نافضاً عن نفسه التشتت الذى يشعر به وقال :

- بص يا فارس أنا هحكيلك كل حاجه بس الكلام ده يبقى بينا وبين بعض علشان الكلام مايوصلش لمراتى بأى حال من الاحوال ..

أومأ فارس برأسه وهو يشعر ان المشكله أكبرمما كان يظن .. مال عمرو للأمام مستنداً على قدمية وبدأ يقص على فارس ما حدث له فى هذه الشركة منذ أول لحظة وطأت قدمه فيها وحتى هذه اللحظة كان فارس يستمع إليه مشدوهاً مما يقول ..

كيف تكون المهندسة إلهام بهذه الاخلاق وهى أخت الدكتور حمدى !!.. الرجل الذى لا يقبل قضية مشبوهة ابداً ومبادئة غير قابلة للمساومة أو التجزئة .. ماهذه العائلة الغريبة التى تحيط بالدكتور حمدى ألايكفى فى عائلتة شخص مثل باسم ابن خالته لتصبح إلهام أخته أيضا بهذا الانحدار الاخلاقى الذميم ..

أنتهى عمرو من سرد قصته على فارس الذى تمتم بحيرة :

- سبحان الملك .. سيدنا نوح كان نبى وأبنه كان كافر وسيدنا ابراهيم كان نبى وابوه كان مشرك بالله يبقى المفروض مستغربش من اللى بسمعه ده ..

ثم نظر إلى عمرو بريبة وهو يقول :

- علشان كده أهتمت أنها تطلعك بسرعه أنت لوحدك وقالتلك أن دنيا هى اللى قدمت البلاغ ضدنا مش كده ؟

قرأ عمرو الشك فى عينيى فارس فقال مدافعاً عن نفسه:

- متفهمنيش غلط يا فارس أنا متجاوبتش معاها أبداً فى اى حاجه أنت عارف أنا بحب مراتى قد ايه ومش ممكن أخونها

فارس:

- ولما هى الحكاية كده يا عمرو ليه وافقت أنك تكمل شغل معاها وتسافر تشتغل مشروع كبير زى ده لشركتها وكمان مع نادر اللى أنت عارف كويس أنه بيكرهك وعاوز يأذيك

قال عمرو مُطرقاً برأسه :

- دى غلطتى الوحيدة يا فارس واللى أنا مُعترف بيها .. بصراحة أنا كنت مصمم على الاستقاله علشان أبعد عن أى مصدر للفتن لكن لما لقيت نفسى هشتغل بعيد عنها وكمان الشغل هيجيب مبلغ كويس اقدر ابدأ بيه حياتى طاوعت نفسى وقلت وماله وياريتنى ما كنت وافقت

وضع فارس يده على قدمة مشجعاً وقال :

- أحكيلى بقى بالراحة كده ايه اللى حصل من أمبارح للنهاردة

مسح عمرو على شعره ثم قال بتركيز يحاول أن يتذكر كل شىء وقال :

- أنا المفروض كنت هاجى يوم الخميس بالليل بس طبعا زى ما قلتلك نادر كان صلح علاقته بيا من اسبوع تقريبا وبقينا اصحاب ..قابلنى يوم الخميس وقالى أنه مضطر يرجع القاهره علشان ظروف فى البيت عنده وهيجيلى الجمعه على بعد الظهر كده ويستلم هو الشغل مكانى واسافر أنا الجمعه بعد الظهر ..

انا طبعا كنت عارف أن كتب كتابك هيبقى بعد العشاء فقلت هلحق مفيش مشكله ... وفعلا نادر سافر يوم الخميس بالليل ... جهزت أنا شنطتى بالليل والصبح خدتها معايا الموقع وحطيتها فى كشك الراحه بتاع المهندسين اللى بنتغدى فيه فى مكان الموقع ..

وقلت علشان أول ما نادر يرجع أخد الشنطة وأمشى على طول من بره بره .. وفعلا جالى فى معاده بعد الظهر على طول وأخدت الشنطة وركبت السوبر جيت

وأنا جاى فى الطريق طلعت حملة تفتيش عاديه بس حسيت أنهم بيدوروا عليا أنا بالذات لانهم أهتموا اوى بشنطتى ولقيتهم مطلعين منها تمثال صغير شكله كده فرعونى مش عارف دخل شنطتى أزاى يا فارس.. ومن ساعتها وأنا هنا ...

****

عاد فارس إلى بيته قُبيل الفجر بوقت قليل وهو يحمل هم الدنيا فوق راسة حزناً على صديق عمره ورفيق دربة .. كيف سيخرجة من هذه الورطة فهو لم يعمل فى مثل هذه القضايا من قبل ولكن كلام عمرو وحديثة أشعراه بأن نادر هو الفاعل هو من وضع قطعة الاثار فى حقيبة عمرو الخاصة عندما تركها عمرو فى مكان استراحة المهندسين اثناء العمل فالقاعدة تقول أذا أردت أن تؤذى أحدا فإقترب منه وأكتسب ثقته وأصبح صديقه لتعلم عنه ما يستحيل عليك أن تعلمه وأنت عدوه ..

من الواضح أن نادر هو من قام بترتيب كل شىء ليوقع عمرو فيما وقع فيه ...أستلقى فارس على فراشة بعد أن ابدل ملابسه .. نظر الى ساعة الحائط أمامه وزفر بضيق وهو يقول بحنق :

- طبعاً زمانها نامت مش معقول تفضل صاحيه لحد دلوقتى

سمع طرقاً خفيفاً على باب غرفتة فألتفت تجاه الباب وقال :

- أتفضلى يا أمى

فتحت أمه الباب ودلفت وقد بلغ القلق منها مبلغه .. أعتدل على فراشة فاقتربت منه وجلست بجوارة قائلة :

- عمرو عامل ايه يا بنى طمنى عليه

قال وهو يومىء براسة مطمئناً :

- متقلقيش عليه يا ماما عمرو كويس وموضوعه ده أن شاء الله يخلص على خير .. زمان والده وأخوه روحوا البيت وطمنوا مراته وأمه عليه..

قالت والدته بأسى :

- دى مراته يا عينى قطعت نفسها من العياط عليه وفين وفين لحد ما أمها هدتها وعرفت تاخدها معاها البيت .. وكلنا روحنا معاها حتى مُهرة ..

ألتفت فارس إلى والدته وقال متسائلاً بإنفعال :

- ومُهرة نزلت بقى بفستان الفرح كده فى الشارع

هزت رأسها نفياً وأردفت قائلة:

- مُهرة برضه هتعمل كده يا فارس .. دى غيرت هدومها ياعينى وفضلت مع عزة لحد ما هديت ورجعنا كلنا من عندها من ساعه كده ..وفضلت واقفة جانبى لحد ما اتصلت بيك وأنت قلتلى أنك جاى فى السكه ..

وجدت الابتسامة طريقها أخيراً الى شفتيه وهو يتسائل:

- تفتكرى زمانها نامت ؟

قالت بحيرة :

- مش عارفه يابنى .. ثم ربتت على قدمه قائلة:

- عموما أنت كمان شكلك تعبان أوى .. نام دلوقتى والصباح رباح

أومأ براسه موافقاً لها فتركته ونهضت وفتحت باب غرفته وخرجت وهو يتتبعها بعينيه الحائرتين .. يريد أن يتحدث معها على الاقل فى الهاتف ولكن يخشى أن تكون قد نامت فيوقظها ويقلقها بعد كل هذا العناء الذين عاشوه فى يومهم هذا ..

لم يستطع النوم تململ فى الفراش كثيراً دون جدوى نهض منه وجلس على طرفة وهو يفكر فى يوم عقد قرآنه الذى أنتهى بهذا الشكل المأساوى تركها وذهب دون أن ينظر لها نظرة واحده ..

نهض من فراشة ووقف أمام الفراش وهو يمسح على شعره متردداً .. هل يجازف أم ينتظر للغد ولكن فى الصباح سينطلق إلى عمرو مرة أخرى وبالتالى فلن يراها ايضا ألا أذا سمحت له الظروف فى المساء .. زفر بقوة وأتجه الى النافذة يفتحها ويستنشق بقوة لعله يتخلص من التردد الذى أعتمل بصدره ..

كان الشارع مُظلماً الا من بقعة صغيرة أمامه تعكس ضوئاً لغرفة عُلوية .. نظر للأعلى وقلبة قد استعاد الامل من جديد فتأكد أن غرفتها هى مصدر الضوء ..تيقن من كونها مازالت مستيقظة.. أتجه فوراً بأتجاه مكتبة وأخذ هاتفه النقال من فوقة وطلب رقمها الخاص بشوق كبير ..

أغلقت الكتاب التى كانت تقرأ فيه وألتفتت الى الهاتف الذى تضىء شاشتة بأسمه ويهتز مع أنتفاضة قلبها لا تعلم أيهما أسرع وأقوى .. تناولت الهاتف بأبتسامة كبيرة فهذه هى المرة الاولى التى سيتحدث معها بعد ان أصبحت زوجته ..

ظلت تنظر للهاتف بتوتر شديد والعرق يتصبب من جيهتها وقلبها يقفز بجنون يكاد يخرج من حلقها وفجأة توقف الرنين وأظلمت الشاشة مرة أخرى كما أظلمت الابتسامة التى كانت تنير ثغرها منذ قليل ..

حاولت أن تهاتفة هى ولكنها شعرت بخجل شديد وأمتنعت عن ذلك وأكتفت أن ترسل له رساله صغيرة تقول فيها :

- أنا صاحية

بعد ثوانى وجدت الهاتف يعلن أسمه بأصرار من جديد .. تنفست بعمق وأبتلعت ريقها وضغطت زر موافق

وضعت الهاتف على أذنها بإضطراب شديد فسمعت صوت أنفاسة المشتاقة وتسلل صوته الحانى بهدوء وخفوت الى أذنها ومنه الى قلبها وهو يقول :

- صحيتك ؟؟

هزت رأسها نفياً كأنه يراها وحاولت أن تُخرج صوتها بصعوبة فقالت بصوت مبحوحاً :

- لاء منمتش

أبتسم وهو يستمع لصوتها الذى غلفة الخجل فخرج مضطرباً وقال :

- كنتى بتعملى أيه

مضت تبحث عن حروفها فلم تجدها تبعثرت وتاهت فى سماء صوته الرخيم ..أعاد سؤاله مرة أخرى على مسامعها ..

فتماسكت قليلاً وقالت بإرتباك :

- كنت مستنياك

تنهد بقوة وهو يتكأ على فراشة وقال بهمس:

- أنتى كده على طول مبتعرفيش تنامى وأنتى قلقانه عليا ؟

مرت بها سحابة الخجل وأخذت بيدها الى سماء الحياء فأمطرت صمتاً له صوت كصوت الندى يقطُر على قلبة فينبت فيه الشوق الهائل والحنان البالغ وجد لذته على لسانه كما وجدها فى قلبة وكيانة وهو يقول أسمها بحب كبير :

- مُهرة

أختلج قلبها وهى تستمع الى اسمها يخرج منه بهذا الدفء وأجابته :

- نعم

أغمض عينيه يضم صوتها الخجِل إليه وقال ببطء :

- وحشتينى

لم تجبه على الفور فقال دون تردد :

- بحبك

تدرجت وجنتيها بحمرة الخجل وهى تبتسم بحب وقد خفق قلبها لكلمتة وللطريقة التى نطقها بها تشعر أنها تراه الان وتشعر بدفء كلماته التى أختلفت عن كل الكلمات ..أما هو فلا يعلم كيف أستمع إلى دقات قلبها وهو يطرق باب قلبه منادياً

مهلاً حبيبى مهلاً ..قد أنتظرتك دهراً

ذاب قلبى فى شفاهك فـ بهِ اليوم رفقاً

****

فى الصباح الباكر كان فارس يقف بجوار عمرو أمام النيابة ويتابع معه سير التحقيقات ...طلب فارس من النيابة تقريراً لمفتش أثار متخصص من هيئة الاثار للوقوف على صحة هذه القطعة الاثرية من زيفها...

وهل هى أصلية أم لا كما طالب بالافراج عن عمرو بضمان محل أقامتة لحين ورود التقرير المطلوب ... وبالفعل تمت الاستجابة لطلباتة وتم تحويل القطعة الاثرية لهيئة الاثار للكشف عنها وتم الافراج عن عمرو بضمان محل أقامتة ...

بعد خروجهما من النيابة وقف عمرو ينتظر فارس الذى كان يتحدث فى الهاتف مع الدكتور حمدى ويخبره بآخر التطوارات ويقول:

- بس أنا مش مطمن يا دكتور ممكن التقرير يجى بأن الحته الفرعونى دى سليمة وكده عمرو هيروح فى داهية

قال الدكتور حمدى مطمئناً :

- أنت مش بتقول زميلة فى الشغل هو اللى أنت شاكك فيه وأن فى بينهم ضغائن خلاص سيبلى الحكاية دى هتكلم مع إلهام أختى واشوف ممكن تساعدنا أزاى

قال فارس بتوتر:

- لا بلاش يا دكتور

قال الدكتور حمدى متسائلاً :

- ليه يا فارس

حاول فارس البحث عن شىء آخر يقول غير الذى بداخله فقال:

- يعنى انا لسه مش متأكد مش عاوز نتهم حد ظلم

- ملكش دعوة أنت أنا مش هاتمه أنا هحاول أعرف بس أى حاجه عن شغله منها يمكن يكون بيشتغل فى حكاية الاثار دى من وراها ويوديها فى داهيه هى وشركتها .. ماهى الاثار دى محدش بيلاقيها فى الشارع كده الموضوع شكله كبير يا فارس

أنهى فارس مكالمتة مع الدكتور حمدى ونظر الى عمرو الذى كان يقف بجواره ويتحرك بشكل عشوائى بإضراب فقال فارس :

- ما تهدى شويه يا عم أنت خيالتنى

مسح عمرو على شعره بتوتر بالغ وهو يقول :

- أنا مش مطمن يا فارس القضية ممكن تلبسنى كده

حاول فارس تهدئته وقال :

- طب ايه رايك نعملهم مفجأة ونروح دلوقتى أنا كنت كلمتهم من ساعه وقلتلهم هنتأخر لو روحنا دلوقتى هتبقى مفجأة حلوه دى مراتك هتموت من القلق عليك

قال عمرو فى شرود :

- لاء انا عندى مشوار ضرورى لازم اروحه حالا قبل ما اروح

أمسكة فارس من ساعده وقال متسائلا :

- رايح فين يا عمرو

ربت عمرو على كتفه وقال مسرعاً :

- هقولك بعدين متقلقش عليا روح دلوقتى ومتخاليش حد يشوفك من عندى وانا ساعه وهاجى وراك على طول

قال عمرو كلمته ولم يعطى فرصة لفارس للمناقشة والسؤال وأنما أنطلق على الفور فى طريقة

****

تناولت أم فارس قطعة قماش كانت بجوارها وقالت لام يحيى وهى تشاهدها بدقة :

- القماشة دى حلوة اوى يا أم يحيى تصدقى أنا عندى عباية من نفس نوع القماش ده وكنت بدور على واحده زيها لانها مريحانى أوى ..أنا هاشتريها منك وابقى هاتى غيرها

نظرت لها أم يحيى بعتاب وقالت :

- ده كلام برضه يا ست أم فارس دى هدية منى ليكى وبقولك ايه هاتيلى العبايه اللى بتقولى عليها وانا أفصلك أختها بالظبط .. ده أنا بقيت لهلوبة فى التفصيل

هزة ام فارس راسها نفياً وهى تقول بتصميم :

- انا ماليش دعوة بالكلام ده هادفع تمنها يعنى هادفع تمنها ثم ألتفتت إلى مُهرة وقالت وهى تمد يدها إليها بمفتاح الشقة :

- خدى يا مُهرة مفتاح الشقة وأنزلى هاتيلى العباية الكحلى بتاعتى علشان أمك تشوفها

وقفت مُهرة تنظر إلى يدها الممدودة بأرتباك فقالت أم فارس ضاحكة :

- متخافيش فارس مش جاى دلوقتى أتصل وقال هيتأخر

ضحكت أم يحيى وقالت :

- فاكره يا أم فارس لما قلتلك على مُهرة وهى صغيرة الله يكون فى عون جوزها من اللى هتعمله فيه

تبادلت معها أم فارس الضحكات وهى تحرك راسها موافقةً لها وقالت وهى تنظر ل مُهرة :

- هو حر بقى مش هو اللى مستعجل على الجواز

أحمرت وجنتها وألتقطت المفتاح سريعاً من يد أم فارس وقالت وهى تهرب من أمامهم :

- أنا هنزل بدل ما تتسلوا عليا

فتحت مُهرة باب الشقة ودلفت للداخل وعلى وجهها ابتسامة كبيرة .. أنطلقت على الفور تجاه غرفتة ودخلتها وأغلقت الباب خلفها ووقفت فى المنتصف تنظر لها بشوق كبير وكأنها تبثها حبها لساكنها وترجوها أن تنقل مشاعرها له عنده حضوره ..

جلست على فراشة ومسحت عليه برفق تتلمسه لمساً وتستشعر دفئة بعينين هائمتين .. أخذت وسادته وضمتها إلى صدرها برقة ونعومة وقبلتها بحب كبير .. حانت منها ألتفافة الى خزانة الملابس الخاصة بدنيا ..روادها شعور بالغيرة وأتجهت إليها وهى تدعو من قلبها أن تجدها خالية حاولت أن تفتحها ولكنها وجدتها مغلقة بالمفتاح فعلمت أنها مازالت محتفظة بملابس صاحبتها بداخلها ..

اشتعلت نار الغيرة بقلبها لمجرد وجود ملابسها معه بنفس الغرفة شعرت ان الدماء تصاعدت إلى رأسها بقوة وشعرت بحرارة جسدها التى أرتفعت بشدة وفى تلك اللحظة فُتح باب الغرفة فجأة فصرخت وسقطت مغشياً عليها على الفور .. أنتابه الهلع الشديد عليها

وهرول نحوها وهى ملقاة أمام الخزانة وحملها ووضعها على فراشة برفق وأخذ يبحث فى الغرفة عن زجاجة عطرة فوجدها أخيراً وأخذها وحاول أن يجعلها تشمها حتى تستفيق من غيبوبتها وأخيراً استجابت للرائحة النفاذة التى تسللت إلى عقلها فتحت عيونها ببطء واصدمت بوجهه وهو جالس بقربها على الفراش يمسح على وجنتها برفق وينادى عليها بقلق شديد جلست على الفراش فجأة وهى تنظر إليه بخجل وأضطراب وقالت :

- انا آسفة

أبتسم وهو يتأمل وجهها وشعرها ويمسح عليه برفق وقال بمرح :

- يعنى أول مرة اشوفك فيها يغمى عليكى كده

شعرت بارتفاع آخر فى درجات حرارتها ولكن هذه المرة من الخجل مسحت على وجهها وهى مطرقة بوجهها وقالت بخفوت :

- آسفة أنى خضيتك

رفع وجهها إليه ونظر إليها متأملاً :

- دى تانى آسفة على فكره .. طب آسفة التانيه وعرفناها آسفة الاولى ليه بقى

اشاحت بوجهها بعيداً تخفى أحمرار وجهها عن عينيه

وقالت وهى تضع خصلة من شعرها خلف اذنها :

- آسفه انى دخلت أوضتك كده

أعاد وجهها إليه مرة أخرى بأنامله وقال هامساً :

- أنتى مراتى يعنى تدخلى أوضتى براحتك وبعدين أنتى بتدخليها من زمان أوى ولا نسيتى

هربت الابتسامة من شفتيها عندما تذكرت خزانة الملابس فاشاحت بوجهها مرة أخرى ونهضت من فراشة مسرعةً وقالت بحنق :

- لازم أنسى طبعاً لانها فى وقت من الاوقات كانت متحرمه عليا وأظاهر ان الاوقات دى غالية عندك أوى

عقد حاجبية وهو ينظر إليها بتسائل وقال :

- أيه اللى خلاكى تقولى كده

أشارت للخزانة وقالت بضيق :

- علشان لسه محتفظ بهدومها فى الدولاب شكلها كانت هدوم غاليه عليك أوى ..ثم عقدت ذراعيها أما صدرها وقالت بغيرة واضحة :

- شكلها ليها معاك ذكريات كتير علشان كده مقدرتش تفرط فيها

رفع حاجبية ووضع يديه فى جيببى بنطالة واقترب منها حتى وقف أمامها مباشرة وقال وهو ينظر فى عينيها:

- بس الدولاب مقفول بالمفتاح عرفتى منين أن هدومها لسه فيه

أستدارت وهى ترفع كتفيها وقالت متبرمة :

- باينه أوى مش محتاجه فقاقه يعنى

أبتسم وهو يكرر ورائها :

- فقاقة ؟!... وحشتنى اللغة بتاعتك أوى

أتجه نحو مكتبة وأخرج منها مفتاح صغير وعاد إلى الخزانة وفتحها بالمفتاح وقال وهو يشير إليها :

- اتفضلى شوفى الذكريات اللى بتقولى عليها

ألتفتت مُهرة إلى الخزانة فوجدتها خاوية فنظرت إليه بدهشة متسائلة فأومأ براسة وهو يقول :

- أيوة فاضيه .. علشان أمى كانت عاوزه تعلق البدل الزياده اللى زحمة دولابى فيها وأنا قفلتها بالمفتاح علشان أمى متعملش كده عارفه ليه .. علشان مش عاوز هدومى تتحط مكان هدومها من كتر منا بقرف كل ما افتكرها

وضعت راحتها على جانب رقبتها وهى مطرقة براسها لأسفل فى خجل فقال بحنان وهو يداعب وجنتها قائلا:

- أنا ماليش ذكريات مع حد غيرك يا عبيطة .. ولا نسيتى أجمل الذكريات اللى قولتيلى عليها فى رسالتك وأنا فى السجن

رفعت نظرها إليه بتأثر وقد لمعت عينيها وهى تستمع إليه وهو يقول :

- الحب الحقيقى هو الذى يرسم لك طريقاً تتلمس فيه .....أجمل الذكريات

فرت دمعة من عينيها وهى تتذكر تلك اللحظات المريرة عندما أبتعد عنها غدرا وظالماً ..شعرت بيده وأنامله تمسح دمعتها فأغمضت عينيها واستمعت لصوته

وهو يقول لها همساً وبشوق كبير :

- من ساعتها وأنتى وحشانى أوى ومن ساعتها وأنتى بتهربى مني ومش عارف أشوفك ..شعرت بقربة ودفئ يديه المحيطة بوجهها وعمق عينيه .. رحلت فى عالم آخر لم ترد العودة منه ابداً بل قررت فيه الرحيل والعودة منه بغير دليل تنسج بيديها دروباً يحفها أريج الازهار بلاشاطىء بلا عنوان ولا رغبة سوى التعمق أكثر والإبحار...

أنتفض جسدهما على صوت والدته وهى تنادى عليها بعد أن اغلقت باب الشقة خلفها ... أبتعدت عنه سريعاً وهى تمسح وجهها بيدها بأرتباك وهو ينظر إليها نظرة جديدة عليها لم ترها فى عينيه من قبل ولكنها فهمتها فأخفضت نظرها خجلاً وأتجهت صوب باب الغرفة مهرولة وفتحته فوجدت والدته تبحث عنها فى الشقة عندما رأتها نظرت إليها بقلق وهى تقول :

- خضتينى عليكى يا مُهرة كنتى ... بترت كلمتها عندما رأت فارس يظهر خلفها .. نظرت إليه من خلف كتفها وابتسمت وهى تقول له بمكر :

- هو أنت هنا ..يبقى أنت بقى اللى أخرتها

اتجهت مباشرة إلى باب الشقة وهى تحاول تحاشى النظر فى عيني والدته

وهى تقول بخجل :

- أصل لما شفت فارس فجأة أتخضيت وأغمى عليا ..ثم قالت بإرتباك :

- انا طالعه بقى

فتحت باب الشقة ولكنه عقد بين حاجبية وهو يناديها فتوقفت ولم تلتف فتوجه إليها ووضع يده على الباب وهو يقول بجدية وهو يشير الى ملابسها وشعرها :

- هو أنتى نازله كده اصلا

نظرت إلى ملابسها وقالت بتلقائية :

- آه وفيها ايه

قال بضيق:

- يعنى ايه وفيها ايه .. خارجه من شقتك ونازله لحد هنا بهدوم البيت دى وشعرك كده يا مُهرة

تنحنحت مضطربة وقالت على الفور:

- منا قلت هنزل بسرعه وأطلع بسرعة مفيهاش حاجه

اشار إليها وهو يقول حانقاً :

- أنتى محجبة ولا لاء ..

نظر إليه بتسائل وحيرة فقال :

- محجبة يعنى شعرك ده وهدوم البيت حدودهم باب الشقة وبس .. لا سلم ولا بلكونه ولا شباك ..فاهمانى

أبتلعت ريقها وبللت شفاها وهى تقول بخفوت :

- حاضر بس أنا متاكده أن محدش هيشوفنى

وضع يده على كتفها وقال بجدية :

- متأكده منين مش يمكن تخبطى فى حد طالع ولا نازل صدفة ..ساعتها هتعملى ايه .. على ما تجرى بقى هيكون شاف جسمك وشعرك يا هانم

تدخلت والدته وقالت على الفور:

- هى اصلا مبتنزلش كده دى أول مره تعملها .. ثم نظرت الى مُهرة وقالت :

- أدخلى يا مُهرة خدى العبايه بتاعتى وطرحه البسيهم قبل ما تطلعى

دخلت على الفور لترتدى العباية وتضع على راسها الطرحة بينما قالت له والدته بخفوت :

- براحه عليها شويه يا فارس ..لما تخرج بقى ابقى صالحها .. أنا داخله اشوفها لتكون بتعيط ولا حاجه

دخلت والدته فوجدتها تلف الطرحة وتكاد ان تنتهى فربتت على كتفها وقالت مبتسمة :

- متزعليش ده بيحبك وبيغير عليكى

ابتسمت وهى تقول :

- منا عارفه

ضحكت أم فارس وهى تضرب يدها فى بعضهما وهى تقول لها :

- الواد كان بعقله يا عينى جننتيه فى يومين

****

خرج فارس من بيته فى المساء متوجهاً إلى مكتب الدكتور حمدى وفى الطريق صادف عمرو متوجهاً إليه تفاجأ عمرو به فى الطريق وقال :

- كويس أنى قابلتك يا فارس أنا كنت جايلك دلوقتى

وضع فارس يده على كتف عمرو وسار به فى طريقة وهو يقول :

- تعالى نتمشى سوى ونتكلم وأحنا ماشين

قال عمرو على الفور وهو يمشى بجوار فارس :

- الدكتور حمدى أتصل بيك النهارده ؟

هز فارس رأسة نفياً وهو يقول :

- لاء مكلمنيش بتسأل ليه ؟

ظهر التوتر على ملامح عمرو وهو يقول :

- أصلى قابلته النهاردة فى مكتب إلهام فى الشركه

ألتفت إليه فارس وتوقف عن السير وقال :

- فى ايه يا عمرو أتكلم على طول قلقتنى

قال عمرو على الفور :

- لما سبتك قدام النيابة ومشيت روحت الشركة وأنا مخنوق من إلهام ونادر وحاسس أن نادر عامل فيا كده علشان خايف أحسن أخدها منه .. دخلت عليها وأنا ثاير جدا وقعدت أزعق وجبتلها القديم والجديد كله وقلتلها أن نادر عمل فيا كده علشان خايف أخدها منه واتكلمت كلام كتير أوى وهى واقفة مش عارفه ترد عليا وواقفة تبصلى بذهول وكل اللى طالع عليها أزاى نادر يعمل كده ...

خلصت كلامى من هنا ولقيت الدكتور حمدى دخل علينا وبصلها بإحتقار بعد ما سمع كل حاجه وعرف اللى اخته بتعمله وقالها أنسى أن ليكى أخ اسمه حمدى ..

سبتهم ومشيت على طول لما شفت الالم فى عينه وحسيت أنه محرج منى ومش عارف يبص فى وشى علشان كده افتكرت أنه كلمك وقالك حاجه ..

أستمع فارس إليه بدهشة كبيرة وهو عاقداً لحاجبية وقال ببطء ثقيل :

- وطبعا تلاقيه توقع انى انا كمان عارف عن أخته الكلام ده ..

نظر إلى عمرو وقال بألم :

- وأنت بقى متوقع أنه يكلمنى .. طب هيكلمنى يقولى ايه

صمت فارس يفكر فى الحال الذى وصل إليه الدكتور حمدى وكيف ستعامل مع هذا الموقف المحرج فقال عمرو على الفور :

- فى حاجه كمان حصلت يا فارس

ألفت إليه فارس فقال عمرو :

- طلعت بعدها على هيئة الاثار من كتر منا كنت قلقان وعاوز أطمن ..قلت اسأل وأشمشم كده حوالين الحتة اللى راحتلهم من النيابة .. وقبل ما أدخل شفت نادر خارج منها ومعاه واحد كده معرفوش

أثارت كلماته حفيظة فارس وحواسة فقال بسرعة :

- تفتكر كان رايح ليه ومين اللى كان معاه ده

رفع عمرو كتفية بحيرة وهو يقول :

- معرفش يا فارس مش عارف انا هتجنن خلاص

وضع فارس يده على كتف عمرو قائلا:

- طب أنا دلوقتى هروح المكتب يا عمرو وهحاول أتكلم مع الدكتور حمدى وهشوف الحكاية وصلت لأية

ولما أرجع بالليل هبقى أكلمك تانى يالا روح أنت دلوقتى

دخل فارس حجرة مكتب الدكتور حمدى بشىء من الخجل وقال:

- حضرتك طلبتنى يا دكتور

أشار له الدكتور حمدى بالجلوس أمامة وقد بدا عليه الالم والاستياء ثم قال:

- أنا كنت متوقع برضه أنك هتتكسف تدخلى أول ما توصل علشان كده نبهت عليهم أول ما توصل تدخلي على طول

حاول فارس أن يحتفظ له بماء وجهه وقال:

- مش فاهم حضرتك تقصد أيه

أبتسم الدكتور حمدى بأسى وهو يقول :

- لاء أنت فاهم بس مش عاوز تحرجنى

صمت فارس ولم يجيبه فقال حمدى :

- لو سمحت يا فارس أنا مش عاوز أى كلام عن القضية دى فى مكتبى تانى ..أنا خلاص أتبريت من أختى ومش عاوز أى حاجه من ناحيتها تانى

رفع فارس رأسة إليه وقد فهم ما يرمى إليه فأومأ براسه وحاول أن يُخرج الكلمات منه بشكل تلقائى وقد حضرته فكرة وليدة اللحظه حتى يرفع عنه الحرج وقال :

- بعد اذن حضرتك يا دكتور أن كنت بفكر افيد أهل الشارع بتاعى ..والناس الغلابه اللى فيه وافتح مكتب خاص بيا هناك وتبقى الاتعاب على قد مصاريف القضية بس .... لان فى ناس كتير هناك أحوالهم المادية ضعيفة جدا وأصلا المرتب يدوب بيكفى اكل وشرب بالعافيه...

أعتصر الالم قلب لدكتور حمدى وهو يستمع إلى فارس واقتراحه وهو يعلم جيدا أن هذا الاقتراح ماهو الا محاولة منه لرفع الحرج الذى استشعره فارس بعد ان علم عن أخته الذى تفعله وهى متزوجة ... ولم يكن فارس مخطىءً فى ظنه لذلك قال حمدى وهو يومىء برأسه متفهماً :

- ربنا يوفقك فى حياتك يا فارس أنا مش هقدر أمنعك أنك تحقق ذاتك بعيد عني رغم أنى مش هقدر أستغنى عنك ولا عن مجهودك فى الشغل أبداً

قال فارس مبتسماً وقد أيقن أنه كان محقا :

- أنا تلميذ حضرتك يا دكتور أتعلمت منك أخلاق المهنة قبل ما أتعلم الشغل فيها ومن غير ما أكون بشتغل فى المكتب هنا أنا تحت أمرك فى أى حاجه سواء كان شغل أو غيره أنا مش هنسى فضلك عليا بعد ربنا

نهض حمدى وعانق فارس بمشاعر الابوة التى يشعرها تجاهه دائماً وربت على كتفه قائلا بمرح :

- هتنافسنى فى المحاكم يعنى وهتاخد مني الزباين

ضحك فارس وهو يشد على يده قائلا بتواضع :

- ده انا يدوب تلميذك يا دكتور

****

هتف عمرو فى الهاتف وهو يتحدث الى فارس قائلا :

- يعنى ايه سبت المكتب يعنى انا السبب

ضحك فارس وهو يقول :

- أنت السبب فعلا بس مش سبب حاجه وحشة أنت السبب فى انى ابدأ أحقق ذاتى وأعملى اسم كويس

هتف عمرو بإنفعال مرة أخرى :

- يعنى أنت هتشتغل القضية لوحدك ولا ايه

قال فارس مداعباً :

- ومالك مرعوب كده متخافش هجيبلك تأبيدة بس

صاح عمرو بضيق :

- يا فارس مبهزرش دلوقتى .. وقولى ناوى على ايه

قال فارس بجدية :

- أنا الاول كنت مستنى تقرير هيئة الاثار لكن بعد ما قلتلى أنك شفت نادر وواحد تانى خارج من هناك قلقت

- قلقت أزاى فهمنى

- مفيش حاجه تخلى نادر يروح هناك غير سبب واحد بس .. أنه يكون عاوز التقرير يطلع بطريقة معينة

عقد عمرو بين حاجبية وقال قلقاً :

- يعنى هيدفع فلوس علشان يثبت أنها سليمة يعنى ولا ايه معنى كده ......

قاطعه فارس قائلاً بثقة :

- بالظبط كده معنى كده أنها مش حقيقة ومزيفة لانها لو كانت حقيقة مكنش راح هناك

قال عمرو بشرود وكانه يحادث نفسه :

- حتى لو كده طب ماهو لو تحليلك ده صح يبقى برضه هروح فى داهيه لان التقرير هيطلع زى ماهو عاوز

قال فارس مطمئناً :

- متقلقش أنا واثق من تحليلى ولو التقرير طلع زى ماهو عاوز هشكك فيه وهطلب أن الحتة تتحال للجنه تانيه

قال عمرو ساخطاً :

- طب ماهو ممكن يرشى اللجنة التانيه برضه

قال فارس وهو يضيق عينيه بثقة :

- متقلقش ساعتها هسبقه بخطوة

تأفف عمرو بضيق وزفر ثم قال :

- طب وهو هيعمل كل ده ليه ما كان يحطها سليمة وخلاص

قال فارس متهكماً :

- أنت عبيط يابنى عاوزه يضحى بحتة سليمة ويخسر فيها ملايين .. لا طبعاً هو أحسنله يدفع رشوة كام ألف لكن يحطلك حتة بملايين لمجرد انه يوديك فى داهية لاء طبعاً...

ثم رفع فارس حاجبية وقال بتفكير عميق :

- وده بقى اللى بيأكدلى أن الواد نادر ده بيشتغل فى حكاية تهريب الاثار دى

استند عمرو إلى سور الشرفة وقال بتركيز :

- وانت جالك الاحساس ده أزاى ؟

جلس فارس خلف مكتبة واستند إليه وهو يعبث بصور مُهرة الخاصة بعقد القرآن والتى وضعتها والدته على مكتبه فقال عمرو بقلق :

- فارس أنت معايا

أنتبه فارس وقد شرد قليلا فى صور مُهرة وقال بسرعة :

- ها معلش يا عمرو انا معاك أهو

أعاد عمرو سؤالة من جديد وهو يقول :

- كنت بسألك أحساسك ده جه أزاى

قال فارس على الفور :

- بص يا عمرو الانسان لما بيحب ياذى حد أول حاجه بتيجى فى تفكيرة الحاجات اللى هو بيتعامل معاها دايما .. يعنى مثلا البنت اللى مش كويسه لما بتحب تبوظ اخلاق صاحبتها ولا جارتها ولا أى وحده تانيه شايفه أنها أحسن منها ..أول حاجه بتعملها أنها تحاول تخاليها تتعرف على رجاله أو شباب ليه عملت كده ؟.. لانها غارقانه فى المستنقع ده وده أول حاجه هتيجى على بالها ..

اللى بيشتغل فى المخدرات أو بيتعاطاها لما بيحب يأذى واحد تانى بيعمل ايه .. يحاول يخاليه يتعاطى معاه ولو صاحبه رفض بيفكر يوديه فى داهيه ويحطله مخدرات ويبلغ عنه .. واحد بياخد رشوة ولما يحب ياذى يعمل للى عاوز ياذيه قضية رشوة ويلبسهالوا ..

واللى حصلك مع نادر بيقول أن نادر ليه فى حكاية الاثار دى علشان كده لما فكر ياذيك فكر يأذيك بنفس الحاجه اللى هو دايس فيها .. فهمت

أعتدل عمرو وقال على الفور وكأنه قد تذكر شيئاً هاماً وقال :

- الله يفتح عليك أنت فكرتنى بحاجه مهمه مكنتش واخد بالى منها

أنتبهت حواس فارس وهو يقول :

- افتكرت ايه

قال عمرو بتركيز :

- فى مرة أخدت أجازة يومين ونادر هو اللى كان ماسك النبطشية بدالى ولما رجعت وبصيت بالنهار على الموقع لقيت اثار حفر على عمق أكتر من العمق المسموح بيه ولما سألته قالى انها غلطت العمال بس هو لحقها

مسح فارس على شعره وقال بقلق :

- أظاهر كده يا عمرو ان الموضوع كبير وخطير وأن نادر مش لوحده فيه ..المكان اللى بتبنوا فيه الفندق ده معروف أنه مكان اثرى واصلا مش عارف التصريح بالحفر والبُنى خرج ازاى للمكان ده ...

زفر عمرو وهو يقول بضيق :

- الموضوع شكله كبير علينا أوى يا فارس ... أنت لو بصيت على الاثار اللى خرجت بره مصر وشفت حجمها وعرضها هتعرف ان الاثار دى مش ممكن تكون أتهربت .. الاثار دى خارجه تحت عين أكبر راس فى البلد وباتفاق كمان

نظر فارس أمامة بعينين حازمتين وقال بأصرار :

- أنا بقى مش هسيب الموضوع ده يا انا يا هما ...

****

وفى احد الايام وفى الصباح وقف فارس ينتظر مُهرة أمام باب شقته وابتسم عندما وجدها تهبط إليه فى الملابس الجديدة التى اهداها اياها بمناسبة بداية عامها الدراسى الاول فى الجامعة .. نظرت إليه وابتسمت بخجل فقال وهو يتاملها بإعجاب وقال :

- قلتى دعاء لبس الثوب الجديد

قالت بدهشة :

- لاء هو فى دعاء للهدوم الجديدة

أبتسم وهو يومىء برأسة وقال :

- قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): من لبس ثوبا جديدا فقال:الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر)

كررتها خلفة بتلقائية فعقد جبينه وقال بضيق مصطنع :

- لاء مينفعش أطلعى غيريها

رفعت حاجبيها وقالت بأعتراض :

- ليه دى جميلة اوى وواسعه أأهى

صعد درجة من السلم ليقف أمامها مباشرة وقال وهو يداعب وجنتها :

- ماهو علشان كده عاوزك تغيريها اصلها حلوه أوى عليكى وخايف حد يبصلك

ابتسمت وهى ممسكة بيده التى تداعبها وقالت بخجل :

- يالا بقى هتأخر كده

رفع يديها لشفاه وقبل اناملها وقال بحب :

- أتأخرى براحتك .. أنا اللى هديكى أول محاضرة يعنى هتروحى مع الدكتور

عقدت ذراعيها وهى تقول بعناد :

- انا بقى مبحبش الكوسة واصلا محدش هيعرف علاقتنا

ضحك ضحكات رنانة أهتزلها قلبها عشقاً ثم قال :

- علاقتنا ! هو انتى مش مراتى لا سمح الله

وضعت يدها على لحيته تمسح عليها وتخلل اصابعها برفق داخلها وهى تقول بشغف :

- أنا بحب أوى كلمة مراتى دى منك

تلاشت البسمة من وجهه وزاغت أنظارة وهو ينظر إليها شاعر باحاسيس قوية تجتاحه تجاهها قائلا بصوت رخيم :

- أنتى أتعلمتى الحركة دى من مين

قالت بحياء :

- أبلة عبير هى اللى علمتهالى وقالتلى انها هتعجبك

أبتلع ريقة وهو يقول بتماسك :

- كل اللى تقولك عليه ابقى اسمعى كلامها فيه ماشى

ضحكت وهى تقول :

- ليه بقى

أومأ براسه وهو يغمض عينيه قائلاً بمرح :

- علشان انا عارف أنها هتعلمك بضمير

****

بحث فارس عن مكان يصلح ليأجرة وويبدأ فيه تأسيس مكتبة الخاص ويكون قريباً من شارعهم وأخيرا وجده على مسافة قريبة جدا منهم وبدا فى تاسيسة وحاول البحث عن بعض الاثاث زهيد الثمن ولكنه فى يوم من الايام تفاجا بدخول مُهرة عليه المكتب وهى تقول بسعادة

- يالا بسرعة يا فارس العربية واقفة تحت

نهض وهو ينظر إليها بدهشة وقال :

- عربية ايه يا مُهرة اللى واقفة تحت

قالت على الفور وهى تجذبه من يده :

- يالا بس الناس هتطلع الحاجه تعالى علشان تقف معاهم

وفجأة وجد بعض الرجال يدخلون عليه المكتب كل منهم يحمل قطة اثاث خاصة بالمكتب وبدأوا فى وضعها فى الداخل وهو واقف ينظر إليهم بدهشة .. جذبها من يدها الى أحد الاركان وقال بجدية :

- فهمينى ايه ده وجبتى الحاجات دى منين وازاى متقوليليش

قالت بمرح وأنفعال:

- انا عندى واحده صاحبتى فى الجامعه باباها عنده محل اثاث صغير كده على قدهم قولتلها مرة تجيبلى معاها كتالوج من المعرض ولما شفت الحاجات اللى فيه لقيتها حلوه ورخيصه شويه فنقيت واحد للمكتب هنا وأدتها العنوان وبس ..

قال بحدة :

- أنتى عيله وبتتصرفى تصرفات عيال والفلوس ؟هدفع فلوس الحاجات دى منين يا مُهرة

تألمت من قبضته قليلاً حول ذراعها وقالت بخفوت وهى مطرقة للأسفل :

- الفلوس أدفعت خلاص متخافش

أرخى قبضته عنها وعقد حاجبية قائلا:

- جبتى الفلوس منين ؟

قالت ببراءة :

- بعت الشبكة بتاعتى اللى جبتهالى

نظر إليها لا يعلم ماذا يقول هل يحتد عليها وعلى تصرفها التى قامت بها دون الرجوع إليه أم يأخذها بين ذراعيه ويعانقها على تضحيتها بالذهب الوحيد الذى تملكة والذى كان عزيزا عليها فقال بنبرة معتذرة :

- بس الشبكة دى كانت غالية عندك أوى ليه عملتى كده

ظلت مطرقةً براسها وهى تقول بصدق :

- هى كانت غالية عندى علشان هى منك أنت ،،بس أنت عارف انى اصلا مش بحب الدهب ولما لقيتك مزنوق فى فلوس العفش اللى هيتحط فى المكتب ملقتش قدامى حل تانى غير ده ومرضتش اقولك علشان عارفه انك هترفض

أكتسى صوته عذوبة ورقةً وهو يقول بامتنان :

- بس أنتى مكنش عندك غيره يا حبيبتى

نظرت له بعتاب وقال بخفوت دون أن تنظر إليه :

- انا معنديش غيرك أنت يا فارس ...

****

بدأ العمل فى المكتب على قدم وساق وأخيرا تم وضع الافتة التى تحمل اسمة .. دكتور فارس سيف الدين المحامى ..

ولكن أين يذهب فارس من اقداره هو مُهرة بعد اسبوع واحد من بداية العمل فى المكتب الجديد وذات مساء زاره أبو يحيى والد مُهرة ومعه العم عامر بصحبة ولده مينا وقد كان فارس مشغولا بالتحدث فى الهاتف مع عمرو الذى كان يخبره أن التقرير قد أُعد أخيرا

وذهب الى النيابة وأنهما لا بد ان يذهبا فى الغد على الفور أنهى فارس المكالمة سريعاً ورحب بأبو يحيى والعم عامر ترحيب شديد ولكن وجههما كان يعلوه العبوس وخصيصا وهما ينظران الى بعضهما البعض شذراً .. فقال فارس على الفور :

- خير يا جماعه ايه الحكاية

نظر ابو يحيى إلى عامر ومينا بثقة وكأنه يعرف الى أى جهة سينضم فارس وبدء فى سرد ما حدث بينهما من شقاق ونزاع.......

الفصل الثانى والثلاثون

(قبل الأخير)

بدأ العمل فى المكتب على قدم وساق وأخيرا تم وضع الافتة التى تحمل اسمة ..

دكتور فارس سيف الدين المحامى بالقضاء العالي ومجلس الدولة ..

ولكن أين يذهب فارس من أقداره هو ومُهرة ... **فبعد** اسبوع واحد من بداية العمل فى المكتب الجديد وذات مساء زاره أبو يحيى والد مُهرة ومعه العم عامر بصحبة ولده مينا وقد كان فارس مشغولا بالتحدث فى الهاتف مع عمرو الذى كان يخبره أن التقرير قد أُعد أخيرا وذهب الى النيابة وأنهما لا بد ان يذهبا فى الغد للإطلاع عليه على الفور فقاطعه فارس وأنهى المكالمة سريعاً ورحب بأبو يحيى والعم عامر ترحيباً شديدا ً ولكن وجهها كان يعلوه العبوس وخصيصا وهما ينظران الى بعضهما البعض شذراً .. فقال فارس على الفور :

- خير يا جماعه ايه الحكاية

نظر ابو يحيى إلى عامر ومينا بثقة وكأنه يعرف الى أى جهة سينضم فارس وبدء فى سرد ما حدث بينهما من شقاق ونزاع.......

- شوف يا فارس يابنى من مدة كدة مرات عامركانت عاوزه تشترى مكنة خياطة ومعهاش المبلغ كله لجأت لمراتى التانيه وطلبتهم منها ومراتى أشترطت عليها أنها تردلها المبلغ بعد كام شهر بس بزيادة 500 جنية دلوقتى بقى مراته جايه ترجع المبلغ من غير الزيادة

والحريم اتخانقوا مع بعض حاولت افهمه أن أحنا عندنا فى شرعنا أن العقد شريعة المتعاقدين وهما اتفقوا من قبل ما تاخد الفلوس برضه مش مصدق

ويقولى ده حتى عندكوا فى دينكوا اسمه ربا حاولت افهمه واشرحله واقوله أن السلف ده زى قرض البنك كده بالفايدة بتاعته مش ربا ولا حاجه .. ولا حياة لمن تنادى برضه راكب راسه ومش راضين يدفعوا الزيادة أتفضل بقى انت فهمه يمكن يفهم منك اصله فهمه على قده شويه

هتف مينا أبن عامر بغضب :

- لو سمحت حسن ملافظك شويه يا عم ابو يحيى ولا يعنى علشان هو جوز بنتك ومتأكد أنه هيحكملك .. أنا اصلا مكنتش مقتنع أننا نيجي هنا ما انا عارف أيه اللى هيحصل ..

تنهد فارس ببطء وهو يشعر أنه مقدم على مشكلة كبيرة سوف تحدث وقال ل مينا :

- وعرفت منين اللى هيحصل بقى يا مينا

لوح مينا بضيق وهو يقول :

- طبعا هتحكمله هو مش انت جوز بنته وغير كده هتقول ده مسلم ودول مسيحين يبقى احكم للمسلم اللى زيى ثم نظر إليه نظرة ذات معنى وهو يقول :

- مش كده برضه يا شيخ فارس

جذب عامر ذراع ولده ونهره بقوة قائلا:

- عيب كده يا مينا أحترم الدكتور وأنت بتتكلم قصاده

ثم التفت إلى فارس وقال معتذراً :

- أنا آسف يا دكتور أمسحها فيا معلش مينا لسه صغير وميعرفكش كويس زيى

ألتفت فارس إلى مينا وقال بهدوء :

- أيه بقى حكاية شيخ فارس دى تقصد بيها ايه

نظر له مينا بحنق ولم يجبه فكرر عامر أعتذاره ل فارس فقال فارس على الفور وهو ينظر ل عامر :

- أتفضل أحكيلى ايه اللى حصل يا عم عامر

قال ابو يحيى معترضاً :

- منا حكتلك الحكايه كلها يا دكتور هو هيقول ايه يعنى مختلف عن اللى قلته

نظر له فارس مبتسماً وحاول أن يعطيه احساس بأنه ليس ضده وقال :

- معلش يا أبو يحيى أى حد بيحكم بين طرفين لازم يسمع من الاتنين .. ربنا سبحانه وتعالى بيقول فى آيه فى القرآن الكريم وكان بيكلم فى الايه دى سيدنا داوود عليه السلام ((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) والايه دى نزلت بتحكلنا عن سيدنا داوود لما اتنين أخوات راحوله وواحد فيهم اشتكى من التانى فسيدنا داوود شافه مظلوم فعلا فحكم له من غير ما يسمع للتانى اللى هو اصلا كان واقف جانبه وسامع أخوه بيتكلم وعلشان كده سيدنا داوود فكر فى أن لو كان اللى بيشتكى بيقول غير الحق كان التانى أتكلم وقال أنه بيكدب لكن فسر سكوته بأنه عارف أن اخوه بيقول الحق علشان كده حكم بسرعه من غير ما يطلب يسمع من التانى ورغم أنه حكم صح لكن الايه دى نزلت تقولنا أن ده غلط وفيه خوف من اتباع الهوى هنا ...

علشان كده حتى لو انتوا الاتنين قدام بعض لازم اسمع من الطرفين قبل ما اقول أى حاجه ...

هز عامر راسه موافقاً بإعجاب وهو ينظر إلى فارس الذى كان يتحدث بطلاقة شارحاً الاية وسبب نزولها فقال :

- أنا كلامى مش هيختلف فى حاجه يا دكتور فارس هو نفس الكلام .. مراته سلفت مراتى واتفقت معاها على زيادة 500 جنيه بس مراتى خبت عليا موضوع الزيادة دى ومكنتش اعرفها ولما كنت قاعد مع الحج عبد الله وبحكيله قالى أن ده عندكو اسمه ربا يعنى انا مجبتش حاجه من عندى وده كده فى ظلم كبير لينا لاننا معناش المبلغ ده دلوقتى المكنه باظت ومستفدناش منها بحاجه

مال ابو يحيى مستندا بيده على مكتب فارس وهو يقول :

- طب أنا ذنبى ايه العقد شريعة المتعاقدين ومراتك وافقت من الاول

ابتلع فارس ريقة وهو يشعر أنه يقف بقرب فوهة بركان تكاد أن تنفجر فى وجهه فى أى وقت ولكن الحق احق أن يتبع ..سلم امره لله ونظر إلى عامر الذى كان ينتظر كلمة حق ..شعر بسخونه تسرى فى جسده فهو يعلم ماذا سيفعل به أبو يحيى أذا ما نصر عليه غريمه .. لكن هل يقول كلمة تقرب بينه وبين حبيبته وزوجته وتبعده عن الجنة وتلقى به فى الجحيم وبحسبة بسيطة حسم فارس أمره ونظر إلى عيونهم المتعلقة به وأخذ نفساً عميقاً وقال :

- عم عامر على حق ده عندنا اسمه ربا فعلا

ارتسمت ابتسامة رضا على وجه عامر بينما حدق مينا فى فارس بدهشة وانفجر بركان ابو يحيى فى وجهه كما توقع تماماً وقال صائحاً :

- أنت بتنصره عليا يا جوز بنتى يعنى أنت موافق على اللى بيقوله ده

نهض فارس محاولاً تهدئته وقال على الفور :

- اسمعنى يا عمي بس أنا هافهمك ليه

صاح فيه ابو يحيى قائلا:

- كويس أنى عرفتك قبل ما أديك بنتى راجل بوشين صحيح أومال دقن وعاملى فيها شيخ وكمان بتنصر المسيحى عليا يا عم الشيخ .. ملكش عندى بنات للجواز عن اذنك

لحق به فارس عند باب الحجرة وجذبه من ساعده برفق محاولا إيقافه وتهدئته وهو يقول برجاء :

- هفهمك انا قلت كده ليه .. ده شرع ربنا مش كلامى

دفعه ايو يحيى بثورة عارمة وهو يصيح شرع ربنا ايه أنتوا كل واحد فيكوا يربى دقنه ويتاجر بشرع ربنا يا نصابين ...

قال كلمته بعد ان دفع فارس بقوة وصفع الباب خلفة بعنف

زفر فارس وهو يمسح بكلتا يديه على شعره بقوة وهو يقول :

- لا حول ولا قوة الا بالله ليه كده بس طب كنت استنى لما تفهم

تبادل عامر مع ولده مينا النظرات المتعجبة وأتجه عامر إلى فارس قائلا بأعتذار :

- انا آسف يابنى

رفع فارس رأسة إليه وقال بعدم تركيز :

- لا..لا وانت ذنبك ايه يا عم عامر

أقترب مينا من فارس وقال بإرتباك :

- أنا آسف انا كمان يا دكتور فارس مكنتش أعرف أنك هتيجى فى صف الحق مهما كان هو مع مين

حاول فارس أن يرسم ابتسامة مجاملة على شفتيه ولكنه عجز عن ذلك فعقله يدور ولا يعلم ماذا سيفعل مع والدها وماذا سيحدث بعد ذلك ..

****

ظل والدها يصرخ فى وجهها صائحاً :

- هيطلقك يعنى هيطلقك وأنتى اللى هتطلبى الطلاق منه انتى فاهمه ولا لاء

أنسابت عبراتها وهى تهتف :

- ليه بس يا بابا طب حتى استنى لما تسمع منه

صاح بصوت هادر :

- اللى بقولك عليه تعمليه يا بت انتى والا والله أمك هرميها فى الشارع ومش هتلاقى مكان يلمها

بكت مُهرة بشده وجسدها يرتجف وينتفض بقوة وهى تستغيث بالله ان ينقذها مما تقاسيه ... تدخلت والدتها وقالت له بجمود :

- هو أنت كل ما يحصل حاجه تهددنى بالطرد والطلاق أنت فاكرنى هترمى فى الشارع يعنى من غيرك

توجه إليها فى غضب عارم ولوى ساعدها خلف ظهرها وهو يصرخ فيها :

- ايوا هتترمى فى الشارع ياختى ولو مش عاجبك الباب يفوت جمل

دفعته بكل طاقتها بعيدا عنها بعد ان شعرت ان يدها ستتكسر فى قبضته وهرولت نحو باب الشقة وهى تاخذ محفظتها وتجذب حجابها وتضعه على شعرها وهى تقول بغضب :

- سايبهالك مخضرة ابقى هات مراتك التانيه تعمرها بقى

خرجت وأغلقت الباب خلفها ونسيت أن ابنتها فى اشد الحاجه إليها غضبت لنفسها وانفجر بركان صمتها الذى كان هامداً طوال تلك السنوات والان انفجر ولكنه لم ينفجر فى وجهه وحده وأنما فى وجه مُهرة ايضا ..

فتحت أم فارس باب شقتها عندما سمعت صوت الصارخ الاتى من شقة مُهرة فوجدت ام يحيى وهى تهرول هابطة للاسفل حاولت إيقافها ولكن عينيها كانت تتطاير منها الشرر وهى تصيح فيه وكأنه مازال يسمعها :

- روح هات الغندورة التانيه تقعدلك فيها أنا مستحملة وصابره بلاويك فى الاخر حصلت تمد ايدك عليا

لم تسمع نداءات ام فارس ولم تعيرها اهتماماً نظرت للاعلى لدقيقة ثم عادت الى شقتها مرة اخرى عندما سمعت صوت رنين الهاتف ... أجابته قائلة :

- السلام عليكم أيوا يا فارس

قال بسرعة :

- ماما مُهرة عندك ؟

قالت متعجبة :

- لاء يابنى ده أنا سمعت صوت خناق جاى من عندهم وشفت أم يحيى وهى نازله تزعق على السلم وبتقول انا سايبه البيت وماشيه شكل جوزها مد ايده عليها

سمعت صوت زفيرة الحار وهو يقول :

- أنا جاى حالا اقفلى دلوقتى

عادى فارس سريعاً الى المنزل فوجد والدته تنتظره على باب الشقة ويظهر عليها القلق الشديد وقالت سرعاً :

- ايه اللى حصل يابنى بينك وبين ابوها البنت كلمتنى ومفحومه من العياط مفهمتش منها حاجه كل اللى فهمته ان ابوها كان هيضرب امها وأنه عاوزها تطلب الطلاق منك

قال فارس بلهفة :

- مد ايده على مُهرة ؟

هزة راسها نفياً وهى تقول :

- مش عارفه يابنى فهمنى طيب ايه اللى حصل

لم يستطع ان ينتظر اكثر من هذا صعد الدرج قفزاً حتى توقف أمام باب الشقة تنفس بقوة وطرق الباب لحظات وفتح والدها الباب وعينيه ينبعث منها الغضب والحنق قال فارس سريعاً :

- يا عمى عاوز اتكلم معاك الله يخاليك مش كده ...

قال والدها بغضب :

- قلتلك ملكش عندى بنات للجواز وياريت تطلقها بالذوق بدل ما نروح المحاكم

سمع فارس صوت بكائها من الداخل فأستشاط غضباً .. لايستطيع ان يراها أو يطمئن عليها وهى وحيده حتى والدتها تخلت عنها وتركتها معه بمفردها لم يستطع ان يتحكم فى أعصابه أكثر من ذلك فهتف فيه :

- وانا مش هطلقها دى مراتى ومش هطلقها حتى لو هى اللى طلبت الطلاق بنفسها وبعدين ليه كل ده كل ده علشان حكمت بشرع ربنا وانت حتى مش عاوز تسمعنى لما اقول كل اللى عندى

لم يجد اجابة من ابو يحيى الا ان صفع الباب فى وجهه مرة واحده بدون سابق انذار .. ضرب فارس سور الدرج بقبضته حتى آلمتة بشدة وهو يهتف بحنق :

- والله ده حرام اللى بيحصل ده

لحقت به والدته وأخذته وهبطت به للاسفل وهى تقول :

- تعالى يابنى استنى لما النفوس تصفى وبعدين نتكلم معاه تعالى احكيلى ايه اللى حصل

أما فى غرفة مُهرة فقلد كانت تبكى وتشهق وهى تضع يدها على فمها حتى لا تصدر صثوتاً يستفزه من جديد وهو واقف امامها مصدراً لاوامره وهو يقول :

- مفيش خروج ولا دخول ولا جامعه ولا غيره خلاص وتليفونك هيفضل معايا .. وهجيب مراتى التانيه تقعد معاكى هنا وتحرسك ..ويبقى يورينى نفسه بقى سعادت الباشا الدكتور.. تراجعت فى فراشها حتى ألتصقت بالحائط وضمت ركبتيها إلى صدرها وهى تأن أنين المعذبين وتدفن راسها بين قدميها وتشكوا بثها وحزنها لله وحده

وبالفعل هاتف زوجته الثانية وأمرها أن تاتى ببعض ملابسها لتكون بجوار مُهرة مراقبة لتصرفاتها فى غيابه وقص عليها ماحدث.. بالفعل كانت زوجته سعيده بما فعل بأم يحيى وأنها أنتصرت على ضرتها وآلمتها وستؤلمها أكثر حينما تنام فى فراشها وتتحكم فى ابنتها وجائت مسرعة إليه ...

بات فارس ليلته وقد جفاه النوم وذاق السهاد مستلقياً على فراشة ينظر للأعلى يتأمل سقف الغرفة .. غرفتها فوقه تماماً لا يفصلهما عن بعضهما البعض سوى سقف الغرفة فقط ظل مصوب نظراته إليه تكاد أن تخترقه لتراها وترى حالها الان وتعود إليه تخبره عنها .. ماذا تفعل هل تبكى هل تضم قدميها إليها كما تفعل دائماً عندما تشعر بالوحدة .. يود أن يمده يدها لينتشلها مما هى فيه يود أن يأخذها بين ذراعيه ويحتضنها بقوة ليشعرها بالامان .. أنا هنا يا حبيبتى ..لا تجزعى . لا تخافى ..لا تفزعى .. لاتحزنى .. أطمئنى واسكنى صدرى كما سكنتى قلبى دائماً ...

وفى الصباح أخبرته والدته أن زوجة ابيها جائت لتسكن معهم فى نفس الشقة استشاط غضبا وهو لا يعرف ماذا يفعل لا يريد أن يتدخل بشكل أكثر قوة حتى لا تفسد العلاقات بين العائلتين اكثر من هذا وكان مضطرا للحاق بعمرو فى النيابه ليتعرف على نتيجة تقرير هيئة الاثار ..

توجه الى النيابة من جديد وهناك كانت النتيجة ليست مفاجئة له بل كما توقع تماماً .. يقول مفتش الاثار الخبير بان القطعة الاثرية التى عرضت عليه قطعة حقيقية غير مزيفة .. شكك فارس فى نتيجة الفحص وطالب بفحصها مرة أخرى عن طريق لجنة أخرى .. تم الاستجابة لطلبة وأعيدت لعرضها على لجنة أخرى .. تقدم عمرو تجاه فارس وهو يقول بقلق :

- هنعمل ايه دلوقتى يا فارس

تنهد فارس وقد ظهرت علامات الاستياء على وجهه وهو يقول :

- زى ما قلتلك بالظبط هنسبقهم بخطوه المره دى

نظر له عمرو متعجباً وقال :

- مالك يا فارس فى حاجه مضايقاك

أومأ فارس براسه وهو يشعر أنه يحمل هماً تنوء منه الجبال وقص على عمرو ما حدث بالامس مع والد مُهرة .. ما كاد ينتهى من حديثة حتى وجد والدته تتصل به بألحاح أجابها على الفور فقالت بإضطراب :

- مرات حماك التانيه خبطت عليا وقالتلى ان جوزها راح يشوف محامى علشان يرفع قضية طلاق

أغمض فارس عينيه وقال بحزن :

- طيب يا ماما اقفلى دلوقتى معلش وهبقى أكلمك تانى

نظر إليه عمروهو يقول في إضطراب :

- حصل ايه

خالطت ابتسامة متهكمة حزينة شفتيه وهو يقول :

- حمايا شكله كان بيتلكك علشان يطلقها مني راح يدور على محامى يرفع قضية الطلاق

وضع عمرو يده على كتف فارس وهو يقول مطمئناً :

- متخافش مش انت واثق أنها عايزاك

أطلت نظرات القلق والحزن من عينيه وهو يقول :

- انا خايف عليها اوى يا عمرو لوحدها فى وسط كل ده

****

ذهب فارس بصحبة عمرو كما اتفقا مسبقاً لهيئة الاثار ليحاول فارس استباق نادر بخطوة كما كان يخطط من قبل .. صافحه فارس وهو يعرفه بنفسه ويقدم الكارت الشخصى الخاص به مبتسماً ... نظر مفتش الاثار الى الكارت ثم الى فارس متفحصاً له وهو يضيق عينيه ثم قال متسائلا :

- هو مش حضرتك كنت بتشتغل فى مكتب الدكتور حمدى مهران

أنتبهت حواس فارس وهو يومىء ببطء قائلا:

- ايوا هو حضرتك تعرفنى قبل كده

ابتسم الرجل ويهز راسه قائلا :

- سبحان الله الدنيا صغيرة أوى .. هو حضرتك مش فاكرنى ولا ايه يا استاذ فارس

تأمله فارس قليلاً محاولا تذكره ثم قال :

- الحقيقة هو شكل حضرتك مش غريب عليا بس مش فاكر بصراحه

استند الرجل إلى مكتبه وشبك اصابع كفيه فى بعضهما وقال بتاثر :

- مش فاكر الراجل اللى مراته رفعت عليه قضية طلاق وعلشان مكنش عاوز يديها حقوقها جالكوا المكتب بتاعكوا وكان عاوز يتهمها فى شرفها ظلم ويفترى عليها وأنت قعدت تنصحه وتقوله حتى لو هانت عليك مراتك أزاى عيالك يهونوا عليك تلطخ سمعتهم بالشكل ده

وميقدروش يرفعوا راسهم قدام الناس بعد كده وفضلت تذكره بالله لحد ما قام مشى من قدامك وهو بيقول أنا مش عارف هو ده مكتب محاماه ولا جامع ..

أنتبه فارس متذكراً وهو ينظر غلى الرجل وقد عرفه وقال بدهشة :

- مش معقول

أومأ الرجل براسه وهو يقول :

- شفت بقى الدنيا صغيرة ازاى ؟

أطرق فارس مفكراً وقد شعر برفض طلبه قبل أن يطلبه وحاول ان يبحث عن مخرج آخر لعمرو الذى كان ينظر إليهما بحيرة ودهشة لا يعرف ماذا يقول .. قطع مفتش الاثار شروده وهو يقول موجهاً حديثه لفارس :

- أؤمرنى يا أستاذ فارس حضرتك كنت جايلى ليه

رفع فارس رأسه ببط ونظر فى عينيه وهو يقول بأحباط :

- الحقيقة أنا كنت جاى متحمس بس دلوقتى مبقتش عارف هتساعدنى ولا لاء

نظر له الرجل بابتسامة ونهض من خلف مكتبة وجلس على المقعد أمامه ووضع يده على قدم فارس وهو يقول ممتناً :

- أنت ليك جميل فى رقبتى عمرى ما هنسهولك ابداً

علت الدهشة وجه فارس وهو ينظر غليه بصمت فاردف الرجل قائلا:

- أنا بعد ما مشيت من عندك فكرت فى كلامك كويس وضميرى فضل ينقح عليا وانا بسمع كلامك عمال يدور جوا عقلى وفضلت طول الليل صاحى مش عارف اسمع اى حاجه غير الحوار اللى دار بينا فى المكتب عندك ... حسيت انى ندل وأنى كنت هلوس سمعت ست شريفه عاشرتها سنين طويلة مشفتش منها غير كل شرف وامانه .. كنت هضيع مستقبل ولادى وسمعتهم علشان العند .. علشان بس أثبتلها أنها مش هتاخد منى حاجه غصب عنى بالمحاكم .. وأكتشفت انى مقدرش استغنى عنها وان الموضوع كله كان عند فى عند .. روحتلها وأعتذرتلها واتصالحنا ومن يومها وانا شايلك جميلك ده فى رقبتى وبدعيلك ليل نهار ...

رغماً عنه لمعت الدموع فى عينيه وهتف فى قلبه :

- يااااه يا ما أنت كريم يارب .. صحيح اللى عند ربنا مبيضعش ابداً

ربت الرجل على قدمة مرة اخرى وقال مطمئناً :

- قولى بقى أنت عاوزنى اساعدك فى ايه وانا رقبتى ليك

خرج فارس وعمرو من هيئة الاثار وقد بدت السعادة فى عينيى كل منهما وقال له فارس بحماس :

- شفت بقى مش قلتلك أن ربنا مش هيسيبنا ابدا

رفع عمرو يده للسماء وهو يقول :

- الحمد لله يارب .. ثم نظر إلى فارس متسائلا وهو يقول :

- ودلوقتى المفروض هنعمل ايه الخطوه اللى جايه

ابتسم فارس بمكر وهو يقول :

- الخطوة الجايه هما اللى هيعملوها مش أحنا وساعتها هيبقوا كتبوا نهايتهم باديهم

بمجرد أن أنتهى مفتش الاثار من وضع الملفات التى بيده فى درج مكتبه حتى سمع طرقات خفيفة على باب حجرته ورأى رجلين يراهما لاول مرة ... مد نادر يده يصافحه وهو يقول :

- أقدملك نفسى مهندس نادر

واشار إلى صاحبة وقال :

- وده الاستاذ باسم المحامى ..

واردف قائلاً :

- عاوزين حضرتك فى كلمتين وهنمشى على طول

أبتسم مفتش الاثار إليهما أبتسامة واثقة وقال :

- أتفضلوا .. خير يا بهوات

بدأ نارد فى مساومته فى التقرير الذى سيقدمة للنيابة عن قطعة الاثار ولكن الرجل تظاهر بالتردد قائلا بحنكة :

- بس المبلغ ده صغير اوى على العمليه دى

تدخل باسم وحاول اقناعه بطرقته الخاصه فى الحديث وأنتهت المقابله على وعد منه بالتفكير قائلا:

- أدونى يومين افكر وبعدين تجولى نتكلم فى التفاصيل

تبادل باسم ونادر نظرات الانتصار وقال باسم :

- يبقى اتفقنا معادنا بعد يومين

خرج نادر بصحبة باسم من عند الرجل الذى تبسم بثقة وهو يخرج هاتفه النقال ليجرى اتصالا هاماً ....

****

- أيه أنت مش هتروح بيتك ولا ايه ... قال فارس تلك العبارة وهو يمشى بجوار عمرو الذى كان يسير بجواره فى طريقة الى بيت والدته .. فقال عمرو:

- لا أنا هبات عند أبويا النهارده أصل حماتى تعبانه شويه ومراتى وأختها بايتين عندها

ثم ألتفت إلى فارس وقال متسائلا:

- وأنت مش رايح المكتب

هز فارس راسة نفياً وقد علت قسمات وجهه سحابة حزن وقال :

- ماليش نفس اعمل حاجه خالص يا عمرو ..أنا هروح البيت يمكن اعرف اشوفها ولا أكلمها

ربت عمرو على كتفه وحاول أن يكون مرحاً وقال :

- أنا مكنتش أعرف أنك هيمان اوى كده يا عم فارس

ألتفت إليه فارس بصمت حزين ثم سار فى طريقة .. ودعه عمرو دخل بيت والدته بينما دلف فارس الى بنايته المقابلة له صعد الدرج ولكنه لم يطرق باب شقته وأنما صعد درجات عدة أخرى ووقف أمام بابها لا يعرف ماذا يفعل .. افتقدها بشدة يريد ان يملىء عينيه بوجهها البرىء ولو لمرة واحدة فقط وقف مترددا تدور الافكار براسه تعذبه وتقتله .. وأخيرا وضع رايته مستسلماً وهبط درجات السلم مرة اخرى متوجهاً الى شقته .. وضعت والدته طعام العشاء امامه على المائدة وهو شارداً فى وجوم وكأنه فى عالم آخر عاقدا ذراعيه امام صدره وقد تقابلا حاجبية بشدة .. وضعت يدها على يده وهى تقول بهدوء :

- مش هتاكل يا فارس

أوما براسه وأمسك ملعقته وظل يعبث فى طبقة الذى امامه وهو مطرق الرأس وقد عاد الى وجومة الدائم فقالت :

- يابنى مش كده ده انت مكلتش من امبارح ولا بتدوق طعم النوم حتى

تنهد بقوة وقال باسى :

- مش عارف اعمل ايه يا ماما ياريتنى ما كنت كتبت الكتاب كنا عملنا الفرح على طول

رفع راسه إليها وهو يقول بضعف :

- ماما أنتى مبتشوفيهاش خالص

شدت على يده وهى تقول بسعادة مصطنعة:

- شوفتها النهارده وهى نازله مع مرات ابوها وكان شكلها باين عليه أنها كويسه

نظر إليها بلهفة وقال على الفور :

- كلمتيها

ابتسمت وقالت :

- كلمتها وهى مرات ابوها هتمنعنى أكلمها كمان.. وبتسلم عليك وبتقولك متقلقش عليا

خفق قلبه وضغط على يد والدته دون ان يشعر وهو يقول :

- بجد يا ماما بجد كويسه

أبتسمت والدته وهى تؤكد له ما قالته ثم عادت لتكمل طعامها فى صمت بعد ان رأته قد بدا فى تناول طعامه .. نظرت إليه نظرة خفية بأسى وهى تهتف داخلها .. اقولك ايه بس يابنى اقولك الورده دبلت فى يوم وليلة من كتر الهم والبكى ..

وقفت مهرة فى الليل فى نافذتها ترجو ان تراه ولو لمرة واحدة تطل برأسها للأسفل بشدة لعلها تلمح ظله فتفاجأت بصوت زوجة ابيها تقول ساخرة :

- أدخلى من الشباك يا بت انتى ابوكى قال مفيش واقفة فى الشبابيك

ألتفتت إليها مُهرة وعادت الى الوراء واغلقت النافذة بهدوء فهى لا تريد ان تدخل فى مجادلة كلاميه مع هذه المرأة على الاطلاق .. جلست على الفراش بعد ان اغلقت النافذة وتناولت احد الكتب بجوارها وشرعت فى قراءتها فنظرت إليها زوجة ابيها نظرات ساخرة وعادت ادراجها من حيث أتت .. بعد قليل دخل يحيى بعد طرق الباب عليها وأطل بوجهه

فتبسمت له وقد لمعت الدموع فى عينيها فاقترب منها وجلس بجوارها وامسك يدها وهو يقول بإشفاق :

- متزعليش نفسك بكره ابوكى يصفى ويرجع فى كلامه

أنسابت العبرات على وجنتيها وهى تقول متسائلة :

- ماما عامله ايه

أومأ براسه وهو يقول :

- ما انتى عارفه انها قاعده عند خالتك وبتسلم عليكى وبتقولك متزعليش منها هى مشيت وسابتك فى ساعة غضب ومعرفتش ترجع تانى من لما ابوكى جاب مراته هنا

أطرقت براسها وقالت له متسائلة :

- وانت يا يحيى قاعد فين دلوقتى

قال مبتسماً :

- عند واحد صاحبى هو مش من هنا اصلا من الارياف .. ومأجر أوضه هنا علشان الدراسه وانا قاعد معاه ومرتاح متقلقيش عليا

أطرقت براسها ثانية وهى تقول باسى :

- يارب دايما تبقى مرتاح يا يحيى

نظر إليها بشفقة ورفع وجهها إليه بيده وقال مبتسماً :

- هخاليكى تشوفيه متزعليش

أمسكت ذراعيه بلهفة وهى تهتف به :

- بجد يا يحيى

أشار لها ان تخفض صوتها ثم قال بخفوت :

- اه والله صدقينى بس أدينى يومين كده .. ماشى ..

أومأت براسها فرحاً وهى تمسح دموعها براحتيها وهى تقول ممتنة:

- متشكرة اوى يا يحيى ربنا يخاليك .. بس يومين كتير اوى مينفعش قبل كده

كتم ضحكته وهو يقول بمرح :

- طب أعملى مكسوفة طيب .. طب استنى

نهض وأتجه الى الباب ليطمئن أن زوجة ابيه لا تتجسس عليهما وبعد ان اطمئن تماماً أخرج هاتفه وهو يقول لها بخفوت :

- تعرفى توطى صوتك على الاخر وأنتى بتتكلمى فى التليفون ؟

قفزت من فراشها فرحاً كالفراشة وقال بخفوت مماثل :

- ربنا ميحرمنيش منك يا يحيى

أشار لها أن تفتح النافذة وتطل منها وهى تتحدث حتى لا يظهر صوتها خارج الغرفة بينما وقف يحيى مراقباً من طرف خفى حتى لا يحدث اى هجوم مباغت من زوجة ابيه عليهما وهى تتحدث فى الهاتف .. أنتفض فارس وهو مستلقى فى فراشة سابحاً فى شروده وذكرياته على صوت رنين الهاتف .. نظر إليه فوجد رقماً غريباً غير مسجل لديه فزفر بضيق ..تركه وعاد الى استرخاءة من جديد وهو لايعلم أن نصفه الاخر الذى اشتاق إليه هو من يهاتفه الان ...

جذب يحيى الهاتف من مُهرة ووضعه فى جيبه فى اللحظه التى دخلت فيها زوجة أبيه واضعة يدها فى خصرها قائلة :

- أنت هتبات هنا ولا ايه يا يحيى

تنحنح بحرج وهو يقول :

- لا انا ماشى دلوقتى

قالت بابتسامة صفراء :

- براحتك يعنى انا مش قصدى أمشيك ولا حاجه

ربت يحيى على كتف مُهرة وهو يقول بنظرة تفهمها :

- هجيلك بكره ماشى

أومأت له مُهرة براسها وهى تمسك بيده التى على كتفها

خرج يحيى من غرفتها وأتجه الى باب الشقة مباشرة حتى لا يحدث احتكاك بينه وبين زوجة ابيه فينتج عنه مشكله اخرى مع أبيه .. خرج واغلق الباب خلفه بينما جلست مُهرة على

فراشها محتضنة قدمها كما تفعل دائما وتنظر لارضية الغرفة وكأنها تناديه وتحاول ان تخترقها لتراه ..

خرج فارس يقف فى نافذة غرفته يستنشق هواء الفجر العليل ويملىء به رأتيه بقوة ويزفر بهدوء وهو يسبح ويستغفر كما تعلم من بلال .. نظر للأعلى مرات عديدة يتلمس ظلها أو ضور غرفتها سمع صوت هاتفه فهرول إليه ونظر فيه فظفر بضيق عندما وجد اسم عمرو هو المتصل .. كان يعتقد انها هى ولكن انقطع الامل .. عاد مرة اخرى الى النافذة وهو يجيب عمرو بحنق :

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ايه اللى مصحيك لحد دلوقتى يابنى انت

قال عمرو مشاكساً :

- انا كنت قلقان شويه وقفت فى الشباك لقيت العاشق الولهان واقف هو كمان عمال يبص لفوق يمكن يعرف يشوف الست جوليت ولا حاجه

نظر فارس الى البناية التى تقبع عن يمين بنايته قليلا فوجد عمر يقف فى الشرفة ويشير إليه بيده واضعا الهاتف على اذنه وقال :

- معلش بقى شوفتنى انا طبعا عارف انك كان نفسك تشوف حد تانى النهارده

تنهد فارس بعمق وهو يقول بشوق :

- وحشتنى أوى يا عمرو

قال عمرو مبتسماً :

- معلش يا روميو اصبر بكره تبقى فى بيتك

هتف فارس بغضب وهو يضرب سور الشرفة بيده :

- امتى بس يا عمرو وازاى بعد اللى حصل ده

أنتفض جسدها وهى تجلس على فراشها ضامة لركبتيها بعد أن سمعت صوته ياتى إليها ويتسلل الى مسامعها فى سكون الليل وقد نامت العيون وخلا الاحبة بعضهم الى بعض .. خرجت سريعاً من غرفتها لتتأكد من أن الجميع نيام ثم عادت الى غرفتها ووضعت حجابها على شعرها وفتحت النافذة وأطلت منها بنصف جسدها تقريباً فرأته وهو يتحدث فى الهاتف بغضب أبتسمت وهى تنظر إليه كم افتقدته كم اشتاقت إليه وإلى نظرة عينيه العاشقة ... تفاجأ فارس بعمرو وهو يقول له بمرح :

- قول لجوليت تدخل جوه شويه لحسن هتقع كده

استدار فارس كلية بجسده وهو ينظر للاعلى فرآها لم يستطع أن يتبين ملامحها جيدا وعينيها بسبب الظلام ولكن رآها ورأته ابتسم عمرو وعاد أدراجه الى الداخل وأغلق الشرفه ليتركهما وحدهما يخطفا من الوقت لحظات كفيله بأن تعيد اليهما الحياة من جديد.. ارسل لها قبلة فى الهواء بيده استقبلتها بقلبها الذى عانقها بقوة وضمها داخله ككنز ثمين لا ينفك ان يتركه ابداً ..ضمت يدها الى صدرها وهى تنظر إليه كانها تضمه هو .. لمحت والدها آتى من بعيد فاشارت إليه وعادت للداخل سريعاً .... عاد فارس للداخل وحاله كحال الظمآن الذى بلل شفتيه بلسانه ....

****

ها يا حضرة الظابط أيه الاخبار .. قالها فارس وهو يجلس فى المقعد المقابل للضابط الذى قال بثقة :

- كل حاجه ماشيه زى ما أحنا متفقين بالظبط .. باسم ونادر هيتسجلهم ويتقبض عليهم متلبسين بالرشوة

أبتسم فارس بسعادة وهو يقول بأمتنان :

- الحقيقة يا فندم مش عارف اشكر حضرتك أزاى .. ثم تنحنح فى حرج وهو يقول بحيرة :

- هو ليه حضرتك عرضت عليا المساعده فى الموضوع ده رغم أن القضية مكانتش معاك من الاول وكانت مع ظابط تانى

أبتسم الضابط وقال :

- فاكر قضية القتل اللى طليقتك كانت ماسكاها أهو انا كنت الظابط اللى عرضوا عليه رشوة علشان يغير اقواله فيها من يومها وانا متابع القضية دى وعرفت اللى حصل معاك واستجدعتك اوى ده غير انى كنت متأكد إن فى حد تانى بيساعد وائل وبيخططله من بعيد من غير ما يورط نفسه فى الحكايه ...

ثم استند بظهرة الى المقعد وهو يقول بتصميم:

- ولما عرفت موضوعك أنت وعمرو بالصدفه حبيت اساعدك وواحده واحده اتأكدت أن باسم ليه علاقة بالموضوع ده كمان واللى زى باسم ده عاوزله تخطيط جامد اوى وأدله قوية علشان نقدر نقضى على فساده ولا زم نحط ايدنا فى ايد بعض علشان نعرف نحوط عليه كويس أوى وميعرفش يطلع من ثغرات القانون اللى هو حافظه كويس ..

أستدرك فارس قائلا:

- يعنى خلاص مش فاضل غير التسجيل وبعدين نطلع امر بالقبض عليهم

أومأ الضابط براسه وقال مؤكدا :

- التسجيل هيتم بكره زى ما اتفقنا مع خبير الاثار فى نفس اليوم بالليل هنقبض عليهم إن شاء الله

نظر إليه فارس بإعجاب وهو يقول :

- نفسى اسألك سؤال بيلح عليا دايما

أومأ الضابط براسه فقال قال فارس :

- أنت ليه مخفتش لما وائل هددك

ضحك الضابط وقال :

- وائل ده كان شكله يضحك اصلا وبعدين بيعرض الرشوة بسذاجه غريبة كده علشان كده كنت متأكد ان فى حد وراه عاوز يوديه فى داهيه ..ثم ضحك بشده وهو يتذكر جلسته مع وائل وقال :

- تصدق يا دكتور فارس أنى لا قلتله حرام وهنروح من ربنا قالى هو أنت مش مربى دقنك ليه

ضحك فارس وهو يقول :

- هو يعنى محدش بيرفض الرشوة غير اللى ملتحين بس اما حاجه عجيبه اوى

تنهد الضابط وقال بشرود :

- أعذره يا دكتور الناس واخده فكره عن الظباط ان كلهم زى بعض ..ثم استند بيديه على مكتبه وهو يقول باسى :

- احنا فينا محترمين ومتدينين واصحابى وأعرفهم شخصيا بس مع الاسف بالنسبه للفاسدين نكاد نكون مش باينين اصلا

شعر فارس بالاسى الذى يكسو نبرة صوته فاراد ان يغير مجرى الحديث بمداعبة وقال :

- بس أنت غيظته وقلتله أنك هتربي دقنك بس مش دلوقتى

ضحك الضابط ضحكات رنانه وهو يقول :

- تصدق والله مكنش قصدى اغيظه انا قلتله اللى قلبى

قال فارس بأهتمام :

- وهو شغلكوا يسمح بكده

زفر الضابط بقوة وهو يردف :

- وايه اللى يمنع اذا كان فى ضباط مسلمين فى دول أوروبا ملتحين ومحدش بيقولهم حاجه وشايفين شغلهم تمام وهما فى دول نصارى اصلا ودين الدوله الاول النصرانيه حتى الدول اللى فيها بوذيين عندهم ظباط مسلمين ملتحين ومحدش بيتكلم معاهم ..

ثم لمعت عيناه وهو يقول بتحدى :

- بس عندى أمل فى بلدنا انها هتتغير فى يوم من الايام ان شاء الله

****

- أهلا أهلا أتفضلوا .. أتفضل يا بشمهندس نادر أتفضل يا استاذ باسم ...

أبتسم باسم وهو يجلس وينظر إلى مفتش الاثار بثقة :

- افهم من المقابلة الحلوه دى أن التقرير خلاص اتكتب زى ما اتفقنا

هتف نادر :

- طبعاً هى دى عايزة سؤال

فرك الرجل يديه بشغف وهو يقول :

- ولو انها مسؤلية كبيرة بس انا مقدرش حد يقصدنى ف حاجه وارجعه أيديه فاضيه

أستند باسم على مكتبه وهو يقول :

- واحنا كمان مش هنرجعلك ايديك فاضيه

قال نادر بلا مبالاة :

- مسؤلية ايه بس ياراجل اللى بتتكلم عنها أنت كتبت تقرير زى اللى اتكتب قبل كده من واحد تانى خالص يبقى انت معملتش حاجه جديده يعنى بالعكس ده أنت اكدت على كلام زميلك

أومأ باسم براسه وهو يقول مؤكدا :

- بالظبط كده ومتخافش مش هيقدروا يشككوا فى ده كمان

قال الرجل بلامبالاة وكأن الامر لا يعنيه :

- لمؤاخذه يعنى فى السؤال هو انتوا ليد بتدفعوا الفلوس دى كلها علشان القضيه تلبسوا انتوا بتكرهوا اوى كده

قال له باسم بحدة :

- الموضوع ده ميخصكش أنت ليك تاخد فلوسك وخلاص

حرك الرجل راسه وقال مؤكداً :

- معاك حق وانا مالى خلاص اتفقنا تجولى هنا بكره الصبح ومعاكوا الفلوس وهوريكوا نسخه من التقرير اللى اتكتب

نهض باسم ونادر وهما ينظران الى بعضهما البعض بأنتصار وقالا بثقة :

- تمام أوى كده

****

كان نادر بصحبة باسم فى شقتة الخاصة ليلاً بينما سمع باسم صوت رنين هاتف المنزل فقال نادر بقلق :

- أيه ده مين بيكلمك دلوقتى

نهض باسم متوجهاً إلى الهاتف وهو يترنح ثملاً وضع سماعة الهاتف على اذنه وقبل أن يجيب سمع صوت أنثوى يصيح به :

- أنتوا ايه اللى أنتوا عملتوه ده يا أغبيا

نظر باسم لسماعة الهاتف وهو يعقد جبينه بدهشة ثم اعادها على أذنه مرة أخرى وهو يقول بتشتت :

- أنتى مين يا ست أنتى

صاحت بغضب :

- أنت غبى أنت واللى معاك وهتدفعوا تمن غبائكو ده غالى أوى

ضحك باسم وهو يقول بترنح :

- أهدى بس يا حلوة

صرخت فيه بشدة :

- بقى علشان أنت بتكره واحد والغبى اللى معاك بيكره التانى تقوموا تلفتوا النظر لينا ولشغلنا والعين تبقى علينا .. اللى عملتوا ده مش هيعدى بالساهل ابدا ... وأنهت المكالمة بعنف .. نظر باسم الى سماعة الهاتف بأستنكار وهو يهوى الى المقعد بجوار الهاتف ويهتف :

- طب متعرفناش طيب

نهض نادر قائلا:

- فى ايه يا باسم من دى

ناوله باسم الكأس فى يده وهو يقول مترنحاً :

- اشرب ياعم أنت خالينا نفرفش شويه أنت مالك رخم كده ليه النهارده

****

جلست عزة بجوار عبير فى بيت والدتهما وهى تقول بأستنكار

- يعنى أيه يا عبير يعنى الراجل المتدين بس هو اللى مش بيتخانق مع مراته

قالت عبير بثقة :

- لاء مش قصدى أنا قصدى اقولك أن الراجل الملتزم هو اللى ليه حدود حتى فى مشاكله يعنى بمجرد ما تقوليله اتقى الله يبتدى يراجع نفسه ويقول اللهم اجعلنى من المتقين ..لكن الراجل التانى لو قلتيله اتقى الله هيصرخ فيكى ويقولك طب ما تتقيه انتى ياختى ولا ممكن يقولك قصدك ايه يعني ... قصدك انى كافر .. قصدى ان الملتزم ليه سقف معين بيقف عنده مهما عمل بيخاف من ربنا فى الاخر ويخاف لو ظلمك ربنا يقتص منه فى الدنيا والاخرة

مطت عزة شفتيها وقالت باستسلام :

- فى دى معاكى حق عمرو ساعات لما بقوله اتقى الله يقولى لما تتقيه انتى الاول .. بس بصراحه ده كان قبل ما يدخل المعتقل مع فارس وبلال لكن من بعدها بقى أحسن كتير فى معاملاته كلها ..

ثم قالت بمرح :

- يعنى لو كنت اعرف كده كنت لما جه يتقدملى كنت قلتله لاء اقعد شويه مع فارس وبلال وبعدين ابقى تعالى اتقدم

حركت عبير راسها وهى تقول :

- اه اه صح علشان كان قطع رقبتك ساعتها ولا انتى ناسيه انه كان حساس قد ايه من اى كلام منك على فارس فاكر لما زعل منك

زفرت عزة وهى تقول بحنق :

- متفكرنيش بالايام دى .. الحمد لله أنها عدت من غير ما حد ياخد باله من مشاعرى دى

رفعت عبير حاجبيها وقالت :

- ومين قالك ان محدش خد باله .. والدة فارس كانت واخده بالها والجديد بقى ان مُهرة كمان كانت عارفه

حدقت عزة بها وهى تقول :

- بتقولى ايه يا عبير .. مُهرة عارفه انى كنت بحب فارس ..

أومأت عبير برأسها مبتسمة وهى تضع ولدها على الفراش بعد أن نام على ذراعها وقالت بخفوت :

- أنتى فاكراها عبيطه ولا ايه ولا ناسيه انها كانت ملازمه لفارس ووالدته من وهى صغيرة وقاعده عندهم فى البيت على طول

أسندت عزة راسها على راحتها وهى تقول بحرج :

- يادى الكسوف .. وانا بكلمها عادى وهى بتكلمنى عادى ولا باين عليها حاجه

ضحكت عبير بخفوت وهى تنهض وتجلس على الاريكة بجوار النافذة فتبعتها عزة وجلست بجوارها وهى تقول :

- ده انا كده هتكسف احط عينى فى عنيها تانى

هزت عبير راسها نفياً وهى تقول :

- بتهزرى ... يابنتى هى عارفه أن الكلام ده كان زمان قبل ما تتجوزى عمرو

عقدت عزة ذراعيها امام صدرها وقالت بتبرم:

- وأنتى عرفتى ازاى اصلا توقع كده ولا هى لمحتلك

رفعت عبير كتفيها وقالت :

- مش هى المشكله دلوقتى أنا مش عارفه ايه اللى فتح السيرة دى ..أحنا دلوقتى فى مشكلة مُهرة وباباها لازم أكلم بلال يدخل ويحاول يحلها بطريقته... ياريتك يا عزة قولتيلى أول ما عمرو قالك

لوحت عزة بيديها وهى تقول :

- ياختى نسيت مش شايفه ماما كانت تعبانه ازاى

دفعتها عبير لتنهض وهى تقول بمكر :

- طب أمشى بقى شوفيلك حته تنامى فيها علشان عاوزه أكلم جوزى شويه براحتى

رفعت عزة حاجبها وهى تقول :

- بتطردينى من أوضتى اصلا ماشى يا عبير .. وبعدين أنتى فاكرانى ماليش جوز انا كمان ولا ايه طب انا بقى هروح البلكونه ونقعد نشاور لبعض زى الحبيبة ... ثم ضحكت وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب خلفها

أخرجت عبير هاتفها وهاتفت بلال وبمجرد ان اجابها حاولت أن تغير نبرة صوتها وهى تقول :

- مين معايا

كان بلال مستلقياً على الفراش يستعد للنوم فابتسم وهو يتكا على جنبه الايمن وقال :

- حضرتك انتى اللى متصله

قالت عبير بدلال :

- طيب ممكن نتعرف .. اصل صوتك عاجبنى اوى

أعتدل جالساً على الفراش بحماس وقد أعجبته اللعبة وقال :

- بس انا متجوز

رفعت كتفيها وهى تقول برقة :

- وايه يعنى الشرع محلل اربعة

قال هامساً :

- بس انا بحب مراتى ومفيش واحده غيرها تملى عينى حتى لو كان الشرع محلل عشره

كتمت ضحكتها وقالت بتبرم طفولى :

- خلاص بلاش جواز نتعرف بس

هتف ضاحكاً :

- أيه ده يا عبير أنتى أنحرفتى أمتى يا حبيبتى

ضحكت وهى تقول :

- ياسلام يعنى دى اللى وقفت عندها يعنى

قال بحنق :

- كده برضه تضحكى الضحكه دى وأنتى بعيد عنى طب انا هاجى أخدك دلوقتى

حاولت ان تخفض صوت ضحكاتها و تسائلت قائلة :

- ياسلام يعنى هتضحى بوقت نومك وتنزل وتيجى تاخدنى

همس قائلا بحرارة :

- الضحكه دى تخالينى اضحى بعمرى مش بنومى بس

قالت على الفور:

- لالا أنا بهزر معاك أهدى كده علشان احكيلك على حاجه مهمه اوى تخص فارس ومُهرة

أنتبه وارهف سمعه لها وهى تقص عليه ما قاله عمرو لعزة فى الهاتف عن مشكلة فارس ومُهرة وحتى هذه اللحظة ......

****

أستيقظت مُهرة فزعة على صوت صراخ زوجة أبيها وهى توقظها صائحه :

- قومى معايا ياختى بقولك قومى

نهضت مُهرة بفزع وهى تصيح :

- فى أيه

صرخت بوجهها :

- جيرانى أتصلوا بيا وقالولى ان شقتى اتسرقت قومى يالا تعالى معايا

نهضت مُهرة سريعاً من فراشها وتوجهت للحمام على الفور توضأت وعادت لحجرتها ارتدت ملابسها وزوجة ابيها تصرخ :

- بسرعة ياختى لسه هتقعدى تلفى عشر سنين فى الطرحة

قالت مُهرة بارتباك وهى تحاول لف خمارها :

- حاضر حاضر

غادرتها زوجة ابيها وهى ترتدى حذائها وعادت إليها تصرخ بها يالا يالا ...ارتبكت مُهرة اكثر ووضعت دبوس الحجاب فى يد أصبعها فتالمت بشدة وهى تنظر لاصبعها الذى أخذ يقطر بعض قطرات الدم وهى تبحث عن منديل ورقى لتضعه عليه

فصاحت زوجة ابيها بغضب :

- انا هسبقك وتعالى ورايا يا غندورة متتأخريش ياختى أنتى عارفه البيت كويس

تركتها وهبطت درجات السلم فى عجلة منها ..لفت مُهرة الخمار مرة اخرى ووضعت الدبوس بحرص هذه المرة ثم ارتدت حذائها وهبطت تهرول على درجات السلم .. وفجاة شعرت بيد تجذبها بقوة وتدخلها للداخل ووجدت نفسها فى شقة فارس وبين يديه ...

الفصل الأخير

أغلق الباب خلفها على الفور واستندت بظهرها إلى الباب المغلق وحدقت به لبرهة وهو يقف امامها مباشرة محيطاً خصرها بذراعيه وهو يكاد يلتهمها بعينية والصمت محيط بهما لا يجروء أحدهما على شقه ...

تمالك فارس قواه وقال هامساً وهو ينظر فى عينيها متعمقاً بها سابحاً بداخلها بل غارقاً فيها حتى اذنيه:

- وحشتينى

حدقت به فى ذهول غير مدركة لما حدث فجأة ..فاقترب منها وطبع قبلة على جبينها قائلاً :

- لسه مفوقتيش من المفجأة

زاغت نظراتها وهى تحاول ألتقاط أنفاسها بصعوبه وهى تراه ينزع الدبوس المثبت للخمار ونزعه عنها برفق وهو يبتسم بها بشوق وقال :

- بقولك وحشتينى

وأخيراً تكلمت بصوت مبحوح وقالت :

- أنت عرفت منين أنى نازلة دلوقتى لوحدى

أخذ شهيقاً قوياً وهو يحاول أن يبدو هادئاً وقال :

- اصل شقة مرات ابوكى متسرقتش ولا حاجه دى لعبه أخترعتها انا ويحيى علشان هى تتلبخ وتنزل وتسيبك واعرف اشوفك .. بس بصراحه مكنتش أعرف انك هتنزلى وراها انا افتكرت انها هتنزل وتسيبك لوحدك بس اتفاجأت بيكى نازله وراها فقلت اخطفك

حاولت أن تنظر للداخل ولكن كتفيه منعاها وعيناها لا تصل لما بعدهما فقال سريعاً :

- ماما مش هنا ..عند والدة عزة بتزورها

ثم قال بعتاب خافت وهو يرفع راسها إليه بانامله :

- طب مفيش وأنت كمان وحشتنى

مسحت وجهها براحتها بالكاد فهو لايعطيها مساحه للحركة كافيه وقالت بخجل :

- وحشتنى

ضمها إلى صدره وهو يغمض عينيه بقوة مبتسماً بحب وقال :

- أنا خلاص مش هسيبك تانى .. انتى هتفضلى معايا هنا

أبتعدت برفق ونظرت إليه بحيرة ودهشة قالت :

- يعنى ايه هفضل هنا

مسح على وجنتها ثم خلل اصابعه بين خصلات شعرها يداعبه وهو يقول :

- يعنى أنتى مراتى ومش هسمح لحد انه يفرق بينا ومش هسيب ابوكى يبعدك عنى تانى ومش هتخرجى من بيتى بعد كده

بللت شفاهها بلسانها بتوتر غير مستوعبة لما يقول وقالت بتلعثم :

- أزاى يعنى مينفعش يا فارس نقعد مع بعض وأحنا مكتوب كتابنا بس طب هنقول للناس ايه ..

هزت راسها لعلها تستفيق من وقع كلماته وهى تردد :

- طب وبعدين مش فاهمه حاجه

أمسكها من كتفيها ونظر إلى عينيها بقوة وقال بحسم :

- خلاص أحنا مش هنفضل مكتوب كتابنا طول عمرنا .. انتى هتعيشى هنا معايا وهنعلن كده قدام كل الناس أنتى كده كده مراتى وابوكى عاوز يبعدك عنى وبيضغط عليكى علشان تطلبى الطلاق وانا مش هاسمحله لازم أحطه قدام الامر الواقع ..

نظر إلى عينيها بقوة أكبر وقال بهدوء :

- انا هدخل بيكى دلوقتى يا مُهرة وهنا زينا زى أى أتنين متجوزين ويبقى ابوكى بقى يورينى ويبقى ابوكى بقى يورينى هياخدك مني أزاى تانى

شعرت أنها تختنق وأحمر وجهها من فرط حرارة جسدها المتصاعدة وقالت بإضراب :

- أنت أتجننت يا فارس بتقول ايه ..سبنى أمشى

أحكم يديه حولها وهو ينظر إليها بتصميم قائلاً :

- أيوا أتجننت ولو مش بمزاجك هيبقى غصب عنك أنتى مراتى فاهمه يعنى ايه مراتى

.. حاولت أن تتحرر من يده وهى تقول بخوف:

- سبنى يا فارس بقولك سبنى

حملها رغماً عنها ليبعدها عن باب الشقة وأدخلها غرفته وهى تهتف به :

- لا يا فارس لاااا

أغلق باب غرفته وهو يتوقع أن تصرخ أو تحاول الهرب أو تستغيث ولكنها لم تفعل ذلك نظرت إليه بهدوء وهو يغلق باب الغرفة وبمجرد أن عاد إليها عازماً على فعل ما قرره ..أقتربت هى منه بسرعة ولفت يدها حول خصره ودفنت وجهها فى صدره وهى تبكى قائلة :

- أنقذنى منك يا فارس أنقذنى منك بدء صدره يعلو ويهبط بقوة ويديه بجواره وهو ينظر إليها وهى فى هذا الوضع وهى تقول ببكاء ولوعة :

- فاكر لما قلتلى لو اى حد فى الدنيا ضايقك ولا قرب منك تعالى قوليلى وانا هحميكى فاكر لما كنت بتقولى أوعى تخافى من حد وانا موجود أنا ضهرك وانا حماكى فاكر لما قلتلى بعد كتب الكتاب حتى لو انا زعلتك يا مُهرة تعالى أشتكيلى مني وأنا هخدلك حقك مني ..انا دلوقتى عاوزاك تحمينى منك يا فارس وأنت عمرك ما خلفت وعدك معايا أحمينى منك يا فارس أحمينى منك

أغمض عينية بقوة وهو يشعر أن كلماتها خناجر موجهة إلى قلبة بقوة وحسم لم تخطأ هدفها ابداً اصابته فى مقتل تعرفه جيداً وتعرف نبلة وشهامته وقيامة تجاهها بدور الاب والاخ قبل أن يكون الزوج والحبيب هو من رباها وكان يحملها فوق كتفه ولم يجروء أحدا على مسها خوفا منه فكيف الان هو من يؤذيها كيف تلتجأ إليه ويخذلها ...

ظلت تدفن رأسها قوة فى صدره وكأنها تريد أن تختلط بعظامه وتتسلل داخل قلبه ليحيطها ويضمها ويشعرها بالأمان ... وأخيراً وبعد طول أنتظار منها وجدته يلف يديه حول راسها ويضمها اكثر فى صدره ويمسح على شعرها ويقبلة قائلا بحنان :

- متخافيش .. متخافيش

أغمض عينيها وأنسابت عبراتها لتغرق قميصة وتبلل صدره ..شعر بسخونة تلك العبرات فعض شفتيه بألم وقال :

- أنا مش ممكن أذيكى وانتى عارفه كده كويس

ثم رفع وجهها بأنامله ونظر إلى عينيها وهو يقول بابتسامه حزينة:

- أهو ده عيب اللى يتجوز واحده فاهماه كويس

خالطت الدموع ابتسامتها وهى تنظر إليه بلهفة فمد يده ومسح عنها العبرات قائلا:

- كفايه بقى عياط مش عارف اشوف عنيكى من كتر الدموع

أومأت برأسها وهى تبتسم وتمسح عبراتها براحتيها وهى تقول ببراءة :

- خلاص مش هعيط تانى

طبع قبلة على جبينها وقال بهدوء :

- يابنت اللذين .. أنتى بتعملى فيا كده ازاى أنا بحس أنى ببقى واحد تانى خالص وأنا معاكى

وضعت يديها على صدره وقالت بصوت مرتجف من فرط التاثر :

- أنا بحبك يا فارس وعمرى ما هطلب منك الطلاق ابدا الا اذا حسيت ان انت اللى مش عاوزنى اصبر بس شوية مش عاوزينه يعند معانا نفسى العلاقة بينكوا تبقى كويسه زى الاول .. وانا أوعدك انى هصبر على اى حاجه تحصلى فى سبيل أننا نبقى مع بعض فى الاخر واهالينا راضيين عننا مش غصب عنهم ...

أمسك وجهها بيديه ونظر فى عينيها بقوة وهو يقول بحب :

-أنتى بتجيبى الكلام الكبير ده منين

اشارت بأصبعها إلى صدره وقهى تقول :

- منك انت ولا ناسى انى كنت ماشية وراك ولازقه فيك بسمع كل الكلام اللى بتقوله وبخزنه فى مخى ومش بقدر أنسى منه ولا حرف

ابتسم وقال مداعباً :

- طب ما تجيبى أطه كده على الماشى

ضحكت وهى تبتعد عنه وقالت :

- لا يا سيدى أحسن بعدين تتهور ولا حاجه

ارتدت خمارها ثانية وأتجهت بأتجاه باب الشقة فلحق بها ووضع يده على الباب قائلا:

- طب يعنى مش هشوفك ازاى تانى

زاغت نظراتها يمينا ويسارا وهى تفكر ثم قالت :

- قولى معاد رجوعك بالليل امتى بالظبط وانا هبصلك من الشباك واهى تصبيرة كده لحد ما ربنا يفرجها

ضمها إليه مرة أخرى مودعاً وهو يقول :

- ربنا يجمعنى بيكى يا حبيبتى فى اقرب وقت ممكن

لمعت الدموع فى عينيها وهى تودعه وتذهب وتغلق باب شقته خلفها برفق ..ظلت عينيه متعلقة بباب الشقة وهو يشعر بوهن شديد فى جسده وكانه قد تسلق جبلا دفعة واحده دون توقف .. هوى الى اقرب مقعد بجوار الباب واغمض عينيه وهو يدعو الله ان يقرب بينهما ويجمعه بها فى القريب العاجل ....

****

فى اليوم التالى مباشرة كان بلال يجلس فى بيت فارس ويقول بعتاب موجهاً حديثة ل فارس :

- مقولتليش ليه يا فارس على اللى حصل ده كله هو أنا مش صاحبك ولا ايه

تنهد فارس بعمق وقال بحزن :

- مرضتش اضايقك يا بلال وبعدين انا عارف أنك مش فاضى

شد بلال على يد فارس وهو يقول بلوم :

- كده برضه ده انا افضيلك نفسى مخصوص يا اخى ده أحنا اخوه فى الله مش مصاحبين بعض لدنيا ولا لمصلحه

قاطعته والدة فارس وقالت :

- ربنا يكرمك يابنى بس ابوها مش عاوز يسمع لحد خالص ومش مدى فرصه لحد انه يتكلم ولا يشرح حاجه

أردف فارس قائلاً:

- وبعدين انا قلت اسببه لما يهدى من ناحيتى يمكن يرضى يسمعنى واقدر اشرحله

وضع بلال يده على كتف فارس وقال بثقة :

- سيب الموضوع ده عليا أنا ربنا يقدرنى وأقدر أحله

نظر له فارس بلهفة فقال :

- توكل على الله يا فارس وأدعى وإن شاء الله ربنا هيلين قلبه من ناحيتك وانا هحاول معاه على قد ما اقدر ... يالا هات رقمه

نظر فارس إلى والدته وقال بحرج:

- معلش يا ماما ممكن تعمللنا دور شاى تانى

شعرت والدته أنه يريد ان يتحدث مع بلال على انفراد فنهضت على الفور وهى تقول مبتسمة :

- حاضر من عنيا

توجهت والدته إلى المطبخ وتركتهما وحدهما فألتفت فارس إلى بلال واقترب منه وقال هامساً :

- بلال انا عاوز اسألك فى حاجه مش متأكد منها كده

اشار له بلال بأن يتحدث فقال :

- هو انا لو دخلت بيها من غير اذن ابوها ينفع ؟

أطرق بلال مبتسماً ثم رفع راسة ونظر إلى فارس قائلاً :

- لاء طبعاً مينفعش

عقد فارس حاجبيه وقال حانقاً :

- ليه يا بلال دى مراتى أومال عقد الجواز اللى بينا ده ايه

رفع بلال حاجبيه وقال :

- على اساس انك مدرستهاش فى الكليه مثلا

زفر فارس بضيق قائلا:

- نسيتها يا عم .. هو انا فى ايه ولا فى ايه

ابتسم بلال وهو ينظر إليه وشد على يده قائلاً :

- أنت عقدت عليها والاشهار كان للعقد بس يعنى هى لسه فى بيت ابوها حقوقها وواجباتها دلوقتى غير المدخول بيها وأنت كده هتلغبط الدنيا فى بعض ده غير أن ده مش هيحل حاجه غير أنك هتزود عناد ابوها

هتف فارس صائحاً :

- أنت هتعملى زيها وتقولى ده مش هيحل حاجه وكده ابويا هيعند أكتر .. وبعدين ده لو حصل مش هوديها عند ابوها تانى وهتقعد معايا هنا ويبقى ده اعلان الدخول اللى بتقول عليه

عقد بلال حاجبيه وقال باستنكار :

- هى كمان قالتلك كده .. معناه ايه الكلام ده هو أنت حاولت يا فارس

اشاح بوجهه قائلا:

- اعمل ايه هتجنن عقلى طار مني مش لاقى حل

لانت ملامح بلال وهو يربت على كتفه قائلا:

- ياسيدى قلتلك سيبها على الله وبعدين مش قادر تصبر شويه يعنى خلاص .. ما أنت كده ولا كده مكنتش هتدخل دلوقتى وكنت هتستنى سنه

مسح فارس على شعره وهو يقول بحنق :

- معرفش بقى يا بلال انا كنت بدور على اى حل وخلاص.. الموضوع بالنسبالى مش زى ما انت فاكر انا كنت هعمل كده علشان أحط ابوها قدام الامر الواقع ويبطل يقولى طلقها وكل اللى كنت عاوزه انى اجيبها تعيش هنا وابقى مطمن عليها بدل ماهى قاعدة لوحدها مع مرات ابوها الله اعلم بتعاملها ازاى ..

أخرج بلال هاتفه وقال على الفور :

- طب هات رقم أبوها

****

- لقوهم مقتولين فى شقة باسم ولقوا سيديهات و صور .. أظاهر أن علاقتهم كانت من زمان اوى

حدق فارس وعمرو فى الضابط وهو يتحدث إليهم من خلف مكتبة وهتف فارس على الفور :

- أمتى حصل الكلام ده

مطت الضابط شفتيه وقال :

- الشغاله معاها مفتاح وكانت بتروح كل يوم الصبح بدرى تنضف الشقة واضح انهم كانوا بيسهروا كل ليلة .. دخلت النهارده الصبح لقيتهم مرمين على الارض ومقتولين .. صرخت طبعا والعماره كلها اتلمت وأتصلوا بالبوليس

نظر عمرو إلى فارس بخوف وقال :

- يعنى ايه الكلام ده طب مين اللى عمل كده

قال الضابط بتركيز :

- البحث الجنائى شغال بس لحد دلوقتى ملقيوش حاجه بصماتهم وبصمات الشغاله بس .. واضح كمان من المعاينه ان الباب متكسرش يعنى القاتل عارفهم وعارف طريقهم ومعاه مفتاح كمان .. ثم اردف قائلاً بأشمئزاز:

- فى الاول كنت مستغرب ان محدش من الجيران سمع صوت استغاثة ولا اى قلق خالص بالليل ... لكن لما عاينت جثثهم بنفسى وشفت السيديهات اللى فى كل حته فى الشقه عرفت ليه..

نظر له الاثنان نظرات متسائلة فقال :

- كان فى بينهم علاقة خاصة وكانوا بيمارسوها وهما سكرانين وشاربين بلاوى وقرف علشان كده محسوش باللى دخل عليهم وفى احتمال ان يكون القاتل ده شريكهم التالت وكان معاهم فعلا فى الشقه بس مفيش دليل على اى حاجه خالص وشكلها كده هتتأيد ضد مجهول .

تقطعت انفاس فارس وهو يشعر انه يختنق وهو ينظر الى عمرو الذى كان ينظر اليه هو الاخر بذهول وهتف :

- معقول باسم ونادر كان فى بينهم علاقه من النوع ده

شعر الضابط بالغثيان ويومىء براسه قائلا:

- مع الاسف ... صحيح من عاش على شىء مات عليه

هتف عمرو بلوعة :

- يعنى القضية كده باظت ولا ايه انا مش فاهم حاجه

شعر فارس بالحنق تجاه دنيا أكثر وهو يتخيلها بين يدى رجل بهذه الدنائة والخسة وشعر بالاسى تجاه الدكتور حمدى وقد اتضحت لديه صورة اخته وابن خالته بهذا الفجور الطاغى

سمع الضابط يقول ل عمرو:

- أنت كده قضيتك خلصت خلاص التقرير هيتقدم انها مزيفة وانت هتطلع براءة والقضية تتقفل

قضية الرشوة هى اللى باظت بموت باسم ونادر ومنعرفش مين اللى وراهم ولا مين اللى كان بيحركهم .. وده اللى مخالينى متأكد أن اللى قتلهم هو اللى وراهم ومش عاوز يتكشف بس هتجنن وأعرف ..عرف منين انهم هيقعوا خلاص وأننا هنقبض عليهم تانى يوم .. تبادل النظرات مع فارس الذى قال باصرار :

- انا بقى مش هسكت والموضوع متقفلش على كده المكان اللى الفندق بيتبنى فيه ده مكان اثرى وانا هقدم بلاغ للنائب العام بالكلام ده وهطلب أنهم يكشفوا باجهزة الدولة اذا كان فيه اثار تحت الحفر ده ولا لاء .. ولازم اجيب اللى ورا نادر وباسم باى شكل ...

مال عمرو للأمام وهو يقول :

- متكبرش الموضوع يا فارس الناس دى ايديها طايله

أستدرك الضابط قائلا:

- بلاش يا دكتور فارس أنا عارف حاجات كتير عن الشغل ده انت متعرفوش وبنصحك بلاش

نهض فارس وهو يقول باصرار :

- انا رايح اقدم البلاغ حالاً

****

هاتف بلال والد مُهرة وأتفق معه على موعد فى المركز الخاص بالدكتور بلال وبالفعل ذهب إليه والدها فى المعاد المتفق عليه نهض بلال من خلف مكتبه مصافحاً أياه بحرارة وجلس قبالته فقال والد مُهرة على الفور :

- انا عارف انت كنت عاوز تقابلنى ليه يا دكتور ووالله لو مكنتش غالى عليا مكنتش وافقت اجى اقابلك علشان عارف أنك عاوز تتكلم فى ايه

أخرج بلال زجاجة مسك متوسطة واعاطها له قائلاً بابتسامة :

- طب مش هتقبل هديتى كمان ولا ايه

أخذها والدها على استحياء قائلا:

- هديتك مقبولة يا دكتور

قال بلال مبتسماً :

- اوعدنى بقى أنك هتسمعنى من غير ما تقاطعنى ولا تتعصب

أومأ والدها براسه موافقاً بغير ترحيب .. فقال بلال :

- أنا عارف انك بتحب النبى عليه الصلاة والسلام وبتحب تسمع كلامه مش كده ؟

قال والدها على الفور :

- عليه الصلاة والسلام

تمتم بلال :

- عليه الصلاة والسلام ..ثم قال بهدوء :

- بص بقى يا راجل يا طيب النبى عليه الصلاة والسلام قال :

- " درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية"

وقال كمان عليه الصلاة والسلام

"لعن الله آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه. وقال: هم سواء"

وأنا بحبك يا عم أبو يحيى ومرضالكش ابدا أنك تاكل ربا والكلام ده يطبق عليك وعلشان كده فارس قال ان عم عامر على حق علشان هو كمان بيحبك وميرضاش عليك أنك تبقى ملعون والعياذ بالله أو أنك تاكل ربا

قال ابو مُهرة حانقاً :

- يا دكتور بلال ده مش ربا ده زى قرض البنك كده وليه فوايد وبعدين هما اتفقوا من الاول والعقد شريعة المتعاقدين

قال بلال على الفور :

- بس اللى نعرفة يا عم ابو يحيى أن ما بنى على باطل فهو باطل ولو العقد ده عقد ربا يبقى باطل ويبقى الاتفاق بينهم باطل برضه الكلام ده لو العقد ده بيوافق شرع ربنا لكن لو يخالفه ميبقاش شريعة المتعاقدين ولا حاجه

أما بقى بالنسبة لحكاية أن البنك بيسلف بالفوايد ومين قال ان فوايد البنوك دى مش ربا أصلا ده بغض النظر عن انك مش بنك ولا حاجه أنت جار بيسلف جاره

طرق الباب فقال بلال :

- أتفضل

دخل عامر ومعه ولده مينا ومد يده يصافح ابو يحيى الذى صافحه ببرود وجلسا بجواره

فقال ابو مُهرة متبرماً وفوايد البنوك بقى مالها ما كل الناس بتاخدها دى تجارة البنك بيتاجر بيها وبيردهالنا بفوايدها

قال بلال بهدوء شارحاً كلامه ببساطة:

- هو أنت يا عم ابو يحيى لما بتاجر بفلوس مش الفلوس دى بتبقى ممكن تكسب وممكن تخسر

قال على الفور : - ايوا صح

تابع بلال حديثه :

- بالظبط كده هو ده الفرق بين القرض والتجاره .. القرض يعنى تشترط فايده ثابتة على اللى بتسلفه او اللى بتستلف منه يبقى ده قرض بربا ... لكن التجاره معناه مكسب وخساره يعنى ممكن يطلعلك مكسب وممكن فى شهر تكسب بسيط وشهر تانى تكسب مبلغ كبير واللى بعده اقل مثلا وهكذا هى دى بقى التجاره وعلشان كده ربنا سبحانه وتعالى لما الناس خلطت الربا بالتجاره قال : (وأحل الله البيع وحرم الربا)

ثم مال للامام وقال بأهتمام :

- ده غير اننا منعرفش هما بيتاجروا فى ايه اصلا ياعم ابو يحيى والله اعلم بيبيعوا ايه وبيشتروا ايه

أطرق ابو يحيى براسه وقال بخفوت :

- انا مكنتش اعرف كده أنا فاكر أنها حاجه عادية وتجارة

ربت بلال على ساقه وقال بصدق :

- انا عارف انك مكنتش تعرف بس اديك عرفت الزعل ليه بقى

قال ابو يحيى متبرماً :

- بس برضه مكنش يصح ينصفه على حسابى ده انا حماه وهو ...

بتر كلمته فى الحال كان سيقول أنه نصرانى فهمها بلال ونظر له عامر ومينا بضيق فقال بلال على الفور

بس فارس معملش حاجه غريبة فارس عمل زى ما الرسول عليه الصلاة والسلام عمل بالظبط .. عقد ابو يحيى جبينه بينما أنتبهت حواس عامر وولده مينا وبلال يقول :

- فى واحد راح للرسول عليه الصلاة والسلام وقاله ان فى دقيق أتسرق منه وأنه تتبع اثره فوجد الاثار موديه على بيت يهودى ولما شافوا بيت اليهودى فعلا لقوا فعلا اثار الدقيق من بيت الراجل صاحب الدقيق لحد بيت اليهودى وكان ده دليل قوى ضد اليهودى لكن الحقيقه ان اليهودى مكنش هو اللى سرق وان واحد تانى مسلم هو السارق الحقيقى وانه خبى الدقيق عند اليهودى لما حس انه هيتكشف ... ساعتها تنزل الوحى على النبى عليه الصلاة والسلام بالايه الكريمه

(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (105) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (106) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا {إلى قوله تعالى} :وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)

الايه دى يا عم ابو يحيى كانت آيه تبرئة اليهودى ... كان ممكن الرسول عليه الصلاة والسلام يسكته ويقول خلاص بقى ماهو يهودى يعنى معقوله أطلع اليهودى شريف والمسلم حرامى ... لكن لاء الرسول عليه الصلاة والسلام أنتصر لليهودى وبرأة وأدان المسلم اللى سرق فعلا.. هو ده الإسلام وهو ده شرع ربنا اللى الناس خايفه منه وبيقولوا مينفعش نحكم بيه ...

****

لم يصدق فارس نفسه وهو يدخل المدرج فى الكلية ليجد مُهرة جالسة امامه فى اول بنش تنظر له وتبتسم ابتسامة واسعة ... تعلق بصرة بها فى دهشة وألقى محاضرته بسرعة وبمجرد ان انتهى اشار لها بعينيه ان تلحقة .. جمعت مُهرة أشيائها وخرجت مسرعة فى فرحة غامرة أخذها للخارج وهو يقول بلهفة :

- أحكيلى الله حصل بقى وبالراحه كده

قالت بسعادة :

- بابا رجع امبارح من عند الدكتور بلال وقال لمراته تمشى وترجع بيتها وراح جاب ماما ويحيى رجع البيت وقعد اتكلم معايا وهو مسكوف من اللى عمله وكان عاوز يتاسفلك بس محرج .. تنهد بقوة وهو يقول بفرحة :

- بركاتك يا دكتور بلال

ضحكت مُهرة وشرعت فى التوجه الى المدرج مرة اخرى وهى تقول :

- سبنى بقى كفايه عليك كده

جذبها من يدها قائلا بابتسامة سعيدة :

- لاء أحنا هنتغدى مع بعض بالمناسبة الحلوة دى

رفعت حاجبيها وقالت معترضة لاء طبعا مش موافقه أنت مبذر اوى على فكره

قال بحنان وهو ينظر فى عينيها محاولا التاثير عليها قائلا:

- طب لو قلتلك علشان خاطرى نفسى اقعد معاكى شويه

نجحت خطته فقالت على الفور وقد أحمرت وجنتيها :

- موافقة بس نقعد فى حته فيها بحر

عقد حاجبية وهو يقول مداعباً :

- دلوقتى بتتشرطى مش لسه كنتى بتقولى لاء من شويه

عقدت ذراعيها امام صدرها متبرمة وهى تقول بمرح طفولى :

- خلاص مش عاوزه منك حاجه

ضحك وهو يجذبها من يدها ليخرج بها خارج الجامعة ليجلسا وحدهما مرة أخرى لتعود المهرة الاصيلة إلى حضن إلى فارسها المغوار..

****

عادا من نزهتهما بعد صلاة العصر ليجدا حالة من الهرج والمرج داخل شارعهم ودخان كثيف يخرج من أحد المحلات الجانبية الصغيرة فى الشارع .. نظرة إليه مُهرة وهى تقول بقلق :

- ياترى حصل ايه

أخذها إلى بنايتهم ودفع بها برفق داخلها وهو يقول :

- أطلعى انتى لما اشوف أيه اللى بيحصل

توجه فارس إلى الحج عبد الله صاحب محال البقاله ليسأله عن الامر فقال له :

- مش عارفين حصل ازاى ده يا دكتور فارس أحنا فجاة كده لقينا النار طالعه من المحل المقفول ده قعدنا نطفى فيه والناس كلها اتلمت تساعدنا وكانت هوجه فى الشارع بس الحمد لله لحقناها قبل ما تكبر

عقد فارس حاجبية بدهشة وعاد ادراجه إلى بنايته وما ان دخلها حتى وجد مُهرة تتصل به وهى تهتف ألحقنى يا فارس ..لا يعلم كيف صعد تلك الدرجات إليها .. فى لمح البصر كان واقفا امام شقتها المفتوحة ووجد والدته خارجة منها وعلى وجهها علامات الفزع وقالت له :

- تعالى يا فارس شوف أوضة مُهرة

توجه فارس على الفور إلى غرفة مُهرة فوجدها تقف فى منتصفها تنظر إلى ملابسها المبعثرة فى كل مكان وعلى وجهها قد رسم الخوف لوحة ظاهرة للعيان بمجرد النظر إليها ..نظرت إليه وهى تقول بفزع :

- ألحقنى يا فارس

تقدم إليها فوجد فى يدها ورقة مدت يدها بها إليه وهى تقول :

- لقيت الورقه دى على سريرى محطوطه هنا

وأشارت الى كومة ملابس موضوعة بشكل معين ..ليست مبعثرة مثل بقية الملابس ولكن موضوعة فى مكان ظاهر على فراشها بعناية ... كانت كومة من ملابسها الداخلية .. اتسعت عينيى فارس واعاد نظر للورقة سريعاً فوجد بها كلمات قليلة :

- المره دى أوضتها وهدومها المره الجايه هى نفسها ومتلومش غير نفسك

رفع راسه بفزع غلى كومة ملابسها الداخلية .. نعم لقد وصلت الرسالة طرقت عقله بجنون .. تهديد بالاغتصاب ... ولكن من ... من يجروء على هذا ... استدار إلى والدتها صائحاً :

- أزاى ده حصل وأمتى

قالت والدتها وهى تضع يدها على صدرها مكان قلبها وهى تلهث من شدة الخوف :

- انا كنت تحت عند الست ام فارس وفجأة لقينا ناس بتزعق فى الشارع وبيقولوا حريقة . طلعنا انا وهى ووقفنا فى البلكونه ولما لقيناك أنت ومُهرة راجعين من بره سبت الست ام فارس وطلعت شقتى ولقيت مُهرة طالعه ورايا ولقينا باب الشقة مكسور واول ما دخلت اوضتها لقيناها كده على حالتها دى واتصلت بيك...

أخرج فارس هاتفه وأتصل على الضابط صديقة وقص عليه ما حدث فصمت الضابط لحظة بعد ما سمع ما سرده عليه فارس وقرا عليه الرسالة فقال :

- نصيحة مني ابعد عن حكاية الاثار دى خالص يا دكتور فارس

صاح فارس بإنفعال :

- يعنى انت شايف ان قضية الاثار دى ليها علاقة باللى حصل ؟

قال الضابط بثقة :

- انا مش شايف .. انا متاكد ... شوف يا فارس قضية صاحبك خلصت وطلع براءة والحكاية خلصت والبلاغ اللى أنت قدمته اتحفظ حتى من غير ما يحققوا فيه وقضية القتل كمان اتحفظت برضه من غير ما نوصل لحاجه فيها وكل الادله أطمست .. مبقاش فيه دلوقتى غير عنادك واعتقد اللى حصل ده والتهديد ده خطوة ونصيحه مني تبعد وتقفل موضوع الاثار ده خالص

مسح فارس على راسه بعنف وهو يهتف :

- يعنى ايه يعنى فعلا دى عصابة بقى ومش عاوزين اى شوشرة حواليهم ودلوقتى بيهددونى بمراتى

أجابة الضابط بهدوء :

- بالظبط كده واديك شفت نادر وباسم اتقتلوا لمجرد انهم لفتوا الانظار ليهم شوف انت بقى ممكن يحصلك ايه لو مشيت فى الموضوع ده اكتر من كده ... خدها نصيحه من واحد شغال فى مكان ماليان فساد بالشكل ده اقف لحد كده يا فارس لو حصلك حجه انت ولا مراتك محدش هيسأل فيكوا وبرضه القضيه هتتحفظ ...

جمع فارس بلال وعمرو والضابط وقص عليهم ما حدث وما قاله الضابط صديقة فاعاد الضابط كلماته مرة اخرى امامهم فأطرق بلال فى سكون ثم قال دون ان ينظر إليهم :

- حضرة الظابط معاه حق يا فارس أديك شفت لما أتشدينا كلنا على المعتقل محدش حس بينا ولا حد سال علينا واللى خرجنا من هناك هما هما نفس الناس اللى احنا شاكين فيهم

دلوقتى والخوف دلوقتى مش علينا احنا الخوف دلوقتى على الحريم اللى ممكن يتبهدلوا معانا لو كملنا

ضغط فارس قبضته فى راحته وهو يقول بغضب :

- عارف لو هددونى بالقتل مكنش همنى حاجه ... المشكله انهم بيهددونى بمراتى .. مراتى يا بلال

وضع عمرو وجهه بين راحتيه وهو يقول موبخاً نفسه :

- ياريتنى ما كنت رحت اشتغلت فى الشركه دى ياريتنى لما قدمت استقالتى صممت عليها ومشيت ولا كنت سافرت ولا اتهببت

هتف فارس بحنق :

- لازم نلاقى حل مش معقول نسيبهم ينهبوا البلد كده وانا خايفين على نفسنا لازم نوصل لاكبر مسؤول فى البلد

نهض الضابط صديقة من مكانه واقفاً وهو يقول فى شرود :

- أكبر مسؤل اللى انت عاوز توصله ده هو اللى خد اوامر من اللى اكبر منه أن محضر القتل يتقفل والحفر يفضل شغال فى وادى الريان مكان الفندق وأهو نفذ الاوامر وقفل المحاضر وأتحفظ عليها من غير تحقيق .. عارف لما جارك يتعدى عليك وتروح لابوه تشتكيله تلاقى ابوه هو اللى مسلطه اهو هو ده بالظبط .. وضع يده على كتفه وقال باسى :

- شيل ايدك من الموضوع يا فارس الفساد فى البلد دى من سنيييييين كتيره اوى فوق الستين سنه ويمكن أكتر لدرجة ان الناس تعايشت معاه وأتعودت عليه ...... مينفعش تواجهه لوحدك استنى شويه

****

جلست بجوارة حول المائدة وهى تقول بنعومة :

- معلش يا فارس اشرحلى الحته دى تانى أحسن مش فاهماها كويس الجنائى ده صعب أوى

مال عليها وهمس فى أذنها :

- طب خشنى صوتك شوية لحسن انا كده مش هعرف اشرح حاجه خالص

ضحكت بصوت خفيف ثم قالت :

- معلش استحملنى خلاص الامتحانات قربت تخلص

تافف وهو يغلق الكتاب بيده وقال :

- ماانتى لو حنيتى عليا بأطه هستحمل

ضحكت ثانية وأمتزجت ضحكاتها بصوت والدته وهى تعود من المطبخ حاملة أكواب الشاى بيدها ووضعتها امامهم وهى تنظر إليهم بمكر قائلة :

- ايه الدرس اللى كله ضحك ده

أمسك يد والدته وأجلسها أمامهما وقال متبرماً :

- بصى بقى ست الكل انا عاوز اتجوز ماليش دعوه اتصرفى مش انتى امى ومسؤله عنى انا كده هنحرف

تبادلت النظرات مع مُهرة وقالت بلامبالاة :

- استنى بقى لما تخلص الكلية بتاعتها

هتف فارس على الفور :

- نعم هو انا لسه هستنى كمان تلات سنين لالالالالالا ..أنا يدوب هستحمل لحد الامتحانات السنه دى ما تخلص ...

ثم نظر إلى مهُرة نظرة ذات معنى وقال :

- وبعدها بقى محدش يلومنى واخد بالك يالى فى بالى

قالت والدته على الفور :

- طب اصبر لما نجيب لمُهرة عفش جديد ولا هتدخل على القديم

ظهرت سحابة حزن فى عينيى مُهرة وأمطرت حروف غيرتها الواضحه وهى تقول :

- الحكايه مش حكايه عفش قديم الموضوع ده ميفرقش معايا انا بس مش عاوزه اوضه النوم دى .. مش بتاعتى فى واحده غيرى نامت عليها

ثم نظرت إليه نظرات عتاب ولوم فقال :

- تانى يامُهرة هو مش انا فهمتك الحكايه كلها قبل كده وبعدين يا ستى انا نفسى مش هوافق تدخلى على عفش قديم وهغيرهولك بالقسط

قالت والدته متسائلة :

- أنت ليه يا فارس مرجعتلهاش عفشها مش ده فى القايمه بتاعتها

أخرج فارس ميدالية المفاتيح وقال :

- كويس انى لسه معايا نسخه من مفاتح شقتها هروح بكره انقلها حاجتها فيها ده حقها

هتفت مُهرة على الفور بضيق :

- وانت بقى هتروح شقتها لوحدك لاء انا هاجى معاك ؟

رفع كتفيه مقلداً لها وهو يقول مداعباً :

- هو انا مش قلتلك أنها محكوم عليها بسبع سنين وزمانها قضت منهم سنه فى القناطر خايفه من ايه بقى هتطلعلى من الصورة تاكلنى يعنى

أستندت برأسها على راحتها وقالت :

- برضه هاجى معاك

أنهت مُهرة أختباراتها وبدئت فى اتمام أمر الاثاث الجديد أخذته الى معرض الاثاث الخاص بوالد صديقتها وأنتقيا غرفة نوم جديدة وغرفة أخرى للاستقبال ولقد كانت مُهرة فى غاية السعادة والفرحه وهى تتعلق بيده وهما يتنقلان بين الغرف المعروضة .. اشارت له على غرفة صغيرة الفراش وقالت :

- مش ملاحظ ان الاوضه دى الكومدينو فيها اكبر من السرير

مال على أذنها وقال :

- هو فين السرير اصلا

كتمت ضحكتها وأكملا رحلتهما فى البحث عن اسعار مناسبة وقسط مناسب لحالتهما المادية فى ذلك الوقت وتم تحديد ميعاد الزواج بعد ايام من اتمام تجهيز شقة الزوجية ...

حزمت عزة حقيبتها وهى تقول :

- خلاص يا عمرو كل حاجه جاهزة

دلف الى الغرفة وقال وهو ينظر للحقائب :

- ده أحنا هنشوف بهدله يابنتى

قالت بأعتراض ليه بس ده انا بحب أسكندرية اوى وكان نفسى أعيش فيها من زمان كويس أنك لقيت شغل هناك

بدل ملابسه وهو يقول :

- اه طبعا مصائب قوم عند قوم فوائدُ

لفت ذراعيها حول ساعده وهى تقول بابتسامة واسعة :

- يعنى أنت مش فرحان زيى أننا هنعيش فى أسكندرية على الأقل هنقضى شهر عسل جديد مع مُهرة وفارس وكمان بلال وعبير هيسافروا معانا اسبوع

وضع يده على بطنها وهو يقول بمرح :

- شهر عسل أيه بقى ما خلاص أدبست واللى كان كان

دفعته وهى تقول بتبرم:

أمشى كده هو أنت كنت تطول أبقى ام عيالك

دفعها من كتفها برفق وهو يقول :

- أمشى كده وانا متجوزك شفقة ورحمة اصلا

كالعادة كانت زفة أسلامية جميله ـ أحاطت مُهرة الاخوات وهن يحملن الدفوف والشعلات وأطواق الزهور وهى تمر بينهم زهرة يافعه فى مقتبل العمر اذا نظرت فى عينيها ترى الامل والسعادة والتفاؤل والحب .. تصفق وتنشد معهم كالاطفال ..

أما فارس فى قاعة الرجال فكان يشعر للمرة أولى أنه فى حفل زفافه كانت السعادة بادية على وجهه وبين الحين والاخر يقترب من عمرو قائلا :

- ما تنهى بقى يا عم أنت مسافر الفجر ولا ايه

أقترب بلال منهما وسمع عمرو وهو يقول ل فارس مداعباً :

- أيه ده هو مش الفرح عندكوا بيبقى اسبوع متواصل ولا ايه

ضحك بلال ضحكات رنانة بينما دفعه فارس من كتفه وهو يقول :

- أسبوع مين يا عم أنا هروح أخد مراتى وأمشى واقعد انت بقى الاسبوع ده براحتك

وضع بلال ذراعيه على كتفيهما وهو يقول مشاكساً :

- لا يا عمرو حرام أسبوع كتير مشيها تلات تيام بس

نظر له فارس بحنق بينما صفق عمرو وهو يقول بمرح :

- العريس هيقتلنا يا شيخ بلال كده وبعدين كلنا مسافرين مع بعض فمفيش داعى نقطع على بعض يعنى ... الليله ليلة هنا وسرور

تضاحكا وهما يدفعان بعضهما البعض فى نشوة ومرح كبير والناس ينظرون إليهم ما بين سعيد ومندهش وبالفعل المندهش كان متعجباً هل الملتحون يضحكون مثلنا !!!!!!! .. هل هم من كوكبنا أم هجموا علينا من كوكب آخر !!!!!!!!

سافروا جميعاً الى عروس البحر المتوسط الاسكندرية.. فارس ومُهرة .. بلال وعبير .. عزة وعمرو

كل ثنائى فى شقتة الخاصة المؤجرة خصيصا لهذه الاجازه باستثناء شقة عمرو التى كانت مؤجرة بشكل دائم نظراً لعمله الذى جعله ينتقل للاسكندرية للاقامة الكاملة فيها ... وضع فارس الطعام على المائدة ثم توجه الى غرفة نومها وطرق الباب بخفة وقال :

- مُهرة العشا جاهز يا حبيبتى

هتفت من الداخل:

- أوعى تدخل لسه مخلصتش

تنهد بسعادة وهو يتجول فى أركان الشقة ينتظرها .. خرجت بعد قليل بعد أن بدلت ملابسها وأرتدت بجامة قطنية باللون الوردى وعليها بعض رسوم الكرتونيه المضحكة ... نظر فارس إليها متعجباً ثم قال :

- ايه يا مُهرة ده انتى رايحه النادى ولا ايه

رفعت كتفيها وهى تقول :

- مش انت قلتلى هاتى هدوم ينفع تقعدى بيها فى البيت براحتك

ضرب كفاً بكف متعجباً وهو يقول :

- انا قلت هدوم تقعدى بيها معايا مش هدوم تقعدى بيها مع أخواتك

قالت بمكر :

- طب مفهمتنيش ليه معلش بقى المره اللى جايه

زفر بضيق ثم اشار لها على المائدة وهو يقول :

- اتفضلى حضرتك العشا جاهز

رفعت حاجبيها وهى تنظر إليه بترفع وخطت خطوات قليلة أمامه تتهادى فأوقفها قائلا:

- هو مش أحنا صلينا الركعتين

أومأت براسها مؤكده فقال :

- وقلنا الدعاء وعملنا السنن كلها

أومأت براسها مرة اخرى موافقة وقالت متسائلة :

- اه بتسأل ليه

فقال بهدوء :

- يبقى ناجل الاكل دلوقتى أصل انا افتكرت حدوته مهمه أوى عاوز أحكيهالك قبل الاكل

صفقت بيدها وهى تتجه معه نحو غرفة النوم وقالت :

- بجد يا فارس هتحكيلى حدوته

أوما براسه وهو يقول مداعباً :

- لاء وهتعجبك أنا متاكد من كده

تركته وعادت الى المائدة وهى تقول :

- طب استنى لما آكل اصلى جعانه اوى

تنهد بعمق ثم توجه إليها وجلس بجوارها وبدأ يطعمها فى فمها بعض اللقيمات الصغيرة وهى تأكلها منه بمرح وبعد ان أنتهى أخذت يده فى يدها ولعقت أصابعه بمرح وهى مبتسمة له فنظر لها وقد خارت قواه تماما وقال بخفوت :

- أوعى تقولى عبير علمتك دى كمان

أومات براسها وهى تقول :

- أه عبير هى علمتهالى

أمسك يدها وقبلها بحنان قائلا :

- خلصتى أكل ولا لسه ؟

شعر بها أرتجفت فجاة وأنتفض جسدها وتقلصت عضلات وجهها خوفاً فعقد جبينه وقال بقلق :

- مالك خايفه كده ليه

تلعثمت وهى تقول :

- لا ابدا مفيش

شعر بخوفها وسمع طرقات قلبها وكأنه راى خفقانه وقفزاته بجنون وأمتقع وجهها واصفر لونه .. شعر بالشفقة تجاهها ومسح على شعرها وهو يجذبها الى صدره قائلا :

- من أمتى وانتى بتخافى مني ؟.. فاكره اليوم اللى قلتيلى فيه أحمينى منك يا فارس .. رفع راسها إليه قائلا :

- محدش فى الدنيا دى يخاف عليكى قدى صح ولا لاء

أومات براسها وقد شعرت ببعض الهدوء النفسى يغلفها على اثر كلماته الرقيقة ووضعت راسها على صدره بهدوء فمسح على ذراعها بهدوء وهو يقول :

- لازم تتأكدى من كده كويس أوى أنا هفضل طول عمرى حمايتك وأمانك حتى من نفسى أنتى يا مُهرة مش حبيبتى وبس ومش مراتى وبس أنتى بنتى وأختى قبل اى حاجه تانيه وزى ما كنت بخاف عليكى وانتى لسه بيبى بين ايديا هفضل برضه اخاف عليكى وانتى مراتى وحبيبتى وبين ايديا ... اتسعت ابتسامتها ورفعت راسها إليه وطبعت قبلة صغير ممتنة على وجنته ..فنظر إليها بشغف قائلا :

- انتى صدقتى ولا ايه ده انتى عبيطة اوى !!......

لم تكن تلك الليلة هى ليلة عاديه فى عمرهما كانت بداية جديدة لعمر آخر ... فارس آخر ومهرة اخرى يطوفان حدائق حبهما فى سكون وصمت يهدى كل منهما رحيقة طواعية وحب أصبح الاخذ هو العطاء والعطاء هو الاخذ أختلفت المقاييس توحدت الانفس اصبحت كياناً واحداً يتنفس برئة واحدة يبتسم بثغر واحد روحاً واحدة و جسداً واحداً ... وقلبان ينتفضان عشقاً .

****

لامست مياه البحر أقدامهما وهما يجلسان على شاطئة ويتأملان شروق الشمس فأسندت رأسها على صدره وقالت :

- أنا جسمى قشعر من جمال وروعة المنظر الخلاب ده .. شفت عظمة ربنا فى أبداعه ..

أجابها فارس بعد أن قبل كفها بحنان :

- اومال لو شفتى الاجمل والاروع من المنظر ده هتقولى أيه

رفعت راسها تنظر إليه فى فضول كبير قائلة :

- فين ده

قال وهو ينظر إلى عينيها الواسعتين :

- عنيكى

أحمرت وجنتيها خجلاً وقالت بخجل :

- بطل يا فارس

قال بحب :

- انا بتكلم جد ..أنا لما بشوف عنيكى بنسى الدنيا كلها وبحس أنى فى الجنة ... أنا معرفتش طعم الحب الا وأنا معاكى .. عشت حياتى قبلك فى وهم وانا فاكر أنى بحب غيرك .. عشت أكبر كدبة فى حياتى .. لكن لما عرفت أنى بحبك دوقت ساعتها طعم الحب الحقيقى ...

أنتى عارفه يا مُهرة أنا عشت حياتى كلها كل ما أدخل محكمة واسمع حكم وراه جملة مع وقف التنفيذ كنت بفتكر حياتى اللى عشتها،، حقيقى الجمله دى هى تلخيص حياتى كلها ....

من ساعة ما أتخرجت من الجامعه وأنا بحلم أبقى وكيل نيابة وكنت بذاكر وأطلع الاول وكنت عايش دور وكيل النيابه بس مع وقف التنفيذ ...

لحد ما أتجوزت وكنت فاكر أنى بحبها وهى بتحبنى وبعد ما عرفتها على حقيقتها والناس فاكرانا متجوزين ومتفاهمين وبنحب بعض ميعرفوش أننا متجوزين مع وقف التنفيذ ...

حتى لما دخلت المعتقل كنت فاكر أنى هموت ومحضر نفسى للموت لكن كنت بموت كل يوم من الانتظار لكن برضه مع وقف التنفيذ ...

ولما أتجوزتك وأبوكى كان هيفرق بينا ومكنتش عارف أشوفك كنتى مراتى مع وقف التنفيذ ..

حتى لما فكرت وأتحمست أنى أطهر البلد دى من الفساد والسرقه واللى بيحصل فيها عرفت ساعتها اننا كلنا شايفين السرقة والفساد لكن مش قادرين نعمل حاجه وفاكرين نفسنا أبطال بس ... بس كلنا أبطال مع وقف التنفيذ ...

كانت تنظر إليه تسمعه بتركيز وأهتمام فقالت :

- تفتكر يا فارس فى أمل بلدنا تتغير ؟

قال بشرود :

- أنا متاكد ان ده هيحصل ... بس عشان ده يحصل لازم نكون كلنا إيد واحدة لازم الشعب ده يفوق من الغفلة اللي عايش فيها من سنين طويلة... إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم... ده مهما كان حجم الظلم والطغيان اللي موجود في البلد مش هايقدر يقف أدام ثورة الناس كلها ... بس الخوف كله إن لو الشعب عمل ثورة فعلا وما غيرش نفسه ... يعني فضلوا على نفس أخلاقهم السيئة وفضلوا يظلموا في بعض برضه .. هاتبقى ثورة بس مع وقف التنفيذ وعلشان كده أنا خايف يبجى يوم وحتى الحلم ده يبقى هو كمان

مع وقف التنفيذ ...